

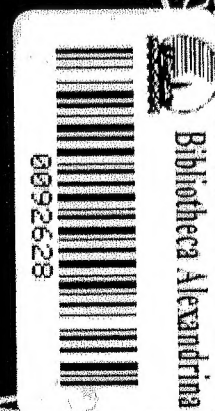
مصارع العشاق

تأليف

الشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري



دار صادر
بيروت



مصارع العشاق

١

مَصَارِعُ الْعُشَّاقِ

تأليف

الشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ

المجلد الأول

دار صادر
بيروت

الشيخ أبو محمد القارء

٤١٧ - ٥٠٠ هـ (١٠٢٦ - ١١٠٦ م)

هو جعفر بن أحمد بن الحسين السراج ، كنيته أبو محمد ، ولقبه القارء . ولد في بغداد وتوفي فيها في ٢١ صفر . وكان علامة زمانه : له التصانيف العجبية منها كتاب « مصارع العشاق » حدث عن كثيرين وأخذ عنه كثيرون وله شعر حسن . هذا كل ما استطعنا الوصول إليه من ترجمته . وانه في صورته المختصرة لكاف لأن يعرفنا أن مترجمنا كان من المحدثين الذين أخذ عنهم كثيرون ؛ وكان كذلك شاعراً . وقد أثبت لنفسه في « مصارع العشاق » مقطوعات كثيرة غزلية نحا فيها منحنى الأقدمين في أغراضهم ومعانيهم وذكر منازل العر .

وإن ما توخاه من اسناد كل رواية رواها إلى عدة محدثين ومخبرين ليدلنا على سعة اطلاعه وعنايته في أن يجعل قارئه على ثقة من صحة ما يرويه له .

وقد جمع من الروايات كل ما يتعلق بالعشاق الذين صرعهم الحب على أنواعهم ، وربما وجدنا نحن اليوم فيها ما لا يمكن العقل ان يقبله : كرواية الزاغ الذي كان « من وسطه إلى أعلاه رجلاً » ومن وسطه إلى أسفل صورة الزاغ ذنباً ورجلاً » وما أنشده هذا الغراب الصغير « بلسان فصيح طلق » من شعر وصف به نفسه فقال : « أنا الزاغ أبو عجوه ... الخ » وكروايات مصارع عشاق الجن ، وهاتف الجبل الذي دل بيتين أنشدهما على المكان الذي مات فيه العاشقان اللذان فقدا واختفى أثرهما ، وغيرها من حوادث الموت السريع على أثر شهقة شفهها العاشق أو شهقتها العاشقة .

ورواياته خليط من جاهلي واسلامي وأموي وعباسي وكلها نزيه بسوده العفاف وخوف الله وعذاب الآخرة . حتى ان الذي يحتوي شيئاً من روح التراخي الاخلاقي ينتهي بالتوبة إلى الله واستغفاره ، جل جلاله ، وطلب مراحمه .

والروح الدينية والترعة الصوفية مسيطرتان على كثير من القصص ، كشأنهما

في مصارع عشاق الله ، عزّ وجلّ ، وذكر كراماتهم ومصارع عشاق الجنان وغيرها ، والشعر المرويّ نزيه كله لا نستثني إلا أربعة أبيات في أحدها وصف يشبه وصف النابغة للمتجردة .

وهذا الكتاب في أصله منسوخ في اثنين وعشرين جزءاً ، قدم مؤلفها لكل جزء منها بمقطوعة شعرية غزلية من نظمه فرأينا أن نجمع الأبيات التي قدم بها لأجزائه ، بعد هذه المقدمة ، لئلا يضيع شيء مما هو في الأصل .

وربما وجد القارئ بعض قصص مكررة أشرنا في الشرح إلى تكررها ، وجعلنا لكل رواية وحكاية ومقطوعة منفردة عنواناً مأخوذاً من موضوعها أو منها ، وفصلنا الإسناد عن القصة لاعتقادنا أن كثيرين من القراء يرغبون عن قراءته ، ويهمهم أن يتناولوا القصة رأساً دون أن يمرّوا به .

وقصارى القول أن كتاب مصارع العشاق من الكتب التي تستهوي القراء بما فيها من قصص ملؤها المتعة واللذة والسلى .

كرم البستاني

وها هي الأشعار التي صُدّر بها كلّ جزء من أجزاء هذا الكتاب وعددها إحدى وعشرون مقطوعة إذ أن الأبيات التي وضعها المؤلف في الجزء التاسع عشر هي نفسها التي وضعت في الجزء العشرين :

هذا كتابُ مصارعِ العشاقِ صرّعتهمُ يوماً نوّى وفراقِ
تصنيفُ من لدغِ الفراقِ فؤاده وتطلّبَ الرّاقى فعزّ الرّاقى
فإذا تصفّحه اللبيبُ رثى لهم ، أسرى الهوى أيسوا من الإطلاقِ

* * *

مصارعُ العاشقين صرّعتهمُ هوى الطّباء الفؤادِ الحَدَقِ
تصنيفُ من صدّه تصوّئه عن كشفِ ما في الفؤادِ من حُرْقِ
فهو يسيرُ الهوى ويكتّمه ، والقلبُ قد تاه منه في طُرُقِ

• • •

مَصَارِعُ العُشَاقِ مَجْمُوعَةٌ فِيهَا لِمَنْ يَقْرَأُهَا عِبْرَةٌ
 جَمَعَ عَفِيفُ الْحُبِّ يَطْوِي الْهُوَى لَوْ لَمْ تَكُنْ تَنْشُرُهُ الْعِبْرَةُ
 غَرَامُهُ ثَابِتٌ مُقِيمٌ ، وَإِنْ أَعْدَمَهُ ، يَوْمَ النَّوَى ، صَبْرُهُ

* * *

كِتَابُ مَصَارِعِ أَهْلِ الْهُوَى وَمَنْ فَتَكَتْ فِيهِ أَيْدِي النَّوَى
 تَكَلَّفَ تَصْنِيفَهُ عَاشِقٌ عَفِيفُ الضَّمَائِرِ جَمَّ الْجَوَى
 أَضَلَّ بِرَمْلِ اللَّوَى قَلْبَهُ ، فَهَلْ نَاشَدُ قَلْبَهُ بِاللَّوَى

* * *

مَصَارِعُ قَتْلَى مِنَ الْعَاشِقِينَ نَ مَا لِدِمَائِهِمْ طَالِبُ
 تَكَلَّفَ جَمَعَ أَحَادِيثِهِمْ عَفِيفُ هَوَى ، وَجَدُهُ غَالِبُ
 سَقَاهُ الْهُوَى صِرْفَ صَهْبَائِهِ ، فَأَصْبَحَ سَكْرَانًا الشَّارِبُ

* * *

كِتَابُ صَرَغِي الْهُوَى وَقَتْلَاهُ وَمَنْ صَحَا مِنْهُمْ وَسَكْرَاهُ
 تَصْنِيفُ مَنْ كَادَ أَنْ يُشَارِكَهُمْ لَكِنْ وَقَاهُ بِفَضْلِهِ اللَّهُ
 فَضَمَّ مِمَّا مَنُوا بِهِ طَرَفًا يَعْجَبُ قَارِيهِ حِينَ يَقْرَاهُ

* * *

مَصَارِعُ مَنْ جَارَتْ يَدُ الْبَيْنِ وَالنَّوَى عَلَيْهِمْ ، فَأَضْحَتُوا فِي دِيَارِهِمْ صَرَغِي
 دِمَاؤُهُمْ مَطْلُولَةٌ قَدْ أَبَاحَهَا لِأَحْبَابِهِمْ شَرَعُ الْهُوَى ، حَبِذَا شَرَعَا
 تَنَدَّرَتْ مِنْ نَبْلِ الْهُوَى الصَّبْرَ جُنَّةً فَجَاءَتْ سِيَهَامٌ مِنْهُ أَنْفَذَتْ الدُّرْعَا

* * *

كِتَابُ مَصَارِعِ قَوْمٍ سَقُوا كُؤُوسَ الْهَوَى مُتَرَعَاتٍ دِهَاقَا
شَكُوا صِرْفَهَا طَالِبِينَ الْمِزَا جَ فَشِيْبَتْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْهُمْ فِرَاقَا
جَمَعْنَا أَحَادِيثَ صَرَغَاهُمْ ، وَسَكْرَاهُمْ فِيهِ ، لَا مِنْ أَفَاقَا

* * *

مَصَارِعُ أَبْنَاءِ الْهَوَى جَمْعُ عَاشِقٍ تَجَرَّعَ مِنْ رَاحِ الْهَوَى مَا تَجَرَّعَا
فَلَمَّا رَأَى الْقَوْدَيْنِ قَدْ حَلَّ فِيهِمَا الذِّ مَشِيْبُ مَتِيحًا وَالْمَفَارِقَ ، أَقْلَعَا
وَأَضْحَى مُصْبِحًا لِلنَّذِيرِ الَّذِي عَلَا مَفَارِقُهُ يَنْعَى الشَّبَابَ الْمُوَدَّعَا

* * *

كِتَابُ مَنْ دَارَتْ كُؤُوسُ الْهَوَى عَلَيْهِ صِرْفًا ، لَيْسَ فِيهَا مِزَاجُ
فَصَرَّعَتْهُمْ إِذْ حَسَّوْهَا ، فَهُمْ مَرَضَى بُتَادُونَ : أَلَا مِنْ عِلَاجُ
تَصْنِيفُ مَنْ شَارَسَتْهُمْ فِي الْهَوَى ، فَلَيْتَهُ مِمَّا لَقُوا الْيَوْمَ نَاجُ

* * *

مَصَارِعُ اللَّابِسِينَ قُمَصَ هَوَى ضَفَّتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ يَجْرُرْهَا
تَصْنِيفُ مَنْ ذَاقَ مِنْ سُلَافَتِهِ الصَّفْوَ وَمَا فَاتَهُ مُكَدَّرُهَا
يَطْوِي أَحَادِيثَ وَجْدِهِ ، وَدُمُو عُ الْعَيْنِ فِي فَيْضِهِنَّ تَنْشُرُهَا

* * *

كِتَابُ تَضَمَّنَ أَخْبَارَ مَنْ أَطَاعَ الْهَوَى وَعَصَى الْعُدْلَا
فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِهِ أَعَادَ حَلَاوَتَهُ حَنْظَلَا
تَكَلَّفَ تَصْنِيفَهُ عَاشِقٌ ، سَلَا الْعَاشِقُونَ وَمَا إِنْ سَلَا

* * *

مَصَارِعُ أَقْوَامٍ تَوَالَّتْ عَلَيْهِمْ كَوْسُ هَوَى مَمْزُوجَةٍ بِفِرَاقٍ
فَمَالُوا سَكَارَى مَا لَهُمْ مِنْ إِفَاقَةٍ إِلَى حِينَ شَمَلٍ جَامِعٍ وَتَلَاقِي
رَأَى لَهُمْ، مَا لَقُوا، عَاشِقٌ أَبَتْ تَجَفُّ لَهُ، بَعْدَ الْفِرَاقِ، مَا قِي

* * *

كِتَابُ مَصَارِعِ مَنْ جَهَّزَتْ بِظُلْمٍ عَلَيْهِ النَّوَى جُنْدَهَا
جَمَعْنَاهُ لَنَا سَقَانَا الْهَوَى أَفَاقِي لَمْ نَسْتَطِعْ رَدَّهَا
وَسَقْنَا أَحَادِيثَ مَنْ جَاوَزَتْ بِهِ فَجَعَاتُ النَّوَى حُدَّهَا

* * *

كِتَابُ مَصَارِعِ الْعُشَا قِي مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
لِيَعْتَبِرَ الْخَلِيءُ بِمَا لَقُوا شُكْرًا عَلَى النِّعَمِ
مُصَنَّفُهُ عَفِيفُ هَوَى مَصُونٌ غَيْرُ مُشْتَهَمٍ

* * *

مَصَارِعُ أَبْنَاءِ الْهَوَى كُلُّ عَاشِقٍ رَمَاهُ الْهَوَى عَنْ قَوْسِهِ فَأَصَابَا
رَأَى لَهُمْ مَنْ خَافَ يَلْقَى الَّذِي لَقُوا، فَأَلْفَ فِي مَا قَدْ لَقُوهُ كِتَابَا
وَجَمَعَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ فِي هَوَاهُمْ أَحَادِيثَ مِثْلَ الرُّوضِ جِيدَ سَحَابَا

* * *

كِتَابُ جَمَعْتُ بِهِ كُلَّ مَا تَفَرَّقَ مِنْ قِصَصِ الْعَاشِقِينَ
وَكُنْتُ أَلُوهُمْ دَائِبًا فَصِرْتُ لَهُمْ أَحَدَ الْعَاذِرِينَ
فَكَمْ عَاشِقٍ ذَاقَ يَوْمَ النَّوَى وَقَدْ غَرَّدَ الْحَادِيانِ الْمُنُونَا

* * *

كِتَابُ جَمَعْنَا بِهِ عَابِثِينَ مَصَارِعَ مَنْ قَتَلَ الْحُبُّ صَبْرًا
إِذَا مَا تَصَفَّحَهُ سَالِسٌ مِّنَ الْحُبِّ أَخْلَصَ لِلَّهِ شُكْرًا
جَمَعْنَاهُ صَاحِينَ حَتَّى إِذَا خَبَرْنَاهُ مِلْنَا مِنَ الْحُبِّ سُكْرًا

* * *

كِتَابُ تَضَمَّنَ أَبْوَابَهُ مَصَارِعَ قَتَلَ مِنَ الْعَاشِقِينَ
سَقَاهُمْ سُلَافَتَهُ مَازِجًا هَوَاهُ فَمَالُوا لَهُ خَاضِعِينَ
غَرَامٌ تَلُومُ الْعَيُونُ الْقُلُوبَ فِيهِ وَتَلْحَى الْقُلُوبُ الْعُيُونُ

* * *

مَصَارِعُ قَتَلَ لِلْهَوَى صَرَاعَتَهُمْ سُلَافَتُهُ يُسْقَوْنَ صَافِيَهَا صِرْفًا
يَنْهَمُ عَقِيفٌ ظَلَّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ فَنَمَ عَلَيْهِ مَاءُ أَجْفَانِهِ وَكَفَا
جَمَعْتُ كِتَابًا فِي مَصَارِعِهِمْ إِذَا تَصَفَّحَهُ ذُو اللَّبِّ رَقَّ لَهُمْ تَلْفًا

* * *

قَدْ صَنَّفَ النَّاسُ فِي أَهْلِ الْهَوَى كُتُبًا فِي مَنْ صَحَا بَعْدَ سُكْرِ مِنْهُ أَوْ عَطَبَا
وَأَكْثَرُوا غَيْرَ أَنِّي قَدْ جَمَعْتُ لَهُمْ وَمَا اخْتَصَرْتُ كِتَابًا رَاقِيًا عَجَبَا
ذَكَرْتُ فِيهِ بِإِسْنَادٍ مَصَارِعَهُمْ عُنْجَمًا وَجَدْتُهُمْ فِي النَّاسِ أَوْ عَرَبَا

١ قوله تلفا : هكذا في الأصل .

المأمون

رَبِّ يَسِّرْ . رَبِّ أَعِنْ

المأمون يسأل ما هو العشق

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراة عليه قال : حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكرياء
الجزيري قال : حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ قال : حدثنا أحمد بن يحيى
ثعلب قال : حدثنا أبو العالية الشامي قال :

سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو ؟ فقال : هو
سوانح تسنح للمرء ، فيهتم بها قلبه ، وتؤثرها نفسه .

قال : فقال له ثمامة : اسكت يا يحيى إنما عليك أن تجيب في مسألة
طلاق أو في مُحَرِّمٍ صادٍ ظيماً أو قتلَ نَمْلَةٍ ، فأما هذه فمسائلنا نحن .

فقال له المأمون : قل يا ثمامة ، ما العشق ؟

فقال ثمامة : العشق جليسٌ مُمْتَنِعٌ ، وأليفٌ مُؤَنَسٌ ، وصاحبٌ مُلْكٌ
مَسَالِكُهُ لطيفةٌ ، ومَداهبُهُ غامضةٌ ، وأحكامُهُ جائزةٌ ، مَلِكٌ الأبدانِ
وأرواحها ، والقلوبَ وخواطرها ، والعيونَ وتَوَاطُرَها ، والعقولَ وآراءها ،

مَنْ عَشِيقَ وَكْتَمَ وَعَفَّ وَصَبَرَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ
أَنشَدْنَا لِنَفْسِهِ :

انْظُرْ إِلَى السَّحَرِ يَجْرِي فِي لَوَاحِظِهِ ، وانظر إلى دَعَجٍ في طَرَفِهِ السَّاجِي^١
وانظر إلى شَعَرَاتٍ فَوْقَ عَارِضِهِ كأنَّهُنَّ نِمالٌ دَبَّ في عَاجٍ^٢
وَأَنشَدْنَا لِنَفْسِهِ :

مَا لَهُمْ أَنْكُرُوا سَوَادًا بِخُذَيْ^٤ ، وَلَا يُشْكِرُونَ وَرَدَ الْغُصُونِ^١
إِنْ يَكُنْ عَيْبُ خُدَّةٍ بُدَّدَ الشَّعْرُ^٥ ، فَعَيْبُ الْعْيُونِ شَعْرُ الْجُفُونِ^٣
فَقُلْتُ لَهُ : نَفَيْتَ الْقِيَاسَ فِي الْفَقْهِ ، وَأَثْبَتَهُ فِي الشَّعْرِ . فَقَالَ : غَلَبَةُ الْهَوَى ،
وَمَلَكَةُ النُّفُوسِ دَعَتَا إِلَيْهِ .

قال : ومات في ليلته أو في اليوم الثاني .

العاشق الشهيد

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : حدثنا أبو الحسن علي بن أيوب القمي قال : حدثنا
محمد بن عمران قال : حدثني محمد بن أحمد بن مخزوم قال : حدثني الحسن بن علي الأشعري
وأحمد بن محمد بن مسروق قالوا : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا علي بن مسهر عن أبي
يعقوب القنات عن مجاهد عن ابن عباس قال :

قال رسولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ عَشِيقَ فَظْفِيرَ فَعَفَّ^١
فَمَاتَ مَاتَ شَهِيدًا .

.....

١ الدَّعَجُ : سواد العين مع سماتها . السَّاجِي : الساكن .

٢ العَارِضُ : صفحة الخد .

٣ قوله : بدد الشعر : أي متفرقه ، أو أنه جمع بدد : النصيب ، فيكون المعنى أن عيب خده نصيبه ،
أي حظه من الشعر الثابت عليه .

سقراط والعشق

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال : وأخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو بكر بن المرزبان قال :

قال سقراط الحكيم : العشق جنون ، وهو ألوانٌ كما أن الجنون ألوان .

العاشق التقي

أخبرنا الشيخ الصالح أبو طالب محمد بن علي بن الفتح المشاري بقراة عليه قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الله القطيعي إجازة قال : حدثنا جعفر بن محمد بن نصير الخالدي قال : حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا سويد بن سعيد أبو محمد قال :

سمعت علي بن عاصم يقول : قال لي رجلٌ من أهل الكوفة من بعض إخواني : ألا أريك فتى عاشقاً ؟ قال : بلى ، والله ، فإني أسمعُ الناسَ يُنْكروُن العشقَ وذهابَ العقل فيه ، وإني لأُحِبُّ رُؤْيَتَهُ ، فَعِدْتُني يوماً أُجِءُ مَعَكَ فيه . قال : فوعدته يوماً فمضينا فأنشأ صاحبي يحدثني عن نُسكِهِ وعبادَتِهِ ، وما كانَ فيه من الاجتهاد ، قلت : ويَمَن هو متعلق ؟ قال : بجاريةٍ لبعض أهلِهِ كان يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ ، فَوَقَعْتُ في نَفْسِهِ ، فسألهم أن يبيعوها منه ، فأبَوْا ، وبذلَ لهم جميعَ مِلْكِهِ ، وهو سبعمائة دينار ، فأبَوْا عليه ضِراراً وحَسَداً أن يكونَ مثلُها في مِلْكِهِ ، فلَمَّا أبَوْا عليه ، بعثتُ إليه الجاريةَ ، وكانت تحبُّه حباً شديداً : مُرِنِي بِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَأُطِيعَنَّكَ وَلَأَنْتَهَيَنَّ إِلَى أَمْرِكَ في كُلِّ ما أَمَرْتَنِي بِهِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : عَلَيْكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّ عَلَيْهَا الْمُعَوَّلَ وَالسَّكُونَ إِلَيْهَا ، وَبِطَاعَةِ مَنْ يَمْلِكُ رِقْلَكَ ، فَإِنَّهَا مضمومةٌ إلى طاعةِ رَبِّكَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَدَعِيَ الْفِكْرَ في أَمْرِي لَعَلَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أن يجعلَ لنا فرجاً يوماً من الدهر ، فوالله ما كنتُ بالذي تطيبُ نفسي بِنَسِيلِ شيءٍ

أَحِبَّهُ أَبَدًا فِي مِلْكِي ، فَأَمْنَعَهُ ، أَمْدٌ يَدِي إِلَيْهِ حَرَامًا بِغَيْرِ ثَمَنِ ، وَلَكِنْ أَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَى أَمْرِي ، فَلْيَكُنْ هَذَا آخِرَ مُرْسَلَتِكَ إِلَيَّ ، وَلَا تَعُودِي فَلِئَنِّي أَكْرَهُ وَاللَّهِ أَنْ يَرَانِي اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَنَا فِي قَبْضَتِهِ ، مُلْتَمِسًا أَمْرًا يَكْرَهُهُ مِنِّي ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهَا عِصْمَةٌ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَفِيهَا سُلُوكٌ عَنْ مَعْصِيَتِهِ : قَالَ : ثُمَّ لَزِمَ الْجَهْدَ الشَّدِيدَ ، وَلَبَسَ الشَّعَرَ وَتَوَحَّدَ ، فَكَانَ لَا يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ إِلَّا مِنْ لَيْلٍ إِلَى لَيْلٍ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَشْغُولُ الْقَلْبِ بِذِكْرِهَا مَا يَكَادُ يَفَارِقُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ الْأَمْرُ بِهِ حَتَّى قَطَعَهُ ، فَهُوَ الْآنَ ذَاهِبُ الْعَقْلِ وَالْإِلَهِ فِي مَنْزِلِهِ .

قَالَ : ثُمَّ صَرْنَا إِلَى الْبَابِ وَاسْتَأْذَنَّا فَأُذِنَ لَنَا . قَالَ عَلِيٌّ : فَدَخَلْتُ إِلَى دَارِ قَوْرَاءٍ سِرِّيَّةً ، وَإِذَا أَنَا بِشَابٍّ فِي وَسْطِ الدَّارِ عَلَى حَصِيرٍ مُتَّزِرٍ بِإِزَارٍ وَمُرْتَدٍ بِآخِرٍ . قَالَ : فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْنَا السَّلَامَ ، فَجَلَسْنَا إِلَى جَنْبِهِ ، وَإِذَا هُوَ مِنْ أَجْمَلِ مَنْ رَأَيْتُ وَجْهًا ، وَهُوَ مُطْرَقٌ^٢ يَنْكُتُ^٣ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى سَاعِدِهِ ، ثُمَّ يَتَنَفَّسُ الصَّعْدَاءَ ، حَتَّى أَقُولُ قَدْ خَرَجَتْ نَفْسُهُ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَالْخِلَالِ مِنْ شِدَّةِ الضَّرِّ الَّذِي بِهِ .

قَالَ : فَالْتَفْتُ ، فَإِذَا أَنَا بِوَرْدَةٍ حَمْرَاءَ مَشْدُودَةٍ فِي عَضُدِهِ ، قَالَ : فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : مَا هَذِهِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ الْعَامَ وَرَدًّا قَبْلَ هَذِهِ ! فَقَالَ : أَظُنُّ فُلَانَةً ، وَسَمَّاها ، بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا سَمَّاها رَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْنَا ثُمَّ قَالَ :

جَعَلْتُ مِنْ وَرْدِيهَا تَمِيمَةً^٣ فِي عَضُدِي
أَسْمُهَا مِنْ حَبِّهَا إِذَا عَلَانِي كَمَدِي

١ قوراء : واسعة .

٢ ينكت : يضرب الأرض بشيء .

٣ تميمية : عود .

فَمَنْ رَأَى مِثْلِي فَتَى بِالْحَزَنِ أَضْحَى مَرْتَدِي
أَسْقَمَهُ الْحُبُّ، فَقَدْ صَارَ حَلِيفَ الْأَوْدِ
وَصَارَ سَهْوَ دَهْرِهِ مُقَارِنًا لِلْكَمْدِ

قال: ثم أطرقَ ، فقلتُ: الساعةَ ، والله ، يموتُ . قالَ علي بن عاصم :
وَوَرَدَ عَلِيٌّ مِنْ أَمْرِهِ مَا لَمْ أَتَمَّاكْ ، وَقُمْتُ أَجْرَ رِدَائِي ، فَوَاللَّهِ مَا بَلَغْتُ
الْبَابَ حَتَّى سَمِعْتُ الصَّرَاحَ فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : مَاتَ وَالله ! قالَ عليّ :
فَقُلْتُ : وَاللهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَشْهَدَهُ . قال : وَتَسَامِعُ النَّاسُ فِجَاؤُوا بِطَبِيبٍ فَقَالَ :
خُذُوا فِي أَمْرِ صَاحِبِكُمْ ، فَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، فَغَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَدَفَنُوهُ ،
وَانصَرَفَ النَّاسُ .

فَقَالَ لِي صَاحِبِي : امضِ بِنَا ! فَقُلْتُ : امضِ أَنْتَ فَإِنِّي أُرِيدُ الْجُلُوسَ
هَهُنَا سَاعَةً ، فَمَضَى ، فَمَا زِلْتُ أَبْكِي وَأَعْتَبُرُ بِهِ . وَأَذْكُرُ أَهْلَ سَحْبَةِ اللهِ ، عَزَّ
وَجَلَّ ، وَمَا هُمْ فِيهِ . قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ ، إِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ قَدْ أَقْبَلَتْ كَأَنَّهَا
مَهْمَاءٌ ، وَهِيَ تُكْثِرُ الِاتِّفَاتَ ، فَقَالَتْ لِي : يَا هَذَا ! أَيْنَ دُفِنَ هَذَا الْفَتَى ؟
قَالَ عَلِيٌّ : فَرَأَيْتُ وَجْهًا مَا رَأَيْتُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، فَأَوْمَأْتُ إِلَى قَبْرِهِ ؟ قَالَ : فَذَهَبْتُ
إِلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ عَلَى الْقَبْرِ كَثِيرَ تَرَابٍ إِلَّا أَلْقَيْتُهُ عَلَى رَأْسِهَا ، وَجَعَلْتُ
تَتَمَرَّغُ فِيهِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَتَمُوتُ ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ أَنْ طَلَعَ قَوْمٌ
يَسْعَوْنَ حَتَّى جَاءُوا إِلَيْهَا ، فَأَخَذُوهَا ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهَا ، فَقُمْتُ إِلَيْهِمْ فَقُلْتُ :
رِفْقًا بِهَا ، بِرَحْمَتِكُمْ اللهُ ! فَقَالَتْ : دَعَهُمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ يَبْلُغُوا هِمَّتَهُمْ ،
فَوَاللَّهِ لَا انْتَفَعُوا بِي بَعْدَهُ أَبَامَ حَيَاتِي ، فَلَيْسَ صُنْعُوا بِي مَا شَاءُوا .
قَالَ عَلِيٌّ : فَإِذَا هِيَ الَّتِي كَانَ يُحِبُّهَا الْفَتَى ، فَانصَرَفْتُ وَتَرَكْتُهَا .

١ الأود : التعب .

رواية ثانية عن العاشق التقي

أبنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قراءة عليه قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان إجازة قال : أخبرني عبد الله بن نصر المروزي قال : أخبرني عبد الله بن سويد عن أبيه قال : سمعت علي بن عاصم يقول :

قال لي رجلٌ من أهل الكوفة من بعض إخواني : هل لك في عاشقٍ تراه ؟
فمضيتُ معه ، فرأيتُ فتًى كأنما نُزِعَتِ الرُّوحُ من جسده ، وهو مُؤْتَزِرٌ
بإزارٍ ومُرتَدٍ بآخر ، وإذا هو مُفَكَّرٌ ، وفي ساعده وَرْدَةٌ ، فذكرنا له بيتاً
من الشعر ، فَتَهَيَّجَ ، وقال ... وذكرَ الأبياتَ المتقدِّمةَ الخمسة ، ثم أطرق ،
فقلنا : ما شأنه ؟ فقالوا : عاشقٌ جاريةً لبعض أهلِهِ فأعطى بها كُلَّ ما يملك ،
وهو سبعمائة دينار ، فأبوا أن يبيعوها . فنزلَ به ما ترى ، وفَقَدَ عقله .
قال : فخرجنا فلبثنا ما شاءَ الله ، ثم ماتَ فحضرتُ جنازته ، فلما سُوِّيَ
عليه ، إذا أنا بجاريةٍ تسألُ عن القبرِ ، فدَلَّكْتُها ، فما زالتُ تبكي وتأخذُ
الترابَ فتجعلُه في شعرها ؛ فبينما هي كذلك إذا قومٌ يسعون فأقبلوا عليها ضرباً ،
فقال : شأنُكم ، والله لا تتفجعون بي بعده أبداً .

عاتبوه في سفك دمي !

ولي^١ من أبيات :

عاتبوه اليومَ في سفكِ دمي فَعَسَى عتبُكم يُحْشِمُهُ
ثمَّ قُولُوا للذي لم يُخْطِني إذ رَمَى ، صَائِبَةً أسْهُمُهُ :
أَحْلَالَ لكَ في شرعِ الهوى دمٌ مَن ليسَ حلالاً دَمُهُ ؟
بي جرحٍ في فؤادي من هوى شادنٍ اعوزني مرْهَمُهُ

١ قوله لي : أي للمؤلف نفسه .

مجنون دير هرقل

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأرديستاني بقراءتي عليه بمكة في المسجد الحرام، بباب الندوة، في سنة ست وأربعين وأربعمائة قال : أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قال : حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن الصديق بنسف قال : حدثنا أبو يعلى محمد بن مالك الرقي قال : حدثنا عبد الله بن عبد العزيز السامري قال :

مررتُ بديرِ هرقل أنا وصديقٌ لي ، فقال لي : هل لك أن تدخلَ فترى من فيه من ملاح المجانين ؟ قلت : ذاك إليك . فدخلنا فإذا بشاب حسن الوجه ، مُرَجَّلٍ الشعر ، مكحول العين ، أزج^٢ الخواجب ، كأنَّ شعرَ أجفانهِ قوادم^٣ النَّسور ، وعليه طلاوةٌ تعلوها حلاوةٌ ، مشدودٌ بسلسلةٍ إلى جدار ، فلما بصُرنا قال : مرحباً بالوفد ، قربَ الله ما نأى منكما ، بأبي أنتمما . قلنا : وأنت ، فأمتعَ الله الخاصَّةَ والعامةَ بقربك ، وآنس جماعة ذوي المروءة بشخصك ، وجعلنا وسائرَ مَنْ يحبك فداءك .

فقال : أحسنَ الله عن جميلِ القولِ جزاءكما ، وتولَّى عني مكافأتكما . قلنا : وما تصنعُ في هذا المكان الذي أنتَ لغيره أهل ؟ فقال :

اللهُ يعلمُ أنني كَمِيدٌ ، لا أستطيعُ أبثُّ ما أجِدُ
نفسانِ لي : نفسٌ تضمَّنْها بَلَدٌ ، وأخرى حازَها بَلَدٌ
أما المُقيمةُ ليس ينفعُها صَبْرٌ ، وليس بقربها جَلَدٌ
وأظنَّ غائبتي كشاهدتي ، بِمكانِها تجِدُ الذي أجِدُ

١ ١٠٥٤ م .

٢ أزج : دقيق .

٣ القوادم : ريشات الجناح الكبيرة .

٤ قوله : أما المُقيمةُ ليس : حذف الفاء من جواب اما مراعاة للوزن ، وهذا خطأ نحوي .

ثمّ التفت إلينا فقال : أحسنت ؟ قلنا : نعم ! ثمّ ولّينا ، فقال : بأبي
أنتم ما أسرع ملككم ، بالله أعيروني أفهامكم وأذهانتكم . قلنا : هات !
فقال :

لما أناخوا ، قبيل الصبح ، عيسهم ،
ورحلوها ، فسارت بالهوى الإبل^١
وقلّبت ، من خلال السّجف ، ناظرها ،
ترنو إليّ ودمع العين منهنم^٢
فودّعت ببنان عقدتها عنهم^٣ ،
ناديت لا حملت رجلاك يا جميل^٤
ويلى من البين ! ماذا حلّ بي وبها ؟
يا نازح الدّار حلّ البين وارتملوا
يا راحل العيس عرج كيّ أودّعها ؛
يا راحل العيس عرج كيّ أودّعها ؛
لاني على العهد لم أنقض مودّتك ،
فليت شعري ، وطال العهد ، ما فعلوا ؟

فقلنا ، ولم نعلم بحقيقة ما وصف ، مجوناّ منا : ماتوا ! فقال : أقسمت
عليكم ! ماتوا ؟ قلنا ، لننظر ما يصنع : نعم ! ماتوا . قال : لاني والله ميت
في أثرهم ، ثم جذب نفسه في السلسلة جذبة دلع منها لسانه ، وندرت لها
عيناه ، وانبعث شفتاه بالدماء ، فتلبط ساعة ، ثم مات . فلا أنسى ندامتنا على
ما صنعنا .

- ١ العيس : كرام الإبل ، الواحدة عيساء . رحلوها : يريد اما وضعوا الرجال على ظهورها ،
أو جعلوها ترحل . والرجال الواحد رجل ، وهو للجميل كالسرج للفرس .
٢ السجف : الستران بينهما فرجة .
٣ عقدتها : أي عقد عليها . العنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخفّص ، الواحدة عنمة .
٤ قدرت عينه : خرجت من مجهرها .

هند المحرمة

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي بقراءتي عليه سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة^١ ،
قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي قال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن
ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن
أيوب السختياني عن ابن سيرين قال :

قال عبد الله بن عجلان النهدي في الجاهلية :

أَلَا إِنَّ هِنْدًا أَصْبَحَتْ مِنْكَ مَحْرَمًا : وَأَصْبَحَتْ مِنْ أَدْنَى حُمُوتِهَا حَمَى^٢
وَأَصْبَحَتْ كَالْمَقْمُورِ جَفَنٍ سِلَاحِهِ يُقْلَبُ بِالْكَفَّيْنِ قَوْسًا وَأَسْهُمَا
وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ حَتَّى مَاتَ .

المجنون للشاعر

أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن عيسى بقراءتي أو قراءة عليه بمصر قال : أخبرنا أبو الحسن
أحمد بن محمد بن القاسم بن مرزوق قال : أخبرنا إبراهيم بن علي بن إبراهيم البغدادي
قال : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل قال : حدثني المبرد قال :

. خرجتُ أنا وجماعة من أصحابي مع المأمون ، فلما قربنا من نحو
الزَّرقَةِ فإذا نحن ببدير كبير فأقبل إليّ بعض أصحابي فقال : مِلْ بِنَا إِلَى هَذَا
الدير لننظرَ مَنْ فِيهِ ، ونحمدَ اللهَ ، سبحانه ، على ما رَزَقَنَا مِنَ السَّلامَةِ . فلما
دخلنا إلى الدير رأينا مجانين مغلولين ، وهم في نهاية القَدَارَةِ ، فإذا منهم شابٌّ
عليه بَقِيَّةُ ثِيَابٍ نَاعِمَةٍ ، فلما بَصُرَ بَنَا قَالَ : مَنْ أَأَيْنَ أَنْتُمْ يَا فِتْيَانُ ، حَيَاكُمُ اللَّهُ ؟

١ سنة ١٠٥١ م .

٢ أي أصبحت أدنى الناس قرابة إليها . وفي الأغاني : أن هذا الشعر لرجل طلق امرأته فتزوجها
أخوه فهو يقول : أنه أصبح أخا زوجها بعد ما كان زوجها .

فقلنا : نحن من العراق . فقال : يا بأبي العِراقُ وأهلُها ! باللهِ أنشدوني أو أنشدُكم ؟ فقال المبرّد : والله إنَّ الشَّعرَ من هذا لطريفٌ . فقلنا : أنشدنا ! فأنشأ يقول :

اللهُ يعلمُ أنِّي كَمِيدُ لا أَسْتَطِيعُ أَبْتُ ما أَجِيدُ
روحانٍ لي : رُوحٌ تَضَمَّنَها بِلَدٌ ، وأُخْرَى حازَها بِلَدُ
وأَرى المُقِيمَةَ ليس يَنْفَعُها صَبْرٌ ، ولا يَقْوَى بِها جَلَدُ
وأظُنُّ غائِبَتِي ، كَشاهِدَتِي ، بِمِكانِها تَجِدُ الذي أَجِيدُ

قال المبرّد : إنَّ هذا لطريفٌ ، واللهِ زدنا ! فأنشأ يقول :

لَمّا أناخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عَيْسَهُمْ وَرَحَلُوا ، فسارت بالهوى الإبلُ
وأهْرَزَتْ من خِلالِ السَّجْفِ نَظِيرَها ترنو إليّ وَدَمْعُ العَيْنِ مُنْهَمِلُ
وَوَدَّعَتْ بَيْنانٍ عَقْدُها عَنّمْ ، ناديتُ لاحتَمَلْتَ رِجلاك يا جَمَلُ !
ويلى من البَيْنِ ! ماذا حلَّ بي وبِها ، من نازِلِ البَيْنِ حانَ الحَيْنُ وارْتَحَلُوا
يا راحِلَ العِيسِ عَجَّلْ كي تُودَّعَها ! يا راحِلَ العِيسِ في تَرَحُّالكِ الأَجَلُ !
إنِّي على العَهْدِ لم أنْقُضْ مودَّتَهُمْ ، فليتَ شعري لَطولِ العَهْدِ ما فَعَلُوا ؟
فقال رَجُلٌ من البُغَضاءِ الذين معي : ماتوا ! قال : إذا فأموت . فقالَ
له : إن شِئتَ . قال : فتمطّى واستندَ إلى السارية^٢ التي كان مشدوداً فيها
فما برحنا حتى دَفَنّاها .

١ حان : قرب أو انه . الحين : الهلاك .

٢ السارية : العمود .

فراقية ابن زريق

أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي بن محمد بن الحازم القرشي الأديب بالكوفة ، وأنا متوجه إلى مكة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة بقرايت عليه ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن حاتم بن بكير البزاز التكريتي بتكريت قال :

حدثني بعض أصدقائي أن رجلاً من أهل بغداد قصد أبا عبد الرحمن الأندلسي وتقرّب إليه بنسبه ، فأراد أبو عبد الرحمن أن يَبْلُوَهُ^١ ويختبره ، فأعطاه شيئاً نزرأ^٢ ، فقال البغدادي : إنا لله وإنا إليه راجعون ! سلكتُ البراري والبحارَ والمهامِ^٣ والقفارَ إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر ؟ فانكسرت إليه نفسه واعتلّ فمات .

وشغِلَ عنه الأندلسي أياماً ، ثمّ سأل عنه فخرجوا يطلبونه ، فانتهوا إلى الخان الذي كان فيه وسألوا الخانيّة عنه ، فقالت : إنّه كان في هذا البيت ، ومنذ أمس لم أره ، فصعدوا فدفعوا الباب ، فإذا بالرجل ميتاً ، وعند رأسه رقعة فيها مكتوب :

لا تَعْدِلِيهِ ، فإنّ العَدْلَ يولِعُهُ^٤ قد قلتِ حقّاً ، ولكن ليس يسمعه^٥
جاوَزتِ في نُصْحِهِ حدّاً أضَرَّ بِهِ^٦ من حيثُ قَدَرْتِ أن النصّحَ ينفعه
قد كان مضطليعاً بالخطبِ يحمِلُهُ ، فضلّعتُ بخطوبِ البينِ أضلّعه^٦

١ سنة ١٠٤٩ م .

٢ يبلوه : يجربه .

٣ نزرأ : قليلاً .

٤ المهامه ، الواحد المهمه : المغازاة البعيدة .

٥ هذه القصيدة هي لأبي الحسين علي بن زريق البغدادي ، وقد أطلق عليها اسم : فراقية ابن زريق ، لأنه يذكر فيها فراقه لزوجته التي كان كلفاً بها ورحل إلى الأندلس في طلب الرزق . وهي قصيدة طويلة لم يذكر هنا إلا قسم منها . يولعه : يغريه .

٦ مضطلع ، من اضطلع بالأمر : نهض به وقوي عليه .

ما آتٍ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجَهُ عَزَمَ إِلَى سَفَرٍ بِالرُّغْمِ يُزْمِعُهُ^١
 كَأَنَّمَا هُوَ فِي حَلٍّ وَمُرْتَحِلٍ مُوَكَّلٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ يَذَرُهُ
 أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ ، فِي بَغْدَادَ ، لِي قَمَرًا بِالكَرْخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْزَارِ مَطْلَعُهُ^٢
 وَكَمْ تَشْفَعُ بِي أَنْ لَا أَفَارِقَهُ ، وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تُشْفَعُهُ^٣
 وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضَحَى ، وَأَدْمَعِي مُسْتَهْلَاتٌ وَأَدْمَعُهُ
 أُعْطِيتُ مُلْكًا فَلَمْ أَحْسِنِ سِيَاسَتَهُ ، وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوسُ الْمُلْكَ يَخْلَعُهُ
 وَمَنْ غَدَا لِبَسًا ثَوَّبَ النَّعِيمِ بِلَا شُكْرِ عَلَيْهِ ، فَعَنُ اللَّهُ يُنْزِعُهُ
 قَالَ لَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْجَازِ وَزَادَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُتَصَوِّفُ :
 وَالْحَرِصُ فِي الْمَرْءِ ، وَالْأَرْزَاقُ قَدْ قَسَمَتْ ، بَغْيٌ ؛ أَلَا إِنَّ بَغْيَ الْمَرْءِ يَصْرَعُهُ
 لَوْ أَنَّنِي لَمْ تَقْعَ عَيْنِي عَلَى بَلَدٍ فِي سَفَرَتِي هَذِهِ إِلَّا وَأَقْطَعَهُ
 اعْتَضْتُ مِنْ وَجْهِ خِلَتِي ، بَعْدَ فِرْقَتِهِ ، كَأَسَا تَجَرَّعَ مِنْهَا مَا أُجْرَعُهُ
 فَلَمَّا وَقَفَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ بَكَى حَتَّى اخْتَضَلَتْ لَحِيَّتُهُ ،
 وَقَالَ : وَدِدْتُ أَنْ هَذَا الرَّجُلُ حَيٌّ وَأَشَاطَرُهُ نَصَفَ مُلْكِي . وَكَانَ فِي رُقْعَةٍ
 الرَّجُلُ : مَتْرَلِي بِبَغْدَادَ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِكَذَا ، وَالْقَوْمُ يُعْرِفُونَ بِكَذَا ،
 فَحُمِّلَ إِلَيْهِمْ خَمْسَةُ آلَافٍ دِينَارٍ وَسُقُفْتَجَةٌ^٤ ، وَحَصَلَتْ فِي يَدِ الْقَوْمِ وَعَرَفْتَهُمْ
 مَوْتَ الرَّجُلِ .

١ آتٍ : رَجَعَ ، عَادَ . أَزْعَجَهُ : أَقْلَقَهُ ، وَقْلَعَهُ مِنْ مَكَانِهِ . يُزْمِعُهُ : يَثْبِتُ عَلَيْهِ .

٢ الكرخ : سَوَاقٌ فِي بَغْدَادَ عَلَى الصُّفَّةِ الثَّانِيَةِ مِنْ دَجَلَةٍ كَانَتْ فِيهَا الْحَمَارَاتُ . وَقَوْلُهُ : فَلَكَ الْأَزْزَارُ ،
 اسْتِعَارَ الْفَلَكَ لِحَبِيبِ قَمِيصِ الْمَوْصُوفِ الطَّالِعِ وَجْهَهُ مِنْ بَيْنِ أَزْوَاجِهِ وَجَمَلَ الْأَزْزَارِ كَنَجُومٍ لِهَذَا
 الْفَلَكَ ، وَفِي الْبَيْتِ اسْتِعَارَةُ مَجْرَدَةٍ وَاسْتِعَارَةُ مَرَشَعَةٍ .

٣ تَشْفَعُهُ : تَقْبِلُ شَفَاعَتَهُ .

٤ السُّقُفَتَجَةُ : هِيَ أَنْ تَعْمَلَ مَالًا لِرَجُلٍ فَيُعْطِيكَ خَطَأً يُمْكِنُكَ مِنْ اسْتِرْدَادِ ذَلِكَ الْمَالِ مِنْ عَمِيلٍ لَهُ فِي
 مَكَانٍ آخَرَ .

مجنون على الدرب

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأرمستاني في المسجد الحرام بباب الندوة بقراءتي عليه قال :
حدثنا الحسن بن محمد بن حبيب المذكري قال : سمعت أبا الفرج أحمد بن محمد بن بيان النهاوندي
يقول :

مررت بدرب أبي خلف ، فإذا جماعةٌ وقوفٌ على مجنون فوقفت ،
فهش إليّ وقال :

سَقَيْتُ قَبْلَ تَبَارِيحِ الْعَطَشِ ! إِنَّ يَوْمِي يَوْمٌ طَشٌ بَعْدَ رَشٍ^١
حُبٌّ مَن أَهْوَاهُ قَدْ أَدْهَشَنِي ، لَا خَلُوتُ الدَّهْرَ مِنْ ذَاكَ الدَّهَشِ

لحم على وضم

ولي في نسيب قصيدة مدحتُ بها أحد بني عَقِيل ، رحمه الله ، بالشام :
قَالَتْ ، وَقَدْ قَوَّضَتْ خِيَامَهُمْ^٢ وَاسْتَسْلَمُوا لِلنَّوَى بِذِي سَلَمٍ^٣
لِلسَّائِقِ الْمُسْتَحِثِّ : رُدَّ عَلَى الْوَاقِفِ السَّلَامَ وَاسْتَقِيمَ^٤
فَصِيحْتُ وَجَدًا ، وَالْبَيْنُ مُبْتَسِمٌ ، أَلْقَاهُ مِنْ مَفْرَقِي يَمْبُتْسِمِي :
اللَّهُ يَا سَلَمَ فِي صَرِيحِ هَوًى أَبْقَيْتَ مِنْهُ لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ^٤

١ تباريح العطش : شدته وتوجهه . العطش : المطر الخفيف . الرش : المطر القليل .

٢ قوَّضت : هدمت . ذو سلم : موضع .

٣ المستحث : الممرع .

٤ سلم : مرخم سلمى . الوضم : الخشب الذي يقطع عليه اللحم .

عقربا الصدغين

ولي أيضاً من نسيب قصيدة مدحتُ بها بعضَ الرؤساء ببغداد :

يا خَلِيلِي اكشِيفَا عَنْ قِصَّتِي نَجِداً نِضْواً من الحبِّ لَقَفاً
فَأَدَالَ اللهُ ، يا يَوْمَ النَّوَى ، مِنْكَ ، إِذْ أَقْلَقْتَنِي يَوْمَ اللَّقَا
إِنَّ فِي نَهْرِ الْمُعَلَّى فَرْهَداً قَمَراً من فوقِ غِصْنٍ في نَقْفاً
عَقربا صُدْغِيهِ تَسْرِي ، فإِذَا لَدَغْتَ قَلْباً تَحَامَتِ الرُّقَى^٣

قبر النديم

أخبرنا أبو القاسم المحسن بن حمزة بن عبيد الله الوراق بقراءتي عليه بتيس قال : حدثنا أبو علي الحسين بن علي الديلمي قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن علي قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا عبيد النعماني غلام أبي الهذيل قال :

انصرفتُ من جنازةٍ من مسجد الرَضَى في وقت الهاجرة ، فلما دخلتُ سِكَكَ البصرة اشتدَّ عليَّ الحرُّ فتَوَخَّيْتُ سَكَةً ظَلِيلَةً فاضطجعتُ على باب دار ، فسمعتُ ترنماً يجذبُ القلبَ ، فطَرَقْتُ البابَ واستسقيتُ ماءً فإذا فتًى اجتهرني جماله ، إلا أن أثرَ العيلةِ والسُّقْمِ عليه يَبِّنُ ، فأدخلني إلى خَيْشٍ نَظِيفٍ ، وفرش سريَّه ، فلما اطمأننتُ خرج الفتى ومعه وصيفةٌ^٦ معها طستٌ وماءٌ ومنديل ، فغسلتُ رجليَّ

١ النضو : المهزول . اللقا : المطروح .

٢ الفرهد : الغلام المثلئ حسناً . النقا : القطعة من الرمل المحدودة .

٣ قوله عقربا صدغيه تسري : كان الوجه أن يقول تسريان . الرق : السحر .

٤ اجتهرني جماله : راعني جماله .

٥ الخيش : ثياب رقاق النسيج غلاظ الخيوط تتخذ من مشاقة الكتان . السري : الجيد .

٦ الوصيفة : الفتاة دون المراهقة .

وَأَخَذَتْ رِدَائِي وَنَعْلِي، وَانصَرَفَتْ، فَلَبِثْتُ سِيراً فَإِذَا جَارِيَةٌ أُخْرَى وَقَدْ جَاءَتْ بِطَسْتٍ وَمَاءٍ، فَقُلْتُ : قَدْ غَسَلْتُ يَدَيَّ . فَقَالَتْ : إِنَّمَا غَسَلْتُ رَجْلَيْكَ ، فَاغْسِلِ الْآنَ يَدَيْكَ لِلْغَدَاءِ . وَإِذَا الْفَتَى قَدْ أَقْبَلَ ضَاحِكاً لِيُوَسِّنِي ، وَأَنَا أَعْرِفُ الْعَبْرَةَ فِي عَيْنَيْهِ، وَأَنِّي بِالطَّعَامِ فَأَقْبَلَ بِأَكْلٍ كَأَنَّهُ نَغْضٌ بِمَا يَأْكُلُهُ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يُبَسِّطُنِي .

فَلَمَّا انْقَضَى أَكْلُنَا أَتَيْنَا بِشِرَابٍ فَشَرِبَ قَدَحاً وَشَرِبْتُ أُخَرَ ، ثُمَّ زَفَرْتُ زَفْرَةً ظَنَنْتُ أَنْ أَعْضَاءَهُ قَدْ تَقَبَّضَتْ ، وَقَالَ لِي : يَا أَخِي ! إِنْ لِي نَدِيماً ، فَقُمْ بِنَا إِلَيْهِ ! فَقُمْتُ وَتَقَدَّمَنِي ، وَدَخَلَ مَجْلِساً ، فَإِذَا قَبْرٌ عَلَيْهِ ثُوبٌ أَخْضَرُ ، وَفِي الْبَيْتِ رَمْلٌ مُصْبُوبٌ ، فَقَعَدْتُ عَلَى الرَّمْلِ، وَطَرَحَ لِي مُصَلَّتِي ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا قَعْدَتُ إِلَّا كَمَا تَقْعُدُ ، وَأَقْبَلَ يَرُدُّ الْعَبْرَاتِ ثُمَّ شَرِبَ كَأْساً وَشَرِبْتُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَطَأُ التَّرَابَ، وَأَنْتَ رَهْنٌ حَقِيرَةٌ ، هَالَتْ يَدَايَ عَلَى صَدَاكَ تَرَاباً ١
لَئِنِّي لِأَعْلُرَ مِنْ مَشْيٍ إِنْ لَمْ أَطَأْ بِجَفْوَنِ عَيْنِي مَا حَيَّيْتَ جَنَابَهَا
لَوْ أَنَّ جَمْرَ جَوَانِحِي مُتَلَبَّسٌ ٢ بِالنَّارِ أَطْفَأَ حَرَّهَا وَأَذَابَهَا
ثُمَّ أَكَبَّ عَلَى الْقَبْرِ مَغْشِياً عَلَيْهِ ، فَجَاءَهُ غَلَامٌ بِمَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ ،
فَأَفَاقَ فَشَرِبَ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

الْيَوْمَ ثَابَ لِي السَّرُورُ لِأَنِّي أَيْقَنْتُ أَنَّي عَاجِلٌ بِكَ لِأَحِقْ ٣
فَعَدَا أَقَاسِمُكَ الْبَلِي ، وَيَسُوقُنِي طَوْعاً إِلَيْكَ ، مِنَ الْمُنِيَّةِ ، سَاقِقُ
ثُمَّ قَالَ لِي : قَدْ وَجَّهَ حَقِّي عَلَيْكَ فَاحْضَرْ غَدَاً جَنَازَتِي ! قُلْتُ : يُطِيلُ

١ نغض : اضطرب .

٢ هال التراب : صبه . صدك : جشك .

٣ ثاب : رجع وعاد .

الله عمرك . قال : إنني ميتٌ لا محالة . فدعوتُ له بالبقاء فقال : لقد عَقَقْتَنِي ،
ألا قلت :

جاور خليلك مُسْعِداً في رَمْسِهِ ، كَيْما يَنالُكَ في البلى ما نالَه
فانصرفتُ وطالت عليَّ ليلتي ، وغدوتُ فإذا هو قد مات .

مريض مطوَّح

أخبرنا أبو علي محمد بن أبي نصر الأندلسي بمصر من لفظه قال : أخبرنا أبو محمد علي بن محمد
الحافظ بالأندلس قال : أخبرنا أبو مروان عبد الملك بن أبي نصر السمدي قال : قال أبو النصر
مسلمة بن سهل : حدثني أبو كامل مؤمل بن صالح البغدادي قال :

قال أبو شراعة : بينا أنا أمشي بالبادية ناحية السماوة مُصْعِداً إذا بِفَتًى
من الأعرابِ ملوَّحٍ بالجسمِ معروِّقه ، عليه قُطَيْرِيتان^١ ، وهو مُحْتَضِنٌ صَبِيًّا
يقول له : إذا حاذَيْتَ آياتِ آلِ فلان ، فارْفَعْ صَوْتَكَ مَنْشِداً بهذه الأبيات ،
ولك إحدى بُرْدَتَيِّ هاتين . فجعلَ يكرِّرها عليه لِيَحْفَظَهَا فَحَفِظَهَا :

مريضٌ بأفناءِ البيوتِ مُطَوَّحٌ ، أبى ما بهِ من لاعيِجِ الشوقِ يبرَحُ^٢
يقولونَ: لو جئتَ النِّطاسيَّ علَّ ما تشكَّاهُ من آلامٍ وجَدَكَ يُمَصِّحُ^٣
وليسَ دواءَ الدَّاءِ إلَّا بِخَيْلَةٍ^٤ أضَرَ بنا فيها غرامٌ مُبْرِحٌ
إذا ما سألناها وِصالاً تُنِيلُهُ فِصْمُ الصِّفا منها بذلك أَسْمَحُ^٤
فتبعتُ الصَّبِيَّ ، وهو لا يشعر بي ، فلما حاذَها رفعَ عَقيِرَتَه بالأبياتِ

١ قوله قُطَيْرِيتان : لم نعر على هذه اللفظة في المراجع ولعلها تعني ضرباً من الثياب كالبرود .

٢ مطوَّح : مضجع . لاعيِج : نار .

٣ النطاسي : الطبيب الحاذق . يمصح : يذهب ويتقطع .

٤ الصفا : الحجارة .

يُنشدها ، فسمعت من بعض الأبيات قائلاً يقول :

رعى الله من هام الفؤاد بحبه ، ومن كدت من شوق إليه أطير
لثين كثرت بالقلب أبراح لوعة ، فإن الوشاة الحاضرين كثير
يمشون ، يستشرون غيظاً وشيرة ، وما منهم إلا أبل غيور
فإن لم أزر بالجسم رهبة مرصد ، فبالقلب آتي نحوكم فتأزور
فرجع بها الصبي إليه ، فنبعته ، فأنشده إياها فسقط مغشياً عليه ، ثم
أفاق بعد لأي ، وهو يقول :

أظن هوى الخود الغريرة قاتلي ، فيا ليت شعري ما بنو العم صنع
أراهم ، وللرحمن در صنيعهم ، تراكي دمي هدراً ، وخاب المضيع

حي على البهم

أخبرنا أبو بكر الأردستاني بقراة عليه بكة في المسجد الحرام قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن
السلمي قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : حدثنا عباس الترقفي
قال : حدثنا عبد الله بن عمرو قال : حدثنا الحسن بن علي قال : حدثنا أبو غياث البصري
عن ابراهيم بن محمد الشافعي قال :

بينما ابن أبي ملىكة يؤذن إذ سمع الأخضر الجدي يتغنى في دار العاص بن

١ الأبراح ، الواحد برح : الشر والأذى .

٢ يمشون : يعادون ويخاصمون . يستشرون غيظاً : يتفاقم غيظهم وشرهم .

٣ المرصد ، من أرصده : وضعه على الطريق للمراقبة .

٤ الخود : الشابة الحسننة . الغريرة : التي لا تجربة لها .

٥ هدراً : ضياعاً .

وائل ويقول :

صغيرين نرعى البهم ، يا ليت أننا إلى الآن لم تكبر ، ولم تكبر البهم^١
قال : فأسرع في الأذان ، فأراد أن يقول : حي على الصلاة ، فقال : حي
على البهم ، حتى سمعه أهل مكة ، فجاء يعتذر إليهم .

موت عروة بن حزام

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بالشام قال : أخبرنا أبو الحسين بن روح قال :
حدثنا المعافى بن زكرياء قال : حدثني علي بن سليمان الأخفش قال : أخبرنا محمد بن يزيد
قال : حدثني مسعود بن بشر المازني قال : حدثنا العتيبي عن أبيه عن رجل عن هشام بن
عروة عن النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري قال :
وُلِّيتُ صَدَقَاتِ بَنِي عُدْرَةَ ، قال : فدُفِعَتْ إلى فتي تحت ثوبٍ ،
فكشفتُ عنه ، فإذا رجلٌ لم يبقَ منه إلاَّ رأسه ، فقلت : ما بك ؟ فقال :
كَانَ قَطَاةً عُلِقَتْ بِجَنَاحَيْهَا ، على كَبِدِي من شِدَّةِ الْخَفَقَانِ
جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ ، وعَرَّافٍ نَجْدٍ إنَّ هُمَا شَقِيَانِي^٢
ثمَّ تَنَفَّسَ حَتَّى مَلَأَ مِنْهُ الثُّوبَ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، ثُمَّ خَمَدَ ، فإذا هو قد مات ،
فَأُصْلِحَ مِنْ شَأْنِهِ ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ ، ففيل لي : أتدري مَنْ هذا ؟ هذا عُرْوَةُ
ابن حِزَام .

١ البهم : صغار البقر والمعز والضأن .

٢ عراف اليمامة : هو رباح بن عجلة . وعراف نجد : هو الأبلق الاسدي . ولفظة عراف تعني الذي
يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها ، وتطلق أيضاً على الطبيب ، وهو المراد
هنا .

ذو الرمة ورسيس الهوى

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري الحافظ فيما أذن لنا في روايته قال : أخبرنا أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ قال : حدثني جعفر بن هارون بن رباب قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدثنا يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة المهلب قال : حدثني عبد الصمد بن المعتل عن أبيه عن جده غيلان بن الحكم قال :
وَفَدَّ عَلَيْنَا ذُو الرُّمَّةَ ، وَنَحْنُ بِكِينَاسَةِ الكُوفَةِ ، فَأَنْشَدَنَا قَصِيدَتَهُ الْحَاضِيَّةَ ،
فلما انتهى إلى قوله :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكُنْ رَسِيسُ الْهُوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ
قال له ابن شبرمة : أراه قد بَرَحَ . فَفَكَّرْتُ ثُمَّ قَالَ : لَمْ أَجِدْ .
رسيس الهوى من حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

فرجعتُ بحديثهم إلى أبي الحكم البُحْثَرِيِّ ، من المختار ، فقال : أخطأ ابنُ شبرمة حين ردَّ عليه ، وأخطأ ذو الرُّمَّةَ حيثُ قبل منه ، لأنَّما هذا كقول الله عز وجل : إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ بِرَاهَا ، أي لم يرها ولم يَكُنْ .

موت الصوفي عاشق الغلام

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر بقرامي عليه قال : حدثنا أبو صالح السمرقندي الصوفي قال : حدثنا الحسين بن القاسم بن أليس قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الخياط قال :
قال أبو حمزة : رأيتُ معَ محمد بن قَطَنَ الصوفي غلاماً جميلاً ، فكانا لا يفترقان في سفر ولا حَضَر ، فمكثنا بذلك زمناً طويلاً ، فماتَ الغُلامُ ،
وكمِدَ عليه محمد بن قَطَنَ ، حتى عاد جليداً وَعَظْماً ، فرأيتُهُ يوماً ، وقد
١ رسيس الهوى : بقيته وأثره .

خرجَ إلى المقابر ، فاتَّبَعْتُهُ ، فَوَقَفَ على قَبْرِه قائماً يبكي ، وينظر إليه والسماءُ
تُمَطِّطُ بِالْمَطَرِ ، فما زالَ واقفاً من وقتِ الضُّحَى إلى أن غَرَبَتِ الشَّمْسُ لم
يرح ولم يجلس ، وبدُّهُ على خَدِّه ، فانصرفتُ عنه ، وهو كذلك واقفاً ، فلما
كان من الغدِ خرجتُ لأعرف خبرَه ، وما كان من أمره ، فصِرتُ إلى القبرِ ،
فإذا هو مكبوبٌ لَوَجْهِهِ مَيِّتٌ ، فدَعَوْتُ مَنْ كَانَ بالحِصْرَةِ فأعانوني على
حمله ، فغسلته وكفَّنته في ثيابه ودفنته إلى جانب القبرِ .

عاشق يخاف معصية الله

وأخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر أيضاً بإسناده قال :

قال أبو حمزة : ونظرَ محمد بن عبيد الله بن الأشعث الدمشقي ، وكان من
خير عباد الله ، إلى غلامٍ جميل فغشيَ عليه ، فحُمِلَ إلى منزله ، واعتاده
السُّقْمُ حتى أقْعِدَ من رِجْلَيْهِ ، فكان لا يقوم عليهما زمناً طويلاً ، فكُنَّا
نأتيه ونعودُه ، ونسأله عن حاله وأمره ، وكان لا يُخبرنا بِقِصَّتِهِ ولا بِسَبَبِ
مرَضِهِ ، وكان الناسُ يَتَحَدَّثُونَ بِحَدِيثِ نظره ، فبلغ ذلك الغلام ، فأَتَاهُ عائداً ،
فَهَشَّ إِلَيْهِ وَتَحَرَّكَ وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ ، واستبشَرَ بِرُؤْيَيْهِ ، فما زالَ يعودُه
حتى قامَ على رِجْلَيْهِ ، وعاد إلى حالَتِهِ . فسألهُ الغُلامُ يوماً المصيرَ إِلَيْهِ مَعَهُ
إلى مَنْزِلِهِ ، فأبى أن يفعل ، فكلَّمَتْنِي أن أسأله أن يَتَحَوَّلَ إِلَيْهِ ، فسألته ، فأبى ،
فقلتُ : وما الذي تكره من ذلك ؟ فقال : لست بمَعْصُومٍ من البَلَاءِ ، ولا آمِنُ
من الفِتْنَةِ ، وأخافُ أن تَقَعَ عَلَيَّ من الشَّيْطَانِ مِحْنَةً أو عند ظَفَرِ بفرصة
فتَجَرِي بَيْنِي وبينه معصيةٌ فيَحْتَجِبَ اللهُ عني يومَ تَظْهَرُ فيه الأسرارُ وَيُكْشَفُ
فيه عن ساقٍ فأكونَ من الخاسرين .

ليلي العامرية ومجنونها

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس ابن حيويه الخزاز قراءة عليه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني قاسم ابن الحسن بن العمري قال : قال الهيثم بن عدي : حدثنا عثمان بن عمار عن أشياخهم من بني مرة قال :

رحل رجل متاً إلى ناحية الشام مما يلي تيماء والشرأة في طلبٍ بُغِيَّة له ، فإذا هو بِخَيْمَةٍ قد رُفِعَتْ له ، وقد أصابه مُطَرٌّ ، فعدل إليها ، فتَنَحَّج ، فإذا امرأةٌ قد كَلَمَتْه ، فقالت له : انزل ، فنزل وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمرٌ عظيم ، وإذا رُعاءٌ كثير ، فقالت لبعض العبيد : سلوا هذا الرجل من أين أقبل ؟ فقلتُ : من ناحية اليمامة ونجد . فقالت : أي بلادٍ نجد وطِيت ؟ قلتُ : كُلِّها . قالت : بمن نزلت هُنَاكَ ؟ قلتُ : ببني عامِرٍ ، فتَنَقَّسَتِ الصُّعَدَاءُ ، وقالت : بأيّ بني عامر ؟ فقلتُ : ببني الحُرَيْش . فاستعبرت ، ثم قالت : هل سمعتَ بذكري فتي يقالُ له قَيْسٌ وَيُلَقَّبُ بِالْمَجْنُونِ ؟ فقلتُ : إي والله ، ونزلتُ بأبيه ، وأتيتُهُ حتى نظرتُ إليه ، يَهِيمُ في تلكَ الفَيَافِي ، ويكونُ معَ الوحشِ لا يَعْقِلُ ولا يَفْهَمُ إِلَّا أن تُذَكَّرَ لَهُ لَيْلِي فَيَبْكِي ، وَيُنْشِدُ أشعاراً يقولها فيها .

قال : فَرَفَعَتِ السَّتْرَ ببني وبينها ، فإذا شِقَّةٌ قَمَرٍ لم تَرَ عَيْنِي مِثْلَهَا ، فَبَكَتْ وانتَحَبَّتْ حتى ظَنَنْتُ ، والله ، أن قلبها قد انصدع ، فقلتُ لها : أيتها المرأة ! اتقي الله ، فوالله ما قلتُ بأساً . فَمَسَكْتُ طويلاً على تلكَ الحالِ من البُكى والتَّحِبِّ ثمَّ قالتُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ، وَالْحُطُوبُ كَثِيرَةٌ ، متى رَحَلُ قَيْسٍ مُسْتَقِيلٌ فَرَاجِعٌ
بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِيلُ بِرَحْلِهِ ، وَمَنْ هُوَ ، إن لم يحفظ الله ، ضائعٌ

١ . مستقل ، من استقل القوم : ارتحلوا .

ثم بَكَتْ حتى غشي عليها ، فلما أفاقَتْ قلتُ . مَنْ أَنْتِ ، باللهِ ؟
قالتُ : أنا لَيْلى المشؤومةُ عليه ، غيرُ المساعدة له . فما رَأَيْتُ مثلَ حُزْنِها
وَوَجْدِها ، فمَضَيْتُ وتركْتُها .

ردوا على المشتاق قلبه الجريح

ولي من نسيب قصيدة مدحت بها أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله :
سَبَحَتْ حينَ أبصَرَتْ من دموعي لُجَّ بَحْرِ قَدْ أعْجَزَ السُّبَّاحَا
ثُمَّ قالتْ لِتَرْبِهَا ، في خَفَاءٍ : لَيْتَ هذا الفَتَى قَضَى فاستراحَا
أَيْهَا الرَّاحِلُونَ ! رُدُّوا على الدُّ مُشْتاقٍ قَلْبًا أثْخَنَتْموهُ جِرَاحَا
كَتَمَ الوَجْدَ جُهْدَهُ ، فإِذَا الدَّمُ عُبَّ بِأسْرَارٍ وَجْدِهِ قَدْ باحَا
باعَكُمْ قَلْبَهُ الكُتَيْبَ سَفَاهَا ، فَأَخَذْتُمْ رُقَادَهُ استَرَبَاحَا^١

الرشيد وجارية زلزل

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه الخزاز
قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أبو العباس المروزي قال : حدثني المفضل قال :
حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه قال :
قال لي زَلْزَلٌ ، وكان اسمه منصوراً : عندي جاريةٌ من حالِها ومِنْ صِفَتِها ،
قد علَّمْتُها الغِنَاءَ . فكُنْتُ أَشْتَهِي أن أراها فأستحيي أن أسأله ، فلما تُوفِّيَ

١ سفاهاً : جهلاً . استرباحاً : طلباً للربح .

زلزل^١ بلغني أن ورثته^٢ يعرضون الجارية ، فصرت^٣ إليهم فأخرجوها ، فإذا جارية كاد الغزال أن يكونها لو لا ما تم^٤ منها ونقص^٥ منه ، قال : قلت لها : غني صوتاً ! فجيء^٦ بالعود^٧ فوضع^٨ في حجرها ، فاندفعت^٩ تغني وتقول ، وعيناها تذرفان :

أققر^{١٠} من أوتاره العود^{١١} فالعود^{١٢} للإقفار^{١٣} معمود^{١٤}
وأوحش^{١٥} المزمار^{١٦} من صوته^{١٧} فما له^{١٨} بعدك^{١٩} تغريد^{٢٠}
من^{٢١} للمزامير^{٢٢} وسماغيها^{٢٣} وعامير^{٢٤} اللذات^{٢٥} مفعود^{٢٦}
والحمر^{٢٧} تبكي في أباريقها^{٢٨} والقينة^{٢٩} الحمصانة^{٣٠} الرود^{٣١}

ثم^{٣٢} شهقت^{٣٣} شهقة^{٣٤} ظننت^{٣٥} أن نفسها قد خرجت^{٣٦}، فركبت^{٣٧} من ساعتني^{٣٨} ، فدخلت^{٣٩} على أمير المؤمنين فأخبرته^{٤٠} بخبر الجارية ، وما سمعت^{٤١} منها ، فأمر^{٤٢} بإحضارها ، فلما دخلت^{٤٣} عليه قال لها : عني الصوت^{٤٤} الذي غنيت^{٤٥} به إبراهيم ! فغنت^{٤٦} وجعلت^{٤٧} تريد البكي^{٤٨} فيمنعها إجلال^{٤٩} أمير المؤمنين ، فرحمها^{٥٠} وأعجب^{٥١} بها ، فقال : أتحبين^{٥٢} أن أشتريك^{٥٣} ؟ فقالت : يا سيدي أمّا إذ خيرتني^{٥٤} فقد وجبت^{٥٥} نصيحتك^{٥٦} علي^{٥٧} ، والله لا يشتريني أحد^{٥٨} بعد زلزل^{٥٩} فيتفسيح^{٦٠} بي . فقال : يا إبراهيم ! أتعلم^{٦١} بالعراق^{٦٢} جارية^{٦٣} جمعت^{٦٤} ما جمعت^{٦٥} هذه ؟ إن وجدت^{٦٦} فاشترها^{٦٧} بشطر مالي ! فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ولا على وجه الأرض . فأمر^{٦٨} بشرائها وأعتقها^{٦٩} وأجرى عليها رزقاً

١ الممود : المضي ، الشديد الحزن .

٢ القينة : المغنية . الحمصانة : الضامرة البطن . الرود ، سهل رؤد : الشابة الحسنة .

اطلبوا نفسي

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق بقراقي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال :
أنشدنا جحظةً لنفسه :

ويح نفسي عهدي بها في التراقي ، قبلَ يومِ الفراقِ ، عندَ الفراقِ
اطلبوها في حيثُ كنّا اعتنقنّا ، هلكت في اشتغالنا بالعناقِ

وجهك أظرف

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حسنون النرسي بقراقي عليه قال : أخبرنا أبو حاتم محمد ابن عبد الواحد بن محمد اللبان الرازي قال : حدثنا أبو محمد بيان بن يزداد القمي إجازة قال :
أنشدني أحمد بن محمد القمي المؤدّب :

يرآك الفؤادُ بعينِ الهوى ، وعينُ المحبّةِ لا تخلفُ
إذا غيّبتَ عن ناظرِ المقلتيّ ، نِ فقلبي يراك وما يطرفُ
تمكّنَ في القلبِ من حبّكم عيونٌ من الحبّ ما تنزفُ
فمَن يكُ من حبه سالياً ، فإني من حبّكم مُدْنَفُ
كلامٌ رخيّمٌ ودلٌ مليحٌ ، ووجهك من كلِّ ذا أظرفُ

العيون المدعج

أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الشروطي قال : أخبرنا علي بن أيوب القمي قال : حدثنا محمد ابن عمران قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا أبو عثمان سعيد بن هارون الاشناندي قال : أخبرني التوزي قال :

سمعت أبا عبيدة يقول : قال رجل من بني فزارة لرجل من عذرة : تعدّون موتكم من الحبّ مزية ، أي فضيلة ، وإنما ذلك من ضعف البنية ، وهنّ العقيدة ، وضيق الرويّة . فقال العذري : أمّا لو أنكم رأيتم المحاجر البلج ترشق بالآعين المدعج من فوقها الحواجب الزجج ، والشفاة السمر تفرّ عن الثنايا الغرّ ، كأنها سردُ الدرّ ، بلعلتموها اللات والعزى^١ ، ودفعتم الإسلام وراء ظهوركم .

صريح الغواني

أنبأنا أحمد بن علي قال : حدثنا علي بن أيوب قال : حدثنا محمد بن عمران قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

أنّ مسلم بن الوليد الأنصاري لما وصل الرشيد في أول يومٍ لقيته أنشده قصيدته التي يصف فيها الخمر ، وأولها :

أديراً عليّ الكأس لا تشربنا قبلي ، ولا تطلبنا من عند قاتلي ذحلي^٢

١ المحاجر ، الواحد محجر : وقب العين . البلج ، من البلج : وهو نقاوة ما بين الحاجبين .
المدعج ، من الدعج : سواد العين مع سمها . الزجج : الدققة . الغر : البيضاء . سرد : نظم .
اللات والعزى : إلهتان من آلهة الجاهلية الكاذبة .
٢ ذحلي : ثأري .

فاستحسنَ ما حكاةَ من وصف الشراب واللهم والغزل وسمّاهُ يومئذ صريعَ
الغواني بآخر بيتٍ منها وهو :
هل العيشُ إلّا أن تروحَ مع الصبّا ، وتغدو صريعَ الكأس والأعين النّجل^١

غليل ودموع

أخبرنا أبو بكر الأردستاني بقرائتي عليه في المسجد الحرام بباب الندوة قال : أخبرنا ابن
حبيب المذكر قال :

دخلت دار المرضى بنيسابور فرأيت شاباً من أبناء النّعم ، يقال له أبو
صادق السّكّري ، مشدوداً ، وهو يُجْلِبُ وَيَصْبِحُ ، فلما بصّرَ بي قال :
أتروي من الشّعْر شيئاً ؟ قلت : نعم ! قال : مِن شِعْر مَنْ ؟ قلت : مِن
شِعْر مَنْ شِيتَ . قال : من شعر البُحْثري ؟ قلتُ : أيّ قصيدة تريد ؟ فقال :
الْمَعْبُ بَرَقَ سِرَى أَمِ ضَوْءُ مِصْبَاحِ أَمِ ابْتِسامُهَا بِالْمَنْظَرِ الضّاحي^٢ ؟
فأنشدته القصيدة ، فقال : أفأنشيدُكَ قصيدة ؟ قلتُ : نعم ! فأخذ في إنشاد قصيدته :
أَقْصِرَا ! إن شَانِي الإِقْصَارُ ، وَأَقِلَّا لا يَنْفَعُ الإِكْثَارُ
حتى بلغ قوله :

إن جرى بيننا وبينك عَتَبٌ ، أو تَناءَتْ مِنّا وَمِنْكَ الدِّيارُ
فالغليلُ الذي عَهِدَتْ مُقِيمٌ ، والدموعُ التي شَهِدَتْ غِزارُ^٣
فَقَقَزَ وجعلَ يرقصُ في قيده ويصيحُ إلى أن سقط مغشياً عليه .

١ الأعين النّجل : الواسمة الحسنة .

٢ الضاحي : البارز للشمس .

٣ الغليل : حرارة الحب .

عبد الله بن جعفر وجاريته

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الانبوسي ، ونقلته من أصله ، قال : حدثنا أبو محمد علي ابن عبد الله بن المغيرة قال : حدثني جدي قال : حدثني عمي قال : حدثني علي بن أبي مريم قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثني بكر بن إسحاق النجلي قال : حدثنا أبو سهل محمد ابن عمر الأنصاري عن محمد بن سيرين قال :

نظرَ عبدُ الله بن جعفر إلى جارية له كان يحبها حباً شديداً وهي تلاحظُ مولاه فسألها : بالله هل تحبين فلاناً ؟ فقالت : أعيدُكَ بالله يا سيدي ! قال فسألها : بالله لا تكسمني ذلك ! فسكتت فأعتقها ودعاها فزوجه إياه . قال : ثم إن نفسه تتبعتها فدعا مولاه فقال : أتتزل عنها ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا والله ، ولا مائة ألف درهم . قال : بارك الله لك فيها ! قال فأعرض عنها . قال : فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات مولاه وتزوجها ابن جعفر بعد ذلك .

قال ابنُ حسين فذكرت هذا الحديث لأبي ياسين الرقي فحدثني عن بعض أصحابه أن عبد الله بن جعفر لما دخلت عليه أنشأ يقول :

رضيتُ بحُكم الله في كلِّ أمره ، وسَلَّمْتُ أمرَ الله في كما مضى
بَلانِي وأبلاني بِحُبِّ دَنيَّةٍ ، وَصَبَّرَنِي حَتَّى امسَحِيَ الحُبَّ فانقضى
لَعَمْرِي ! ما حُبِّي بِحُبِّ مَلالَةٍ ، ولا كانَ وَدِّي زائلاً فَتَنَقَّضَا
ولكنَّ حُبِّي مَعَهُ دَلٌّ يَزِينُهُ ، وَيُعْرِضُ أحياناً إِذا الحُبُّ أَعْرَضَا

١ تنقض : انحل .

٢ الحب ، بكسر الحاء : الحبيب .

صريعا الحب

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو محمد
عبيد الله بن محمد بن علي الجراذي الكاتب قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرنا
عبد الرحمن عن عمه عن يونس قال :

انصرفت من الحج فمررتُ بماويةَ وكان لي فيها صديقٌ من بني عامر بن
صعصة ، فصرت إليه مُسلماً ، فأُنزلتني ، فبينما أنا عنده ، ونحن قاعدان بفناءه ،
إذا نساءٌ مُستبشرات ، وهن يلقن : تكلّم تكلّم ! فقلتُ : ما هذا ؟ فقالوا :
فتىٌ منّا كان يعشقُ ابنةَ عمّ له ، فزوّجَتْ ، وحُمِلَتْ إلى ناحيةِ الحجاز ،
فإنّه لعلّ فراشه منذُ حوّل ما تكلّم ، ولا أكل ، إلّا أن يُوتى بما يأكله
ويشربه . فقلتُ : أحبّ أن أراه . فقام ، وقمتُ معه فمشينا غيرَ بعيد ، وإذا
بفتىٍ مُضطجعٍ بفناء بيت من تلك البيوت ، لم يبقَ منه إلّا خيالٌ ، فأكسبَ
الشيخُ عليه يسأله ، وأمه واقفةٌ ، فقالت : يا مالكُ ! هذا عمك أبو فلان
يعودُكَ ، ففتَحَ عَيْنَيْهِ ، وأنشأ يقول :

ليبكي اليومَ أهلُ الودِّ والشَّفَقِ ؛ لم يبقَ من مهجتي إلّا شفا رَمَقِ
اليومَ آخرُ عهدي بالحياةِ ، فَقَدِ أَطْلِقْتُ من رِبْقَةِ الأُحْزَانِ والقَلَقِ
ثمّ تنفّس الصُّعْداءَ فإذا هو ميتٌ ، فقام الشيخُ ، وقمتُ فانصرفتُ إلى
خباته فإذا جاريةٌ بضّةٌ تبكي وتَتَفَجَّعُ . فقال الشيخُ : ما يُبْكِيكِ ؟ فأنشأتُ
تَقُولُ :

ألا أَبْكِي لِيَصَبَّ شَفّ مُهْجَتِهِ طولُ السَّقَامِ وَأَضْنَى جِسْمِهِ الكَمَدُ
بَالَيْتَ مَنْ خَلَفَ القلبَ الهَيُومَ به ، عِنْدِي فَأَشْكُو إليه بعضُ ما أَجِدُ
أَنْشُرُ تُرْيِكَ أَسْرَى لي النسيمُ به ، أَمَ أَنْتَ حَيْثُ يُنَاطُ السَّحَرُ والكَبِيدُ^١

١ ينَاطُ : يملق . السحر : الرثة .

ثم انشئت على كعبِدها ، وشهقت ، فإذا هي ميتة .
 قال يونس : فقمْتُ من عند الشيخ وأنا وقيداً .
 أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق قال : حدثنا الأمير
 أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد فذكر القصة^٢ .

أجساد بغير قلوب

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : أخبرنا أبو محمد بن الحرادي الكاتب قال : حدثنا
 أبو بكر بن دريد قال :

أنشدنا العكلي عن أبيه لداود بن سلم التميمي :

ما ذرّ قرنُ الشمسِ إلاّ ذكرْتُها ، ويذكرُنيها ما دنتَ لِعُروبِ
 وأذكرُها ما بينَ ذلكَ وبعدهُ ، وبالليلِ أحلامي ، وعندَ هُبوبِ
 وبُلَيْتِها شوقاً ، وبَلاتِي الهوى ، وأعياءَ الذي بي طِبَّ كلِّ طيبِ^٣
 وأعجبُ أني لا أموتُ صَبَابَةً ، وما كدُّ منَ عاشِقٍ بِعَجَبِ
 وكم لأمَ فيها من مُؤدّ نصيحةٍ ، فقلتُ له : أقصِرْ ، فغيرُ مُصيبِ
 أتأمرُ إنساناً بفرقةٍ قلبه ؟ أتُصلِّحُ أجساداً بِغَيْرِ قُلُوبِ ؟
 وكُلُّ حَبٍّ قد سلا ، غيرَ أني غريبٌ ! ألا يا ويحَ كلِّ غريبِ

١ الوقيد : الحزين القلب .

٢ القصة : يريد قصة صريمي الحب التي مرت .

٣ بلاه : صيره بالياً .

السل داء الحب

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي فيما أذن لنا في روايته قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز قال : أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان إجازة قال : حدثنا أحمد بن منصور بن سوار قال : حدثنا نوح بن يزيد المعلم قال : حدثنا إبراهيم بن سعد قال : حدثني محمد بن اسحاق قال : حدثني محمد بن جعفر بن زبير قال : سمعت رجلاً من بني عذرة عند عروة بن الزبير يحدثه ، فقال عروة : يا هذا بحق أقول لكم إنكم أرقّ الناس قلوباً . فقال : نعم ، والله ، لقد تركت بالحي ثلاثين قد خامرهم السلّ ، وما بهم داء إلا الحب .

مجنون وعيلة

أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن علي الوراق من حفظه قال : حكى لي أبو الحسين علي ابن الحسين الصوفي المعروف برباح قال : حدثني بعض أصدقائي أنه دخل إلى بعض المارستانات ببغداد فرأى شاباً حسن الوجه ، نظيف الثياب ، جالساً على حصير نظيف ، وعن يساره ميخدة نظيفة ، وفي يده مروحة ، وإلى جانبه كوز فيه ماء ، فسلمت عليه ، فردّ السلام أحسن ردّ ، فقلت له : هل لك من حاجة ؟ فقال : نعم ! أريد قرصين وعليهما فالودج^١ ، فمضيت فبحثته بذلك ، وجلست مقابلته حتى أكل ، ثم قلت له : أبقى لك حاجة ؟ فقال : نعم ، ولا أظنك تقدر عليها . فقلت : اذكرها ، ففعل الله أن يُيسرها . فقال : تمضي إلى نهر الدجاج درب أحمد الدهقان ، إلى دار على باب زقاق الغفلة ، فاطرق الباب وقل : إن فلاناً قال لي :

١ الفالودج : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل .

مرّ بالحبيبِ وَقُلْ لَهُ : مجنونُكم مَنْ ذا يحلّه ؟
 قال : فمضيتُ وسألتُ عن الدربِ والزُّفّاقِ ، فدُلّْتُ عليه ، فطَرَقْتُ
 البابَ ، فخرجتُ إليّ عَجُوزٌ فأبلغتُها الرّسالةَ ، فدخَلتْ وغابتْ عني ساعة ،
 ثم خرجت فقالت :

ارْجِعْ لِإِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : عَلَيْكُمْ مَنْ ذا أعلّه ؟
 فرجعتُ إلى الفتى فأخبرته بالحوادثِ ، فشهِقَ بشهقةٍ فمات ، وعدتُ إلى
 القومِ أخبرهم بذلك ، فوجدت الصراخَ في الدارِ ، وقد ماتت الجارية ، أو
 كما قال .

الحب للحبيب الأول

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن الفضل الأرجي قال : أخبرنا أبو الحسن عمي
 عبد الله الهمداني بمكة في المسجد الحرام قال : حدثنا محمد بن علي بن المأمون قال : حدثنا أبو
 محمد الرقاعي قال :
 خرجَ أبو حمزة يُشَيِّعُ بعضَ الغُرّةِ ، وكان راكباً ، فسمعَ قائلاً يقول :
 نَقَلْ فَوادَكَ حيثُ شئتَ من الهوى ، ما الحُبُّ إلّا لِلنَّحْبِيبِ الأوّلِ
 فسقط حتى خشنا عليه .

دين الغدر

ولي من قطعة :
 يا مَنْ رَمَى قلبي فلم يُخطِهْ ، أصميتني قتلاً ، ولم أدِرِ
 ساعدك الحبُّ على مَقْتَلِي ، كلا كما قد دان بالغدرِ

٦ سواجع وهواتف

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن طاهر اللعاق بقراوتي عليه قال : أخبرني الأمير أبو الحسن أحمد
ابن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : أخبرني
مسجع بن نهبان قال : حدثني رجل من بني الصيداء من أهل الصريم قال :

كنتُ أهوى جاريةً من باهلة ، وكان قومها قد أخافوني ، وأخذوا عليّ
المسالك ، فخرجتُ ذاتَ يومٍ ، فإذا حماماتٌ يسجننَ على أفنانٍ أبكاتٍ
متناوحاتٍ في سرارةٍ وادٍ ، فاستفترني من الشوقِ ما لم أعْقِلْ معه بشيءٍ ،
فركبتُ ، وأنا أقول :

دعتُ ، فوق أغصانٍ من الأيكِ موهناً ، مطوّقةً ورقاءً في إثر ألفٍ
فهاجتُ عقابيلَ الهوى ، إذ ترتّمتْ ، وشبّتْ ضرامَ الشوقِ بين الشراسفِ
لكنّي خرجتُ فأواني الليلُ إلى حيٍّ فحفتُ أن يكونوا من قومها فبيتُ
في القفر ، فلما هدأتِ الرجلُ إذا قائل يقول :

تمتّع من شميمِ عرارٍ نجدٍ فما بعدَ العشيّةِ من عرارٍ

فتأملتُ من ذلك ثم غلبتني عيناي ، فإذا آخرُ يقول :

ولا شيءَ بعدَ اليومِ إلاّ تَعْلَةٌ من الطيفِ أو تلقى بها منزلاً قفراً
فزادني ذلك قلقاً ، ثمّ نمتُ فإذا ثالثٌ يقول :

لن يُلبِثَ القرناءُ أن يفترّقوا ، ليلٌ يكرّرُ عليهمُ وتهارُ

١ سرارة الوادي : بطنه .

٢ موهناً : ليلاً .

٣ العقابيل : الواحدة عقبولة : بقايا العلة . الشراسف : أطراف الضلوع المشرفة على البطن ، الواحد شرسوف .

٤ العرار : الترحس البري ،

فَقَمْتُ ، فَغَيَّرْتُ ، وَرَكِبْتُ مُتَّكِنًا عَنِ الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا بَرَّقَ الْفَجْرُ ،
إِذَا رَاعٍ مَعَ الشَّرُوقِ قَدْ سَرَحَ غَنَمَهُ وَهُوَ يَتَمَثَّلُ :

كَفَى بِالنَّبِيلِ خَلِيقَاتٍ لِحِدَّةٍ ، وَبِالْمَوْتِ قَطَاعًا حِبَالَ الْقَرَائِنِ
فَأُظْلِمْتُ عَلَى الْأَرْضِ فَتَأَمَّلْتُهُ فَعَرَفْتُهُ ، فَقُلْتُ : فَلَان ؟ قَالَ : فَلَان .
قُلْتُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : ضَاجَعْتُ ، وَاللَّهِ ، رَمْلَةُ الثَّرَى ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ سَقَطْتُ
عَنْ بَعِيرِي فَمَا أَفْقْتُ حَتَّى حَمَيْتُ الشَّمْسُ عَلَيَّ ، وَقَدْ عَقَلَ الْغَلَامُ نَاقَتِي ،
وَقَدْ مَضَى ، فَكَّرَرْتُ إِلَى أَهْلِي ، وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

يَا رَاعِي الضَّئَانِ ! قَدْ أَبْقَيْتَ لِي كَمَدًا يَبْقَى وَيُثْلَفَنِي ، يَا رَاعِي الضَّئَانِ
نَعَيْتَ نَفْسِي إِلَى نَفْسِي ، فَكَيْفَ إِذَا أَبْقَى ، وَنَفْسِي فِي أَثْنَاءِ أَكْفَانِي ؟
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَسَارْتُ فِي كَيْدِي ، بِكَيْتَ مِمَّا تَرَاهُ الْيَوْمَ أَبْكَانِي !

من الحب اليأس إلى التعب

أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شَكْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَمْدَانِيُّ
بِكَلِّةٍ قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ
الْبَرْجَلَانِيِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مَعَاذٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الْعَابِدُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

كَانَ عِنْدَنَا بِالْكُوفَةِ شَابٌّ يَتَعَبَّدُ مُلَازِمًا لِلْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، لَا يَكَادُ يَخْلُو
مِنْهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الْوَجْهِ ، حَسَنَ الْقَامَةِ ، حَسَنَ السَّمْتِ ، فَتَنَظَّرْتُ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ
ذَاتُ جَمَالٍ ، وَعَقْلٍ ، فَشُغِفَتْ بِهِ ، وَطَالَ ذَلِكَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ
وَقَفَتْ لَهُ عَلَى طَرِيقِهِ ، وَهُوَ يَرِيدُ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا فَتَى اسْمَعْ مِنِّي
كَلِمَاتٍ أَكَلَمَكَ بِهَا ، ثُمَّ أَعْمَلْ مَا شِئْتَ . فَمَضَى وَلَمْ يُكَلِّمْهَا . ثُمَّ وَقَفَتْ

١ أسارت : أبقيت .

له بعد ذلك على طريقه ، وهو يريد منزله ، فقالت له : يا فتى اسمع كلمات
أكلّمك بها . فأطرق ، فقال لها : هذا موقفٌ تُهمّة ، وأنا أكره أن أكون
للتُّهمّة موضعاً . فقالت له : والله ما وقفتُ موقفِي هذا جهالةً مني بأمرِكَ ،
ولكن معاذَ الله أن يتشوّفَ العبادُ إلى مثل هذا مني ، والذي حملتني على أن
لقيتُكَ في هذا الأمرِ بنفسِي معرفتي أنّ القليلَ من هذا عندَ الناس كثيرٌ ،
وأنتُم ، معاشرَ العباد ، في مثالِ القواريرِ أدنى شيءٍ يعيبُهُ ، وجُملةُ
ما أكلّمكُ به أن جوارحي كلّها مشغولةٌ بك ، فالله الله في أمري وأمرِكَ .
قال : فمضى الشاب إلى منزله ، وأراد أن يُصَلّي فلم يَعْقِل كيف
يُصَلّي ، فأخذَ قِرطاساً وكتبَ كتاباً ، ثمّ خرّجَ من منزله . فإذا بالمرأة واقفةً
في موضعِها ، فألقى إليها الكتابَ ، ورجّعَ إلى منزله . وكان في الكتاب :
بسم الله الرحمن الرحيم . اعلمي أيُّتها المرأةُ أنّ الله ، تبارك وتعالى ، إذا
عَصِيَّ حِلْمَ ، فإذا عاودَ العبدُ المعصيةَ سترَ ، فإذا لبسَ لها ملابسها غضِبَ
اللهُ ، عزّ وجلّ ، لنفسه غضبةً تضيقُ منها السمواتُ والأرضون والجبالُ
والشجرُ والدوابُ ، فمن ذا الذي يُطبقُ غضبَهُ ؟ فإن كان ما ذكرتُ باطلاً ،
فإنّي أذكركُ يوماً تكونُ السماءُ كالمُهْل ، وتصيرُ الجبالُ كالعِهْنِ ،
وتجنو الأممُ لصولةِ الجبارِ العظيمِ ، وإنّي والله قد ضَعُفْتُ عن إصلاحِ نفسي ،
فكيف بصلاحِ غيري ، وإن كان ما ذكرتُ حقّاً فإنّي أدُلُّكَ على طيبٍ ،
هو وليّ الكلومِ المُمرِضة ، والأوجاعِ المُرمِضة ، ذلك الله ربّ العالمين ،
فاقصديه على صدق المسألة ، فإنّي متشاغلٌ عنك بقولي ، عزّ وجلّ :
وأنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ، ما للظالمين من حميمٍ
ولا شفيعٍ يُطَاعُ ، يعلمُ خائنةَ الأعين ، وما تخفي الصدور ، والله يقضي
بالحقِّ ؛ فأين المهترّبُ من هذه الآية ؟

ثمّ جاءت بعد ذلك بأيّامٍ فوقفَتْ له على طريقه ، فلما رآها من بعيد

١ المهمل : دردي الزيت الأسود أي عكره . العهن : الصوف . « من آيات الكتاب »

أرادَ الرجوعَ إلى منزله لثلاثَ يراها، فقالت : يا فتى لا ترجعْ ، فلا كان الملتقى بعدَ هذا أبداً إلا بينَ يدي الله ، عزّ وجلّ . وبَكَتْ بُكاءً كثيراً ، ثمّ قالت : أسألُ اللهَ ، عزّ وجلّ . الذي بيدهِ مفاتيحُ قلبِكَ أنْ يُسهِّلَ ما قد عَسِرَ من أمرِكَ . ثمّ تَبِعَتْهُ فقالت : امْنُ عليّ بِمَوْعِظَةٍ أَحْمِلُهَا عَنْكَ ، وأَوْصِي بِوَصِيَّةٍ أَعْمَلُ عَلَيْهَا ! فقالَ لها الفتى : أوصيكُ بِحِفْظِ نَفْسِكَ من نَفْسِكَ ، وأَذْكُرْكَ قولَه ، عزّ وجلّ : وهو الذي يَتَوَقَّأُكُمْ بِاللَّيْلِ ، وَيَعْلَمُ ما جَرَّحَتْكُمْ بِالنَّهَارِ .

قال : فَأُطْرَقَتْ ، وبَكَتْ بُكاءً أَشدَّ من بُكائها الأوّل ، ثمّ أَفاقَتْ ، فقالت : والله ما حَمَلْتُ أَنثى ولا وَضَعْتُ إِنْساً كَمِثْلِكَ فِي مِصْرِي وَأَحْيَائِي . وَذَكَرْتَ آيَاتاً آخَرُهَا :

لأَلْبَسَنَّ لهذا الأَمْرِ مِدرَعَةً ، ولا رَكَنتُ إلى لَذَاتِ دُنْيَايَا^١
ثمّ لَزِمْتُ بَيْتَهَا فَأَخَذَتْ بِالْعِبَادَةِ . قال : فكانتُ إذا أَجْهَدَهَا الأَمْرُ
تَدْعُو بِكِتَابِهِ فَتَضَعُهُ على عَيْنَيْهَا ، فيُقالُ لها : وهل يَغْنِي هذا شَيْئاً ؟ فَتَقولُ :
وهل لي دواءٌ غَيْرُهُ ؟ وكان إذا جَنَّ عَلَيْهَا اللَّيْلُ قَامَتْ إلى مِحْرَابِهَا ، فإذا
صَلَّتْ قَالَتْ :

يا وَارِثَ الأَرْضِ هَبْ لي مِنْكَ مَغْفِرَةً ، وحلّ عَنِّي هوى ذا الهاجِرِ الدَّانِي
وانظُرْ لي خَلَّتِي ، يا مُشْتَكِي حَزَنِي ، بِنَظَرَةٍ مِنْكَ تَجْلُو كُلَّ أَحْزَانِي^٢
فلم تزلْ على ذلكَ حَتَّى ماتَ كَمَداً ، وكان الفتى يَذْكُرُها بعدَ موْتِها ثمّ
يَبْكِي عَلَيْهَا ، فيقالُ له : ممّ بكاؤُكَ ، وأَنْتَ قد أَيَسَّتْهَا^٣ ؟ فيقول : لأنِّي
ذُقْتُ طَعْمَهَا مِنِّي في أوّلِ أَمْرِها وجعلتْ قِطْعَها ذَخِيرَةً لي عِنْدَ الله ، عزّ وجلّ ،

١ المِدرعة : جبة مشقوقة المقدم .

٢ الخلة : الحاجة والفقر .

٣ أَيَسَّتْهَا : جعلتها تِيَّاس .

وإنّي لأستحيي من الله ، عزّ وجلّ ، أن أسترِدّ ذخيرةً ذخَرْتُها عنده .
قال لنا الشيخ أبو القاسم الأزجي ، رحمه الله : وجدتُ في نسخة زيادةٍ
مسموعةٍ عن الزينبي شيخنا، رحمه الله، قال: ثم إن الجارية لم تلبث أن بليت ببلية
في جِسمها، فكان الطبيبُ يقطع من لحمها أوطالاً لأنه قد عرف حديثها مع
الفتى ، فكان إذا أراد أن يقطع لحمها يحدُّثُها بحديث الفتى ، فما كانت تجدُّ
لقطع لحمها ألماً ، ولا كانت تتأوّه ، فإذا سكّت عن ذكره تأوّهت . قال : فلم
تزل كذلك حتى ماتت كمدّاً .

خارب بيته

أخبرني القاضي أبو القاسم التنوخي إجازةً وحدثني أحمد بن ثابت الحافظ عنه قال :
أنشدني أبو عبد الله بن الحجاج لنفسه :
يا سيّدي ! عبدك ليم تقتله ؟ رأيت من يفعل ما تفعله ؟
نزلت في قلبي ، فيا سيّدي ليم تخرب البيت الذي تنزله ؟

آه من البين !

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بمكة في المسجد الحرام سنة ست وأربعين وأربعمائة
على باب النوة بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قال : سمعت
أبا علي الحسن بن أحمد بن علي الزنجاني الصوفي بأسفرايين يقول : سمعت عبد العزيز بن سعيد
المنجوري يقول : سمعت سهلان القاضي يقول :
بيننا أنا مارٌّ في طُرُقَاتِ جبلِ شوری ، وقد مرّت عليّ قافلةٌ عظيمةٌ ،
إذا نحن بشابٍّ على الطريقِ ذاهِبِ العقلِ ، مدهوشٍ ، عريانٍ ، وبين يديه

١ سنة ١٠٥٤ م .

خُلُقَان^١ مُمَزَّقاتٌ فقال لي: أَيْنَ رَأَيْتَ الْقَافِلَةَ؟ قلتُ: في مَوْضِعٍ كَذَا.
قالَ: آه من البَيْنِ! آه من البَيْنِ! آه من دواعي الحَيْنِ! فقلتُ: وما دهاك؟
فقالَ:

شِيعَتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا، وَرَحْتُ، وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمٌ
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَيَّ، إِذْ بَانُوا، فَمَا سَلَّمُوا
سَارُوا، وَلَمْ يَرْتُوا لِمُسْتَهْتَرٍ، وَلَمْ يُبَالُوا قَلْبَ مَنْ تَيَّمُوا^٢
وَاسْتَحْسَنُوا ظَلْمِي، فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبُّ قَلْبِي كُلِّ مَنْ يَظْلِمُ

وفاء زوجة

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن
حيويه قال: أخبرنا محمد بن خلف قال: أخبرني أبو بكر العامري عن مصعب بن عبد الله
الزبيري قال:

تَزَوَّجَ مَالِكُ بْنُ عَمْرِو الْغَسَّانِي بَابَنَةَ عَمِّ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ فَشَغَفَ كُلَّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ، وَكَانَ مَالِكٌ شُجَاعاً، فَاشْتَرَطَتْ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُقَاتِلَ إِذَا لُقِيَ،
شَفَقَةً عَلَيْهِ وَضَنّاً بِهِ، وَإِنَّهُ غَزَا حَيّاً مِنْ لَحْمٍ، فَبَاشَرَ الْقِتَالَ، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحٌ
فَقَالَ، وَهُوَ مَثْقَلٌ مِنْهَا:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ غَزَالٍ تَرَكْتُهُ، إِذَا مَا أَتَاهُ مُصْرَعِي كَيْفَ يَصْنَعُ؟
فَلَوْ أَنَّي كُنْتُ الْمُؤَخَّرَ بَعْدَهُ، لَمَّا بَرِحَتْ نَفْسِي عَلَيْهِ تَطَلَّعُ
وَإِنَّهُ مَكَثَ يَوْماً وَلَيْلَةً ثُمَّ مَاتَ مِنْ جِرَاحِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُهُ إِلَى
زَوْجَتِهِ بِكَتْهُ سَنَةً، ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانَهَا فَامْتَنَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ، وَكَثُرَ

١ الخلقان: الثياب البالية.

٢ المستهتر: المتبع هواه.

خُطَّابُهَا ، فَقَالَ عُمُومَتُهَا وَوَلَاةُ أَمْرِهَا : نَزَوَّجُهَا لَعَلَّ لِسَانَهَا يَنْطَلِقُ ،
وَيَذْهَبُ حَزْنُهَا ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ النِّسَاءِ ، فَنَزَوَّجُهَا بِبَعْضِ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ فَسَاقَ
إِلَيْهَا أَلْفَ بَعِيرٍ ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ فِيهَا قَامَتْ عَلَى بَابِ
الْقُبَّةِ ثُمَّ قَالَتْ :

يَقُولُ رِجَالٌ : زَوَّجُوهَا لَعَلَّهَا تَقَرُّ ، وَتَرْضَى بَعْدَهُ بِخَلِيلٍ
فَأَخْفَيْتُ فِي النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا رَجَاءٌ لَهُمْ ، وَالصَّدَقُ أَفْضَلُ قِيلَ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا أَقَامَ ، وَنَادَى صَحْبَهُ بِرَحِيلَ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السِّيفِ غَيْرُ نَكُولٍ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا خَفِيفٌ عَلَى الْأَحْدَاثِ غَيْرُ ثَقِيلٍ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا صَرُومٌ كَمَا ضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلٍ

وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ حَيَوِيهِ
قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْعَامِرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمْرُو
ابْنُ مُحَمَّدٍ الْعَبْقَرِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي شَيْخُ أَثَقُ بِهِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَزَادَ فِيهِ : فَلَمَّا
فَرَّغْتَ مِنَ الشَّعْرِ شَهَقْتَ شَهَقَةً فَمَاتَتْ .

١ النكول : الجبان .

٢ أراد بالحديث ما حدث في القصة السابقة .

جميل والبنات العذريات

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي قال : أخبرنا أبو صر محمد بن العباس قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أبو بكر قال : أخبرنا المدايني قال : قال هشام بن محمد سمعت رجلاً من بني عذرة يحدث قال :

لَمَّا عَلِقَ جَمِيلٌ بُشَيْنَةَ وَجَعَلَ يَنْسُبُ بِهَا اسْتَعْدَى عَلَيْهِ أَهْلُهَا رِبْعِيٌّ بَنَ دَجَاجَةَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَمِيرُ تِيْمَاءَ ، قَالَ : فَخَرَجَ جَمِيلٌ هَارِباً حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَجُلٍ مِنْ عَذْرَةَ ، بِأَقْصَى بِلَادِهِمْ ، وَكَانَ سَيِّداً ، فَاسْتَجَارَ بِهِ ، وَكَانَ لِلرَّجُلِ سَبْعُ بَنَاتٍ ، فَلَمَّا رَأَى جَمِيلاً رَغِبَ فِيهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَزَوِّجَهُ لِيَسْلُوَ عَنْ بُشَيْنَةَ ، فَقَالَ لِبَنَاتِهِ : الْبَسْنَ أَحْسَنَ ثِيَابِكُنَّ وَتَحْلَيْنَ بِأَحْسَنِ حِلْيَتِكُنَّ ، وَتَعَرَّضْنَ لَهُ ، فَلَمَعَلَّ عَيْنَهُ أَنْ تَقَعَ عَلَى إِحْدَاكُنَّ فَأَزَوَّجَهُ .

قال : وكان جميلٌ ، إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ ، أَبْعَدَ فِي الْمَدَهَبِ ، فَلِذَا أَقْبَلَ رَفَعْنَ جَانِبَ الْحِجَابِ ، فَلِذَا رَأَهُنَّ صَرَفَ وَجْهَهُ ، قَالَ : فَتَمَعَلْنَ ذَلِكَ مِرَاراً ، فَعَرَفَ جَمِيلٌ مَا أَرَادَ بِهِ الشَّيْخُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

حَلَفْتُ لَكِيْمَا تَعْلِمِيْنِي صَادِقًا ، وَلِلصَّدَقِ خَيْرٌ فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ
لِتَكْلِيْمُ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ بُشَيْنَةَ وَرُؤْيُهَا عِنْدِي أَلَدٌّ وَأَمْلَحُ
مِنَ الدَّهْرِ لَوْ أَخْلُو بَكْنٌ ، وَإِنَّمَا أَعَالِجُ قَلْبًا طَامَحًا حَيْثُ يَطْمَحُ
فَقَالَ الشَّيْخُ : أَرْخِيْنَ عَلَيْكُنَّ الْحِجَابَ ، فَوَاللَّهِ لَا يُفْلِحُ هَذَا أَبَدًا .

حبذا ذاك الظلوم

أبانا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قال : أخبرنا الشريف أبو الفضل محمد بن الحسن بن الفضل بن المأمون قال :

قُرئ على أبي بكر بن الأنباري ، وأنا أسمعُ ، للمؤمِّل :

أَقَاتِلَتِي هِنْدٌ ، وَقَتَلَنِي مُحَرَّمٌ ؛ أَمَا فِيكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مُسْلِمٌ
يُظْلَمُهَا فِي مَا تُرِيدُ يَعَاشِقُ ؛ أَلَا حَبْدَا ذَاكَ الظَّلُومُ الْمُظْلَمُ^١
لَقَدْ زَعَمُوا لِي أَنَّهَا نَلَرْتُ دَمِي ، وَمَا لِي بِحَمْدِ اللَّهِ لَحْمٌ وَلَا دَمٌ
بَرَرْتُ حُبُّهَا لِحْمِي ، وَلَمْ يُبْقِ لِي دَمًا ، وَإِنْ زَعَمْتَ أَنِّي صَحِيحٌ مُسْلِمٌ
سَتَقْتُلُ جِلْدًا بَالِيًا فَوْقَ أَعْظَمٍ ، وَلَيْسَ بِيَالِي الْقَتْلَ جِلْدٌ وَأَعْظَمُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْحُبِّ صَحَّ قَرِينُهُ ، وَلَا مِثْلَ مَنْ لَمْ يَدْرِ مَا الْحَبُّ يُسْقِمُ
أَتَذَنُّ لِي أَنْتِ فِي ذِكْرِ حَاجَةٍ ، أَلَا طَالَمَا قَدْ كُنْتُ عَنْهَا أَجْمَعِيمُ^٢
غَدَرْتُمْ ، وَلَمْ نَغْدِرْ ، وَقَلْتُمْ : غَدَرْتُمْ ، تَظُنُّونَ أَنَا مِنْكُمْ نَتَعَلَّمُ
قَطَعْنَا ، زَعَمْتُمْ ، وَالْقَطِيعَةُ مِنْكُمْ ، زَعَمْنَا ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ وَنَزْعُمُ
فَإِنْ شِئْتُمْ كَانَ اجْتِمَاعًا ، فَقَلْتُمْ وَقَلْنَا ، فَإِنَّ الْقَوْلَ لِلْقَوْلِ سَلَّمَ
وإِلَّا فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا بِحُكْمِكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاحْكُمُوا
فَوَاللَّهِ مَا أَجْرَمْتُ جُرْمًا عَلِمْتُهُ ، فَإِنْ سَرَّكُمْ جُرْمِي ، فَهَا أَنَا مُجْرِمٌ
وَعَاقِبَتُكُمْ فِي السَّلَامِ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ يَكُ لِي ذَنْبٌ سِوَى ذَاكَ يُعْلَمُ
فَإِنْ تَمْنَعُوا مِنِّي السَّلَامَ ، فَإِنِّي لَغَادٍ عَلَى حِيْطَانِكُمْ فَمُسْلَمٌ

١ يظلمها : ينسبها إلى الظلم .

٢ أجمعهم ، من جميع الكلام : لم يبينه .

الظريفة العاشقة

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي ما أذن لنا أن نرويه عنه قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه
قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله السرخسي قال : حدثني
عباس بن عبيد قال :

كان بالمدينة جاريةً ظريفةً حاذقةً بالغناء ، فهويّت فتى من قرّيش ،
فكانت لا تُفارقُه ولا يُفارقُها ، فملكها الفتى وتزايدت هي في محبّته ،
وأسيّفت ، فغارَتْ ، فوَلَّيَتْ وجعلَ مولاهُ لا يعبأ بملك ، ولا يرقُ
لِشكواها ، وتفاقمَ الأمرُ بها حتى هامت على وجهيها ، ومزقت ثيابها ،
وضربت من لقيها ، فلما رأى مولاهُ ذلك عالجها ، فلم ينجع فيها العلاجُ ،
وكانت تدورُ بالليل في السُّكك مع الأدب والظُرف . قال : فلقيها مولاهُ
ذات يومٍ في الطريق ، ومعه أصحابٌ له ، فجعلت تبكي وتقول :

الحُبُّ أوّلُ ما يكونُ لِحاجةٍ ، يأتِي بهِ وتسوقهُ الأقدارُ
حتى إذا اقتحَمَ الفتى لُججَ الهوى ، جاءتْ أمورٌ ، لا تُطاقُ ، كبارُ

قال : فما بقيَ أحدٌ إلّا رَحِمَها ، فقال لها مولاهُ : يا فلانةُ امضي
معنا إلى البيت ، فأبَتْ وقالت :

شغلَ الحُلِّيُّ أهلهُ أن يُعبّارا

قال : وذكرَ بعضُ من رآها ليلةً ، وقد لقيتها مجنونةً أخرى ،
فقالَتْ لها : فلانةُ ! كيفَ أنتِ ؟ فقالت : كما لا أُحِبُّ ، فكيفَ أنتِ
مِن وَلَهيكِ وحُبِّكِ ؟ قالت : على ما لم يزل يتزايد بي على مرِّ الأيامِ .
قالت لها : تغني بصوتٍ من أصواتِكِ فإني قريبةُ الشبهِ بكِ . فأخذتْ

١ هذا مثل أرادت به الجارية ان ما بها شغلها عن كل شيء ، فلا فائدة من ذهابها إلى البيت .

قَصَبَةً تَوْقَعُ بِهَا وَغَنَّتْ :

يَا مَنْ شَكَا أَلَمًا لِلْحُبِّ شَبَهَهُ بالنارِ في القلبِ من حُزْنٍ وتذكاري
لِأَنِّي لَأُعْظِمُ مَا بِي أَنْ أَشَبَهَهُ شيئاً يُقَاسُ إِلَى مِثْلٍ وَمِقْدَارِ
لَوْ أَنَّ قَلْبِي فِي نَارٍ لَأَحْرَقَهَا ، لِأَنَّ أَحْزَانَهُ أَذْكَى مِنَ النَّارِ
ثُمَّ مَضَتْ .

عُلَيَّانُ الْمَجْنُونِ

حدثنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد
الجرادي الكاتب قال : حدثنا محمد بن أبي الأزهري قال : حدثني عبيد الله بن الزعفراني
المحدث عن حدثه قال :

مَرَّ بِي عَلَيَّانُ الْمَجْنُونُ الْبَصْرِيُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْحُسَيْنِ ،
قِفْ عَلَيْنَا ! فَقَالَ : أَنْتَ شَبَعَانُ وَعُلَيَّانُ جَائِعٌ يَرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ شَيْئاً ،
فَدَعَوْتُ لَهُ بِمَا يَأْكُلُ ، وَهُوَ يَسْمَعُ ، فَرَجَعَ ، فَلَمَّا أَكَلَ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ
وَأَنشَأَ يَقُولُ :

وَذِي نَفْسٍ صَاعِدٍ ، يَتَنَّ بِلا عَائِدِ
تَبَرَّمَ عَوَّادُهُ بِلِي السَّقَمِ الزَّائِدِ
وَذِي سَهْرَةٍ قَدْ جَفَا هَ كُلُّ أَخٍ رَاقِدِ
يَكْرَهُ عَلَى عَسْكَرٍ ، وَيَبْضَعُ عَنْ وَاحِدِ

وَمَضَى ، فَقُلْتُ لِلْغُلَامِي : رُدِّهِ وَارْفُقْ بِهِ ! فَرَدَّهُ ، فَقُلْتُ : زِدْنِي !
فَقَالَ : الَّذِي أُعْطِيتَنِي لَا يَسَاوِي أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطَيْتُكَ . فَقُلْتُ لِلْغُلَامِ : اسْقِهِ .

١ رَجَعَ : أَيُّ قَالَ : إِنَّا إِلَهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

قَدَحًا ، فَوَقَفَ ، فَلَمَّا شَرِبَهُ قَالَ :

وَكَنتُ إِذَا رَأَيْتُ فَتًى يُبَكِّي عَلَى شَجَنٍ ضَحِكْتُ إِذَا خَلَوْتُ
فَأَحْسَبُنِي أَدَالَ اللَّهَ مِنِّي ، فَصِرْتُ إِذَا سَمِعْتُ بِهِ بَكَيْتُ
فَشَغِلْتُ بِخَطِّ مَا أَنْشَدَنِيهِ وَمَضَى .

عاشق يموت كتماناً

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن الملاف الواعظ ، رحمه الله ، بقراءتي عليه قال :
حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين قال : حدثنا جعفر بن محمد الصوفي قال :
حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا زكريا بن
إسحاق قال :

سمعتُ مالك بن سعيد يقول : حدثني مشيخةٌ من خِزاعةٍ أنَّه كان عندهم
بالطائفِ جاريةٌ متعبدةٌ ذاتُ يسارٍ وورعٍ ، وكانت لها أمٌ أشدَّ عبادةً منها ،
وكانت مشهورةً بالعبادة ، وكانتا قليلتي المخالطة للناس ، وكانت لهما
بضاعةٌ مع رجلٍ من أهل الطائف ، فكان يُبضعُهما لهما ، فما رزقهنَّ
اللهُ من شيءٍ أتاهنَّ به .

قال : وبعثَ يوماً ابنه ، وكان فتًى جميلاً مُسرفاً على نفسه ، إلهيهنَّ
ببعضِ حوائجهنَّ ، ففَرَعَ البابَ ، فقالت أمُّها : مَنْ هذا ؟ قال : أنا
ابنُ فلان . قالت : ادخل ! فدَخَلَ وابتثها في بيتٍ ، ولم تَعْلَمْ بدخولِ الفتى ،
فلما قعدَ معها خرَّجتْ ابتثها ، وهي تظُنُّ أنَّها بعضُ نِسائِهِنَّ حتَّى جلستُ
بين يديه ، فلما نظرتْ إليه قامت مبادرةً فخرَّجتْ ، ونظرتْ إليها فإذا هي من
أجملِ العربِ .

قال : ووقعَ حبُّها في قلبه . فخرَّجَ من عندها ، وما يدري أينَ يسلكُ ،
فأتى أباهُ ، فأخبرهُ برِسالتِهِنَّ ، وجعلَ الفتى يتَحَلَّ ويدُوبُ جسمه ،

وَتَغَيَّرَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَلَزِمَ الْوَحْدَةَ وَالْفِكَرَ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يُظَنُّونَ
أَنَّ الَّذِي بِهِ مِنْ عِبَادَةٍ قَدْ لَزِمَهَا ، حَتَّى سَقَطَ عَلَى فِرَاشِهِ .
فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُوهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ دَعَا لَهُ الْأَطْبَاءَ وَالْمُعَالِجِينَ ، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ
إِلَيْهِ ، فَكُلُّهُمْ يَصِفُ لَهُ دَوَاءً ، وَيَقُولُ : بِهِ دَاءٌ لَا يَقُولُهُ صَاحِبُهُ ، وَالْفَتَى
مَعَ ذَلِكَ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ ، حَتَّى إِذَا طَالَتْ عِلَّتُهُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ دَعَا أَبُوهُ
فَتَيْنَانًا مِنَ الْحَيِّ ، وَإِخْوَانَهُ الَّذِينَ كَانُوا لَهُ أُنْسًا ، فَقَالَ لَهُمْ : اخْلُوا بِهِ وَسَلُّوهُ
عَنْ عِلَّتِهِ لَعَلَّهُ يَخْبِرُكُمْ بِبَعْضِ مَا يَجِدُهُ ، فَأَتَوْهُ فَتَكَلَّمُوهُ وَسَلُّوهُ ، فَقَالَ :
وَاللَّهِ مَا بِي عِلَّةٌ أَعْرِفُهَا فَأَبَيَّتْهَا لَكُمْ ، وَأَخْبِرْكُمْ بِمَا أَجِدُ مِنْهَا ، فَأَقِلُّوا
الْكَلَامَ .

وَكَانَ الْفَتَى فُطِينًا ذَا عَقْلٍ ، فَلَمَّا طَالَ بِهِ الْوَجْدُ دَعَا امْرَأَةً مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ
فَحَلَا بِهَا ، وَقَالَ : إِنِّي مُلْقٍ إِلَيْكَ حَدِيثًا مَا أَلْقَيْتُهُ إِلَّا عِنْدَ
الْإِيَّاسِ مِنْ نَفْسِي ، فَإِنْ ضَمِنْتَ لِي كَيْمَانَهُ أَخْبِرْتُكَ ، وَإِلَّا صَبَرْتُ حَتَّى
يُحْكَمَ اللَّهُ فِي أَمْرِي مَا يُحِبُّ ، وَبَعْدُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا قَبْلَكَ ،
وَلَكِنْ كَتَمْتُ عَلَيَّ لَا أَخْبِرُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَكَ ، وَإِنَّ هَذَا الْبَلَاءَ الَّذِي أَرَى بِي
لَا شَكَّ قَاتِلِي ، وَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ فِي مَحَبَّتِي لَهُ أَنْ أَكُونَ لِمَنْ أُحِبُّ صَائِنًا وَعَلَيْهِ
مُشْفِقًا مِنْ تَزْيِيدِ النَّاسِ وَإِكْثَارِهِمْ حَتَّى يَصِيرَ الصَّغِيرُ كَبِيرًا ، وَالْكَبِيرُ عَنْدهُمْ
الْبَاقِي ذِكْرُهُ أَبَدًا ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَمْرِي ، وَاجْعَلِيهِ مُحَرَّرًا فِي صَدْرِكَ فَإِنْ فَعَلْتَ
فَلَكَ حُسْنُ الْمُكَافَأَةِ ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَاللَّهُ يُحْسِنُ لَكَ الشُّكْرَ .

فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ : قُلْ يَا بُنَيَّ مَا بَدَأَ لَكَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَجِدُ فِي الدُّنْيَا أَحَدًا
أُحِبُّ بَقَاءَهُ غَيْرَكَ ، وَكَيْفَ لِي أَنْ يَكُونَ عِنْدِي بَعْضُ دَوَائِكَ ، فَوَاللَّهِ
لَأَكْتُمَنَّ أَمْرَكَ مَا بَقِيَتْ أَيَّامُ الدُّنْيَا . فَقَالَ لَهَا : إِنَّ مِنْ قِصَّتِي كَذَا وَكَذَا !
فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ أَفَلَا أَخْبَرْتَنَا ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَلِمَةً أَسْكُنَ بِمَجَامِعِ
الْقَلْبِ فَلَا تُفَارِقُهُ أَبَدًا ، مِنْ كَلِمَةٍ : حُبُّ عَاشِقٍ أَخْبَرَ مَنْ يُحِبُّهُ أَنَّهُ لَهُ وَاقٍ ،
فَتِلْكَ الْكَلِمَةُ تَزْرَعُ فِي قُلُوبِ ذَوِي الْأَلْبَابِ شَجَرًا لَا تُدْرِكُ أَصُولُهُ . فَقَالَ

لها : وَمَنْ لِي بِهَا ، وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهَا وَقَدْ بَلَغَكَ حَالُهَا وَقَصَّتْهَا وَشَدَّةُ
اجْتِهَادِهَا وَعِبَادَتُهَا ؟ قَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ عَلَيَّ أَنْ آتِيكَ بِمَا تُسَرِّبُهُ .

قال : فَلَبِستُ ثوبَهَا وَأَتَيْتُ مَنْزِلَ الْبَخَارِيَّةِ ، فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَى أُمِّهَا
وَحَادَثْتُهَا سَاعَةً . فَسَأَلْتُهَا أُمُّهَا عَنْ حَالِهِ وَعَنْ وَجَعِهِ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ
رَأَيْتُ الْأَوْجَاعَ وَالْآلَامَ ، فَمَا رَأَيْتُ وَجَعًا قَطَّ كَوَجَعِهِ ، وَإِنْ وَجَعَهُ يُزِيدُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَالْمَهْ يَتَرَقَّى ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ صَابِرٌ غَيْرُ شَاكٍ لَا يَفْقِدُ مِنْ
جَوَارِحِهِ شَيْئًا ، وَلَا مِنْ عَقْلِهِ . فَقَالَتْ أُمُّهَا : أَفَلَا تَدْعُونَ لَهُ الْأَطِبَّاءَ ؟
قَالَتْ : بَلَى ؛ وَاللَّهِ فَمَا وَقَعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى دَائِهِ ، وَلَا يَفْقَهُ دَوَاءَهُ .

ثُمَّ قَامَتْ فَدَخَلَتْ عَلَى الْبَخَارِيَّةِ فِي بَيْتِهَا الَّذِي كَانَتْ تَتَعَبَّدُ فِيهِ ، فَسَلَّمَتْ
عَلَيْهَا ، وَحَادَثْتُهَا سَاعَةً ، وَقَدْ كَانَ وَقَعَ إِلَى الْبَخَارِيَّةِ خَبْرُهُ ، فَعَلِمَتْ أَنَّ ذَلِكَ
مِنْ أَجْلِهَا ، فَقَالَتْ لَهَا الْمَرْأَةُ : يَا بُنَيَّةُ أَبْلَيْتِ شَبَابَكَ وَأَفْنَيْتِ آيَاتَكَ عَلَى
هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي أَنْتِ عَلَيْهَا . قَالَتْ : يَا عَمَّتَاهُ أَيْةُ حَالٍ سَوْءٍ تَرْنِي عَلَى ؟
قَالَتْ : لَا يَا بُنَيَّةُ ، وَلَكِنْ مِثْلَكَ يَفْرَحُ فِي الدُّنْيَا وَيَكَلِّدُ فِيهَا بَعْضُ مَا أَحْسَنَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ ، غَيْرَ تَارِكَةٍ لِبَطَاعَةِ رَبِّكَ وَلَا مُفَارِقَةٍ لِحِدْمَتِهِ ، فَيَجْمَعُ
اللَّهُ لَكَ بِذَلِكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعًا ، فَوَاللَّهِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، حَتَّى عِبَادَهُ
مَا أَحَلَّ لَهُمْ .

فَقَالَتْ : يَا عَمَّتَاهُ ، أَوَ هَذِهِ الدَّارُ دَارُ بَقَاءٍ لَا انْقِطَاعَ لَهَا وَلَا فَنَاءٍ فَتَكُونُ
الْجَوَارِحُ قَدْ وَثِقَتْ بِذَلِكَ ، فَتَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَنَظَرَ هِمَمِهَا ، وَلِلدُّنْيَا شَطْرَهَا ،
فَتَعُدُّ الْجَوَارِحُ إِذَا التَّعَبَّ رَاحَةً وَالْكَدَّ سَلَامَةً ، أَمْ هَذِهِ الدَّارُ دَارُ فَنَاءٍ وَتِلْكَ
دَارُ بَقَاءٍ وَمُكَافَأَةٍ ، وَالْعَمَلُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ .

قَالَتْ : يَا بُنَيَّةُ لَا ! وَلَكِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَانْقِطَاعٍ وَلَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ عَلَى أَحَدٍ ،
وَلَا دَائِمَةٌ لَهُ ، وَلَكِنْ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ فِيهَا سَاعَاتٍ صِدْقَةٍ مِنْهُ عَلَى
النَّفُوسِ ، تَنَالُ فِيهَا مَا أَحَلَّ لَهَا مِنْ مَخَافَةِ الشَّدَةِ عَلَيْهَا .

فَقَالَتِ الْبَخَارِيَّةُ : صِدَقْتَ يَا عَمَّتَاهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عِبَادُهُ قَدْ عَلِمُوا وَصَحَّ فِي

هِمَمِهِمْ شَيْءٌ مِنْ دُخْرِ دُخْرِهِ عِنْدَهُ ، فَجَعَلُوا هَذَا الشُّكْرَ الَّذِي جَعَلَهُ ذَخِيرَةً عِنْدَهُ ، لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنِ الدُّنْيَا كَامِلَةً لَهُمْ ، وَلَا هُمْ مُتَنَقِّصُونَ شَيْئاً قَدْ مَوَهُ لِأَنْفُسِهِمْ ، وَسَكَنْتْ نَفُوسُهُمْ وَرَضِيَتْ مِنْهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ لِتَنَالِ جُمْلَةَ الْكَرَامَةِ . وَإِنَّ كَلَامَكَ لَيَسِدُّ لِي عَلَى أَنْ تَحْتَهُ عِلَّةٌ ، وَهُوَ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى مُنَاطَرَتِكَ لِي عَلَى مِثْلِ هَذَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ قَبْلَ الْيَوْمِ فِيكَ أَنَّكَ تَأْمُرِينَ بِالْحِرْصِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْخِدْمَةِ لَهُ ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ الَّتِي تَبْلُغُ رِضَاهَ وَتَرْفَعُ عِنْدَهُ ، فَقَدْ أَصْبَحْتَ مُتَغَيِّرَةً عَنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتُ أَعْهَدُكَ عَلَيْهِ ، فَأَخْبِرْنِي بِمَا عِنْدَكَ وَأَوْضِحِي لِي مَا فِي نَفْسِكَ ، فَإِنْ يَكُنْ لَكَ جَوَابٌ أَعْتَبْتُكَ^١ ؛ وَإِنْ يَكُنْ فِيهِ حَظٌّ تَابَعْتُكَ ، وَإِنْ يَكُنْ أَمراً بَعِيداً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظْمَتِكَ .

قَالَتْ : يَا بُنَيَّةُ فَأَنَا نَجَرْتُكَ بِهِ ، وَالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الْإِقَائِهِ إِلَيْكَ هَيْبَتُكَ ، إِذَا بَسَطْتُنِي وَعَلِمْتَ أَنَّ عِنْدِي خيراً وَأَمْرَتُنِي بِالْإِقَائِهِ ، فَإِنَّ مِنْ قِصَّةِ مَلَانٍ كَذَا وَكَذَا .

قَالَتْ : قَدْ ظَنَنْتُ ذَلِكَ فَأَبْلَغِيهِ مِنِّي السَّلَامَ ، وَقُولِي : أَيُّ أَخَاهُ ! لَأَتِيَّ وَاللَّهِ قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لِلْمَلِكِ يَكْفِيءُ مَنْ أَقْرَضَهُ بِالْعَطَايَا الْجَزِيلَةِ ، وَيُعِينُ مَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ وَخَدَمَهُ بِالْهِمَمِ الرَّفِيعَةِ ، وَلَيْسَ إِلَى الرَّجْوِ بَعْدَ الْهِبَةِ سَبِيلٌ ، فَتَوَسَّلْ إِلَى مَوْلَاكَ وَمَوْلَايَ بِمَحَابَّتِهِ ، وَاضْرَعْ إِلَيْهِ فِي غُفْرَانٍ مَا قَدْ مَتَّ يَدَاكَ مِنْ عَمَلٍ لَمْ يَهَبْهُ فِيهِ ، وَلَمْ يَرْضَهُ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَعْظِكَ بِهِ ، فَإِذَا خَدَمْتَهُ بِقَدْرِ مَا عَصِيَتْهُ طَابَ لَكَ الْفَرَاغُ مِنْ سُؤَالِ شَهَوَاتِ الْقُلُوبِ وَخَطَرَاتِ الصُّدُورِ ، فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ بَعِيدَ كَانَ لِمَوْلَاهُ عَاصِياً وَعَنْ أَمْرِهِ مَوْلِياً نَاسِياً أَنْ يَنْسَى ذُنُوبَهُ وَالْإِعْتِدَارَ مِنْهَا ، وَيُلْزِمَ نَفْسَهُ مُسْأَلَةَ الْحَوَائِجِ لَعَلَّهَا دَاعِيَةٌ لَهُ إِلَى الْفِتْنَةِ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَرَمِهِ ، فَاسْتَنْقِذْ نَفْسَكَ يَا أَخِي مِنْ مُهْلِكَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّ لَهُ

١ أعتبتك : أزلت عتبك .

فَضْلاً وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَلَسْتُ مُؤَيِّسَتِكَ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ رَأَاكَ مُتَبَتِّلًا
إِلَيْهِ ، وَمِمَّا قَدَّمْتَ يَدَاكَ مُعْتَذِرًا أَنْ يَمُنَّ بِي عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ الْمَلِكُ الَّذِي
يَجُودُ عَلَى مَنْ وَلَّى عَنْهُ بِكَرَمِهِ ، فَكَيْفَ مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ ، فَلَا يُشْكُ أَنْهُ إِذَا
جَادَ عَلَى مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ ، يَكُونُ لِمَنْ أَطَاعَهُ مُكْرِمًا وَإِلَيْهِ وَقْتُ النَّدَامَةِ مَسْرِعًا ،
وَمَا أَبْقَيْتُ لَكَ حُجَّةً تَحْتَجُّ بِهَا ، فَلْيَكُنْ مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ نَصَبَ عَيْنِكَ وَلَا
تُرَادُّنِي فِي الْمَسْأَلَةِ ، فَلَا أَجِيبُكَ وَالسَّلَامُ .

قال : فقامت المرأة من عندها ، فأنته ، فأخبرته بمقاتلتها . قال : فبكى
بكاءً شديداً ، فقالت له العجوز : والله يا بني ما رأيت امرأةً خوفُ الله ، عزَّ
وجلَّ ، في صدرها ، مثلَ هذه المرأة ، فاعملُ بما أَمَرْتُكَ بِهِ ، فَقَدْ ، والله ،
بَالِغَتْ فِي النَّصِيحَةِ ، وَأَحْسَنْتِ الْمَوْعِظَةَ ، فَلَا تُلْقِ نَفْسَكَ فِي مُهْلِكَاتِ
الْأُمُورِ ، فَتَنْدَمَ حَيْثُ لَا تُغْنِي النَّدَامَةُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ يَا بَنِي أَنْ حِيلَةَ تَنْفُلُ
غَيْرَ الَّذِي دَعَاكَ إِلَيْهِ لاحتلتُها ، وَلَكِنْ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَرْجُو أَنْ
مَحَالَّةً ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، قَدْ جَعَلَتْهُ نَصَبَ عَيْنَيْهَا ، فَهِيَ بِ
إِلَيْهِ نَازِلَةٌ ، وَمَنْ جَعَلَ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، نَصَبَ عَيْنَيْهِ ، لَهَا مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ، وَرَفَعَتْهَا ، وَاشْتَغَلَ بِمَا قَدْ جَعَلَتْهُ نَصَبَ عَيْنَيْهِ .

وجعل يبكي ويقول : كيف لي بالبلوغ إلى ما دَعَتْ إِلَيْهِ ، وَمَتَى يَكُونُ
آخِرُ الْمَدَّةِ الَّتِي نَلْتَقِي فِيهَا ؟ قال : فاشتدَّ وجعه ذلك ، وحال عن ذوي العقول ،
فلما نظرَ القومُ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ ، وجعلَ لَا يُقْرَهُ قَرَارٌ ، حبسوه فِي بَيْتٍ ،
وَأَوْثَقُوهُ ، وَتَوَهَّمُ الْقَوْمُ أَنْ الَّذِي بِهِ مِنْ عَشْقٍ ، فَكَانَ رَبِّمَا أَفْلَتْ ، فَيُخْرِجُ مِنْ
مَنْزِلِهِ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الصَّبِيَّانِ ، فيقولون له : مُتْ عَشَقًا ، مُتْ عَشَقًا ! فَكَانَ يَقُولُ :

أَفْشِي إِلَيْكُمْ بَعْضَ مَا قَدْ يَهِيْجُنِي أُمُّ الصَّبْرِ أَوْلَى بِالْفَتَى عِنْدَ مَا يَلْقَى
أَوْعَدُ وَعْدًا مَا لَهُ ، الدَّهْرُ ، آخِرٌ وَأَوْمَرُ بِالتَّقْوَى ، وَمَنْ لِيَّ بِالتَّقْوَى
سَلَامٌ عَلَى مَنْ لَا أَسْمِيَهُ بِاسْمِهِ وَلَوْ صُرْتُ مِثْلَ الطَّيْرِ فِي قَفْصٍ يُلْقَى

ألا أيها الصبيانُ لو ذُقتمُ الهوى لأينفتتمُ أني مُحدَثُكمُ حقًا
أحبكم من حبها ، وأراكُمُ تقولون لي : مُتْ يا شجاعُ بها عِشقا
فلَم تُنصِفوني ، لا ، ولا هي أنصفتُ فَرِقا رُويداً ، ويحكم بالفتى رِفقا
فلَمّا صَحّ ذلك عندَ أهلهِ وعَلِموا أَنه عاشقٌ جعلوا يسألونه عن أمره ،
فكان لا يجيبهم ، وكتمت العجوزُ قصته ، فأخذوه فحبسوه في بيت فلم يزل
فيه حتى مات ، رحمه الله .

جفني كأس ودمعي الراح

ولي من أبياتٍ من أثناء قصيدة :

صرعنا أَلحاظُ غزلانٍ يبري نَ كانَ اللّحاظُ منها رِماحُ
من ظِباءٍ في كلِّ جارِحَةٍ منّا ا لألحاظِهيْنِ يُلقي جِراحُ
استَحَلّوا من قتلنا كلَّ مُحْظو رِ وما قَتَلُ عاشِقَيْنِ مُبْباحُ
يا نديمي إليك بالكأسِ عني ، إنَّ جَفَنِي كَأْسِي ودمعي الراحُ

رأي سقراط في العشق

أخبرنا أبو القاسم علي بن أبي علي قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال : حدثنا أبو بكر
ابن المرزبان قال :

قال سقراطُ : العشقُ جنونٌ ، وهو ألوانٌ ، كما أن الجنونَ ألوان .

لا أنت تدري بي ولا أدري

أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي قال : أنشدنا أبو عمر محمد بن العباس قال :
أنشدنا أبو عبد الله بن عرفة لبعضهم :

يُنْظَرُ في عمري فإن كان في عُمْرِكَ نَقْصٌ زَيْدٌ من عمري
حتى نوافي البَعَثَ في سَاعَةٍ لا أنت تدري بي ولا أدري
أخافُ أن أظفا ، فيدعوكَ مَنْ يهْوَكَ من بعدي إلى غَدري

شكوى المحبين

ولي ابتداء قصيدة كتبت بها من دمشق إلى الشيخ الفقير أبي الحسن مروان
ابن عثمان النحوي الإسكندراني ، وهو بصور :

وَحَقُّ مَصَارِعِ أَهْلِ الْهَوَى لِرُوعَةِ صَوْتِ غُرَابِ النَّوَى
وَشَكْوَى الْمُحِبِّينَ يَوْمَ الْفِرَا قِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ جَوَى
وَقَدْ لَفَّ أَعْنَاقَهُمْ مَوْقِفٌ وَقَدْ رَفَعَ الْبَيْنُ فِيهِمْ لِسَوَا
عَشِيَّةَ أَجْرُوا عِيُونَ الْعِيُونِ بَيْنَ الْعَقِيقِ وَبَيْنَ اللَّوَى^١
دُمُوعاً كَثُرْنَ فَلَوْ أَنَّهُ أَتَاهُنَّ وَقَدْ مَنَى لَارْتَوَى^٢
لَقَدْ أَتَمَنَى زَمَاناً يُضَمُّ بِكَ الشَّمْلُ وَهُوَ لِقَلْبِي هَوَى

١ العقيق واللوى : موضعان .

٢ مَنَى : موضع بمكة ، ويشير بقوله ارتوى : إلى يوم تروية الحجاج بالماء .

مجنون المربد

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن إجازة قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال : حدثنا أبو بكر بن خلف قال : حدثني محمد بن الفضل قال : حدثني بعض أهل الأدب عن محمد بن أبي نصر الأزدي قال : رأيتُ بالبصرة مجنوناً قاعداً على ظهر الطريق بالمربد ، فكلّما مرّ به ركبٌ قال :
 ألا أيتها الركبُ اليمانون عترجوا علينا ، فقد أمسى هوانا يمانيا
 نُسائلُكم : هل سالَ نَعمانُ بعدنا فَحَبَّ إلَيْنَا بطنُ نَعمانَ وآديا
 قال : فسألتُ عنه فقيل : هذا رجلٌ من أهلِ البصرة : كانت له ابنةٌ عمٌ ،
 وكان يحبّها فتزوجها رجلٌ من أهل الطائف فنقلها ، فتولّه عليها .

إبراهيم بن المهدي والشعر

كتب إلي أبو غالب بن بشران من واسط قال : أخبرنا ابن دينار قال : أخبرنا أبو الفرج
 الأصمغاني في كتاب الأغاني قال : حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال : حدثني الحسين بن اسحاق
 قال : حدثني خالد قال :
 لما بُويِعَ لإبراهيم بن المهدي بالخلافة طَلَبَني ، وقد كان يعرفني ،
 وقد كنتُ متّصلاً ببعض أسبابه ، فأدخلتُ إليه ، فقال : أنشدني يا خالدُ شيئاً
 من شعركَ ! فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ايس من الشعر الذي قال فيه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : إنَّ من الشَّعرِ لحِكْمًا ، وإنّما أمزحُ وأهزلُ . قال :
 لا تقلُ هذا ! ها أنشدني ، فأنشدته :

عِشْ فَحُبُّبُكَ سَرِيعاً قَاتِلِي وَالضُّعَى إِن لَمْ تَصِلْني وَاصِلِي
 ظَفِيرَ الشَّوْقِ بِقَلْبٍ دَنَفٍ فِيكَ وَالسُّقْمُ بِجِسْمٍ نَاحِلِ
 فَهُمَا بَيْنَ اكْتِثَابٍ وَضَنْئِي تَرَكَانِي كَالْقَضِيبِ الذَّائِلِ
 قال : فاستملحَ ذلك ووصلني .

راكب القصبة

أخبرنا أبو غالب بن بشران في ما كتب به إلينا قال: أخبرنا ابن دينار قال: أخبرنا أبو الفرج الأصماني قال: حدثني حمزة بن أبي سلافة الشاعر قال:

دخلتُ بغداد في بعض السنين ، فبينما أنا مارٌّ في الجنيّة إذا أنا برجلٍ عليه
مُبطّنةٌ نظيفةٌ ، وعلى رأسه قلنسوةٌ سوداءُ ، وهو راكبٌ قصبةً
والصبيان يصيحون خلفه: يا خالد ، يا بارد ! فإذا أذّوه حمل بالقصبة عليهم ،
فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرّقوا وأدخلته بُستاناً هنالك ، فجلّست واستراح ،
واشتريتُ له رطباً فأكل . واستشدته فأنشدني :

قد حازَ قلبي فصّارٌ يملكُهُ فكيفَ أسلُو وكيفَ أتركُهُ
رطيبُ جِسْمٍ كالماءِ تحسبُهُ يخطرُ في القلبِ منه مسلِكُهُ
يكادُ يجري من القميص من النّـمّةِ لولا القميصُ يُمْسِكُهُ
فاستردته ، فقال : ولا حرف .

الأمين وحبّه للشعر

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي ، رحمه الله ، في ما أذن لنا في روايته قال : أخبرنا
محمد بن العباس بن حيويه قال: حدثنا العباس بن المفيرة الجوهري قال : حدثنا أبو نصر محمد
ابن موسى الطوسي قال : حدثنا عبد الله بن أحمد أبو هفان قال : حدثني أبو نواس قال :

دخلتُ على الأمين أمير المؤمنين ، وهو قاعد في قبة له ، ومعه جارية لم أرَ
قطّ أحسنَ منها . قال : وإذا على جبينِ الجارية مكتوبٌ بالغالية ممّا

١ الغالية : أغلاط من الطيب .

عَمِلَ فِي طِيرَازٍ : الله ، وعلى رأسها لِكَلِيلٍ " وفي حَجَرِهَا عودٌ " ، وإذا على
الإِكَلِيلِ مَكْتُوبٌ :

واللهِ يا طَرْفِي الجَانِي على كَبِيدِي لأُطْفِئَنَّ بِدَمْعِي لَوَعَةَ الحَزَنِ
بِاللهِ تَطْمَعُ أَنْ أَبْلَى هَوَى وَجَوَى وَأَنْتَ تَلْتَدُّ طَيْبَ العَيْشِ وَالْوَسَنِ
وإذا على العودِ مَكْتُوبٌ :

يا أَيُّهَا الزَّاعِمُ الَّذِي زَعَمَا أَنْ الهَوَى لَيْسَ يورِثُ السَّقَمَا
لو أَنَّ ما بِي بِكَ الغَدَاةَ لَمَّا لُمْتُ مَحِيئًا إذا شكا أَلَمَا
قال : وبينَ أَيْدِيهِمَا صَبِينِيَّةٌ ذَهَبٌ . قال : وإذا على الصَّبِينِيَّةِ مَكْتُوبٌ :
لأَشِيءُ أَحْسَنُ مِنْ أَيَّامِ جُلُوسِنَا إذْ نَجْعَلُ الرُّسُلَ في ما بَيْنَنَا الحَدَقَا
وإذا حَوَاجِبُنَا تَقْضِي حَوَائِجِنَا وَشَكَلُنَا في الهَوَى نَلْقَاهُ مُتَفِقَا
لَيْتَ الوُشَاةَ بَيْنَا وَالْحَاسِدِينَ لَنَا في لُجَّةِ البَحْرِ مَاتُوا كُلَّهُمْ غَرَقَا
أَوْ لَيْتَ مَنْ عَابَنَا أَوْ ذَمَّ جُلُوسِنَا شُبَّتْ عَلَيْهِ ضِرَّامُ النَّارِ فَاحْتَرَقَا
وإذا على المَغْسَلِ مَكْتُوبٌ :

لو كَانَ يَدْرِي مالِكٌ ما الَّذِي أَلْقَى مِنَ الأَحْزَانِ والكَرْبِ
وَمَا أَلَا فِي مِنَ أَلِيمِ الهَوَى عَذَّبَ أَهْلَ النَّارِ بِالحُبِّ
قالَ فَمَلَأَ الكَأْسَ وَأَعْطَانِي ، وإذا على الكَأْسِ مَكْتُوبٌ :

الحَمْدُ لله على ما قَضَى قَدْ كَانَ ذا في القَدَرِ السَّابِقِ
ما تَحْمِلُ الأَرْضُ على ظَهْرِهَا أَشَقَى وَلَا أَوْثَقَ مِنْ عَاشِقِ

١ الضرام : دقيق الحطب ، أنث الفعل قبله مجازاة للمعنى .

٢ مالِك : هو الذي يعذب أهل الإثم بالنار .

فَبَيْنَمَا يَمْشِي عَلَى مَرْمَرٍ إِذَا بِهِ بِسْقَطٍ مِنْ حَالِي
 قال : فشربتُ الكأسَ وناولتهُ ، فحَيَّاني بِتُفَّاحَةٍ وَأُتْرُجَةٍ ١ ، وإذا
 على التُّفَّاحَةِ مَكْتُوبٌ بِالذَّهَبِ :

تُفَّاحَةٌ تَأْكُلُ تُفَّاحَةً ، يا لَيْتِي كُنْتُ الَّتِي تُؤْكَلُ
 فَالْتَمْتُ الثَّغَرَ ، إِذَا عَضَّتْ بَعِلَّةُ الْأَكْلِ ، وَلَا أُؤْكَلُ
 قال وإذا على الأُتْرُجَةِ مَكْتُوبٌ :

يا لَكَ أُتْرُجَةٌ مُطَيَّبَةٌ تُوقِدُ نَارَ الْهَوَى عَلَى كَيْدِي
 لو أن أُتْرُجَةً بَكَتْ لَبَكَتْ لِرَحْمَتِي هَذِهِ الَّتِي بِيَدِي

هوى الملاح بلاء

ولي من غزل قصيدة مدحتُ بها أحد بني منقذ :

أَيْتَهَا الرَّاحِلُونَ مِنْ بَطْنِ نَجْدٍ ، فَرِكَابُ النَّوَى بِهِمْ تَتَرَامَى
 إِنْ أَتَيْتُمْ وَادِي الْأَرَاكِ فَأَهْدُوا لَسَلِيمِي نَحِيَّتِي وَالسَّلَامَا
 وَاطْلُبُوا لِي قَلْبِي وَآيَتُهُ أَنْ تَجِدُوا فِيهِ مِنْ هَوَاهَا سِهَامَا
 وَرِدُّوا مَاءَ نَازِلِي عِيَّوَضَ الْغَدِّ رَأْنٍ وَارْعَوْا بَيْنَ الْحِشَا لَا الْخُزَامَا

ولي أيضاً ابتداء قصيدة :

كُفَّتِي مَلَامَكَ عَنْهُ وَالْعَدَلَا ، قَدْ ضَاقَ ذَرْعاً بِالَّذِي حَمَلَا
 وَدَعَيْ مَدَامِعَهُ تَسِيحٌ وَإِنْ لَمْ تُطْفِ مِنْ نَارِ الْهَوَى شُعَلَا

١ الأترجة : ما تسيها العامة ليمونة كباد .

وَذَرِيهِ بِرْفُلٍ فِي غَلَائِلَ مِنْ نَسَجِ الْغَلِيلِ يَجْرَهَا وَمُلَا
يَا أُخْتَ كِنْدَةَ ! رَفْهِي كِيداً شَرِبْتُ مَفَاصِلُهُ الْهَوَى نَهَلَا
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَةً مَوَاقِفَنَا ، وَالْبَيْنُ يَضْحَكُ بَيْنَنَا جَدَلَا
وَالدَّمْعُ قَدْ سَالَ الْكَثِيبُ بِهِ حَتَّى لَكَادَ يُسِيلُ الْمُقْلَا
لَرْتَيْتِ لِلْعُشَّاقِ رَاحِمَةً ؛ وَعَلِمْتَ أَنَّ هَوَى الْمِلَاحِ بَلَا

حجر من أرض لوط

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل الأزجي قراءة عليه قال : أخبرنا
علي بن جعفر السرواني الصوفي بمكة قال : سمعت المواربي يقول ، قال لي رجل
من الحاج :

مررتُ بديارِ قومِ لوطٍ وأخذتُ حَجَرًا مِمَّا رُجِمُوا بِهِ ، وَطَرَحْتُهُ
فِي مَخْلَاةٍ ، وَدَخَلْتُ مِصْرَ ، فَتَرَلْتُ فِي بَعْضِ الدُّوَرِ فِي الطَّبَقَةِ الْوُسْطَى ، وَكَانَ
فِي أَسْفَلِ الدَّارِ حَدَثٌ ، فَأَخْرَجْتُ الْحَجَرَ مِنْ خُرْجِي ، وَوَضَعْتُهُ فِي رَوْزَنَةٍ^٢
فِي الْبَيْتِ ، فَدَعَا الْحَدِثُ الَّذِي كَانَ فِي أَسْفَلِ الدَّارِ صَبِيًّا إِلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ
فَسَقَطَ الْحَجَرُ عَلَى الْحَدِثِ مِنَ الرَّوْزَنَةِ فَقَتَلَهُ .

١ الملاسهل ملاء ، الواحدة ملاءة : ثوب يلبس على الفخذين ، وريطة ذات لفقين .

٢ الروزنة : الكوة في السقف .

فاسق لم يغفر له

أخبرنا أبو الحسين محمد بن عثمان بن مكي بقراءتي عليه بمصر قال : أخبرنا جدي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زريق قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا المقرئ قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن الحكم يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول :
 خَرَجْتُ حَاجًّا إِلَى مَكَّةَ فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ عُرْفَاتٍ رَأَى الْإِمَامُ الَّذِي حَجَّ بِنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِمِئْنَى مَنَامًا ، فَلَمَّا صِرْنَا بَعْدَ الْحَجِّ إِلَى مَكَّةَ ، بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَجِّ ، بَعَثْنَا تِلْكَ اللَّيَالِي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْخَلَّاقُ جُلُوسٌ ، إِذْ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي فَوْقَ الْحَجَرِ : أَنْصِتُوا ، يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْحَجِيجِ ، فَأَنْصَتُوا ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْحَجِيجِ : إِنَّ إِمَامَكُمْ رَأَى أَنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، قَدْ غَفَرَ لِكُلِّ مَنْ وَافَى الْعَامَ الْبَيْتَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا فَإِنَّهُ فَسَقَ بِغُلَامٍ .

امرأة صاحب المسحاة والمملك

أخبرنا الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قراءة عليه في ذي القعدة ، سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن منصور البشكري قال : حدثنا أبو عبد الله بن عرفة قال : حدثني محمد بن موسى السامي قال : حدثنا روح بن أسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي البختري عن سلمان قال :
 كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ امْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ ، وَكَانَتْ عِنْدَ رَجُلٍ يَعْمَلُ بِالمِسْحَاةِ^١ ، فَكَانَ إِذَا جَاءَ بِاللَّيْلِ قَدَمَتْ لَهُ طَعَامَهُ ، وَفَرَشَتْ لَهُ فِرَاشَهُ ، فَبَلَغَ خَبَرُهَا مَلِكَ ذَلِكَ الْعَصْرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا عَجُوزًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَتْ لَهَا : مَا تَصْنَعِينَ بِهَذَا الَّذِي يَعْمَلُ بِالمِسْحَاةِ ! لَوْ كُنْتُ عِنْدَ الْمَلِكِ لَكَسَاكَ

١ ١٠٤٦ م .
 ٢ المسحاة : كالمجرفة .

الحرير ، وفرسك الديباج ، فلما وقع الكلام في مسامعها جاء زوجها بالليل ، فلم تقدم له طعامه ، ولم تفرش له فراشه ، فقال لها : ما هذا الخلق يا هتاه^١ ! فقالت : هو ما ترى . فقال : أطلقتك ؟ قالت : نعم ، فطلقتها . فتزوجها ذلك الملك ، فلما زفت إليه نظر إليها فعسى ، ومد يده إليها فجفت . فرفع نبي ذلك العصر خبرهما إلى الله ، عز وجل ، فأوحى الله تعالى إليه : أعلمهما أني غير غافر لهما ؛ أما عليما أن بعيني ما عملا بصاحب المسحاة ؟

يقتل جاريته بريية

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : حدثنا اسماعيل بن سعيد بن سويد قال : حدثنا الحسين بن القاسم قال : حدثنا عبيد الله بن خرداذبة قال : أخبرني موسى بن المأمون قال :

كان فروح الزنء يعيش جارية بالمدينة يقال لها ربهه ثم اشراها فقال : يا ربهه لم يبق لي شيء أسر به غير الجلوس ، فتسقينني وأسقيك وتمزجين بريق منك لي قدحا ، وتشتقي بكم نفسي وأشفيك يا ربهه ما مستي شيء أغم به إلا تفرج عني حين آتيك قال ثم عثر على ربهه بينها وبين جارية له ، فقتلها ، فقال ابن الحيات المدني :

تنجد واستشري على قتل كاعيب ، كأن قضاض المسك منها النفس^٢
فمالت على الكفين خود غريرة^٣ ، كما بات بين الراح والصهب نرجس^٤

١ يا هتاه : أي يا غلاة .

٢ تنجد : ارتفع . استشري : لج في الأمر . القضاض : ما تفرق من الشيء عند كسره .

٣ الراح : الخمرة . الصهب ، الواحد أصهب : الذي يخالط بياضه حمرة ، ولا نعلم ما المراد به هنا .

قتيل لا يودی

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن فارس قال :
 أخبرنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال : حدثني أبو بكر محمد بن خلف قال :
 حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري قال : حدثنا عمي قال : حدثني أبي عن صالح بن كيسان قال :
 حدثني ابنُ شهابٍ أن القاسم بن محمد أخبره أن رجلاً ضافَ ناساً من
 هَذِيل ، فخرَجَتْ لهم جاريةٌ ، واتَّبَعها ذلك الرجل ، فأرادها على نفسها
 فتعافسَا في الرَّمْلِ ، فرمته بحجر ، ففضَّضَتْ كَبِيدَه ، فبلغَ ذلكَ عُمَرَ ، رحمه
 الله ، فقال : ذاك قَتيلُ الله لا يودی^١ أبداً .

يقتلها ويكي عليها

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قال : حدثنا أبو عمر محمد بن العباس الخزاز
 قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف القاضي قال : حدثني أبو عبد الله اليمامي عن العتبي عن
 أبيه قال :
 كان رجلٌ من العرب تحتَه ابنةٌ عمٌّ له ، وكان لها عاشقاً ، وكانت امرأةً
 جميلةً ، وكان من عشقه لها أنه كان يقعدُ في دهليزه معَ نُدَمائِهِ ، ثمَّ
 يدخلُ ساعةً بعد ساعةٍ ينظرُ إليها ، ثمَّ يرجعُ إلى أصحابه عشقاً لها ، فطَبَنَ
 لها^٢ ابنُ عمِّ لها ، فاكتَرَى داراً إلى جنبه ، ثمَّ لم يزلْ يرأسِلُها حتى أجابتهُ
 إلى ما أراد ، فاحتالَتْ ، فنزلت إليه ، ودخلَ الزوجُ كعادته لينظرَ إليها ،
 فلم يرَها ، فقال لامرأةٍ : أين فُلانة ؟ قالت : تقضي حاجَةً ، فطلَبَها في

١ تعافسا : تصارعا .

٢ يودی : تدفع ديتة أي بدل دمه .

٣ طبن لها : فطن لها .

الموضع ، فلم يجدها ، فإذا هي قد نزلت ، وهو ينظرُ إليها ، فقال لها : ما وراءك ؟ فوالله لتصدقني . قالت : والله لأصدقنك ، من الأمر كيت وكيت ، فأقرت له ، فسل السيف فضرَبَ عنقَها ، وقتل أمها ، وهرب ، وأنشأ يقول ١ :

يا طلعةً طَلَعَ الحِمامُ عَلَيْهَا فجئني لَمَّا نَمَرَ الرَّدَى بِيَدِهَا

رَوَيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَّرَى ، وَلَطَمْنَا رَوَى الهَوَى شَفِيًّا مِنْ شَفِيَّتِهَا

حَكَمْتُ سِيفِي فِي مَجَالِ خِنَاقِهَا ، وَمَدَامَعِي تَجْرِي عَلَى خَدَيْهَا

مَا كَانَ قَتْلُهَا لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْشَى إِذَا سَقَطَ الْغُبَارُ عَلَيْهَا

لَكِنْ بَخَلْتُ عَلَى الْعُيُونِ بِحُسْنِهَا ، وَأَنْفَتُ مِنْ نَظَرِ الْعُيُونِ إِلَيْهَا

قال : وزادني غيرُ أبي عبد الله : وكان لها أختٌ شاعرةٌ فقالت تُجيبُهُ :

لَوْ كُنْتُ تُشْفِقُ أَوْ تَرْقُ عَلَيْهَا لَرَفَعْتُ حَدَّ السِّيفِ عَنْ وَدَجِيهَا ٢

وَرَحِمْتُ عِبْرَتَهَا وَطَوَّلَ حَنِينِهَا ، وَجَزَعْتُ مِنْ سَوْءِ يَصِيرُ إِلَيْهَا

مَنْ كَانَ يَفْعَلُ مَا فَعَلَتْ بِمِثْلِهَا ، إِذْ طَاوَعَتْكَ ، وَخَالَفَتْ أَبَوَيْهَا

فَتَرَكْتُهَا فِي خِيَدِهَا مَقْتُولَةً ، ظُلُمًا ، وَتَبَكِّي ، يَا شَقِيًّا ، عَلَيْهَا

١ هذه الأبيات لديك الجن .

٢ تشفق : تخاف وتحاذر ، ودجيتها مثني ودج : عرق في العنق ينتفخ عند الغضب .

ظبيات لهن أسرى وقتلى

ولي ابتداء قصيدة :

بينَ بابِ ابرزوا ونهرِ المُلَى ظبياتٌ لهنَّ أسرى وقتلى
فتاياتٌ حللنَّ ، يومَ التَّقِينَا ، من دمي بالإعراضِ ما ليسَ حلاً
هَجَرُوا مع تصاقُبِ الدارِ ، واسنَ لَ هَوَاهُم مِّن جِسْمِي الرّوحَ سَلاً
وَأَبَوْا أَن يُسَامِحُوا بِحُبَالٍ رُبَّمَا نَفَسَ الهُمومَ وَسَلاً
فَعَلَيْهِم ، مع الصبي والتصابي مِّن سلامي، مَا دَقَّ مِنْهُ وَجَلًا

إهدار دم الفاسق

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن فارس قال :
حدثنا أبو الحسين بن بيان الزبيبي قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف المحولي قال : حدثنا
أحمد بن زهير قال : حدثنا داود بن رشيد قال : حدثنا أبو المليح عن الزهري قال :
كان رجلٌ يهوى امرأةً ، فأرادها ، فأغلقت البابَ دونه ، فأدخلَ الرجلُ
رأسه من إسكفة الباب^١ ، فأخذتِ المرأةُ حجراً أو خشبةً ، فضربتْ رأسه
فدَمَعَتْهُ ، فرفَعَ ذلكَ إلى عبد الملك بن مروان فقال : به لا بظبي^٢ ،
وأهدرَ دمه .

١ الحبال : الامتلاء ، يقال به حبال من الشرب أي امتلاء . ولعل هذه اللفظة محرفة .

٢ إسكفة الباب : خشبته .

٣ دمغته : أصابت دماغه . به لا بظبي : مثل يقال عند نفي العدو .

عمر وابنة الشيخ الأنصاري

أخبرنا أبو طاهر بن السواق قال : حدثنا محمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني الليث قال :

قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَا أَهْلُرُ دَمَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَإِنَّهُ أُنِّي يَوْمًا بَغْتَى أَمْرَدٍ قَدْ وَجِدَ قَتِيلًا مُلْقَى عَلَى وَجْهِ الطَّرِيقِ . فَسَأَلَ عُمَرُ عَنْ أَمْرِهِ وَاجْتَنَهْدَ فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ ، وَلَمْ يُعْرِفْ لَهُ قَاتِلًا . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَظْفِرْ قَتِيلِي بِقَاتِلِهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ رَأْسُ الْحَوَلِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ وَجِدَ صَبِيًّا مَوْلُودًا مُلْقَى بِمَوْضِعِ الْقَتِيلِ ، فَأُنِّي بِهِ عُمَرُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : ظَهَرَتْ بِدَمِ الْمَقْتُولِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى امْرَأَةٍ وَقَالَ لَهَا : قَوْمِي بِشَأْنِهِ ، وَخَلَدِي مِنْهُ نَفَقَتَهُ ، وَانظُرِي مَنْ يَأْخُذُهُ مِنْكَ ، فَإِذَا وَجَدْتِ امْرَأَةً تَقْبَلُهُ وَتَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهَا ، فَأَعْلِمِيَنِي بِمَكَانِهَا .

فَلَمَّا شَبَّ الصَّبِيُّ ، وَطَابَ ، جَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ : إِنَّ سَيِّدَتِي بَعَثَنِي إِلَيْكَ ، لِتَبْعِي بِالصَّبِيِّ لِرَأَاهُ وَتَرُدَّهُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : نَعَمْ أَذْهَبِي بِهِ إِلَيْهَا ، وَأَنَا مَعَكَ ، فَذَهَبَتْ بِالصَّبِيِّ ، وَالْمَرْأَةُ مَعَهَا ، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى سَيِّدَتِهَا ، فَلَمَّا رَأَتْهُ أَخَذَتْهُ فَقَبَّلَتْهُ وَضَمَّتْهُ إِلَيْهَا ، وَإِذَا هِيَ بِنْتُ شَيْخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَتْ عُمَرَ خَبَرَ الْمَرْأَةِ ، فَاشْتَمَلَ عُمَرُ عَلَى سَيْفِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى مَنْزِلِهَا ، فَوَجَدَ أَبَاهَا مُتَكَيِّئًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَقَالَ : يَا أَبَا فَلَانِ ! مَا فَعَلْتَ ابْنَتَكَ فُلَانَةَ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَزَاها اللَّهُ خَيْرًا ، هِيَ مِنْ أَعْرَفِ النَّاسِ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَحَقِّ أَبِيهَا ، مَعَ حُسْنِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا ، وَالْقِيَامِ بِدِينِهَا . فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَدْخُلَ عَلَيْهَا فَأَزِيدَهَا رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَأَحْشُهَا عَلَى ذَلِكَ . فَقَالَ الشَّيْخُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ لَهُ : امْكُثْ مَكَانَكَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ .

فاستأذنَ عمرُ عليها، فلمّا دخلَ أمرَ عمرُ كلَّ مَنْ كانَ عندَها بالخروجَ،
فخرجوا عنها ، وبقيتُ هي وعمرُ في البيتِ ليسَ مَعَهُما أحدٌ ، فكشَفَ
عمرُ عنَ السيفِ فقال : لَتَصْدُقَنِي ، وكانَ عمرُ لا يكذبُ ، فقالتُ : على
رِسْلِكَ يا أميرَ المؤمنين ، على الخبيرِ وقعتُ، فواللّهِ لأصدُقَنَّ : إنَّ عجوزاً
كانتُ تدخلُ عليّ ، فاتخذتها أمّاً ، وكانت تقوم من أمري بما تقوم به الوالدة ،
وكنْتُ لها بمنزلة البنت ، فأمضتُ بذلكَ حيناً ، ثمَّ لَمَّا قالتُ : يا بُنَيَّةُ إِنَّهُ قد
عرَّضَ لي سفرٌ ، ولي بنتٌ في موضعٍ أتخوفُ عليها فيه أن تضيعَ ، وقد أحببتُ
أن أضُمَّها إليك ، حتى أرجعَ من سَفَرِي ، فعمدَت إلى ابنِ ، كان لها ، شابّة
أمرَدَ قَهِيَّاتِهِ كَهَيَّاتِهِ الجاريةِ ، وأتتني به ، وأنا لا أشكُ أَنَّهُ جاريةٌ ، فكان
يرى مِنِّي ما ترى الجاريةُ من الجاريةِ ، حتى اغتفلني يوماً وأنا نائمةٌ ، فَمَا
شعرتُ حتى علاني وخالطني ، فمَدَدْتُ يدي إلى شَفَرَةٍ كانتُ إلى جَنبِي
فقتلتهُ ، ثمَّ أمرتُ بهِ فَأَلْقَيْتُ حَيْثُ رَأَيْتُ ، فاشتملتُ منه على هذا الصبيِّ ،
فلمّا وَضَعْتُهُ أَلْقَيْتُهُ فِي مَوْضِعِ أَبِيهِ ، فهذا واللّهِ خبرُهُما على ما أعلمُكَ .
فقال لها عمرُ ، رحمة الله عليه : صدقتِ بآركَ اللّهُ فيكَ ! ثمَّ أوصّاها
وَوَعظَهَا ، ودعا لها ، وخرَجَ من عندها ، وقال لأبيها : بآركَ اللّهُ في ابنتِكَ ،
فنعِمَ الابنةُ ابنتُكَ ، وقد وعظتُها وأمرتُها . فقال له الشيخُ : وَصَلَّكَ اللّهُ
يا أميرَ المؤمنين ، وَجَزَاكَ خيراً عن رعيَتِكَ !

سوسنُ العابدة ومراوداها

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا ابن فارس قال : حدثنا الزبيبي قال :
حدثنا محمد بن خلف قال : حدثني أحمد بن زهير قال : قال غيلان : حدثنا أبو عروقة عن
إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأودي قال :

كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَابِدَانِ وَكَانَتْ جَارِيَّةٌ يُقَالُ لَهَا سَوْسَنُ^١ ،
عَابِدَةٌ ، وَكَانُوا يَأْتُونَ بُسْتَانًا فَيَتَقَرَّبُونَ فِيهِ بِقُرْبَانٍ لَهُمْ ، فَهَوِيَ الْعَابِدَانِ
سَوْسَنَ فَكَتَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ ، وَاخْتَبَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
خَلْفَ شَجَرَةٍ يَنْظُرَانِ إِلَيْهَا ، فَبَصُرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ ، فَقَالَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ : مَا يُقِيمُكَ ههنا ؟ فَأَفْشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى
صَاحِبِهِ حُبَّ سَوْسَنَ ، فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يُرَاوِدَاها عَنْ نَفْسِهَا ، فَلَمَّا جَاءَتْ
لِتَقَرَّبَ قَالَا لَهَا : قَدْ عَرَفْتَ طَوَاعِيَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَنَا ، فَإِنْ لَمْ تُؤَاتِنَا قُلْنَا ،
أَصْبَحْنَا : إِنَّا أَصَبْنَا مَعَكَ رَجُلًا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ فَاتِنَا ، وَإِنَّا أَخَذْنَاكَ ،
هَالَتْ لَهَا : مَا كُنْتُ لِأُطِيعَكُمَا ، فَأَخَذَاها ، وَأَخْرَجَاها ، وَقَالَا : أَخَذْنَا
سَوْسَنَ مَعَ رَجُلٍ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ سَبَقْنَا وَذَهَبَ ، فَأَقَامُوا سَوْسَنَ عَلَى
المُصْطَبَةِ ، فَكَانُوا يُقِيمُونَ المَذْنِبَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَتَنَزَّلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ ،
فَتَأْخُذُهُ ، فَأَقَامُوا سَوْسَنَ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ جَاءَ دَانِيَالُ ، وَهُوَ
ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةً ، فَوَضَعُوا لَهُ كُرْسِيًّا ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :
قَدْ مَوَّهَمَا إِلَيَّ ! فَجَاءَا كَالْمُسْتَهْزِئَيْنِ ، فَقَالَ : فَرَقُوا بَيْنَ الشَّاهِدَيْنِ ! فَقَالَ
لأَحَدِهِمَا : خَلْفَ أَيِّ شَجَرَةٍ رَأَيْتَهَا ؟ فَقَالَ : وَرَاءَ تَفَّاحَةٍ ، وَقَالَ لِلآخَرِ :
خَلْفَ أَيِّ شَجَرَةٍ رَأَيْتَهَا ؟ فَاخْتَلَفَا ، فَتَنَزَّلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فَأَحْرَقَتْهُمَا ،
وَأَفْلَحَتْ سَوْسَنُ .

قال أبو بكر : وفي خبرٍ آخَرَ أَنَّهَا وَقَفَتْ لَتُرْجِمَ فَتَنَزَّلَ الْوَحْيُ عَلَى
دَانِيَالٍ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ .

١ هي سوسنة المذكورة قصتها في نبوة دانيال في التوراة .

يخون الغازي فيقتل

أخبرنا أبو علي زيد بن أبي حيويه القاضي بمدينة تنيس في سنة خمس وخمسين واربعمائة^١ قال :
حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن نصر قال : حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد
السمرقندي بتنيس قال : حدثنا أحمد بن شيان الموصلي قال : حدثنا مؤمل عن حماد بن سلمة
وحمد بن زيد عن أيوب :

أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ غَازِيًا ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ جِيرَانِهِ فَأَبْصَرَ فِي بَيْتِهِ ذَاتَ
لَيْلَةٍ مِصْبَاحًا ، فَقَامَ قَرِيبًا مِنْ مَنَزِلِهِ ، فَسَمِعَ :

وَأَشْعَثَ غَرَّةُ الْإِسْلَامِ مِنْي خَلَوْتُ بُعِيرَسِهِ لَيْلَ التَّمَامِ^٢

أَبَيْتُ عَلَى تَرَائِبِهَا وَيُضْحِي عَلَى جَرْدَاءٍ لَاحِقَةِ الْحِزَامِ^٣

كَأَنَّ مَوَاضِعَ الرِّبَلَاتِ مِنْهَا فِثَامٌ^٤ يَنْتَسِمِينَ إِلَى فِثَامِ

قال : فدخل عليه فقتله ، ثُمَّ رَمَى بِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ عَمْرُؤُ
فَقَامَ يَخْطُبُ النَّاسَ فَقَالَ : أَنْشَدُ اللَّهَ رَجُلًا ، وَأَعَزُّمُ عَلَى مَنْ عِلْمُ مِنْ هَذَا
الرَّجُلِ عِلْمًا إِلَّا أَخْبَرْنَا بِهِ . فَقَامَ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى وَبِمَا سَمِعَ ، فَقَالَ
عَمْرُؤُ : اقْتُلْ ! قَالَ : فَعَلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

١ ١٠٦٣ م .

٢ الأشمث : المغبر الشعر . ليل التمام : ليلة البدر .

٣ الترائب ، الواحدة تريبة : أعلى الصدر . الجرداء : الفرس القليلة الشعر . اللاحقة الحزام : الضامرة .

٤ الربلات ، الواحدة ربله : أصول الأنفاذ . الفثام : الجماعة من الناس .

ما أذنت إلا ذنب صحر

أنبأنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ولقيته بمدينة الرسول ، صل الله عليه وآله وسلم ، في سنة ست وأربعين وأربعمائة ١ قال : أخبرنا أبو مسلم الكاتب قال : أخبرنا ابن دريد قال : حدثنا المكي عن ابن أبي خالد عن الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال :

كان لقمان بن عاد بن عاديا ، الذي عُمِّرَ عمرَ سبعةِ أنسُرٍ ، مُبْتَلًى بالنساء ، وكان يَتَزَوَّجُ المرأةَ فَتَخُونُهُ ، حتى تَزَوَّجَ جاريةً صَغِيرَةً لم تعرف الرجال ، ثم فَقَرَ لها بيتاً في صَفْحٍ ٢ جبل ، وجعلَ له دَرَجَةً بِسَلْسَلٍ يُتَزَلُّ بها وَيُصْعَدُ ، فإذا خَرَجَ رُفِعَتِ السَّلْسِلُ ، حتى عَرَضَ لها فتى من العَمَالِقِ فَوَقَعَتْ في نَفْسِهِ ، فَأَتَى بِنِي أَبِيهِ ، فقال : والله لأَجْنِبَنَّ عليكم حرباً لا تقومونَ لها ! قالوا : وَمَا ذاك ؟ قال : امرأة لقمان بن عاد هي أحبُّ إليَّ . قالوا : فكيف نَحْتالُ لها ؟ قال : اجتمعوا سيوفكم ثم اجعلوني بينها ، وتشدُّوها حِزْمَةً عَظِيمَةً ، ثم اتنوا لقمان ، فقولوا : إِنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَسَافِرَ ، وَنَحْنُ نَسْتَوْدِعُكَ سيوفنا حتى نَرْجِعَ ، وَنَسَمِّوا له يوماً ! ففعلوا وأقبلوا بالسيوف فدفعوها إلى لقمان ، فوَضَعَهَا في نَاحِيَةِ بَيْتِهِ .

وَوَخَّرَجَ لقمانُ وَتَحَرَّكَ الرَّجُلُ فَخَلَّتِ الْجَارِيَةُ عَنْهُ ، فَكَانَ يَأْتِيهَا ، فإذا أَحَسَّتْ بِلُقْمَانَ جعلته بينَ السيوفِ حتى انقَضَتِ الأَيَّامُ ؛ ثُمَّ جَاوُوا إلى لقمان فاسترجعوا سيوفهم ، فَرَفَعَ لقمانُ رَأْسَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فإذا نُخَامَةٌ تنوسُ ٣ في سَقْفِ الْبَيْتِ ، فقال لامرأته : من نَحْمَ هذه ؟ قالت : أنا ، قال : فتنخمي ! ففعلت ، فلم تَصْنَعْ شيئاً ، فقال : يا وَلَيْلَاهُ ! وَالسَّيُوفُ دَهَتْنِي ؛ ثُمَّ رَمَى

١ ١٠٥٤ م .

٢ صفح : جانب .

٣ النخامة : ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه . تنوس : تتحرك .

بها من ذُرْوَةِ الْجَبَلِ فَتَقَطَّعَتْ قِطْعاً ، وَانْحَدَرَ مُغَضَّباً ، فَلِذَا ابْنَةُ لَهُ يُقَالُ
لَهَا صَحَرُ فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبَتَاهُ ! مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : وَأَنْتِ أَيْضاً مِنَ النِّسَاءِ ،
فَضْرَبَ رَأْسَهَا بِصَخْرَةٍ فَقَتَلَهَا ، فَقَالَتِ الْعَرَبُ : مَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ
صَحَرٍ ، فَصَارَتْ مِثْلَهَا .

٨ الحسنة المهجورة

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال :
حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان المحولي قال : حدثني عبد الله بن عمرو قال : حدثني علي بن
عبد الله بن سليمان النوفلي قال : ذكر أبو المختار عن محمد بن قيس العبدي قال :

إِنِّي لِبِالْمُرْدَلِفَةِ^١ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ ، إِذْ سَمِعْتُ بُكَاءً مُتَابِعاً وَنَفْساً
عَالِياً ، فَاتَّبَعْتُ الصَّوْتَ ، فَلِذَا أَنَا بِبِجَارِيَةِ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حَسَناً ، وَمَعَهَا
عَجُوزٌ ، فَلَطِطْتُ بِالْأَرْضِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهَا وَأَمْتَعَ عَيْنِي بِحُسْنِهَا ، فَسَمِعْتُهَا
تَقُولُ :

دَعَوْتُكَ يَا مَوْلَايَ سِرّاً وَجَهْرَةً دَعَاءَ ضَعِيفِ الْقَلْبِ عَنْ مَحْمَلِ الْحَبِّ
بُلَيْتُ بِقَبَائِي الْقَلْبِ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى وَأَقْتَلَ خَلْقَ اللَّهِ لِلْهَائِمِ الصَّبِّ
فَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَقْضِ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا فَلَا تُخْلِ مِنْ حُبِّ لِهْ أَبْدَأُ قَلْبِي
رَضِيْتُ بِهِدَا فِي الْحَيَاةِ ، فَإِنْ أُمْتُ فَحَسْبِي ثَوَاباً فِي الْمَعَادِ بِهِ حَسْبِي
وَجَعَلْتُ تُرْدِدُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ، وَتَبْكِي ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا ، فَقُلْتُ : بِنَفْسِي
أَنْتِ ، مَعَ هَذَا الْوَجْهِ يَمْتَنِعُ عَلَيْكَ مِنْ تَرْبِيدِنِهِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، وَاللَّهِ ، وَفِي
قَلْبِهِ أَكْثَرُ مِمَّا فِي قَلْبِي ، فَقُلْتُ : إِلَى كَمْ هَذَا الْبُكَاءُ ؟ قَالَتْ : أَبْدَأُ أَوْ يَصِيرُ

١ أي جوزيت ولم تذهب .

٢ المزدلفة : من مناسك الحج .

الدَّمْعُ دَمًا وَتَتَلَفُ نَفْسِي غَمًّا . فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ هَذِهِ لَأَخْرُ لَيْلَةً مِنْ لَيَالِي الْحَجِّ ، فَلَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ التَّوْبَةَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ ، رَجَوْتُ أَنْ يَذْهَبَ حَبُّهُ مِنْ قَلْبِكَ . فَقَالَتْ : يَا هَذَا ! عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ فِي طَلَبِ رَغْبَتِكَ ، فَإِنِّي قَدْ قَدِمْتُ رَغْبَتِي إِلَى مَنْ لَيْسَ يَجْهَلُ بُغْيَتِي . وَحَوَّلْتُ وَجْهَهَا عَنِّي ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى بُكَائِهَا وَشَعْرِهَا ، وَلَمْ يَفْعَلْ فِيهَا قَوْلِي وَعِظَتِي .

إِنَّمَا يَرْحَمُ الصَّحِيحُ السَّقِيمَا

أَنشَدَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : أَنشَدَنَا ابْنُ حَبِيْبٍ قَالَ : أَنشَدَنَا عَمِيْدُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ قَالَ :
أَنشَدَنِي أَبِي خَالِدُ الْكَاتِبُ :

عِشْتُ مُسْتَهْتَرًا وَعِشْتُ سَلِيْمًا ، حَيْثُ مَا كُنْتُ لَا عِدِمْتُ النَّعِيْمَا
عَجَبْتُ أَنْ تَسْكُونُ يَا حَسَنًا ۖ وَجْهِي رَوْفًا بِعَاشِقِيكَ رَحِيْمًا
بَدَنِي نَاحِلٌ ، وَأَنْتَ صَحِيحٌ ، إِنَّمَا يَرْحَمُ الصَّحِيحُ السَّقِيمَا
عَلِمَ الْخَلْقُ أَنَّ رُوحِي وَجِسْمِي لَقِيْمَا فِي هَوَاكَ أَمْرًا عَظِيْمًا

يَخْصِي الْمَغْنَى

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ ثَابِتُ الْحَافِظِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيْمٍ الْحَافِظُ الْأَصْبَهَانِيُّ بِهَا قَالَ :
حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الطَّبْرَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَعْيَنَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ
الْمُؤَمَّلِيُّ عَنْ عَامِرِ بْنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ حَمَادِ الرَّائِي قَالَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ خَدَمِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
قَالَ :

خَرَجَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَرِيدُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَكَانَ أَغْيَرَ قُرَيْشٍ
وَأَسْرَعَهَا طَيْرَةً ، فَتَرَلَّ مَتَرَلًا مِنْ غَوْرِ الْبَلْقَاءِ بِدَيْرِ لَبْعَضِ الرِّهْبَانِ ،

فَحَفَّ بِالْدِيرِ أَهْلُ الْعَسْكَرِ ، وَكَانَ فِي مَنْ خَرَجَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، يُقَالُ
لَهُ سِنَانٌ ، وَكَانَ فَارِسًا وَمُغْنِيًا مُحْسِنًا ، وَشُجَاعًا ، وَبَغِيرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ عَارِفًا ، وَلَمْ يَكُ يُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ فِي عَسْكَرِهِ ، فَزَارَهُ فِي تِلْكَ
الَّيْلَةِ فَتِيَّةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَعَشَاهُمْ ، وَسَقَاهُمْ ، فَأَخَذَ فِيهِمُ الشَّرَابُ ، فَقَالُوا :
يَا سِنَانُ ! مَا أَكْرَمْتَنَا بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ تُسْمِعِنَا صَوْتَكَ . فَتَرْتَمَ فَعَنَاهُمْ ، فَقَالَ :
مَحْجُوبَةٌ سَمِعَتْ صَوْتِي فَأَرْقَاهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا بَلَغَهَا السَّحَرُ
تَشْتِي عَلَى فَخْذِهَا مُشْنَى مُعْصِفَرَةً وَالْحَلْتِي مِنْهَا عَلَى لَبَائِهَا حَصِيرًا
لَمْ يَحْجُبِ الصَّوْتَ أَحْرَاسٌ وَلَا غَلَقٌ فَدَمَعُهَا لَطْرُوقُ الصَّوْتِ مُنْهَدِرٌ
فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مَا يَدْرِي مُضَاجِعُهَا أَوْجُهُهَا عِنْدَهُ أَنْهَى أَمِ الْقَمَرُ
لَوْ خَلَيْتَ لَمَشْتَ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ تَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ لِلْمَشِيِّ تَنْفَطِرُ
فَلَمَّا سَمِعَ سُلَيْمَانُ الصَّوْتَ قَامَ فَرِعًا يَتَفَتَّهُمْ مَا سَمِعَ ، وَكَانَ مَعَهُ
جَارِيَتُهُ عَوَّانٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا نَظِيرٌ فِي زَمَانِهَا فِي الْجَمَالِ وَالْتِمَامِ وَالْحَذَقِ بِالْغَنَاءِ ،
وَكَانَ يَحِبُّهَا ، فَلَمَّا فَهِمَ الصَّوْتَ ارْتَعَدَتْ فَرَأَيْتُهَا غَيْرَةً ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ
عَوَّانَ ، وَهِيَ خَلْفَ سِتْرٍ ، فَكَشَفَ السِتْرَ رُؤَيْدًا لِيَنْظُرَ أُنَائِمَةً هِيَ أَمْ
مُسْتَقِظَةٌ ، فَوَجَدَهَا مُسْتَقِظَةً ، وَهِيَ صِفَةُ الْآيَاتِ : عَلَيْهَا مُعْصِفَرَةٌ ،
وَحَلِيئُهَا عَلَى لَبَائِهَا ، فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِهِ ، وَعَلِمَتْ بِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ بِأَنِّهَا مُسْتَقِظَةٌ
قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَاتِلَ اللَّهِ الشَّاعِرَ حَيْثُ يَقُولُ :

أَلَا رُبَّ صَوْتٍ جَاءَنِي مِنْ مُشْوَةٍ قَبِيحِ الْمَحْيَا وَأَضِيعِ الْأَبِ وَالْجَدِّ
قَصِيرِ نِجَادِ السِّيفِ جَعَدٍ بَنَانُهُ إِلَى أُمَةٍ يُعْزَى مَعًا وَإِلَى عَبْدٍ

١ الحصر : الضيق .

٢ النصف : أي نصف الشهر ، ليلة الإبدار .

٣ تنفطر : تلتشق .

فسكنَ من غضبه قليلاً ، ثمَّ قالَ لها : فقد رَاعَكَ صَوْتُهُ على ذلك ؟
 فقالت : يا أميرَ المؤمنينَ صَادَفَ مِنِّي استيقاظاً ، فقال : وَيَحْكُ يا عَوَّان !
 كأنه ، والله ، يَرَاكَ وَيَنَعْتُكَ في غنائه في هذه اللَّيْلَة ، والله لأُقَطِّعَنَّه أَطْباقاً
 كائناً ما كان . ثمَّ بعثَ في طلبه فبعثَ عَوَّانُ خادماً إليه سرّاً ، وقالت له :
 إن أَمَرَكَتْهُ فحذَرْتَهُ ، فأنتَ حرٌّ ، ولكَ ديتُهُ . فخرَجَ سليمانُ حتى وَقَفَ
 على بابِ الدَّيرِ ، فسَبَقَتْ رُسُلُ سليمانَ ، فأتوا به إلى سليمانَ مَرْبُوطاً حتى
 وَقَفُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا سنانُ الكلبيُّ فَارِسُكَ يا أميرَ
 المؤمنينَ . فأنشأ سليمانُ يقول :

تَشَكَّلُ في الشَّكْلِ سِنَاناً أُمُّهُ كَانَ لَهَا رِيحَانَةً تَشُمُّهُ
 وَخَالَهُ بِشَكْلِهِ وَعَمُّهُ ذُو سَفِّهِ هَنَاتُهُ تَعُمُّهُ
 فقال سِنَان : يا أميرَ المؤمنين :

إِسْتَبَقَنِي إلى الصَّبَاحِ أَعْتَدِرُ إِن لَسَانِي بِالشَّرَابِ مُنْكَسِرُ
 فَارِسُكَ الْكَلْبِيُّ في يَوْمِ نَكِيرُ فَإِنْ يَكُنْ أَذْنَبَ ذَنْباً أَوْ عَثَرَ
 فَالْسَّيِّدُ الْعَافِي أَحَقُّ مَنْ غَفَرَ

فقال سليمان : أعلِيَّ تَجَرَّيْءِ يا سِنَان ! أما إني لأَقْتُلُكَ ، ولكني سأُنْكَلُّ^١
 بِكَ نَكَالاً^٢ يُوْنَبُّكَ من تَفَحُّلِكَ . فأمرَ به فحُصِيَ ، فسُمِّيَ ذلكَ الدَّيرُ
 دَيْرَ الْحِصْيَانِ .

١ السفه : الجهل . أراد بهناته سيئاته .

٢ نكل به : صنع به صنيعاً يحذر به غيره ويجعله عبرة له .

تقتل حفاظاً على عرضها

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزبيني قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثني اسحق بن محمد قال : حدثنا محمد بن زياد الأعرابي قال :

نَزَلَ رَجُلٌ^١ مِنَ الْعَرَبِ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَاهِلَةٍ ، وَلَيْسَ عِنْدَهَا زَوْجُهَا ، فَأَكْرَمَتْهُ وَفَرَشَتْهُ ، فَلَمَّا لَمْ يَرَّ عِنْدَهَا أَحَدًا سَامَهَا نَفْسَهَا ، فَلَمَّا خَشِيَتْهُ قَالَتْ لَهُ : امْكُثْ ، أَسْتَصْلِحُ لَكَ ، ثُمَّ رَاحَتْ فَأَخَذَتْ مِدْيَةً^٢ ، فَأَخْفَتْهَا ثُمَّ أَقْبَلَتْ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهَا ثَارَ إِلَيْهَا فَضَبَرَتْ بِهَا فِي نَحْرِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْ الدَّمَ سَقَطَتْ مَغْشِيًا عَلَيْهَا ، وَسَقَطَ هَوْمِيًا^٣ ، فَأَتَاهَا آتٍ مِنْ أَهْلِهَا ، فَوَجَدَهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَأَجْلَسَهَا حَتَّى أَفَاقَتْ ، فَقَالَ أَعْشَى بِبَاهِلَةٍ فِي ذَلِكَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَقَّتْ مَعَاذَةٌ^٤ ضَيْفَهَا وَسَوَتْ عَلَيْهِ مَهْدَهُ^٥ ثُمَّ بَرَّتْ^١
فَلَمَّا بَغَاهَا نَفْسَهَا غَضِبَتْ لَهَا عَرُوقٌ^٢ نَمَتْ وَسَطَ الثَّرَى فَاسْتَقَرَّتْ^٢
وَشَدَّتْ عَلَى ذِي مِدْيَةِ الْكَفِّ مِعْصَمًا^٣ وَضَيْقًا وَعَصَرَتْ نَفْسَهَا فَاسْتَمَرَّتْ^٣
فَأَمَتْ بِهَا فِي نَحْرِهِ وَهُوَ يَبْتَغِي^٤ نِكَاحَ فَمَرَّتْ فِي حَشَاهُ وَجَرَّتْ^٤
فَتَشَجَّ^٥ كَأَنَّ النِّيلَ فِي جَوْفِ صَدْرِهِ ، وَأَذْرَكَهَا ضَعْفُ النِّسَاءِ فَخَرَّتْ^٥

١ حفت ضيفها : أحاطته بالأكرام . معاذة : اسم المرأة . برت : أطاعت ، أحسنت المعاملة .
٢ بغاهها نفسها : أراد راودها عن نفسها . العروق : أراد بها الأصل الكريم والشرف . استقرت : ثبتت .

٣ ذي مدية الكف : أي السكين الذي يمسك باليد . استمرت : ثبتت على حالة واحدة .

٤ أمت : قصدت . جرت : جذبت ، يريد أنها طمعت في نحره ، وأخرجت السكين منه .

٥ تشج : أراد تدفق الدم . خرت : أي سقطت مغشياً عليها .

هل يأتيكم نفسي؟

وأشند لخالد الكاتب :

إني إذا لم أجِدْ شَخْصاً لأُرْسِلَهُ وَضَاقَ بي منتهى أمري ومُلْتَمَسِي
لِمُرْسِلٍ ذَفَرَةٍ من بعدها نَفْسٌ، يَا لَيْتَ شِعْرِي هل يَأْتِيكُمْ نَفْسِي؟

المرأة الفاجرة والحية

أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل بن بشران في كتابه إلينا من واسط العراق قال :
أخبرنا محمد بن عبد الرحيم بن دينار قال : أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال : أخبرنا الحسين
ابن أحمد عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن عمه قال :
حَجَجْتُ فلاني لفي رفقة مع قومٍ إذ نَزَلْتُ مَتَرِيلاً ومعنا امرأةٌ ، فنامت ،
وانتَبَهْتُ ، وَحِيَةً منطويةً عليها قد جَمَعَتْ رأسها وذَنَبُهَا بينَ ثُدَيَّهَا ،
فهالنا ذلك وارْتَحَلْنَا ، فلم تَزَلْ منطويةً عليها لا تَضُرُّها ، حتى دخلنا أنصاب
الحَرَمِ فانسابتُ ، فدخلنا مكةَ فقَضَيْنَا نُسُكَنَا . فرأها الغريصُ^١ فقال : أي
شَقِيَّةٌ ما فعلتُ حَيَّتُكَ ؟ قالتُ : في النار ! فقال : ستعلمين مَنْ في النار ؛
ولم أفهم ما أراد فظننتُ أَنَّهُ مازَحَها ، واشتَقْتُ إلى غِنَائِهِ ، ولم يكنْ بيني
وبينهُ ما يوجبُ ذلك عليه ، فأتيتُ بعضَ أهلِهِ ، فسألتهُ ذلكَ فقال : نَعَمْ ،
فوجهٌ إليه أن اخرج بنا إلى موضعٍ كذا وكذا ، ثم قال لي : اركبُ بنا ، فركبنا
حتى سِرْنَا قدر ميل ، فإذا الغريصُ هناكَ ، فترلنا ، فإذا طعامٌ مُعَدٌّ ،
ومَوْضِعٌ حَسَنٌ ، فأكلنا وشربنا ، ثم قال : يا أبا يزيد هاتِ بعضَ طرائفِكَ !
فاندفعَ يَغْتِي ، ويوقِعُ بقضيبٍ :

مَرَضْتُ فلم تحفلْ عليّ جنوبُ ، وأدنتُ ، والمشمى إليّ قريبُ

١ الغريص : مفن مشهور .

فَلَا يُبْعِدِ اللَّهُ الشَّبَابَ وَقَوْلَنَا إِذَا مَا صَبَوْنَا صَبَوَةٌ سَنَتُوبُ
 فَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْئاً ظَنَنْتُ أَنَّ الْجِبَالَ الَّتِي حَوْلَنَا تَنْطِقُ مَعَهُ شَجَا صَوْتٍ
 وَطِيبَ غِنَاءٍ ، وَقَالَ لِي : أَتُحِبُّ أَنْ نَزِيدَكَ ؟ فَقُلْتُ : إِي وَاللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ :
 هَذَا ضَيْفُكَ وَضَيْفُنَا ، وَقَدْ رَغِبَ إِلَيْكَ وَالْتَمَيْنَا ، فَأَسْعِفْهُ بِمَا يُرِيدُ .
 فَاَنْدَفَعَ بَغْنِي بِشِعْرِ مَجْنُونٍ بَنِي عَامِرٍ :

عَقَمَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ ، فَلَمَّتَهَا إِذَا وَلَيْتَ حُكْمًا عَلَيَّ تَجَوُّرُ
 أَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى لَيْلَةٍ ؟ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ
 فَمَا عَقَلْتُ بِمَا غَنَى مِنْ حُسْنِهِ ، إِلَّا بِقَوْلِ صَاحِبِي : نَجْوَرُ عَلَيْكَ
 يَا أَبَا يَزِيدَ ، عَرَضَ بَأْتِي لِمَا وَلَيْتَ الْحُكْمَ عَلَيْهِ ، جُرْتُ فِي سُؤَالِي إِيَّاهُ أَكْثَرَ مِنْ
 صَوْتٍ . فَقُلْتُ لَهُ ، بَعْدَ سَاعَةٍ ، سَرًّا : جُعَلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أُرِيدُ الْمَضْيَ فِي
 أَصْحَابِي ، نُرِيدُ الرَّحْلَةَ ، وَقَدْ أَبْطَأْتُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْأَلَهُ ،
 حَاطَهُ اللَّهُ مِنَ السَّوْمِ وَالْمَكْرُوهِ ، أَنْ يَزِيدَ لَنَا وَاحِدًا ، فَقَالَ : يَا أَبَا يَزِيدَ !
 أَتَعْلَمُ مَا هُوَ أَشْهَى إِلَى ضَيْفِنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَرَادَكَ عَلَى أَنْ تُكَلِّمَنِي فِي
 أَنْ أَعْنِيهِ . قُلْتُ : فَهُوَ وَاللَّهِ ذَاكَ ، فَاَنْدَفَعَ بَغْنِي :

خَلَدِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي ، وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ
 فَانِي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا ، لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ
 فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَخَذْنَا الْعَفْوَ مِنْكَ ، وَاسْتَدَمْنَا مَوَدَّتَكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا
 فَقَالَ : أَلَا أَحَدُتُكُمْ بِحَدِيثِ حَسَنِ ؟ قُلْنَا : بَلَى ! فَقَالَ : قَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ
 الْعِلْمِ وَبِقِبَّةِ النَّاسِ وَصَاحِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَخَلِيفَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ
 عَلَى الْبَصْرَةِ ، أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ لَا بَنْتَهُ لَيْلَةُ الْبِنَاءِ : أَيُّ بُنْيَةٍ ! النِّسَاءُ كُنَّ
 بِوَصِيَّتِكَ وَتَأْدِيكِ أَحَقَّ مِنِّي ، وَلَكِنْ لَا بَدْ مِمَّا لَا بَدْ مِنْهُ . يَا بُنْيَةَ : إِنَّ
 أَطْيَبَ الطَّيِّبِ الْمَاءُ ، وَأَحْسَنَ الْحُسْنِ الدَّهْنُ ، وَأَحْلَى الْحَلَاوَةِ الْكُحْلُ .
 يَا بُنْيَةَ لَا تُكْثِرِي مَبَاشِرَةَ زَوْجِكَ فَيَمْلِكُ ، وَلَا تَتَّبَاعِدِي عَنْهُ

فَيَسْجُفُوكَ ، وَيَعْتَلِّ عَلَيْكَ . وَكُونِي كَمَا قُلْتُ لِأَمَّكَ :

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوَرَتِي حِينَ أَغْضَبُ
فَلَايَ رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ
فَقُلْتُ لَهُ : فِدَيْتُكَ مَا أَدْرِي غَنَاؤُكَ أَحْسَنُ أَمْ حَدِيثُكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ ،
وَنَهَضْتُ وَرَكِبْتُ ، وَتَخَلَّفَ الْغَرِيضُ وَصَاحِبُهُ فِي مَوْضِعَيْهِمَا ، وَأَتَيْتُ أَصْحَابِي
وَقَدْ أَبْطَأْتُ ، فَرَحَلْنَا مَنْصَرِفِينَ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي الْمَكَانِ الَّذِي رَأَيْتُ فِيهِ الْحَيَّةَ
مَنْطُويَةً عَلَى صَدْرِ الْمَرْأَةِ ، وَنَحْنُ ذَاهِبُونَ ، رَأَيْتُ الْحَيَّةَ وَالْمَرْأَةَ وَهِيَ مَنْطُويَةٌ
عَلَيْهَا فَلَمْ أَلْبَثُ أَنْ صَفَرَتِ الْحَيَّةُ فَلِذَا لِلْوَادِي بِسِيلٌ عَلَيْنَا حَيَاتٌ ،
فَنَهَشْتُنَّهَا حَتَّى بَقِيَتْ عَظَامًا ، فَطَالَ تَعَجُّبُنَا مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْنَا مَا لَمْ نَرَ مِثْلَهُ قَطُّ ،
فَقُلْتُ لِلْحَارِيَّةِ كَأَنْتُ مَعْنَا : وَيَحْكُ أَخْبَرِينَا عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ! قَالَتْ : عَلِقَتْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَكُلَّ مَرَّةً تَلِيدٌ وَلَدًا ، فَلِذَا وَضَعَتْهُ سَجَرَتِ التَّنُورِ ، ثُمَّ
أَلْقَتْهُ فِيهِ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ الْغَرِيضِ ، حِينَ سَأَلَهَا عَنْ الْحَيَّةِ فَقَالَتْ فِي النَّارِ :
سَتَعْلَمِينَ مَنْ فِي النَّارِ .

أَبُو نُوَاسٍ وَالْغُلَامُ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ

وَجَدْتُ بِحُفْظِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ قَدِيدٍ
ابْنُ أَفْلَحِ الْبَزَازِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ بَكْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْفَرَجِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بَكَازِرُونَ
قَالَ : حَدَّثَنَا عَبَادٌ قَالَ :

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كُنْتُ مَعَ أَبِي نُوَّاسٍ بِمَكَّةَ ، فَلِذَا أَنَا بِغُلَامٍ أَمْرَدٍ
يَسْتَلِيمُ الْحَجَرَ ، فَقَالَ لِي أَبُو نُوَّاسٍ : وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَقْبِلَهُ عِنْدَ الْحَجَرِ .
فَقُلْتُ : وَيْلَكَ ! اتَّقِ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ ،

١ سَجَرَتِ التَّنُورِ : مَلَأَتْهُ وَقُودًا وَأَحْمَتُهُ .

وعندَ بيته . فقال : ما مِنْهُ بُدٌّ . ثمّ دنا من الحَجَرِ، وجاءَ الغلامُ يستليمه،
فبادَرَ أبو نُواس ، فوضَعَ خَدَّهُ على خَدِّ الغُلام ، وقَبَّلَهُ ، والله ، وأنا أرى
فقلتُ : ويلكَ لقد ارتكَبْتَ أمراً عظيماً في حَرَمِ الله تعالى . فقال : دع ذا
عنك فإنّ ربي رحيم ، ثمّ أنشأ يقول :

وعاشِقَتَانِ التَّفَّ خَدَاهُمَا عندَ استِلامِ الحَجَرِ الأسودِ
فاشتَفَيَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِمَا كأنّما كانا على مَوْعِدِ

الزاعِ الشاعرِ العاشقِ

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو الفرج المغانبي بن زكريا
الجزيري قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثني أبو علي محرز بن أحمد الكاتب
قال : حدثني محمد بن مسلم السعدي قال :

وَجَّهَ إِلَيَّ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ يَوْماً، فَصِرتُ إِلَيْهِ، وَإِذَا عَنِ يَمِينِهِ قِمَطرَةٌ^١
مَجْلُدةٌ ، فَجَلَسْتُ ، فقال : افتَحْ هذه القِمَطرَةَ ، ففتَحْتُها ، فإذا شيء قد
خَرَجَ مِنْهَا ، رأسُهُ رأسُ إنسانٍ ، وهو من سُرَّتِهِ إلى أسْفَلِهِ خَلقةُ زاعٍ^٢ ،
وفي صَدْرِهِ وظَهْرِهِ سَلْعَتَانِ^٣ ، فَكَبَّرْتُ وَهَلَلْتُ ، وفَزَعْتُ ، ويحيى
يُضْحِكُ ، فقال لي بِلِسانٍ فصيحٍ طُلُقِ ذَلِيقَ :

أنا الزَّاعُ أبو عَجْوَه أنا ابنُ اللَّيْثِ واللَّبْوَه
أحِبَّ الرِّاحَ والرَّيْحانَ والنَّشْوَةَ والقَهْوَه
فلا عَدَوَ يَدِي يُخْشِي ولا يُحِلُّ لِي سَطْوَه^٤

١ القمطرة : ما تصان فيها الكتب .

٢ الزاع : غراب صغير ريش ظهره وبطنه أبيض .

٣ سلعتان : شجتان ، أو غدتان .

٤ العدو : الظلم والاعتداء .

ولي أشياء تُستطَ رَفُيُومَ العِرسِ والدَّعْوَةِ
فَمِنْهَا سِلْعَةٌ فِي الظَّهْرِ لا تَسْرُهَا الْقُرُوءُ
وَأَمَّا السِّلْعَةُ الْآخَرَى فَلَوْ كَانَتْ لَنَا عُرُوءُ
لَمَّا شَكَ جَمِيعُ النَّاسِ فِيهَا أَنْتَهَسَا رَكَوَهُ
ثُمَّ قَالَ : يَا كَهْلُ أَنْشِدْنِي شِعْرًا غَزَلًا ! فَقَالَ لِي بِحَيٍّ : قَدْ أَنْشَدَكَ
الزَّاعُ ، فَأَنْشِدْهُ ، فَأَنْشِدْتَهُ :
أَغْرَكَ أَنْ أَدْنَبْتَ ثُمَّ تَتَابَعْتَ ذُنُوبٌ ، فَلَمْ أَهْجُرْكَ ، ثُمَّ ذُنُوبُ
وَأَكْثَرْتَ حَتَّى قُلْتَ لَيْسَ بِصَارِمِي وَقَدْ بَصُرِمُ الْإِنْسَانُ وَهُوَ حَيِّبُ
فَصَاحَ : زَاغَ زَاغَ زَاغُ ، وَطَارَ ، ثُمَّ سَقَطَ فِي الْقِمِطَرَةِ . فَقُلْتُ لِبَحِيٍّ :
أَعَزَّ اللَّهُ الْقَاضِي ، وَعَاشِقٌ أَيْضًا ! فَضَحِكَ . قُلْتُ : أَيُّهَا الْقَاضِي ! مَا هَذَا ؟
قَالَ : هُوَ مَا تَرَاهُ ، وَجْهَهُ بِهِ صَاحِبُ الْيَمَنِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا رَأَاهُ بَعْدَ ،
وَكَتَبَ كِتَابًا لَمْ أَفْضُضْهُ ، وَأُظِنُّ أَنَّهُ ذَكَرَ فِي الْكِتَابِ شَأْنَهُ وَحَالَهُ .

الزاع في رواية أخرى

" أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ طَاهِرِ اللِّقَاقِ قَالَ : أَخْبَرَنَا الْأَمِيرُ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ
مُحَمَّدَ بْنِ الْمَكْتَفِيِّ بِاللهِ قَالَ : حَدَّثَنَا جِحْظَةُ قَالَ : أَخْبَرَنِي بَعْضُ بَنِي الرِّضَا قَالَ :
قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ : دَخَلْتُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ ، وَعَنْ يَمِينِهِ قِمِطَرٌ
مَجْلَدٌ ، فَقَالَ لِي : اكْشِفْ وَانْظُرِ الْعَجَبَ ! فَكَشَفْتُ ، فَخَرَجَ عَلَيَّ رَجُلٌ
طَوْلُهُ شِبْرٌ ، مِنْ وَسْطِهِ إِلَى أَعْلَاهُ رَجُلٌ ، وَمِنْ وَسْطِهِ إِلَى أَسْفَلِ صُورَةٍ
الزَّاعِ ذَنْبًا وَرِجْلًا ، فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ فَاَنْتَسَبْتُ لَهُ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ اسْمِهِ فَقَالَ :
أَنَا الزَّاعُ أَبُو عَجْوَةَ حَلِيفُ الْخَمْرِ وَالْقَهْوَةِ

ولي أشياء تُسْتَطَ رَفُ يَوْمَ الْعِرْسِ والدَّعْوَه
فَمِنْهَا سِلْعَةٌ فِي الظَّهْرِ لَا تَسْتُرُهَا الْفَرْوَه
وَمِنْهَا سِلْعَةٌ فِي الصَّدْرِ لَا تَوْ كَانَ لَهَا عُرْوَه
لَمَّا شَكَّ جَمِيعُ النَّاسِ حَقَّ أَنَّهَا رَكْوَه

ثم قال : أنشدني شيئاً في الغزل ، فأنشدته :

وَلَيْلٍ فِي جَوَانِبِهِ فُضُولٌ مِّنَ الْإِظْلَامِ أَطْلَسَ غِيَهَابَانِي
كَأَنَّ نَجْمَتَهُ دَمْعٌ حَبِيسٌ تَرَقَّرَقَ بَيْنَ أَجْفَانِ الْغَوَائِي
فَصَاحَ : وَأَبِي ، وَأُمِّي ! وَرَجَعَ إِلَى الْقِمَاطِرِ ، وَسَتَرَ نَفْسَهُ . فَقَالَ ابْنُ
أَبِي دَوَادٍ : وَعَاشِقٌ أَيْضاً !

البلبل الناطق

أخبرنا القاضي أبو علي زيد بن أبي حيويه بتيس سنة خمس وخمسين وأربعمائة بقرائي عليه
قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن عمر بن علي بن زريق الجلباني قال : حدثنا أبو الفرج
محمد بن سعيد بن عمران قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن عليل بن محمد المطيري الحافظ قال :
حدثنا سليمان بن عبد الملك قال : حدثنا مروان بن دؤالة قال :

حدثنا الحارث بن عطية عن موسى بن عبيدة عن عطاء في قوله : وَلَقَدْ
هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا . قَالَ : كَانَ لَهَا بُلْبُلٌ فِي قَفَصٍ ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا صَفَرَ
لَهَا ، فَلَمَّا رَأَاهَا قَدَ دَعَتْ يَوْسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِلَى نَفْسِهَا ، نَادَاهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ : يَا
يُوسُفَ لَا تَزِنِ ، فَإِنَّ الطَّيْرَ فِينَا إِذَا زَنَى تَنَاسَرَ رِيشُهُ .

١ أطلس : أغبر إلى السواد . الغيهباني : المظلم .

٢ سنة ١٠٦٣ م .

عزة وكثير

أبنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد قال : حدثنا محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المزدبان قال : حدثني يزيد بن محمد قال : أخبرني محمد بن سلام الجمحي قال :

أرادت عزة أن تعرف ما لها عند كثير فتناكرت له ، وقامت به متعريضة ، فقام فاتبعها ، فكلّمها ، فقالت له : فأين حبك عزة ؟ فقال : أنا الفداء لك ، لو أن عزة أمة لي لوهبته لك . قالت : ويحك ! لا تفعل ، فقد بلغتني أنها لك في صديق المودة ، ومحض المحبة والهوى على حسب الذي كنت تبدي لها من ذلك وأكثر ، وبعد ، فأين قولك :

إذا وصلتنا خلة كي نزيلها أبينا ، وقلنا : الحاجبة أول فقال كثير : بأبي أنت وأمي ! أقصيري عن ذكرها ، واسمعي ما أقول ، ثم قال :

ما وصل عزة إلا وصل غانية في وصل غانية من وصلها خلف ثم قال : هل لك في المخالة^١ ؟ فقالت له : كيف بما قلت في عزة وسيرته لها ؟ فقال : أقلبه فيتحوّل إليك ، وبصير لك . قال : فسفرت عن وجهها ، عند ذلك ، وقالت : أغدراً وانتكائاً يا فاسق ؟ وإنك لها هنا ، يا عدو الله ! فبهت وأبلس^٢ ولم ينطق ، وتحيّر وخجل ، ثم إنها عرفته أمرها ونكثه وغدره بها ، وأعلمته سوء فعله ، وقلة حفاظه ، ونقضه للعهد والميثاق ، ثم قالت : قاتل الله جميلاً حيث يقول :

لحى الله من لا ينفع الود عنده ، ومن حبله إن مدّ غير متين

١ المخالة : المصادقة .

٢ أبلس : تحير .

وَمَنْ هُوَ ذُو وَجْهَيْنِ لَيْسَ بِدَائِمٍ عَلَى الْعَهْدِ حَلَاْفٌ بِكُلِّ يَمِينٍ
قال : فَأَنْشَأَ كَثِيرٌ يَقُولُ بِالْخِزَالِ وَحَصَرٍ وَانْكَسَارٍ ، يَعْتَذِرُ إِلَيْهَا ،
وَيَتَنَصَّلُ مِمَّا كَانَ مِنْهُ ، وَيَحْتَالُ فِي دَفْعِ زَلَّتِهِ ، مُتَمَثِّلًا بِقَوْلِ جَمِيلٍ ،
وَيُقَالُ : بَلْ سَرَقَهُ مِنْ جَمِيلٍ وَانْتَحَلَهُ لِنَفْسِهِ فَقَالَ :

أَلَا لَيْتَنِي قَبْلَ الَّذِي قُلْتُ شَيْبًا لِي مِنْ الْمُدْعِفِ الْقَاضِي سِمَامُ الدَّرَارِحِ^١
فَمُتَّ وَلَمْ تَعْلَمْ عَلَيَّ خِيَانَةً ، أَلَا رُبَّ بَاغِي الرُّبْحِ لِبُسِّ بَرَابِيعِ
فَلَا تَحْمِلُهَا وَاجْعَلِيهَا خِيَانَةً ، تَرَوِّحْتُ مِنْهَا فِي مِيَاحَةٍ مَائِحِ^٢
أَبْوَةٍ بَدَنَبِي أَتَنِي قَدْ ظَلَمْتُهَا ، وَإِنِّي بِيَاقِي سِرَّهَا غَيْرُ بَائِحِ^٣

يرى الدم حلالاً

ولي ، وهما ييثان لا غير :

إِنَّ فِي الْجَحِيرَةِ الَّذِينَ اسْتَقَلُّوا مِنْ زُرُودٍ ، وَبَطْنٍ وَجَرَةٍ حَلَّوْا^٤
لَغَزَالًا يَرَى دِمَاءَ مُحِبٍّ ، حَلَالًا لَهُ ، وَمَا الدَّمُ حِلٌّ

١ شيب : مزج وخط . المدفع : القاتل بسرعة . القاضي ، من قضى عليه : قتله . سم : جمع

سم . الدارارح : ضرب من السموم .

٢ مياحة : شفاعة . مائح : شافع .

٣ أبوة : أرجع .

٤ استقلوا : رحلوا . زرود وبطن وجرة : موضعان .

هني لا أبوح

أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت بالشام قال : أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الصيرفي قال :
أخبرنا أبو بكر بن شاذان قال : أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال :
أنشدني بعض أصحابنا :

جَعَلْتُ حَلَّةَ الْبَلَوَى فُؤَادِي ، وَسَلَطْتُ السُّهَادَ عَلَى رُقَادِي
وَنِمْتَ مُودَّعًا وَسَهَرْتُ لَيْلًا ، أَمَا اسْتَحْيَا رُقَادُكَ مِنْ سُهَادِي؟^١
فَهَبْنِي لَا أَبُوحُ بِمَا أَلَاقِي ، أَلَيْسَ الشَّوْقُ مِنْ كَيْدِي يُنَادِي؟

ما كان قلبي حاضراً

أنشدنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال :
أنشدني قاضي القضاة أبو عبد الله الحسين بن علي بن جعفر بن مأكولا لأبي
بكر الخوارزمي الطَّبْرِي من طَبَرِيَّةَ الشَّام من تَشْيِيبِ قَصِيدَةٍ فِي الصَّاحِبِ أَبِي
القاسم بن عباد :

يَقُولُ غَدَاً جَيْشُ النَّوَى عَسَكَرَ اللَّعَا فَرَأَيْكَ فِي سَحِّ الدَّمُوعِ مُوَفَّقًا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْإِلْفَ يَعْزِمُ لِلنَّوَى عَزَمْتُ عَلَى الْأَجْفَانِ أَنْ تَتَرَقَّرَقَا
وَحَدَّ حَجَّتِي فِي تَرْكِ جِسْمِي سَالِمًا وَقَلْبِي ، وَمِنْ حَقِّيهِمَا أَنْ يُخْرَقَا
يَدِي ضَعُفَتْ عَنْ أَنْ تُخَرَّقَ جَيْيَهَا ، وَمَا كَانَ قَلْبِي حَاضِرًا فَيُيَمَّرَقَا

١ المودع : أراد في خفص عيش ، مطمئناً .

لم يبقَ إلّا نفسٌ خافت

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي السوري الحافظ، رحمه الله، سنة أربع وأربعمئة ١ بقراعتي عليه، قلت له: قرأت على أبي علي الحسن بن حفص بن الحسن البهراني بيت المقدس قلت: أخبركم أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي قال: حدثنا عبد الله بن موسى قال: سمعت الحسن الصوفي الأذربيجاني يقول:

حَضِرْنَا بِبَغْدَادٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ مَجْلِسَ سَمَاعٍ، فَتَوَاجَعَدَ^٢ بَعْضُ الْمَشَائِخِ، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ وَقُلْنَا: كَيْفَ تَجِدُكَ، أَيْدِكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ، وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانُهَا بَاهَتْ
ذَابَ فَمَا فِي الْجِسْمِ مِنْ مَفْصِلٍ، إِلَّا وَفِيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ
عَدُوٌّ يُبْكِي لَهُ رَحْمَةً، وَحَسْبُكُمْ مِنْ رَاحِمٍ، شَامَتْ
فَعَيْنُهُ تَبْكِي، وَأَحْشَاؤُهُ تَضْحَكُ، إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ

ثغر يقرع ثغراً

أخبرني أبو عبد الله السوري قال: قرأت على أبي القاسم علي بن عمر بن جعفر الشيخ الصالح، رحمه الله، بالرملة قلت له:

أُنشِدْكُمْ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى الْفَقِيهَ لِبَعْضِهِمْ:
إِذَا نَحْنُ خِفْنَا الْكَاشِحِينَ، فَلَمْ نُطِيقْ كَلَاماً، تَكَلَّمْنَا بِأَعْيُنِنَا شَزْرًا^٣

١ سنة ١٠١٣ م.

٢ تواجد: أرى من نفسه المحبة والحزن.

٣ الكاشحين، الواحد كاشح: العدو الباطن العداوة. الشز: النظر بجانب العين مع إعراض وغضب.

تَصَدَّ، إِذَا مَا كَاشِحٌ مَالَ طَرْفَهُ ۖ إِلَيْنَا، وَنُبْدِي ظَاهِرًا بَيْنَنَا هَجَرًا
فَإِنْ غَفَلُوا عَنَّا رَأَيْتَ خُدُودَنَا تَصَافِحُ، أَوْ تُغَرَّ قَرَعَنَا بِهِ تُغَرَّا
وَلَوْ قَدَفَتْ أَجْسَادُنَا مَا تَضَمَّنَتْ ۖ مِنَ الضَّرِّ وَالْبَلَوَى إِذَا قَذَفَتْ جَمْرًا

ابنة أبي ربيعة وأبو مسهر

أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرُ بْنُ السَّوَّاقِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ قَالَ : حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الزَّيْبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ
عَلِيلٍ الْمَزَنِيُّ ، ثُمَّ لَقِيْتَهُ بِعَدِّ ذَلِكَ ، فَمَدَّنِي بِهِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو شَرَاةَ الْقَيْسِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا
شَيْبَانُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ :

قَالَ حَمَّادُ الرَّائِي : أَتَيْتُ مَكَّةَ فَجَلَسْتُ فِي حَلَقَةٍ فِيهَا عُمَرُ بْنُ أَبِي
رَدَّاءَةَ ، فَتَذَاكَرُوا الْعُدْرَتَيْنِ وَعَشَقَهُنَّ وَصَبَّابَتَهُنَّ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَحْبَبْتُكُمْ
بَعْضُ ذَلِكَ : إِنَّهُ كَانَ لِي خَلِيلٌ مِنْ عُدْرَةٍ ، وَكَانَ مُسْتَهْتَرًا بِخَدِيثِ النِّسَاءِ ،
يُشَبِّبُ بِهِنَّ ، وَيُنْشِدُ فِيهِنَّ عَلَى أَنَّهُ لَا عَاهِرُ الْخَلْوَةِ وَلَا سَرِيعُ السَّلْوَةِ ،
وَكَانَ يُوَافِي الْمَوْسِمَ كُلَّ سَنَةٍ ، فَلِذَا أَبْطَأَ تُرْجِمَتْ لَهُ الْأَخْبَارُ ، وَتَوَكَّفْتُ
لَهُ السُّقَّارُ ، حَتَّى يَتَقَدَّمَ ، وَإِنَّهُ رَأَتْ عَيْنِي ذَاتَ سَنَةٍ خَبَرَهُ ، وَقَدِمَ وَفَدُ
عُدْرَةٍ ، فَأَتَيْتُ الْقَوْمَ أَنْشِدُ عَنْ صَاحِبِي ، فَلِذَا غُلَامٌ قَدْ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ
ثُمَّ قَالَ : عَنْ أَبِي الْمُسَهِّرِ تَسْأَلُ ؟ قُلْتُ : عَنْهُ تَشَدَّدْتُ وَإِيَّاهُ أُرَدْتُ . قَالَ :
هَيْهَاتَ أَصْبَحَ ، وَاللَّهِ ، أَبُو مُسَهِّرٍ لَا مُؤَيَّسًا مِنْهُ فَيَهْمَلُ ، وَلَا مَرْجُوًّا
فَيُعَلَّلُ ، أَصْبَحَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ :

لَعَمْرُكَ مَا حَبَى لِأَسْمَاءَ تَارِكِي صَحِيحًا ، وَلَا أَفْضَى بِهِ فَامُوتُ

١ المستهتر بالشيء : المولع به ولما شديداً .

٢ توكفت الأخبار : تقيمتها ، وانتظرت ظهورها .

قال قلت : وما الذي به ؟ قال : به مثل الذي بك من طول تهكمكما^١ في الضلال ، وجرككما أذيال الحسار ، كأن لم تسمعا بجنّة ولا نار . قال قلت : من أنت منه يا ابن أخي ؟ قال : أنا أخوه . قال قلت : والله ما يمنعك من أن تركب طريق أخيك التي ركبها ، وتسلك مسلكه الذي سلك ، إلا أنك وأخاك كالوشى والبجاد^٢ ، لا يرفعك ولا ترفعه ، ثم انطلقت وأنا أقول :

أرائجة حجاج عذرة روحة ، ولما يرخ في القوم جعد بن مهجع
خليين نشكو ما نلاقي من الهوى ، فتي ما أقل يسمع وإن قال أسمع
فلا يبعدنك الله خيلاً ، فإنني سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي
فلما حججت وقفت في الموضع الذي كنت أنا وهو نقيف فيه بعرفات ،
وإذا أنا براكب قد أقبل حتى وقف ، وقد تغيّر لونه وساءت هيئته ،
فما عرفته إلا بناقته ، فأقبل حتى خالف بين عشق ناقي وناقته ، ثم
اعتسقتني وجعل يكي . فقلت : ما الذي دهاك وما غالك ؟ فقال : برح^٣
العدل وطول المظلي ، ثم أنشأ يقول :

لئن كانت عذلة ذات بث^٤ لقد علمت بأن الحب داء
ألم تنظر إلى تغيير جسمي ، وأني لا يزاييني البكاء
وأني لو تكلفت الذي بي لعفى الكلّم وانكشف الغطاء
وإن معاشري ورجال قومي حتوفهم الصبابة واللقاء

١ تهكمكما : تجاوزكما الحد .

٢ ألوشي : الثياب الموشية المنقشة . البجاد : الثوب المخطط .

٣ برح به : جهده واذاه أذى شديداً .

٤ عفى : أهلك .

إذا العُدريّ ماتَ بِحَتْفِ أَنْفٍ ، فَذَاكَ الْعَبْدُ بِبَكِيهِ الرُّشَاءُ^١ .
 فقلتُ : يا أبا مسهر ! إنّها ساعةٌ عظيمةٌ ، وإنّك في جَمْعٍ من أَقْطَارِ
 الأرضِ ، ولو دَعَوْتَ كُنْتَ قَمِيناً أَنْ تَظْفَرَ بِحَاجَتِكَ ، وَأَنْ تُنْصَرَ عَلَى
 عَدُوِّكَ . قال : فَجَعَلَ يَدْعُو حَتَّى إِذَا تَدَلَّتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ وَهُمْ النَّاسُ
 بِأَنْ يُفِيضُوا سَمِيعَتَهُ يُهْمِّهِمْ^٢ ، فَأَصَحْتُ لَهُ مُسْتَمِعاً ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ :
 يَا رَبَّ كُلِّ غَدَوَةٍ وَرَوْحَةٍ ، مِنْ مُحْرِمٍ يَشْكُو الضَّحَى وَلَوْحَهُ
 أَنْتَ حَسِيبُ الْخَطْبِ يَوْمَ الدَّوْحَةِ^٣

فقلتُ له : وما يومُ الدَّوْحَةِ ؟ قال : سأخبرُكَ إِذْ شَاءَ اللَّهُ ! إني امرؤُ
 ذو مالٍ كثيرٍ من نَعَمٍ وشاءَ ، وإني خشيتُ على مالي التَّلَفَ ، فَأَتَيْتُ أَخْوَالي
 مِنْ كَلْبٍ ، فَأَوْسَعُوا لِي عَنْ صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَسَقَوْنِي بِجَمَّةٍ الْبَيْثْرِ^٤ ، فَكَانُوا
 خَيْرَ أَخْوَالٍ حَتَّى هَمَمْتُ بِمَوَاقِعَةٍ^٥ لِإِبْلِ لِي بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْخِرَزَاتُ ،
 فَرَكِبْتُ وَتَعَلَّقْتُ مَعِيَ شَرَاباً كَانَ أَهْدَاهُ إِلَيَّ بَعْضُ الْكَلْبِيِّينَ ، وَانْطَلَقْتُ ،
 حَتَّى إِذَا كُنْتُ بَيْنَ الْحَيِّ وَمَرْعَى النَّعَمِ ، رُفِعَتْ لِي دَوْحَةٌ عَظِيمَةٌ ، فقلتُ :
 لَوْ نَزَلْتُ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَتَرَوَّحْتُ مُبْرِداً^٦ ؟ فَتَزَلْتُ فَشَدَدْتُ فَرَسِي
 بِيْغْضَتٍ مِنْ أَغْصَانِهَا ثُمَّ جَلَسْتُ تَحْتَهَا ، فَإِذَا بِغَبَارٍ قَدْ سَطَعَ ، فَتَبَيَّنْتُ
 قَبْدَتَ لِي شَخْصٍ ثَلَاثَةً^٧ ، فَإِذَا رَجُلٌ يَطْرُدُ مِسْحَلًا وَأَتَانًا^٧ ، فَلَمَّا قَرُبَ

-
- ١ مات حتف أنفه : أي على فراشه . الرشاء : حبل الدلو .
 - ٢ يفيضوا ، من أفاض الناس من هرافات : دفعوا ورجعوا وتفرقوا ، أو اسرعوا منها إلى مكان آخر .
 - ٣ الدَّوْحُ : العطش . الدَّوْحَةُ : الشجرة العظيمة .
 - ٤ جمّة البئر : الماء الكثير .
 - ٥ مَوَاقِعَةُ : مدافاة ، مقاربة .
 - ٦ تروّحت : ذهب عند الرواح ، أي المساء . مبرداً : أي داخلاً في البرد ، أي حينما يكون قد برد الهواء .
 - ٧ المسحل : الحمار الوحشي . الأتان : أنثاء .

مني إذا عليه درعٌ أصفرٌ وعِمَامَةٌ خَزْرُودَاءُ ، وإذا هُوَ تَنَالُ فُرُوعَ شَعْرِهِ
كَتْفَيْهِ ، فقلتُ في نفسي : غُلَامٌ حَدِيثُ عَهْدٍ بِعِرْسٍ ، فَأَعْجَلَتْهُ لَدَّةُ
الصَّيْدِ فَنَسِيَ ثَوْبَهُ وَأَخَذَ ثَوْبَ امْرَأَتِهِ . فَمَا لَبِثَ أَنْ لَحِقَ بِالمِسْحَلِ فَصَرَعه
ثُمَّ ثَنَّى طَعْنَةَ الْأَتَانِ فَصَرَعهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ ، وَهُوَ يَقُولُ :

نَطْعَنُهُمْ سُلُكِي وَمَخْلُوجَةٌ كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ^١

قال فقلتُ : إِنَّكَ قَدْ تَعَبَيْتَ وَأَتَعَبَيْتَ . فَلَوْ نَزَلْتَ . فَتَنِي رِجْلُهُ فَتَنَزَلَ
فَشَدَّ فَرَسَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى جَلَسَ قَرِيباً مِنِّي ،
فَجَعَلَ يَحْدِثُنِي حَدِيثاً ذَكَرْتُ بِهِ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

وَأَنَّ حَدِيثاً مِنِّي ، لَوْ تَبَدَّلَ لَيْنُهُ ، جَنَى النُّحْلِ فِي أَلْبَانِ عَوْدٍ مَطَافِلٍ^٢
قال : فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ حَكَّ بالسُّوطِ عَلَى ثَنِيَّتَيْهِ ، فَرَأَيْتُ ، وَاللَّهِ ،
يَا ابْنَ أَبِي رِبِيعَةَ ظِلَّ السُّوطِ بَيْنَهُمَا ، فَمَا مَلَكْتُ نَفْسِي أَنْ قَبَضْتُ عَلَى السُّوطِ
فَقُلْتُ : مَهْ ! فَقَالَ : وَلَمْ ؟ قُلْتُ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكْسِرَهُمَا ، فَإِنَّهُمَا
رَقِيقَتَانِ . قَالَ : هُمَا عَذْبَتَانِ ، ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ^٣ فَجَعَلَ يُغْنِي :

إِذَا قَبَّلَ الْإِنْسَانُ آخِرَ يَشْتَهِي ثَنَائِيَهُ لَمْ يَأْتِمْ وَكَانَ لَهُ أَجْرًا
فَإِنْ زَادَ زَادَ اللَّهُ فِي حَسَنَاتِهِ مَشَاقِيلَ يَمْحُو اللَّهُ عَنْهُ بِهَا الْوِزْرَا
ثُمَّ قَالَ لِي : مَا هَذَا الَّذِي تَعَلَّقْتَ فِي سَرِّجِكَ ؟ قُلْتُ : شَرَابٌ أَهْدَاهُ إِلَيَّ
بَعْضُ أَهْلِكَ ، فَهَلْ لَكَ فِيهِ ؟ قَالَ : وَمَا أَكْرَهُهُ . فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنِي

١ السلكى : الطعنة المستقيمة تلتقاء الوجه . المخلوكة : الطعنة إلى جانب . كرك : دفعك بسرعة .
الأمين ، الواحد لأم : ما يوضع من الريش على السهام . النابل : صانع النبال ، وصف قومه
بسرعة الطعن وشبههم بمن يدفع الريشة إلى النبال في السرعة، وإنما يحتاج إليه في السرعة لأن الغراء
إذا برد لم يلزق ، فيستعمل حاراً .

٢ العود من النياق : المسنة . المطافل : ذوات الأظفار .

٣ عقيرته : صوته .

وبيته ، فلما شرب منه شيئاً نظرتُ إلى عَيْنَيْهِ كأنهما عينا مَهْأَة ، قد أضَلَّتْ
ولداً ، أو ذَعَرَهَا قَانِصٌ ، فَعَلِمَ أَيْنَ نَظَرِي ، فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ يُغْنِي :
إِنَّ الْعَيْنَ التي في طَرْفِهَا حَوْرٌ . قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِنَ قَتْلَنَا
يَصْرَعُنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ ، وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا
فَقُلْتُ لَهُ : مِمَّنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قَالَ : وَقَعَ رَجُلٌ مِنَّا بِالْيَمَامَةِ
وَأَنْشَدَنِي ، ثُمَّ قُمْتُ لِأُصْلِحَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ فَرَسِي ، فَرَجَعْتُ وَقَدْ جَرَّ
الْعِمَامَةَ عَنْ رَأْسِهِ ، وَإِذَا غَلَامٌ كَأَنَّهُ الدِّينَارُ الْمَنْقُوشُ ، فَقُلْتُ : سُبْحَانَكَ
اللَّهُ مَا أَعْظَمَ قُدْرَتَكَ وَأَحْسَنَ صَنْعَتَكَ ! قَالَ : كَيْفَ قُلْتَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ :
مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ نُورِكَ وَبَهْرَتِي مِنْ جَمَالِكَ . قَالَ : وَمَا الَّذِي يَرُوعُكَ مِنْ
زُرْقِ الدَّوَابِّ وَجَبَسِ التَّرَابِ ، ثُمَّ لَا تَدْرِي أَيْتَنَمُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْ يِيَّاسُ .
ثُمَّ قَامَ إِلَى فَرَسِهِ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ بَرَقَتْ لِي بَارِقَةُ الدَّرْعِ ، فَلِذَا ثَلَاثُ
كَأَنَّهُ حَقٌّ . قُلْتُ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَمْرَةً ؟ قَالَ : لِي ، وَاللَّهِ ، أَمْرَةٌ تَكْرَهُ
الْعَهْرَ ، وَتُحِبُّ الْغَزَلَ . قُلْتُ : وَاللَّهِ وَإِنَّا كَذَلِكَ . قَالَ : فَجَلَسْتُ
تَحْدَثُنِي ، مَا أَفْقِدُ مِنْ أَنْسِهَا حَتَّى مَالَتْ عَلَى الدَّوْحَةِ سَكْرًا ، وَاسْتَحْسَنْتُ ،
وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَبِي رَيْعَةَ الْغَدَرِ ، وَزَيْنَ فِي عَيْنِي ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَصَمَنِي
بِمَتْنِهِ ، فَجَلَسْتُ مِنْهَا حَجْرَةً ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ انْتَبَهْتُ مَذْعُورَةً ، فَلَاثْتُ^١
عِمَامَتَهَا بِرَأْسِهَا ، وَأَخَذَتِ الرَّمْحَ ، وَجَالَتْ فِي مَتْنِ فَرَسِهَا ، فَقُلْتُ : أَمَا
تُزَوِّدُنِي مِنْكَ زَادًا ؟ فَأَعْطَنِي ثِيَابَهَا ، فَشَمِيتُ مِنْهَا كَالثِّبَاتِ الْمَطُورِ ،
ثُمَّ قُلْتُ : أَيْنَ الْمَوْعِدُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ لِي إِخْوَةَ شَرَسِينَ ، وَأَبَا غَيُورًا ، وَوَاللَّهِ
لَأَنْ أَسْرُكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَضُرَّكَ . قَالَ : ثُمَّ مَضَتْ ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهَا
إِلَى يَوْمِي هَذَا فَهِيَ ، وَاللَّهِ ، الَّتِي بَلَغْتُ بِهَا مَا تَرَاهُ مِنْ هَذَا الْمُبْلِغِ ،

١ الزرقة : التحجيل .

٢ حجرة : ناحية . لاثت عمامتها : لفتها وعصبتها .

وأحلّني هذا المحلّ .

قال قلتُ : وأنتَ والله يا أبا مُسهّرٍ ما استُحسِنَ الغدرُ إلّا بكَ ، فإذا قد اخضَلتُ لحيتَه بدموعه . قال قلتُ : والله ما قلتُ لكَ ذلكَ إلّا مازحاً ، ودَاخَلتني له رِقّة ، فلمّا انقضى الموسمُ ، شَدَدتُ على ناقتي ، وشَدَدَ على ناقتِه ، وحَمَلتُ غُلاماً لي على بعيرٍ ، وحَمَلتُ عليه قُبّةَ آدمٍ خضراءَ كانتَ لأبي ربيعةَ ، وأخذتُ معي ألفَ دينارٍ ومُطَرَفًا خَزَزَ ، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْنَا كَلْباً ، فإذا الشَيْخُ في نادِي قومه ، فَأَتَيْتُهُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : عُمَرُ بْنُ أَبِي ربيعةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخْزُومِي . قال : المَعْرُوفُ غَيْرُ المَجهُولِ ، فما الذي جاءَ بكَ ؟ فَقُلْتُ : جِئْتُ خَاطِئاً . قال : أَنْتَ الكَفُوفُ لَا يُرْغَبُ عَنْ حَسَنِيهِ ، وَالرَّجُلُ لَا يُرَدُّ عَنْ حَاجَتِهِ .

قال قلتُ : إني لم آتِكَ في نفسي ، وإن كنتُ مَوْضِعَ الرِّغْبَةِ ، وَلَكِنْ أَتَيْتُكُمْ لِابْنِ أُخْتِكُمُ العُدْرِي . قال : والله إِنَّهُ لَكَفِيءُ الحَسَبِ كَرِيمُ المَنْصَبِ ، غَيْرَ أَنْ بَنَانِي لَمْ يَقَعَنَّ إلّا فِي هَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ .

قال : فَعَرَفَ الحَزَرَ مِنْ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَصْنَعْ بِكَ شَيْئاً لَمْ أَصْنَعْهُ بِغَيْرِكَ ، أَخَيَّرُهَا مَا اخْتَارَتْ .

قال قلتُ له : والله ما أَنْصَفْتَنِي . قال : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟

قال : كُنْتُ تَخْتَارُ لَغَيْرِي ، وَوَلَّيْتُ الخِيَارَ لِي غَيْرَكَ .

فَأَوْمَأَ إِلَيَّ صَاحِبِي أَنْ دَعَاهُ يُخَيِّرُهَا . قلتُ : خَيَّرَهَا .

فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا أَنْ مِنَ الأَمْرِ كَذَا وَكَذَا ، فَارْتَلَيْ رَأْيَكَ . قال : فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ : مَا كُنْتُ لِأَسْتَبِدَّ بِرَأْيٍ دُونَ القُرَشِيِّ ، أَمَّا الخِيَارُ فَخِيَارِي مَا اخْتَارَ . قال : قَدْ صَيَّرْتَ الأَمْرَ لِيَلَيْكَ . فَحَمِدْتُ اللَّهَ تَعَالَى وَصَلَّيْتُ عَلَى نَبِيِّهِ ،

١ الطرف : رداء خز ذو أعلام .

وقلتُ : قد زوّجْتُها الجَعْدَ بنَ مَهْجَعٍ ، وأصدَقْتُها هذه الألفَ دينارَ وجعلتُ
تَكْرِمَتَها العبدَ والقُبّةَ ، وكسَوْتُ الشيخَ المُطَرَفَ ، فقَبِلَهُ وسُرَّ به ،
وسألتهُ أن يَني بها من ليلتهِ ، فأجابني إلى ذلكَ ، وضربتُ القُبّةَ وسطَ الحَيِّ
وأهديتُ لَليتهِ ليلًا وبيتُ عندَ الشيخِ خَبرَ مَبِيتٍ . فلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ ،
فَقُمْتُ بِبَابِ القُبّةِ ، فخرَجَ إليّ وقد تَبَيَّنَ الجَذَلُ في وجهِهِ . قال :
فقلتُ له : كيفَ كُنتَ بَعدي ، وكيفَ هِيَ بَعْدُكَ ؟ فقالَ : أبتُ لي كثيرًا
مِمَّا أخفَتُ يَومَ رَأيتها . فقلتُ : ما حَمَلَكَ على ذلكَ ؟ فَأَنشَأَ يَقولُ :

كَتَمْتُ الهَوَى إني رأيتُكَ جازِعًا فقلتُ فتى بعضَ الصّديقِ يُريدُ
وإنْ تطرَحَنِّي أوْ تقولُ : فتيةٌ يُضِرُّ بها بَرَحُ الهَوَى فتَعُودُ
فَوَرَّيتُ عَمَّا بي وفي الكَبِيدِ الحشا منَ الوجدِ بَرَحٌ ، فاعلَمَن ، شَدِيدُ
قال فقلتُ : أَقِمِّ على أَهْلِكَ ، بَارَكَ اللهُ لَكَ ! وانطَلَقْتُ إلى أَهلي ،
وأنا أقول :

كَفَيْتُ أَخِي العُذْرِيَّ ما كانَ نَابَهُ وَمِثْلِي لِأَنقَالِ التَّوَائِبِ أَحْمَلُ
أما استَحَسَنْتَ مِنِّي المكارِمُ والعُلَى ، إذا طُرِحْتَ ، أَني أقولُ وَأفْعَلُ

ماني الموسوس وعائداته

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي قال : حدثنا أبو عمر محمد بن العباس بن
حيويه الخراز قال : حدثنا محمد بن خلف إجازة قال :

أنشدت لماني :

سلي عائداتي كيف أبصرنَ كُرْبَتِي ، فإن قلتَ قد حابيني ، فأسألي النَّاسَا
فإن لم يقولوا مات ، أوْ هُوَ مَيِّتٌ ، فزيدي إذا قلبي جُنُونًا وَوَسْوَاسًا

من أشعار ماني

أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن
عمران المرزباني إجازة قال : أخبرني المظفر بن يحيى قال : أخبرنا علي بن محمد قال :

أنشدني ابن عروس لماني :

لم يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانُهَا بَاهَتْ
بلى ، وما في جسمه مَفْصِلٌ إِلَّا وفيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ
فدَمَعُهُ يَجْرِي وَأَحْشَاؤُهُ تُوقَدُ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ
وله ، أعني ماني :

مُعَذَّبٌ الْقَلْبِ بِالْفِرَاقِ قَدْ بَلَغَتْ نَفْسُهُ التَّرَاقِي
وَذَابَ شَوْقًا إِلَى غَزَالٍ أَوْضَعَ لِلْبَيْنِ بَانْطِلَاقِي^٢
لم يُبْقِ مِنْهُ السَّقَامُ إِلَّا جِلْدًا عَلَى أَعْظَمِ رِقَاقِ
لَوْلا تَسْلِيهِ بِالتَّبَكِّي أَذْنَتْ النَّفْسُ بِالْفِرَاقِ

لحى الله يوم البين

ولي من أثناء قصيدة :

لحى الله يَوْمَ الْبَيْنِ كَمْ دَمٍ عَاشِقٍ أَرَاقُوا بِهِ لَا يَطْلُبُونَ بِشَارِهِ

١ التراقي ، الواحدة ترقوة : مقدم الحلق في أعل الصدر حيث يترقى النفس .

٢ أوضع : أسرع .

وَعَاذِلْتَهُ أَضْحَتْ تَلُومٌ عَلَى الْهَوَىٰ أَمَّا لَوَعَةٌ لَّمَّا يُفْقُ مِنْ خُمَارِهِ
ومنها :

وَأَغِيدَ فِي جَيْشٍ مِنَ الْحُسْنِ أَفْتَدِي لِمَاءَهُ وَعَيْنَيْهِ وَخَطَّ عِذَارِهِ
حَكِي الظَّبْيِ ظَبْيَ الرَّمْلِ جِيدًا وَمُقْلَةً ، فَيَا لَيْتَهُ لَمْ يَحْكِهِ فِي نِفَارِهِ

لروعات الحب نيران

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الآبَنَسِي ونقلته من خطه قال : حدثنا علي بن عبد الله بن
الغيرة أبو محمد الجوهري قال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا عبد
الرحمن قال : حدثنا عمي عن أبيه قال :

سمعتُ أعرابياً يقول : اشرحوا الرأي عند الهوى ، واغطموا النفوسَ عند
الصبي ، ولقد تصدَّعتْ كَيْدِي للعاشِيقِينَ من لَومِ العاذِلِينَ ؛ ولرَوعاتِ
الحبِّ نيرانٌ على أكبادهم مع دموعٍ على الغواني كغُرُوبِ السواني^١.

ذو الرمة ومي

أخبرنا أبو طالب محمد بن علي البضاوي بقراءتي عليه من أصل أبي بكر بن شاذان ، وفيه سماعه ،
قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : قرئ على أبي عبد الله إبراهيم
ابن محمد بن عرفة نفلويه .

قال ذو الرمة :

عَدَنِي الْعَوَادِي عَنْكَ يَا مَيُّ بُرْهَةً وَقَدْ يَلْتَوِي دُونَ الْحَبِيبِ فِيهِ جُرٌّ^٢
عَلَى أَنْتِي فِي كُلِّ سَيْرٍ أَسِيرُهُ ، وَفِي نَظَرِي مِثْلُ نَحْوِ أَرْضِكَ أَصْدُرُ^٣
فَمَا تُحَدِّثُ الْأَيَّامُ يَا مَيُّ بَيْنَنَا فَلَا نَأْتُرُنْ سِرًّا وَلَا نَتَغَيَّرُ^٣

١ الغروب ، الواحد غرب : الماء غير المنقطع . السواني ، الواحدة سانية : الناعورة .

٢ عدني : صرفتي . العوادي : عواقب الدهر . يلتوي ، أراد يلتوي الأمر : يمر .

٣ نأترن سراً : ننقله .

اقرأ السلام

وَأَنْشَدَ نَفْطَوِيهِ لآخر :

إِقرأَ السَّلامَ على مَنْ كُنْتَ تَأْلُفُهُ ، وَقُلْ لَهُ : قَدْ أَذَقْتَ القَلْبَ ما خَافَنا
فَمَا وَجَدْتُ على إلفٍ فُجِيعٌ بِهِ وَجَدِي عَلَيْكَ ، وَقَدْ فَارَقْتُ أَلْفا

أيهما أصدق عشقاً

أَبَانَا القَاضي الإمام أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال : حَدَّثَنَا القَاضي أبو الفرج المَعافى
ابن زَكْرِيَّا قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوَلِي قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قال : حَدَّثَنَا ابْنُ عَاشِقَةَ
قال : حَدَّثَنِي أَبِي قال : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤْيٍ ما رَأَيْتُ بِالْحِجَازِ أَعْلَمَ مِنْهُ قال :

حَدَّثَنِي كَثِيرٌ أَنَّهُ وَقَفَ على جَماعَةٍ يُفِيضُونَ^١ فِيهِ وَفِي جَمِيلٍ ، وَفِي
أَيُّهُمَا أَصْدَقُ عَشْقاً ، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ بِوَجْهِهِ ، فَفَضَّلُوا جَمِيلًا فِي عَشْقِهِ ،
فَقُلْتُ لَهُمْ : ظَلَمْتُمْ كَثِيرًا ، كَيْفَ يَكُونُ جَمِيلٌ أَصْدَقَ عَشْقًا مِنْ كَثِيرٍ ،
وَلَمَّا أَتَاهُ عَنْ بُشَيْنَةَ بَعْضُ ما يَكْرَهُ قال :

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُشَيْنَةَ بِالْقَلْدَى ، وَفِي الْغُرِّ مِنْ أُنْيَابِها بِالْقَوادِحِ^٢
وَالْقَوادِحُ ما يَنْقُبُها وَيَعْيِبُها ، وَكَثِيرٌ أَتَاهُ عَنْ عَزَّةٍ ما يَكْرَهُ فَقَالَ :

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ داءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنا ما اسْتَحَلَّتِ^٣
قال : فَمَا انصَرَفُوا إِلَّا على تَفْضِيلِي .

١ يفيضون : أي يفيضون بالحديث ، يكثرونه .

٢ القلدى : ما يقع في العين من تبنة ونحوها . القوادح ، الواحد قاذح : أكال يقع في الأسنان .

٣ مخامر : داخل في الجوف .

يزيد بن عبد الملك وحبابة

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بقراقي عليه بمكة في المسجد الحرام قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا العباس بن الحسين الفارسي ببغداد قال : حدثنا علي بن الحسين بن أحمد الكاتب قال : حدثنا اسماعيل بن محمد الشيعي من شيعة بني العباس قال : حدثنا عمر بن شبة عن أبي اسحاق قال :

بَلَغَنِي أَنَّ جَارِيَةً غَنَّتْ بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

وَإِنِّي لِأَهْوَاهَا وَأَهْوَى لِقَبَاءِهَا كَمَا يَشْتَهِي الصَّادِي الشَّرَابَ الْمَبْرَدَا
فَرَامَلْتُهَا سَلَامَةً فُغِنَّتْ :

عَلَاقَةٌ حُبِّ كَانَتْ فِي سَنَنِ الصَّبَا ، فَأَبْلَى ، وَمَا يَزْدَادُ إِلَّا تَجَدُّدَا
فُغِنَّتْ حَبَابَةً :

كَرِيمُ قُرَيْشٍ حِينَ يُنْسَبُ وَالَّذِي أَقِرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ ، كَهَيْلًا وَأَمْرَدَا
فَرَامَلْتُهَا سَلَامَةً فُغِنَّتْ :

تُرَوَّى بِمَجْدٍ مِنْ أَبِيهِ وَجَدَّهُ وَقَدْ أَوْرَثَنَا بُنْيَانًا بِمَجْدٍ مُشِيدَا
فَطَرِبَ يَزِيدُ وَشَقَّ حُلَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ حَتَّى سَقَطَتْ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ :
أَتَأْذَنَانِ لِي فِي أَنْ أَطِيرَ ؟ قَالَتْ لَهُ حَبَابَةُ : عَلَى مَنْ تَدْعُ الْأُمَّةَ ؟ قَالَ : عَلَيْكَ .

أبو السائب وشعر جرير

وربما سنده قال علي بن عمر بن أبي الأزر قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا محمد بن حسن قال :

أَنْشَدَ إِنْسَانٌ أَبَا السَّائِبِ الْقَاضِي قَوْلَ جَرِيرٍ :

غَيْثُ مَنْ مِنْ عِبْرَاتِهِمْ ، وَقُلْنَ لِي : مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا ؟
وَهُوَ عَلَى بَثْرٍ فَطَرَحَ نَفْسَهُ فِي الْبَثْرِ بِشَابِهِ .

١ سنن الصبا : نهجه وطريقه .

عمر الوادي والراعي

أخبرنا أبو بكر الاردستاني بمكة قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا يوسف ابن عمر الزاهد قال : حدثنا جعفر بن محمد بن نصير قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا مؤمل بن طلوت قال : حدثنا مكين المذري قال :

سمعتُ عُمَرَ الوادي قال : بينا أنا أسيرُ بينَ العَرَجِ والسُّقْيَا إذ سمعتُ رَجُلًا يَتَغَنَّى ببيتين لم أسمعُ بمثلِهما قطَّ ، وهما :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ سَعْدَى بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا
مِنَ الْخَفِيرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحْدُوثُهُ^١ لَوْ تَعِيدُهَا

قال : فكِدْتُ أَسْقِطُ عَنْ رَاحِلَتِي طَرَبًا ، فَسَمَتُ^١ سَمْتَهُ ، فإذا هو راعي غَنَمٍ ، فسألتهُ لإِعَادَتِهِ ، فقال : والله لو حَضَرَنِي قِرْنَى أَقْرَبِكُهُ مَا أَعَدْتُهُ ، ولكني أَجْعَلُهُ قِرَاكَ اللَّيْلَةِ ، فَإِنِّي رُبَّمَا تَغَنَّيْتُ بِهِمَا وَأَنَا غَرْنَانُ فَأَشْبَعُ ، وَظَمَانُ فَأُرْوَى ، وَمُسْتَوْحِشٌ فَأَنْسُ ، وَكِسْلَانُ فَأَنْشَطُ ، فاستعدتُهُ لِيَأْتِيَاهُمَا ، فَأَعَادَهُمَا حَتَّى أَخَذَتْهُمَا ، فَمَا كَانَ زَادِي حَتَّى وَرَدْتُ الْمَدِينَةَ غَيْرَهُمَا .

من عشق فعفَّ دخل الجنة

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم بن بيان قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا زكريا ابن يحيى الكوفي قال : قال محمد بن حريث الشيباني عن أبيه عن أبي سعد البقال عن مكرمة عن ابن عباس قال :

مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ .

١ سميت سمته : قصدت قصده .

قتل العاشقين

ولي قطعة مفردة :

قُلْ للظباءِ بِذِي الأَرا كِ، إِذا مَرَرْتَ بِهِنَّ جَائِزُ
 أَلَكُنَّ قَتْلُ العَاشِقِ نَ مَحَلِّ فِي الشَّرْعِ جَائِزُ
 أَوْعَدْتُمْ فَوَقَيْتُمْ ، وَالْوَعْدُ مِنْكُمْ غَيْرُ نَاجِزُ
 إِنَّ الَّذِي رَحَلَ الخَلِي طُ بِقَلْبِهِ وَأَقَامَ عَاجِزُ
 أَلَّا تَجَسَّمْ فِي هَوَاهُ لَأَثَرَهُمْ قَطَعَ المَفَاوِزُ
 حَتَّى يَظَلَّ يُجِيبُهُ قَلْقًا، وَيُتَمَسِّي الطَّرْفُ غَامِزُ
 أَتَرَى مِنِّي أَنَا مِنْكُمْ بِوِصَالِكُمْ يَا فَوْزُ فَائِزُ
 وَلَقَدْ خَلَّتْ بِهَا وَأَب حَدَثُ العِدَارَى والعَجَائِزُ
 لَيْلًا ، فَكَانَ عَفَافُنَا مَا بَيْنَنَا وَالصَّوْنُ حَاجِزُ
 حَاشَا صَحِيحَ الحُبِّ يَوْ مَا أَنْ يَقَامَ مَقَامَ مَاعِزُ

يريد ماعز بن مالك الذي أقرَّ على نفسه بالزَّنا ورجمه النبي ، صلى الله
 عليه وسلم .

سنان الصوفي والغلام

أخبرنا ابراهيم بن سعيد بمصر قال : أخبرنا أبو صالح السمرقندي الصوفي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال أبو حمزة الصوفي :

كنتُ مع سنان بن ابراهيم الصوفي فنظر إلى غلامٍ فقال : الحمدُ لله على كلِّ حال ! كنتُ أحراراً بطاعته ، فصرنا عبيداً بـمـعصيته لألحاظٍ قد بلغتُ بنا جهدَ البلاء ، وأسلمتنا إلى طولِ الضَّئاء ، فلبثنا مع ثلاثنا وطولِ ضنائنا لا نخسرُ الآخرة ، كما تولتُ عنا الدنيا ، ثم بكى ، فقلتُ له : ما يبكيك ؟ فقال : كيف لا أبكي ، وأنا مُقيمٌ على غُرُورٍ ومتخوفٌ من نزولِ مخلُورٍ من نظيرِ شاغلٍ أو بلاءٍ شاملٍ أو سَخَطٍ نازل ، ثم شهقَ وسقطَ إلى الأرض .

قتيل القيان

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي إجازة قال : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل ابن سويد المعدل قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكركبي قال : حدثنا أبو حفص عمر بن بنان الأنماطي قال :

حدثني الحُسامُ بن قُدّامة المكي باليمن :

لا تَلُومُوا فلانَ حينَ مَلامَته أَقلَقَ الحُبُّ نَفْسَهُ المُستَهَامَه
قَتَلَتْنِي بِشَكْلِهِنَّ الجَوَارِي ، والجَوَارِي فِي شَكْلِهِنَّ عَرَامَه
فإذا مَتَ فاجمَعُوا الحَرَمِيَّ اتِ وصُفُّوا مَوْلِدَاتِ الِيمَامَه
وَذَوَاتِ الحَقَائِبِ المَدَنِيَّ اتِ ذَوَاتِ المَضَاحِكِ البَسَامَه
ثم قُومُوا على الحِجُونِ ، فقولوا : يا قَتِيلَ القِيَانِ ، يا ابنَ قُدّامَه

١ العرامة : الاشتداد والخروج عن الحد . الفساد .

لا سبيل إلى وصله

أخبرنا أبو جده الله محمد بن علي الصوري في ما أجاز لنا قال : حدثنا ابن روح قال : حدثنا
 للقاضي أبو الفرج النهرواني قال : حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال :
 أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حيان الدارمي البصري في أبي تمام الهاشمي ،
 وكان الدارمي يهتم به :

سباك من هاشم سليلٌ ليسَ إلى وصلهِ سبيلٌ
 من يتعاطى الصفات فيه ، فالقول من وصفه فضولٌ
 للحسن في وجهه هلالٌ لأعين الخلق ما تزولٌ
 وطرة لا يزال فيها لنور بدر الدجى مقيلاً^١
 ولا حظته العيون حتى تشقى به الكاعب البتول^٢
 فإن يقف ، فالعيون نصبٌ وإن تولى ، فهن حول^٣

الواثق وشعر الدارمي

ويأسناده قال : أخبرنا المعاني قال : حدثنا عبد الله بن منصور الحارثي قال : حدثنا محمد بن
 زكريا الغلابي قال : حدثني الفضل ابن بلت أبي الهذيل قال :
 كنت مع جدّي عند الواثق قبل أن يلي الخلافة ، فتذاكرُوا الشعراء إلى
 أن أنشدَهُ أبو الهذيل :
 برزَن ، فلا ذو اللبِّ وفَرَنَ عقلَه عليه ، ولم يُفصِحَ بهنَّ مُريبٌ

١ الطرة : الجبهة والناسية .

٢ الكاعب : البكر الناهد .

٣ نصب : أي ناظرة إلى الأمام .

يقول : استوى الناس في النظر إليهن . فقال : يا أبا المذيل ، شعر
وقع إلي لا أدري لمن هو ، يقول فيه :

مَا مَرَّ فِي صَحْنٍ قَصِيرٍ أَوْسٍ ، إِلَّا تَسَجَّيَ لَهُ قَتِيلُ
فَإِنْ يَقِفْ ، فَالْعُيُونُ تُصَبُّ ، وَإِنْ تَوَلَّى ، فَهَنْ حَوْلُ

ما سمعت في هذا المعنى بأجود منه . فقال له : أصلح الله الأمير ، هذا الشعر
لرجل بالبصرة يكنى بأبي حيان الدارمي ، عمارة بن حيان ، فقال : يحمل
إلينا ، فورد الكتاب وقد مات .

الغلام وجارية المهدي

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر بقراءتي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن
ابن محمد المكتفي بالله قال : حدثنا جعظة قال : حدثني ابن اخت الحاركي

أن خادماً ممن خدم أباه جاءه يُخبرُه أن عندَ جاريةٍ في بعضِ قصوره
رجلاً ، فليسَ حلةً وسارَ إلى القصر ، فألفى عندها غلاماً شاباً ، له ذؤابتان ،
كانه قضيبُ فضة ، فسأله عن دخوله وكيفَ كان ، وما شأنه . فقال :
إن هذه الجارية كانت لوالدتي ، وكان بيني وبينها ألفةٌ ، فلما بيعتُ للأميرِ
المؤمنين ، صيرتُ إلى البابِ متعرّضاً لها ، فأذِنْتُ في الدخول ، فدخلتُ على
أحدِ أمرين : إما أن أظفرَ بما أريد أو أقتلَ فأستريح .

فأمرَ المهدي بإحضار سياط ، ونصبَه بينها ، ثم ضربَه عشرين سوطاً ،
ورفعَ عنه الضربَ وقال : ما أصنعُ بتعليك ، ولستُ بتاركك حياً ،
ولا تاركها ، يا غلام ، سيفٌ ونِطعٌ ! فلما أتى بذلك ، وأجلسَ الغلامُ في
النِطعِ قال : يا أميرَ المؤمنين ! قبلَ أن يُتْرَكَ بي القتلُ ، وهو دونَ حقِّي ،
اسمعَ مني ما أقول ! قال : هاتِ ، فأنشأ يقول :

ولقد ذكرتكِ والسيّاطُ تنوشني عندَ الإمامِ وساعدي مغلُولُ
ولقد ذكرتكِ والذي أنا عبدهُ والسيفُ بينَ ذُؤَابِي مَسْلُولُ
فأطرقَ المَهْدِي وتغرَّغرتَ عيناه بالدموع . ثم قال : يا غلام ، اثنِي
بإزارِ أفأني به ، فقال : الففهُما به جميعاً ، بعد أن تنزعَ ثِيَابَهُمَا ، وأخرجهُمَا
عن قصري ، ففعل ذلك .

سيد العشاق

حدث أبو عمر بن حيويه ونقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني
أبو بكر العامري قال : حدثني أبو عبد الله القرشي وحدثنا الدمشقي من الزبير قال : حدثني
مصعب بن عبد الله الزبيري قال :

عَشِقَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ جَارِيَةً مُغَنِّيَةً بِالْمَدِينَةِ ، فَهَامَ بِهَا
أ ، وَهُوَ لَا يُعْلِمُهَا بِذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّهُ ضَجِرَ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا بُوحَنَ لَهَا ،
فَاتَاهَا عَشِيَّةً ، فَلَمَّا خَرَجَتْ إِلَيْهِ ، قَالَ لَهَا : يَا ابْنِي أَتَغْنِينَ :

أُنْجِزُونَ بِالْوَدِّ الْمُضَاعَفِ مِثْلَهُ ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ جَزَى الْوَدَّ بِالْوَدِّ
قَالَتْ : نَعَمْ ، وَأَغْنِي أَحْسَنَ مِنْهُ ، ثُمَّ غَنَّتْ :

لَلَّذِي وَدَدْنَا الْمَوَدَّةُ بِالضُّعْفِ ، وَقَفَّضُ الْبَادِي بِهِ لَا يُجَازَى
لَوْ بَدَا مَا بَيْنَا لَكُمْ مَلَأَ الْأَرْضَ ضَ وَأَقْطَارَ شَامِيهَا وَالْحِجَازَا

فَاتَّصَلَ مَا بَيْنَهُمَا ، فَبَلَغَ الْخَبْرُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ ،
فَابْتَاَعَهَا لَهُ وَأَهْدَاهَا إِلَيْهِ ، فَسَكَنَتْ عِنْدَهُ سَنَةً ثُمَّ مَاتَتْ ، فَبَقِيَ مَوْلَاهَا شَهْرًا
أَوْ أَقَلَّ ثُمَّ مَاتَ كَمَا عَلَيْهَا ، فَقَالَ أَبُو السَّائِبِ التَّخْزُومِي : حَمَزَةُ سَيِّدِ
الشُّهَدَاءِ ، وَهَذَا سَيِّدُ الْعُشَّاقِ ، فَاْمَضُوا بِنَا حَتَّى نَنْحَرَ عَلَى قَبْرِهِ سَبْعِينَ نَحْرَةً ،
كَمَا كَبَّرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى قَبْرِ حَمَزَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، سَبْعِينَ
تَكْبِيرَةً . قَالَ : وَبَلَغَ أَبَا حَازِمٍ الْخَبْرَ ، فَقَالَ : مَا مِنْ حَبِيبٍ فِي اللَّهِ يَبْلُغُ هَذَا إِلَّا وَلِيَ .

قتيل الهجران

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الخياط قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن بمكة قال : حدثنا أحمد بن أبي عمران قال : سمعت أبا بكر الرازي قال : سمعت عبد الرحمن الصوفي يقول :

كنتُ ببغداد في سوقِ النخاسينَ ، فرأيتُ قوماً مجتمعينَ ، فدنوتُ منهم ، فرأيتُ شاباً مصروعاً مغشياً عليه ، فقلتُ لواحدٍ منهم : ما الذي أصابه ؟ فقال : سمعَ آيةً من كتابِ الله ، عزَّ وجلَّ ، فقلتُ : آيةَ آيةٍ كانتْ ؟ فقال : قوله ، عزَّ وجلَّ : ألمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ؟ قال : فلمَّا سمعَ أفاقَ ، وأنشأ يقول :

ألمْ يَأْنِ لِلْهِجْرَانِ أَنْ يَتَصَرَّمَا وللغُصْنِ ، غُصْنِ الْبَانِ ، أَنْ يَتَبَسَّمَا
وللعاشِقِ الْعُصْبَ الَّذِي ذَابَ وَانْحَى ، أما آنَ أَنْ يُبْكِيَ عَلَيْهِ وَيُرْحَمَا
كَتَبْتُ بِمَاءِ الشَّوْقِ ، بَيْنَ جَوَانِحِي ، كِتَابًا حَكَى نَقْشَ الْوُشَاةِ مُنْمِنَمَا
ثمَّ صَاحَ صَيْحَةً خَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ ، فحَرَ كَنَاهُ إِذَا هُوَ مَيِّتٌ .

ولما شكوت الحب

أخبرنا عبد العزيز بن علي الطحان قال : أخبرنا علي بن عبد الله الحمداني في المسجد الحرام قال : حدثني الجنيد قال :

أرسلني سري في حاجةٍ يوماً فمضيتُ فقَضَيْتُهَا ، فرَجَعْتُ ، فدفع إليَّ رجلٌ رُقْعَةً ، وقال : ما في هذه الرُقْعَةِ أَجْرُكَ لِقَضَاءِ حاجتي ، ففتَحْتُهَا ، فإذا فيها مكتوبٌ :

ولما شكوتُ الحبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنِي أَلَسْتُ أَرَى مِنْكَ الْعِظَامَ كَوَاسِيَا

وَمَا الْحُبُّ حَتَّى يَلْصِقَ الْكِيدُ بِالْحَشَا ، وَتَخْمُدَ حَتَّى لَا تَجِيبَ الْمُنَادِيَا
وَتَضْعُفُ حَتَّى لَا يُبْقِيَ لَكَ الْهَوَى سَوَى مَقْلَةٍ تَبْكِي بِهَا وَتُسَاجِيَا

دماء أهل الهوى هدر

ولي من أثناء قصيدة :

لَا تَطْلُبُوا بَدَمَ الْعَشَّاقِ طَائِلَةً ، دَمَاءُ أَهْلِ الْهَوَى مَطْلُولَةٌ هَدَرٌ

مواقع الأنفس

أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أيوب القمي قال :

حدثنا محمد بن عمران قال : حدثنا ابن عرفة النحوي عن محمد بن يزيد قال :

قال أبو نؤاس :

يَا نَظْرَةً سَاقَتْ إِلَى نَاطِئٍ أَسْبَابَ مَا يَدْعُو إِلَى حَتْفِهِ
مَنْ حُبُّ ظَنِّي حَسَنٌ دَلُّهُ يُقْصَرُ الْوَاصِفُ عَنْ وَصْفِهِ
فِي الْبَدْرِ مَنْ صَفَحْتِهِ لَمَحَةٌ وَلَمَحَةٌ فِي الظَّيْرِ مِنْ طَرَفِهِ
مَوَاقِعُ الْأَنْفُسِ فِي ثَغْرِهِ ، وَفِي ثَنَائِيهِ وَفِي كَفِّهِ

يجتمعان في القبر

ذكر أبو عمر بن حيويه ونقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر بن المرزبان قال : حدثنا

إبراهيم بن محمد قال : حدثنا الحسن بن محمد بن عيسى المقرئ قال : أخبرني محمد بن عبيد الله

العتبي قال : حدثنا ابن المنبه قال :

سَمِعْتُ أَبَا الْخَطَّابِ الْأَخْفَشَ يَقُولُ : خَرَجْتُ فِي سَفَرٍ فَتَرَكْنَا عَلَى مَاءٍ
لَطِيٍّ فَبَصُرْتُ بِخَيْمَةٍ مِنْ بَعِيدٍ فَقَصَدْتُ نَحْوَهَا فَإِذَا فِيهَا شَابٌّ عَلَى فِرَاشٍ

كأنه الخيال ، فأنشأ يقول :

ألا ما للحبيبة لا تعود ، أبخل بالحبيبة أم صلود
مرضت فعادني عواد قومي ، فما لك لم تُري في من يعود
فلو كنت المريض ، ولا تكوني ، لعدتكم ، ولو كثر الوعيد
ولا استبطأت غيرك ، فاعلمي ، وحو لي من ذوي رحي عديد

قال : ثم أغمي عليه ، فمات . فوقعَت الصيحةُ في الحي ، فخرجَ من آخر
الماء جارية كأنها فلقة قمر ، فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه
فقبَلته ، وأنشأت تقول :

عداني أن أعودك ، يا حبيبي ، معاشر فيهم الواشي الحسود
أذاعوا ما علمت من الدواهي ، وعابونا وما فيهم رشيد
فأما إذ حلت ببيتن أرض وقصر الناس كلهم الأهود^١
فلا بقيت لي الدنيا فواقاً ، ولا لهم ، ولا أترى ، عديد^٢

قال : ثم شهقت شهقة فخرت ميتة منها ، فخرجَ من بعض الأخبية
شيخ فوقف عليهما ، فرحم عليهما ، وقال : والله لئن كنت لم أجمع بينكما
حين لأجمعن بينكما ميتين ! فدفنهما في قبر واحد احضره لهما ، فسأله ،
فقال : هذه ابنتي وهذا ابن أخي .

١ قصر الناس : غايتهم .

٢ الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت ، وأرادت زمناً قليلاً .

ردّ فؤادي

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي في ما أجاز لنا قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه قال :
أنشدنا أبو عبد الله التوبجتي :

قلتُ له : رُدّ فؤادي ، فبقَد أبليت بالهَجْرِ نَوَاحِيه
فقال لي مُبتَسِماً ضاحكاً : قد غلق الرهنُ بِمَا فِيهِ^١

حديث عاشقين

أبانا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : أخبرنا علي بن أيوب قال : حدثنا أبو عبيد المرزباني
قال : حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال :
رأيتُ عاشقين اجتمعاً ، فجعلوا يتحدّثان من أوّل الليل إلى الغدّة^٢ .

أموت بدائي

أخبرنا عبد العزيز بن علي الأزهري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الهمداني
بمكة قال :

أنشدنا محمد بن عبد الله ليحيى بن معاذ :

أموتُ بدائي لا أُصيبُ مداوياً ولا فَرَجاً ممّا أرى من بَلَاثِيَا
إذا كانَ هذا العَبْدُ رِقّاً مَلِكِيهَ ، فمَنْ دونه يَرجو طيِّباً مداوياً
معَ اللهِ يَمضي دهرُهُ مُتَلَدّاً^١ ، مطيعاً له ما عاش أم كان عاصياً^٢

١ غلق الرهن : لم يستطع الراهن أن يَفْكه .

٢ متلداً : متحيراً .

مصارع العشاق

أثنانا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ بالشام قال : حدثنا علي بن أيوب قال : حدثنا أبو عبيد الله محمد بن عمران قال : أخبرني محمد بن يحيى قال :

قال علي بن الجهم :

نُوبُ الزَّمانِ كَثِيرَةٌ ، وَأَشَدُّها شَمْلٌ تَحَكَّمْ فِيهِ يَوْمُ فِرَاقِ
يا قلبِ لِمَ عَرَضْتَ نَفْسَكَ لِلْهُوى ، أَوْما رَأَيْتَ مِصْارِعَ الْعُشاقِ ؟

غريقا الهوى

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري بقراقي عليه سنة إحدى وأربعين وأربعمائة قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال : حدثنا ميمون بن هارون الكاتب قال : حدثني عبد الرحمن بن اسحاق القاضي قال :

انحدرتُ من سُرٍّ مَنْ رَأى مع محمد بن إبراهيم أخني إسحاق ، ودجلة
تَزَخَّرَ من كَثرةِ مائِها . فلَمّا أن سَرُّنا ساعة قال : ارفِقْ بِنّا ، ثمّ دعا
بِطعامِهِ ، فأكلنا ، ثمّ قال : ما تَرى في النَّبِيذِ ؟ قلتُ له : أعزّكَ اللهُ أَيْها
الأميرُ ، هذه دجلةٌ قد جاءَتْ بِمَدٍّ عَظيمٍ يُرْعِبُ مثْلُهُ ، وبَيْنَكَ وبينَ
مَنْزِلِكَ مَبِيْتُ لَيْلَةٍ ، فلو شِئْتَ أَخَرْتَهُ . قال : لا بدّ لي من الشُّربِ ،
فَضْرِبْتُ ستارةً ، واندَفَعْتُ مُغْنِيَةً تَغني ، واندَفَعْتُ أُخرى فَغَنَّتْ :

يَا رَحِمَماَ لِلْعاشِقِينا ما إن أرى لهم مُعِينا
كَمْ يُشْتَمُونَ وَيُضْرَبُونَ نَ وَيُهْجَرُونَ فَيَصْبِرُونا

١ سنة ١٠٤٩ م .

فَقَالَتْ لَهَا الْمُغَنِّيَةُ الْأُولَى : فَيَصْنَعُونَ مَاذَا ؟ قَالَتْ : يَصْنَعُونَ هَكَذَا ،
فَرَفَعَتِ السُّتَارَةَ ، وَقَدَفَتْ بِنَفْسِهَا فِي دِجْلَةٍ ، وَكَانَ يَدِي مُحَمَّدٍ غُلَامٌ^١
ذُكِرَ أَنَّهُ شَرَاهُ بِالْفِ دِينَارٍ ، وَيَبِيدُهُ مِذْبَةً^٢ ، لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَوَضَعَ
الْمِذْبَةَ ، وَقَدَفَ بِنَفْسِهِ فِي دِجْلَةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَنْتِ الَّتِي غَسَّرَقْتِنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمِينَ
فَأَرَادَ الْمَلَأَحُونَ أَنْ يَطْرَحُوا أَنْفُسَهُمْ خَلْفَهُمَا ، فَصَاحَ بِهِمْ مُحَمَّدٌ : دَعُوهُمَا
يَغْرَقَا إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ! قَالَ : فَرَأَيْتُهُمَا ، وَقَدْ خَرَجَا مِنَ الْمَاءِ مُتَعَانِقَيْنِ ثُمَّ غَرِقَا .

التطير من البكاء

أَنشَدَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلَّالُ قَالَ : أَنشَدَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُوسَى قَالَ :

أَنشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ قَالَ :

أَنشَدَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ لَقِيْطٍ :

يَا شَوْقَ الْفَتَى حَالِ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا فَعَايَصَاهُ^١ عَلَى التَّوْدِيْعِ فَاغْتَنَقَا^٢
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ عَيْنِي مَا بَكَيْتُ بِهَا تَطْيِيرًا^٣ مِنْ بُكَائِي بَعْدَهُمْ شَفَقًا

ما لقتيل الحب قود

وَلِي مِنْ أَثْنَاءِ قَصِيدَةٍ :

وَطَالِبٍ بَدْمِي ثَارًا ، فَقُلْتُ لَهُ : هِيَهَاتَ مَا لِقَتِيلِ الْحَبِّ مِنْ قَوْدٍ^١
لِلَّهِ قَلْبِي لَقَدْ أَضْحَى ، غَدَاةَ غَدَتِ حُمُولُهُمْ ، لِلجَوَى حِلْفًا وَلِلْكَمْدِ

١ المذبة : ما يطرد به الدباب .

٢ عافصاه : صارعاه .

٣ القود : القصاص ، قتل القاتل بالقتيل .

الحب حلو ومر

أنبأنا الشيخ أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة أن أبا عبيد الله محمد بن عمران المرزبان أخبرهم
اجازة قال : أخبرنا عبيد الله بن أحمد الكاتب قال : حدثنا أبو بكر بن الأثباري قال :

أنشدني إبراهيم بن عبد الله الورّاق لمحمد بن أبي أمية :

وَصَاحِكٌ مِنْ بُكَائِي حِينَ أَبْصِرُهُ لَوْ كَانَ جَرَّبَ مَا جَرَّبْتُ أَبْكَاهُ
لَا يُرْحَمُ الْمُبْتَلَى مِمَّا تَضَمَّنَتْهُ إِلَّا فِي مُبْتَلَى قَدْ ذَاقَ بَلَوَاهُ
مَا أَسْرَعَ الْمَوْتَ إِنْ تَمَّتْ عَزِيمَتُهُمْ عَلَى الْقَطِيعَةِ إِنْ لَمْ يُرْحَمِ اللَّهُ
الْحُبُّ حَلْوٌ وَمُرٌّ فِي مَدَاقِفِهِ ، أَمْرُهُ هَجْرُكُمْ وَالْوَصْلُ أَحْلَاهُ

لم يفتها جواره ميتاً

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر اللقاق بقراءتي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن
أحمد بن محمد المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا السكن بن سعيد عن العباس بن
هشام عن أبيه عن جده قال : حدثني مصدع بن غلاب الحميري وكان غفصراً ، وأدركته وهو
ابن ثمانين عشرة ومائة سنة وما في وفرة ولحيته بيضاء ، قال : حدثني أبي غلاب قال :

كَانَ بِلْدَمَارَ^١ فَتًى مِنْ حِمِيرٍ ، مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ شَرَفٌ يُقَالُ لَهُ : زَرْعَةُ
ابْنِ رَقِيمٍ ، وَكَانَ جَمِيلًا شَاعِرًا لَا تَرَاهُ امْرَأَةً إِلَّا صَبَتْ إِلَيْهِ ، وَكَانَ فِي
ظَهْرِ ذِمَارِ رَجُلٍ شَيْخٌ كَثِيرُ الْمَالِ ، وَكَانَتْ لَهُ بِنْتُ تُسَمَّى مُفَدَّةً ، بَارِعَةُ
الْجَمَالِ ، حَصِيفَةُ اللَّبِّ ، ذَاتُ لِسَانٍ مِصْلَقٍ^٢ ، تُفْحِمُ الْبَلِيغَ ، وَتُخْرِسُ
الْمِنْطِيقَ ، وَكَانَ زَرْعَةُ يُتَحَدَّثُ إِلَيْهَا فِي فِتْيَةٍ مِنَ الْحَيِّ ، وَكَانَ مَعَهُ

١ ذمار : بلدة على مرحلتين من صنعاء .

٢ المصلق : البليغ .

بَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا فَتَى مِنْ قَوْمِهَا يَقَالُ لَهُ حَبِيبِي ، ذُو جَمَالٍ وَعَمَافٍ وَحَيَاءٍ ،
فَكَانَتْ تَرْكُنُ إِلَى حَدِيثِهِ ، وَتَشْمِيزُ مِنْ زُرْعَةِ لِرَهْقِهِ ١ ، فَسَاءَ ذَلِكَ زُرْعَةُ
وَأَحْزَنَهُ ، فَاجْتَمَعَ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَهَا فَرَأَى إِعْرَاضَهَا عَنْهُ وَإِقْبَالَهَا عَلَى حَبِيبِي ،
فَقَال :
صُدُودٌ وَإِعْرَاضٌ وَإِظْهَارٌ بِغَضَةٍ ،

عَلَامٌ وَلَيْمٌ يَا بِنْتَ آلِ الْعُدَافِرِ ؟
فَقَالَتْ :

عَلَى غَيْرِ مَا شَرِّهِ ، وَلَكِنَّكَ أَمْرٌ عُرِفَتْ بِغُلِّ الْمَوَاسِتِ الْعَوَافِرِ ٢
فَقَالَ حَبِيبِي :

جَمَالَكَ يَا زَرَعَ بْنَ أَرْقَمٍ إِنَّمَا تُنَاجِي الْقُلُوبَ بِالْعَيُونِ النَّوَظِيرِ
فَقَالَ زُرْعَةُ :

فَإِنْ يَلُوكُ مِمَّا خَسَّ حَظِّي لِأَنْتِي أَصَابِي فَتُصْبِي عَيُونُ الْقَصَائِرِ ٣
وَأَنْتِي كَرِيمٌ لَا أَزْنَ بِرِيَّةٍ وَلَا يَتَعَرِّي ثَوْبِي رَيْنُ الْمَعَايِرِ ٤
فَقَالَتِ الْمُقَدَّاةُ :

كَذَاكَ فَكُنْ ، يَسْلَمُ لَكَ الْعِرْضُ ، إِنَّهُ جَمَالُ أَمْرٍ أَنْ يَرْتَدِي عِرْضَ طَاهِرٍ
فَقَالَ حَبِيبِي :

حَيَاءٌ كَمَا لَا تَعْصِيَاهُ ، فَإِنَّمَا يَكُونُ الْحَيَاءُ مِنْ تَوْقِي الْمَعَايِرِ

١ رهقه : خفة عقله وجهله .

٢ أرادت يغل المومسات : أنه يدخل على المومسات ويماعهن .

٣ خس حظي : صار خسيساً . القصائر ، الواحدة قصيرة : المحبوسة التي لا يسمح لها أن تخرج من بيتها .

٤ أزن : أوسم . الرين . الدنس .

فانصرفَ زَرَعُهُ وقد خامرهُ من حبّهما ما غلبَ على عقله ، فغبر^١
 أَيْاماً عنها ، وامتنعَ من الطعام والشراب والقرار ، وأنشأ يقول^٢ :
 يا بُغِيَّةَ أهدتِ إلى القلبِ لوعةً^٣ لقد خُبِثتِ لي منك إحدى الدهارسِ^٤
 وما كنتُ أدري والبلايا مُظِلَّةٌ بأنّ حِمَامِي تحتَ لَحْظِ مُخَالِسٍ
 جلستُ على مَكْتُوبَةِ القلبِ طائِعاً ، فيأ طَوَعَ مَحْبُوسٍ لأَعْنَفِ حَابِسٍ
 فتشاعَ هذا الشعرُ في الحيّ وبلغَ المُفْدَاةَ ، فاحتجبتْ عنه^٥ ، وامتنعتْ
 من مُحَادَثَةِ الرّجال ، فامتنعَ من الحركة والطعام ، فغبرَ على ذلكَ حَولاً ،
 وماتَ عَظِيمٌ من عَظَمَاءِ القَبَائِلِ فبرَزَ مَأْتَمُ النِّساءِ ، فبلغَ زَرَعَهُ أن
 المُفْدَاةَ في المَأْتَمِ ، فاحتملَ حتى تَنَاءَى نَشْرَاً ، واجتمعَ إِلَيْهِ لِدَائِهِ
 يُفَنِّدُونَ رَأْيَهُ وَيَعْدُلُونَهُ ، فأنشأ يقول :

لَمْ يَلْمِ فِي الْوَفَاءِ مَنْ كَتَمَ الدَّ حُبَّ وَأَغْضَى عَلَى فُؤَادٍ لَهِيدٍ^٣
 صَابَنَا ذَاكَ لَأَسْمٍ مِنْ جَلْبِ السَّيِّئِ عَلَيْهِ وَنَفْسُهُ فِي الْوَرِيدِ^٤
 ثمّ شهقَ ، فماتَ ، وتَصَابَحَ أَصْحَابُهُ ونساؤه ، وبلغَ المُفْدَاةَ
 خبرُهُ ، فقامتْ نحوهُ حتى وقفتْ عليه ، وقد تَعَفَّرَ وجهُهُ ، وأهلُهُ ينضَحونه
 بالماء ، فهِمَّتْ أَنْ تُلْقِي نَفْسَهَا عَلَيْهِ ، ثمّ تَمَاسَكَتْ ، وبادرتْ خِباءَهَا ،
 فَسَقَطَتْ تَائِهَةً الْعَقْلِ ، تُكَلِّمُ فَلَائِحِيْبُ سَحَابَةٍ يَوْمِهَا ، فلما جَنَّ
 عَلَيْهَا اللَّيْلُ رَفَعَتْ عَقِيرَتَهَا فَقَالَتْ :

بِنَفْسِي يَا زَرَعُ بَنَ أَرْقَمَ لَوْعَةً^٥ طَوَيْتُ عَلَيْهَا الْقَلْبَ وَالسَّرَّ كَاتِمٌ

١ غبر : امتنع .

٢ الدهارس : الدواهي .

٣ الهيد : الحسير .

٤ الوريد : عرق في العنق .

٥ كاتم : أي مكتوم ، مجاز عقلي .

لَتَيْنِ لَمْ أُمْتُ حُزْناً عَلَيْهِ فَلَمَنْتِي لَأَلَامُ مَنْ نِيْطَتْ عَلَيْهِ التَّمَائِمُ^١
لَتَيْنِ فَتَتِي حَيًّا فَلَيْسَ بِفَتَاتِي جَوَارِكُ مَيْتًا حَيْثُ تَبَلَى الرَّمَائِمُ^٢
ثُمَّ تَنَفَّسَتْ نَفْسًا نَبَّهَ مَنْ حَوْلَهَا إِذَا هِيَ مَيْتَةٌ فَدُفِنَتْ إِلَى جَنْبِهِ .
وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ حِمِيرٍ أَشْبَلْتُ^٣ عَلَى وَلَدِهَا بَعْدَ زَوْجِهَا :
وَقَيْتُ لَابْنَ مَالِكِ بْنِ أَرْطَاهُ كَمَا وَقَّتْ لَزُرْعَةِ الْمُفْدَاهُ
وَاللَّهِ لَا خِشْتُ بِهِ أَوْ أَلْقَاهُ حَيْثُ يُلَاقِي وَامِقٌ مِنْ يَهُوَاهُ^٤
مِنْ مَمْتَطٍ ، نَاحِيَّةً ، شَمَرْدَاهُ وَعَائِرٍ قَدْ خَدَلَتْهُ رِجْلَاهُ^٥
تَرِيدُ قَوْلَ الْجَاهِلِيَّةِ : إِنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ رَكْبَانًا عَلَى الْبَلَايَا ، وَمُشَاةً^٦
إِنْ لَمْ تُعْقَرْ مَطَايَاهُمْ عَلَى قُبُورِهِمْ ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ مِنْ فِعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .

تفارق قومها بأكية

حدث شيفنا أبو علي بن شاذان قال : حدثني أبي أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : حدثنا أبو
عبد الله أحمد بن سليمان بن داود بن محمد الطوسي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا
هارون بن موسى قال : حدثني عبد الله بن عمرو الفهري عن عمه الحارث بن محمد عن عيسى
ابن عبد الأعلى قال :

كَانَتْ بِالْمَدِينَةِ جَارِيَةٌ لَّالِ أَبِي رُمَاطَةَ ، أَوْ لَّالِ أَبِي تَفَّاحَةَ ، يُقَالُ لَهَا :
سَلَامَةُ . قَالَ : فَكَتَبَ فِيهَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَتُشْتَرَى لَهُ ، فَاشْتُرِيَتْ

١ نيطت : ربطت . التمام : التماويد ، الواحدة تميمه .

٢ الرمايم : النظم البالية .

٣ أشبلت المرأة على أولادها : قامت عليهم بعد وفاة زوجها .

٤ خست به : أنقصت من حقه . الوامق : المحب .

٥ شمرداة : لم نجد هذه اللفظة في المعاجم ، ولعلها تصحيف شمردلة : الناقة الحسنة الخلق .

٦ البلايا ، الواحدة بلية : الناقة التي كانت تعقل في الجاهلية عند قبر صاحبها فلا تلعف ولا تسقى
حتى تموت . تعقر : تقطع قوائمها بالسيف .

بعشرين ألف دينار، فقال أهلها: لا تخرج حتى نُصَلِّحَ من شأنها ، فقالت
 الرّسلُ : لا حاجةَ لكم بذلك ! معنّا ما يُصَلِّحُها . قال : فخرجَ بها حتى
 أتى بها سِقَايَةَ سُلَيْمَانَ ، قال : فَأَنْزَلَهَا رَسُلُهُ فقالت : لا والله لا أخرجُ
 حتى يأتيني قومٌ كانوا يدخلونَ عليّ فأَسَلْتُمَ عَلَيْهِمُ ، قال : فامتدّاً ذلك
 الموضعُ من الناس ، قال : ثمّ خَرَجَتْ فَوَقَفَتْ بَيْنَ النَّاسِ ، وهي تقول :
 فارَقوني وقد عَلِمْتُ يَقِيناً ما لَمَنْ ذاقَ فُرْقَةً من إِيَابِ
 إنَّ أَهْلَ الحِصَابِ قد تَرَكُونِي في وُلوَعٍ يذكو بأهلِ الحِصَابِ
 سكنوا الجِرْعَ وهو جِرْعُ أَبِي مَوْسَى إلى النخلِ من صفيِّ الشَّبابِ
 أَهْلُ بَيْتٍ تَتَابَعُوا للمَنِيَا ، ما على الدهرِ بعدهم من عِتَابِ
 قال : فَمَا زَالَتْ على ذلك تبكي ويكُونُ حتى راحت ، ثمّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ
 بِثَلَاثَةِ آلَافِ درهم .

يزيد يموت حزناً على حَبَابَةِ

حدث أبو علي بن شاذان قال : حدثني أبي أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : حدثنا أبو عبد
 الله أحمد بن سليمان الطوسي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني هارون بن موسى قال :
 حدثني موسى بن جعفر بن أبي كثير وعبد الملك بن الماجشون قال :
 لما ماتَ عمر بنُ عبد العزيز قال يزيدُ : والله ما عمر بأحوجَ إلى الله مني .
 قال : فَأَقَامَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً يَسِيرُ بِسِرَةٍ عُمَرَ ، فقالت حَبَابَةُ لخصيِّ له
 كان صاحب أمره : وَيَحْكُ قُمْ بِي حَيْثُ يَسْمَعُ كَلَامِي وَلَكَ عَلَيَّ عَشْرَةُ
 آلَافِ درهم ، فلما مرَّ يزيدُ بها قالت :
 بَكَيتُ الصَّبِيَّ جَهْلًا فَمَنْ شَاءَ لَامَنِي وَمَنْ شَاءَ آمَنِي فِي البُكَاءِ وَأَسْعَدَا
 أَلَا لَا تَلْصِقْهُ اليَوْمَ أَنْ يَتَبَلَّدَا فَقَدْ مُنِعَ المَحْزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا
 ١ هو يزيد بن عبد الملك .

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا تَلَذُّهُ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَمْ فِيهِ ذُو الشَّانِ وَفَنَدَا^١
 إِذَا كُنْتَ عِزُّهَاً عَنِ اللَّهِ وَالصَّبِي فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَدًا^٢
 قَالَ أَبُو مُوسَى : وَهَذَا الشَّعْرُ لِلْأَحْوَصِ ، فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ لِلْخَصِي :
 وَيَحْكُ ! قُلْ لِصَاحِبِ الشَّرْطِ يُصَلِّتِي بِالنَّاسِ . وَقَالَ يَوْمًا : وَاللَّهِ إِنِّي
 لَأَسْتَحْيِي أَنْ أَخْلُوَ بِهَا ، وَلَا أَرَى أَحَدًا غَيْرَهَا ، وَأَمَرَ بِبُسْتَانٍ ، وَأَمَرَ بِحَاجِبِهِ
 أَنْ لَا يُعْلِمَهُ بِأَحَدٍ .
 قَالَ : فَبَيْنَمَا هُوَ مَعَها أَسَرَ النَّاسَ بِهَا ، إِذْ حَذَفَهَا بِحَبَّةِ رُمَّانٍ ، أَوْ
 بِعَيْنَبَةٍ ، وَهِيَ تَضْحَكُ ، فَوَقَعَتْ فِي فِيهَا فَتَشْرَقَتْ فَمَاتَتْ ، فَأَقَامَتْ
 عِنْدَهُ فِي الْبَيْتِ حَتَّى جِيفَتْ ، أَوْ كَادَتْ تَجِيفُ ، ثُمَّ خَرَجَ فَدَفَنَهَا ، وَأَقَامَ^٣
 أَيَّامًا ، ثُمَّ خَرَجَ ، وَعَلَيْهِ الْمَهْمُ بَادِيًا ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى قَبْرِهَا فَقَالَ :
 فَإِنْ نَسِلُ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَعَ الصَّبِي فَبِالْيَأْسِ أَسْلُو عَنْكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ
 وَكُلُّ خَلِيلٍ لَامَتِي فَهُوَ قَائِلٌ مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ^٣
 ثُمَّ رَجَعَ فَمَا خَرَجَ مِنْ مَتْرَلِهِ حَتَّى خَرَجَ بِنَعْشِهِ .

الصوفي المتعفف

أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ بِقَرَأَتِي عَلَيْهِ بِمِصْرَ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِي
 السَّرْقَنْدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَمِينُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ أَلَيْسَ بِالْقُرَاقَةِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو
 بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرٍو الدِّهْنَوِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصُّوفِيُّ الْخَافِظُ
 قَالَ : قَالَ أَبُو حَنِزَةَ الصُّوفِيُّ :

رَأَيْتُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فَتًى مِنَ الصُّوفِيَّةِ يَصْحَبُ غُلَامًا مُدَّةً طَوِيلَةً ،
 فَمَاتَ الْفَتَى ، وَطَالَ حَزْنُ الْغُلَامِ عَلَيْهِ ، حَتَّى صَارَ جَلْدًا وَعَظْمًا مِنَ الصُّفَى

١ ذُو الشَّانِ : الْمُبْغِضُ . فَنَدَ : لَامَ .

٢ الزَّهَاةُ : الزَّاهِدُ فِي اللَّهِ وَالنَّسَاءِ . الْجَلْدُ : الصَّلْبُ الْقَاسِي .

٣ الْهَامَةُ : الْحَمَّةُ .

والكَمَدِ . فقلتُ له يوماً : لقد طالَ حزنُكَ على صديقِكَ حتى أظُنُّ أنَّكَ
لا تسلو بَعْدَهُ أبداً . فقال : وكيفَ أسلو عن رجلٍ أجلَّ الله تعالى أنْ يعصِيَه
معي طرفَةً عينٍ وصانِي عن نجاسةِ الفسوقِ في طولِ صُحْبِي له وخَلْوَائِي
مَعَه في الليل والنهار .

هَوِيْتُ شَادِنًا

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي إجازة قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قراءة عليه
قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف قال :

قال عُمر بن أبي ربيعة :

طَبِيبِي دَاوَيْتُمَا ظَاهِرًا ، فَمَنْ ذَا يُدَاوِي جَوَى بَاطِنَا
فَمَوْجَا عَلَى مَنَزَلٍ بِالْغَمِ ، فَلِئِذَا هَوَيْتُ بِهِ شَادِنًا

دَهْرٌ يُشِتُّ وَيَجْمَعُ

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد النرمي قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن أحمد الرازي قال :

أَنشَدَنِي أَبُو مُضَرَّرٍ رِبِيعَةُ بْنُ مَسِيرَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْبَزَارِيُّ بِقَرْوَيْنِ لِبَعْضِهِمْ :

فَلَا تَحْسَبْنِي أَنِّي تَبَدَّلْتُ خِلَةً سَوَاكِ وَلَا أَنِّي بَغَيْرُكَ أَقْنَعُ
وَلَا عَن قَلْبِي كَانَ الْقَطِيعَةُ بَيْنَنَا ، وَلَكِنَّهُ دَهْرٌ يُشِتُّ وَيَجْمَعُ

لو بدلت مساكنها

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد الجراحي الكاتب قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثني المكي عن المدائني قال : أنشد الحارث بن خالد المخزومي عبيد الله بن عمر :

إني وما نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ يُوودُهَا الْعَقْلُ^١
لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِينِهَا سُفْلًا ، وَأَصْبَحَ سِفْلُهَا يَعْلُو
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

الفرزدق والبدوية الحسنة

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر اللقاق قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكشي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرني الرياشي ، يرفعه عن الفرزدق ، قال :

أَبْقَى غُلَامٌ لِرَجُلٍ مِنْ نَهْشَلٍ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ أُرِيدُ السَّامَةَ ، وَأَنَا
عَلَى نَاقَةٍ لِي عَيْسَاءُ^٢ ، فَلَمَّا صِرْتُ عَلَى مَاءٍ لَبِيتِي حَنِيفَةً ارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ
فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ وَأَرَحَتْ عَزَالِيَّهَا ، فَعَدَلْتُ إِلَى بَعْضِ دِيَارِهِمْ ، فَسَأَلْتُهُمْ
الْقِرَى ، فَأَجَابُوا ، فَأَتَحْتُ نَاقَتِي ، وَجَلَسْتُ تَحْتَ بَيْتٍ لَهُمْ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ ،
وَفِي الدَّارِ جُوبَرِيَّةٌ سَوْدَاءٌ ، وَفَتَاةٌ كَأَنَّهَا فِلَقَةٌ قَمَرٍ ، فَسَأَلْتُ السَّوْدَاءَ :
لِمَنْ هَذِهِ الْعَيْسَاءُ ؟ فَأَشَارَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : لَضَيْفِكُمْ هَذَا . فَعَدَلْتُ إِلَيْ
فَسَلَّمْتُ ، وَقَالَتْ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ : مِنْ بَنِي تَمِيمٍ . قَالَتْ : مِنْ أَيِّهِمْ ؟
قُلْتُ : مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ . قَالَتْ : فَأَنْتُمْ الَّذِينَ يَقُولُ لَكُمْ الْفَرَزْدَقُ :
إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

١ منى : من مناسك الحج . الجمار : الحصوات التي يرميها الحجاج .

٢ العيساء : الناقة الكريمة .

بَيْتُ زَرَّارَةٍ مَحْتَبٍ بِفَيْنَائِهِ وَمُجَاشِيعُ وَأَبُو الْفَوَّارِسِ نَهْشَلُ
قُلْتُ : نعم . قال : فَضَحِكْتُ ، وَقَالَتْ : فَإِنَّ جَرِيرًا هَدَمَ عَلَيْهِ
بَيْتَهُ حَيْثُ يَقُولُ :

أَخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِيعًا وَأَحْلَى بَيْتَكَ بِالْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
قال : فَأَعْجَبَنِي ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ فِي عَيْنِي قَالَتْ : أَيْنَ تَوُثِّمُ ؟ قُلْتُ :
الْيَمَامَةِ . فَتَنَفَّسَتِ الصُّعْدَاءُ ثُمَّ قَالَتْ :

تَذَكَّرْتُ الْيَمَامَةَ ، إِنَّ ذِكْرِي بِهَا أَهْلَ الْمُرُوءَةِ وَالْكَرَامَةِ
أَلَا فَسَقَى الْمَلِكُ أَجَشَّ جَوْنًا يَجُودُ بِسَحَةِ تِلْكَ الْيَمَامَةِ^١
أُحْيِي بِالسَّلَامِ أَبَا نَجِيدٍ ، وَأَهْلُ^٢ لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ
قال : فَأَنْسِتُ بِهَا ، فَقُلْتُ : أَذَاتُ خَدَيْنِ أَنْتِ أَمْ ذَاتُ بَعْلٍ ؟ فَقَالَتْ :
إِذَا رَقَدَ النَّيَامُ فَإِنَّ عَمْرًا هُوَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ الْمُسْتَنِيرُ
وَمَا لِي فِي التَّبَعْلِ مِنْ مِرَاحٍ وَلَوْ رُدَّ التَّبَعْلُ لِي أُسِيرُ^٣
ثُمَّ سَكَتَ كَأَنَّمَا تَسْمَعُ كَلَامِي فَانْشَأَتْ تَقُولُ :

تَخَيَّلَ لِي ، أَبَا كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو ، بِأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرٍ
فَإِنْ يَكُ هَكَذَا ، يَا عَمْرٍو ، إِنِّي مُبَكَّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقُبُورِ
ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَمَاتَتْ . فَقِيلَ لِي : هِيَ عَقِيلَةُ بِنْتُ النِّجَادِ بْنِ النُّعْمَانِ
ابْنِ الْمُثَنَّرِ ، وَسَأَلْتُ عَنْ عَمْرٍو فَقِيلَ لِي : ابْنُ عَمَّهَا ، وَكَانَ مُغْرَمًا بِهَا ،
وَهِيَ كَذَلِكَ ، فَدَخَلْتُ الْيَمَامَةَ ، فَسَأَلْتُ عَنْ عَمْرٍو ، فَلَمَّا بِهِ قَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ .

١ أجش جون : صاحب راعد ، مسود .

٢ المراح : الفرج ، والسرور . التبعل : الزواج . معنى العجز غامض .

العشق شغل قلب فارغ

أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : حدثنا أبو الحسن علي بن أيوب القمي الكاتب بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال : أخبرني أحمد بن يحيى قال : حدثنا أبو العيلاء قال : حدثنا ابن عائشة قال :

قلت لطبيب كان موصوفاً بالحديق : ما العشق ؟ قال : شغل قلب فارغ .
وأنشد لبعضهم :

وقائلة جدّد لعينيك نظرةً تُسكّنُ ما بالقلب من ألم الوجع
فقلت لها : يكفيك ما بي من الهوى ، تُريدن أن أزداد جهداً على جهد

يتهدد بالهجر

أنشدنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أنشدنا طلحة الشاهد قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال :

أنشدني إسحق بن عمار لسلم الخاسر :

ولما رأى شوقي إلهيه وحسرتي عليه وأني لست أقوى على الهجر
تهدّدني بالهجر حتى كأنما رأني مُدلاً بالعزاء وبالصبر

لا جسم ولا قلب

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب بدمشق قال : أخبرنا أبو بكر عبد الله بن علي ابن حمويه بن ابرك الحمداني بها قال : أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بكثير ازي قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي التميمي قال : حدثنا أحمد بن علي الناقد قال : حدثنا أحمد بن محمد ابن يحيى بن جرير قال : قال أبو بكر محمد بن فرخان :

لَقِيتُ غَوْرَكَ المَجْنُونَ ، وَفِي عُنُقِهِ حَبْلٌ قَصِيرٌ ، والصَّبِيانُ يَقُودُونَهُ ،
فَقَالَ لِي : يَا أَبَا بَكْرٍ ! بِمَ يُعَذِّبُ اللَّهُ أَهْلَ جَهَنَّمَ ؟ قُلْتُ : بِأَشَدِّ الْعَذَابِ .
قَالَ : صِفْ لِي ، قُلْتُ : وَمَنْ يَصِفُ عَذَابَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَنَا فِي أَشَدِّ مِنْ
عَذَابِهِ ، ثُمَّ رَفَعَ ثَوْبَهُ عَنْ جَسَدِهِ ، فَلَإِذَا هُوَ نَاحِلٌ الْجِسْمَ دَقِيقَ الْعَظْمِ ،
فَقَالَ لِي :

انْظُرْ إِلَى مَا فَعَلَ الحُبُّ ، لَمْ يَبْقَ لِي جِسْمٌ وَلَا قَلْبٌ
أَنْحَلَّ جِسْمِي حَبًّا مِّنْ لَمْ يَزَلْ مِنْ شَأْنِهَا الهِجْرَانُ وَالْعَتَبُ
مَا كَانَ أَغْنَانِي عَنْ حَبٍّ مِّنْ مِّنْ دُونِهَا الْأَسْتَارُ وَالْحُجُبُ

الحب أعظم من الجنون

أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا زكريا بن موسى قال : حدثني شعيب بن السكن عن يونس النحوي قال :

لَمَّا خُولِطَ قَيْسُ بْنُ الْمُلَوَّحِ وَزَالَ عَقْلُهُ وَامْتَنَعَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ
صَارَتْ أُمُّهُ إِلَى لَيْلَى فَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ ابْنِي جُنٌّ مِنْ أَجْلِكَ ، وَذَهَبَ حُبُّكَ
بِعَقْلِهِ ، وَقَدْ امْتَنَعَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَإِنْ رَأَيْتِ أَنْ تُصِيرِي مَعِيَ إِلَيْهِ
فَلْعَلَّكَ ، إِذَا رَأَاكَ ، يَسْكُنُ بَعْضُ مَا يَجِدُ . فَقَالَتْ لَهَا : أَمَا نَهَارًا فَمَا يُمْكِنُنِي

ذلك ، وإن عَلِمَ أَهْلُ الْمَاءِ لَمْ آمَنَهُمْ عَلَى نَفْسِي ، وَلَكِنْ سَأَصِيرُ إِلَيْهِ فِي اللَّيْلِ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مُطَرِّقٌ يَهْدِي ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا قَيْسُ ! إِنْ أَمَكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ جُنِنْتَ عَلَى رَأْسِي ، وَأَصَابَكَ مَا أَصَابَكَ ؟ قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَتَنَظَّرَ إِلَيْهَا وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ ، وَأَنشَأَ يَقُولُ :

قَالَتْ جُنِنْتَ عَلَى رَأْسِي ، فَقُلْتُ لَهَا : الْحُبُّ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمَجَانِينِ
الْحُبُّ لَيْسَ يُفْنِيكَ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ ، وَإِنَّمَا يُضْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحَيْنِ

كثِيرٌ عَلَى قَبْرِ عَزَّةَ

أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْمُحَسِّنِ التَّنُوخِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَمْرِو
الرَّمَانِيُّ النُّحَوِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْأَوَّلِ بْنُ مَرْبَدٍ قَالَ :
أَخْبَرَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

خَرَجَ كَثِيرٌ يَرِيدُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَكْرَمَهُ ، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ ،
وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ، وَقَالَ : سَلْنِي مَا شِئْتَ مِنَ الْخَوَاصِّ ! قَالَ : نَعَمْ ، أَجِيبْ
أَنْ تَنْظُرَ لِي مَنْ يَعْرِفُ قَبْرَ عَزَّةَ ، فَيُوقِفَنِي عَلَيْهِ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ :
إِنِّي لَعَارِفٌ بِهِ . فَوَثَبَ كَثِيرٌ فَقَالَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ : هِيَ حَاجَتِي أَصْلَحَكَ اللَّهُ .
فَانْطَلَقَ بِهِ الرَّجُلُ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى مَوْضِعِ قَبْرِهَا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، وَدَمَعَهُ
يَجْرِي ، وَهُوَ يَقُولُ :

وَقَفْتُ عَلَى رُبْعٍ لِعَزَّةَ نَاقَتِي ، وَفِي الْبُرْدِ رَشَاشٌ مِنَ الدَّمْعِ يَسْفَحُ
فَيَا عَزَّ أَنْتِ الْبَدْرُ قَدْ حَالَ دُونَهُ رَجِيعُ التَّرَابِ وَالصَّفِيحُ الْمَضْرَحُ^١
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ حَقِيقَةً ، فَأَنْتِ لَعَمْرِي الْيَوْمَ أَنَا أَيْ وَأَنْزَحُ

١ الصَّفِيحُ : الحجارة العريضة . المضرح : أراد المبنى ضريحاً ، قبراً .

العينان القاتلتان

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد الحرادي قال :
 أنشدنا أبو العباس أحمد بن سهل لبعض المحدثين :
 يا ذا الذي في الحب يلحى أما والله لو حُمِلَتْ مني كفا ،
 حُمِلْتُ من حُبِّ بديع لما لُثِمْتُ على الحب فدعني وما ،
 ألقي فلني لست أدري بما قُتِلْتُ ، إلا أنني بينما ،
 أنا بباب الدار في بعض ما أطلُبُ من دارهم إذ رمى ،
 ظبي فوادي بسهام ، فما أخطأ سهماه ولكنهما ،
 سهماه عيناها التي كلما أراد قتلي بهما سلما

مات على قبر حبيبته

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق بقراقي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن
 أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرني الرياشي عن الأصمعي عن
 جبر بن حبيب قال :

أقبلتُ من مكة أريدُ اليمامة فنزلتُ بجيٍّ من عامير ، فأكرموا متواي ،
 فإذا فتني حسنُ الهيثة قد جاءني ، فسَلَّم علي ، فقال : أين يريدُ الراكبُ ؟
 قلتُ : اليمامة . قال : ومن أين أقبلتُ ؟ قلتُ : من مكة . فجلسَ إلي ،
 فحادثني أحسنَ الحديث ثم قال لي : أتأذنُ في صحبتِكَ إلى اليمامة ؟
 قلتُ : أحبُّ خيرَ مصحوبٍ ، فقام ، فما لبثَ أن جاءَ بناقةً كأنها قلعةٌ
 بيضاء ، وعليها أداةٌ حسنةٌ ، فأنأخها قريباً من مبيتي ، وتوسدَ ذراعها ،

١ قوله التي : وصف المني بالمفرد . وفي الأبيات المتقدمة كلها تضمين ، وهو تملق قافية البيت
 بالبيت الذي بعده .

فلَمَّا هَمَمْتُ بِالرَّحِيلِ أَيْقَظْتُهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَائِمًا ، فَقَامَ فَأَصْلَحَ رَحْلَهُ
فَرَكِبَ وَرَكِبْتُ ، فَقَصَّرَ عَلَيَّ يَوْمِي بِصَحْبَتِهِ ، وَسَهَّلَتْ عَلَيَّ وَعُوثُ^١
سَفَرِي ، فَلَمَّا رَأَيْنَا بَيَاضَ قُصُورِ الْيَمَامَةِ تَمَثَّلَ :

وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ^٢ وَاشْمَخَرَتْ^٣ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصْلِتَيْنَا^٤
وَهُوَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَا يُنْشِدُنِي إِلَّا بَيْتًا مُعْجَبًا فِي الْهَوَى ، فَلَمَّا قَرَبْنَا
مِنَ الْيَمَامَةِ مَا لَ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى آيَاتِ قَرِيْبَةٍ مِنَّا ، فَقُلْتُ لَهُ : لَعَلَّكَ تَحَاوِلُ
حَاجَةً فِي هَذِهِ الْآيَاتِ ؟ قَالَ : أَجَلٌ ! قُلْتُ : أَنْطَلِقِ رَاشِدًا . فَقَالَ : هَلْ أَنْتَ
مُؤَفِّقٌ حَقَّقَ الصُّحْبَةَ ؟ قُلْتُ : أَفْعَلُ . قَالَ : مِيلٌ مَعِيَ ! فَمِلْتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا
رَأَاهُ أَهْلُ الصَّرَمِ^٥ ابْتَدَرُوهُ ، وَإِذَا فَيْتِيَانُ لَهُمْ شَارَةً^٦ ، فَأَنَاخُوا بَيْنَا وَعَقَلُوا
نَاقَتَيْنَا ، وَأَظْهَرُوا السَّرُورَ ، وَأَكْثَرُوا الْبِرَّ ، وَرَأَيْتُهُمْ أَشَدَّ شَيْءَ لَهُ تَعْظِيمًا ،
ثُمَّ قَالَ : قَوْمُوا إِنْ شِئْتُمْ ، فَقَامَ ، وَقُمْتُ لِقِيَامِهِ ، حَتَّى إِذَا صِرْنَا إِلَى قَبْرِ
حَدِيثِ التَّطْيِينِ أَلْقَى نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَتَيْنِ مَنَعُونِي فِي حَيَاتِي زِيَارَةً^٧ أَحَامِي بِهَا نَفْسًا تَمَلَّكَهَا الْحُبُّ
فَلَكِنِ يَمْنَعُونِي أَنْ أَجَاوَرَ لَحْدَهَا^٨ فَيَجْمَعُ جِسمَيْنَا التَّجَاوُرُ وَالتَّشْرُبُ^٩
ثُمَّ أَنَّ أَنْتَ ، فَمَاتَ . فَأَقَمْتُ مَعَ الْفَيْتِيَانِ حَتَّى احْتَفَرُوا لَهُ وَدَفَنَاهُ .
فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : ابْنُ سَيِّدٍ هَذَا الْحَيِّ ، وَهَذِهِ ابْنَةُ عَمِّهِ ، وَهِيَ إِحْدَى
نِسَاءِ قَوْمِهِ ، وَكَانَ بِهَا مُغْرَمًا ، فَمَاتَتْ مِنْهُ ثَلَاثَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا وَقَدْ رَأَيْتَ
مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ . فَرَكِبْتُ وَكَأْتَنِي وَاللَّهِ قَدْ تَكَلَّمْتُ حَمِيمًا .

١ وعوث ، الواحد وعث : السفر الشاق .

٢ أعرضت : ظهرت . اشمخرت : ظهرت مستطيلة .

٣ الصرم : جماعة البيوت .

قبور العشاق

وجدت في مجموع سمّاه جامعُه زهرَ الربيع قال : أنشدتُ عبدَ الله بن المعتز :

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ ، حَتَّى قُبُورُهُمْ عَلَيْهَا تُرَابُ الدَّلِّ بَيْنَ الْمَقَابِرِ
فَقَالَ لِي : لَعَنَ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الشَّعْرِ ، لَا وَاللَّهِ مَا أَذَلَّ اللَّهُ تُرَابَ قَبْرِ
عَاشِقٍ قَطُّ ، بَلْ أَجَلَّه وَشَرَّفَه وَنَضَّرَه وَحَسَّنَه .

قال ابن المعتز : ولي في هذا المعنى أملحُ من قول هذا البارد ، وأنشدني
لنفسه :

مَرَرْتُ بِقَبْرِ مُشْرِقٍ وَسَطَ رَوْضَةٍ عَلَيْهِ مِنَ الْأَنْوَارِ مِثْلُ الشَّقَائِقِ^١
فَقُلْتُ: لَنْ هَذَا؟ فَقَالَ لِي الثَّرَى: تَرَحَّمْ عَلَيْهِ إِنَّهُ قَبْرُ عَاشِقٍ

ما ضرَّهم

ولي وهي قطعة مفردة :

بَانَ الْخَلِيطُ فَأَدْمَعِي وَجَدَا عَلَيْهِمْ تَسْهِيلُ
وَحْدًا بِهِمْ حَادِي الْفَرَا قِ عَنِ الْمَنَازِلِ فَاسْتَقَلُّوا
قُلُ لِّلَّذِينَ تَرَحَّلُوا عَنْ نَاضِرِي وَالْقَلْبَ حَلَّوْا ،
وَدَمِي بَلَا جُرْمٍ أَتَيْتُ غَدَاةً بَيْنَهُمْ اسْتَحَلُّوا ،
مَا ضَرَّهُمْ لَوْ أَنَّهُلُوا مِنْ مَاءٍ وَصَلِيهِمْ وَعَلَّوْا

١ الأنوار ، الواحد نور : الزهر .

تعلل ساعة

وجدت بخط أحمد بن محمد الأبنوسي حدثنا أبو محمد بن المغيرة الجوهري قال : حدثنا أحمد بن اسحاق الطفائي قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثني سليمان بن عياش السعدي قال : حدثني أبي قال :

سيرت في بلاد بني عقيل أطلب ضالّة لي ، فرأيت فتاة تدافع في مشيتها كتدافع الفرس السابق المختال . قال : فأسرعت المشي في إثرها ، حتى أدركتها ، وقد كادت تلج خيباءها ، فاستوقفتها ، فوقفت ، فجعلت أسألها ، وأكلمها ، والله ما يقع بصري على شيء منها إلا ألحاني عن غيره . قال : فصاحت بي عجوز : ما يوقفك على هذا الغزال النجدي ، فوالله ما تنال منه طائلاً . فقالت لها الفتاة : دعيه يا أمّاه يكون كما قال ذو الرمة :

فإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليل فإني نافع لي قليلها

فتاة مراد وخطيبها البكري

أخبرنا أبو الحسن علي بن صالح بن علي الروذباري بقراءتي عليه بمصر قال : أخبرنا أبو مسلم الكاتب في ما أجاز لنا قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم قال : أخبرنا أبو عبيدة قال :

خطب رجل من بكر بن وائل إلى رجل من مراد ابنته فهم أن يزوجه ، فبينما الحارية يوماً تلعب مع الجوّاري ، إذ جاء الخاطب فقلن لها : هذا خاطبك ؟ فقالت : ما رجل هو أحب إليّ أن أكون قد رأيته منه . فلما رآته رأت رجلاً كبير السن قبيح الوجه ، فقالت : أوقد رضي أبي به ؟ قلن : نعم ! فدخلت البيت ، فاشتملت على السيف وشدت عليه ،

فَسَبَقَهَا عَدَوًّا ، وَنَالَتهُ بِضَرْبَةٍ ، فَقَالَ هَمَامُ السُّلُولِي ، وَهُوَ يَشْتَبُّ بِامْرَأَةٍ :
 أَخَافُ بِأَنْ تَجْزِي الْمُحِبَّ كَمَا جَزَتْ فِتَاةُ مُرَادٍ شَيْخَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
 فَلَوْ لَمْ يَرُغْ رَوْغَ الْحَيَارَى تَفْتَحَتْ ذَوَائِبُهُ مِنْهَا بِأَبْيَضٍ قَاصِلٍ^١
 وَلَا ذَنْبَ لِلْحَسَنَاءِ لَمَّا بَدَا لَهَا ضَعِيفٌ كَخِيطِ الصَّوْفِ رِخْوَ الْمَفَاصِلِ

التَّبَسُّمُ النَّمَامُ

أخبرني أبو عبد الله بن أبي نصر الأندلسي بدمشق قال :

أُنشِدَ بِحَضْرَةِ بَعْضِ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ قِطْعَةً لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَهِيَ :
 وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَثَابُوا فَسَلَّمُوا ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي الْمَشُوقُ الْمُتَيْمُّ^٢
 سَرَوْا وَنَجُّوهُمُ اللَّيْلَ زُهْرًا طَوَالِيعُ عَلَى أَتْهَمُ بِاللَّيْلِ لِلنَّاسِ أَنْجُمُ
 وَأَخْفَوْا عَلَى تِلْكَ الْمَطَايَا مَسِيرَهُمْ ، فَتَنَّمَّ عَلَيْهِمْ فِي الظَّلَامِ التَّبَسُّمُ^٣
 فَأَفْرَطَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ فِي اسْتِحْسَانِهَا ، وَقَالَ : هَذَا مَا لَا يَقْدِرُ أَنْدَلُسِي
 عَلَى مِثْلِهِ ، وَبِالْحَضْرَةِ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ هَذَا فَقَالَ بَدِيهًا :

عَرَفْتُ بِعَرَفِ الرِّيحِ أَيْنَ تَيْمَّمُوا ، وَأَيْنَ اسْتَقَلَّ الطَّاعِنُونَ وَخَيَّمُوا^٤
 خَلِيلِي رَدَّانِي إِلَى جَانِبِ الْحِمَى ، فَلَكَسْتُ إِلَى غَيْرِ الْحِمَى أَتَيْمَمُ^٥
 أَبَيْتَ سَمِيرَ الْفَرْقَدَيْنِ كَأَنَّمَا وَسَادِي قَتَادُ ، أَوْ ضَجِيعِي أَرْقَمُ^٥

١ يرغ ، مضارع راغ : حاد ، ذهب ههنا وههنا .

٢ أثابوا : جازوا وكافأوا ، وربما أراد هنا : عادوا .

٣ العرف : الرائحة الطيبة .

٤ أتيمم : أقصد .

٥ القتاد : الشوك . الأرقم : الحية .

وأحورَ وستانَ الجفونِ كأنه قضيبٌ منَ الرِّيحانِ لدنٌ مُنعمٌ
نظرتُ إلى أجفانهِ أولَ الهوى فأيقنتُ أني لستُ مِنهنَّ أسلمٌ
كما أنَ إبراهيمَ أولَ مرّةٍ رأى في الدّراري أنه سوفَ يسقمُ^١

ميّ الغادرة

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري في ما أذن لنا أن نرويه عنه قال : أخبرنا أبو
عمر بن حيويه محمد بن العباس قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أحمد بن شداد قال :
حدثنا عبد الله بن أبي كريم قال : أخبرنا ميسرة بن عبد الله بن الجارث قال : أخبرني أبي
قال :

كانَ رجلٌ من بني سُلَيمَ يقال له عمرو بن مُسَلِّمٍ ، وكانت له امرأة
يُقال لها مَيّ ، وكانت تُبغِضُهُ ، ولم يكن يعلمُ ذاك ، وكان من أشدّ الناس
حُبًّا لها ، فدخلَ عليهما ذاتَ يوم ، وهي تقرأ في المصحفِ . فقال : يا مَيّ
أَسأَلُكَ بِمَا أُنزِلَ اللهُ تعالى في هذا المصحفِ أَتُحِبِّينِي أو تُبْغِضِينِي ؟ فقالت :
لا والله لا أخبرتُكَ إلاّ أن تُعْطِيَنِي سُؤْلَةَ أَسأَلُكَهَا . فقال : وأي شيءٍ
سُؤْلَتُكَ ؟ قالت : تجعَلُ أمري في يدي . قال : نَعَمْ ، وظنّ أنّها مازحةٌ ،
قالت : فلا والله وما أُنزِلَ فيه ما أَحْبَبْتُكَ ساعةً قطّ . فلما جعَلَ أمرها
بِيَدِهَا اختارتُ نفسَهَا ، فكادَ يموتُ أسفاً عليها ، وأنشأ يقول :

هيا ربّ أدعوكَ العَشِيَّةَ مُخْلِصاً ، دُعَاءَ امرئٍ عَمّتْ بلبلُهُ الصّدى
فلنكّ إن تجمَعُ بِمَيّ لُبَانَتِي مع الناسِ قبل الموتِ أحْدِثْ لكَ الشُّكْرَا
فتجمَعُ بها شملَ امرئٍ لم تدعْ له فؤاداً ، ولم يُرزقْ على نايِها صبرا
إلى الله أشكو أن مَيّا تحكّمتْ بعقلي مَظْلُوماً وولّيتها الأَمْرَا

١ الدّاري : الكواكب العظام .

خطاءٌ مِنَ الرَّأْيِ الضَّعِيفِ، ولم يَخْفَ
وَبَاتَتْ تَجْدُ الحَبْلَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا؛
وَحَانَتْ خَلِيلًا لَمْ يَخْنَهَا وَلَمْ يَرِدْ
عَشِيَّةَ أَلْوِي بِالرَّدَاءِ عَلَى الحَشَا
عَشِيَّةَ أَبْكِي، والبكى هَوْنُ مَا أَرَى،
فَرِحْتُ بِهَا لَوْلَا كِتَابٌ وَمُدَّةٌ
تَحَسَّنَتِ الدُّنْيَا بِمَيِّ لَيَالِيَا
مَرَارَاتُ صَابٍ حِينَ وَلَّتْ وَعَلَقَمْتُ،
لَمِيةَ غَدْرًا، واستَخَارَتْ بِي الغَدْرَا
هَنِيئًا لَهَا إِذْ حَمَلَتْ نَفْسَهَا الإِصْرَا
بِهَا بَدَلًا فِي النَّاسِ شَفْعًا وَلَا وَتَرَا
كَأَنَّ قَمِيصِي مُشْعِلٌ تَحْتَهُ جَمْرًا
وَدَاعِي الفَتَى عَمْرًا، وهِيَهَاتَ لَا عَمْرَا
مَوْجَلَّةٌ مَا عِشْتُ خَمْسًا وَلَا عَشْرَا
قَلَائِلَ ثُمَّ اسْتَبَدَلْتُ جُرْعًا كُدْرَا
تَحَسَّيْتُ مِنْ غُصَاتِهَا جُرْعًا حُمْرَا

اللسان والمرأة التي أحبها

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي بن محمد السواق قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال :
حدثنا أبو الحسين بن بيان الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أحمد بن زهير
قال : حدثنا أبو سعيد الأشج قال : حدثنا ابن إدريس عن الأعمش قال :

كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ لِيَصُّ يُقَالُ لَهُ بَرَزِينَ الْمَنَاقِيبِ ، فَنَابَ ،
وَكَانَ يُحَدِّثُ النَّاسَ عَمَّا كَانَ فِيهِ ، فَقَالَ : أَعْجَبْتَنِي امْرَأَةٌ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ
نَوَاحِي الكُوفَةِ ، فَأَخَذْتُ سَيْفِي وَخَرَجْتُ فِي السَّحَرِ ، فَلَقِيتُ بَعِيرَ سَقَاءَ ،
فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ نَحْوَهَا فَتَسَوَّرْتُ عَلَيْهَا ، فَعَابَلْتُهَا ، فَلَمْ
أَقْدِرْ عَلَيْهَا ، وَامْتَنَعَتْ أَنْ تَدْخُلَ مَعِيَ فِي الْحَرَامِ ، فَجَمَعْتُ يَدِي فِي السَّيْفِ
ثُمَّ ضَرَبْتُ بِهِ وَسَطَ رَأْسِهَا ثُمَّ انْصَرَفْتُ ، فَقُلْتُ : لَأَنْظُرَنَّ إِلَى أَثَرِ سَيْفِي .

١ تجل : تقطع . الإصر : اللذ .

فَعُدْتُ إِلَى مَوْضِعِ الْبَعِيرِ فَلِذَا الْبَعِيرُ مُلْقَى وَرَأْسُهُ نَاحِيَةً ، ثُمَّ أَتَيْتُهَا بَعْدُ لِأَعْلَمَ الْخَبَرَ ، فَلِذَا هِيَ وَسَطُ النِّسَاءِ تَحْدُثُ وَتَقُولُ : وَاللَّهِ لَضَرْبَ وَسَطِ رَأْسِي ، فَمَا أَخْطَأَ مِنْهُ شَعْرَةٌ .

أبو دهبِل والمرأة الشامية

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى قال : حدثنا الزبير بن أبي بكر قال : حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال : حدثني إبراهيم بن أبي عبد الله قال :

خَرَجَ أَبُو دَهْبِلِ الْجُمَحِيِّ يُرِيدُ الْغَزْوَ وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا صَالِحًا ، فَلَمَّا كَانَ يَجِيرُونَ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَتْهُ كِتَابًا ، فَقَالَتْ لَهُ : اقْرَأْ هَذَا ! فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ ذَهَبَتْ ، فَدَخَلْتُ قَصْرًا ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ بَلَغْتَ مَعِيَ إِلَى هَذَا الْقَصْرِ فَقَرَأْتَ الْكِتَابَ عَلَى امْرَأَةٍ فِيهِ كَانَ لَكَ أَجْرٌ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَبَلَغَ مَعَهَا الْقَصْرَ ، فَلَمَّا دَخَلَ ، إِذَا فِيهِ جَوَارٍ كَثِيرَةٌ ، فَأَغْلَقْنَ عَلَيْهِ بَابَ الْقَصْرِ ، فَلِذَا امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ قَدْ أَتَتْهُ فَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا ، فَأَبَى ، فَأَمَرَتْ بِهِ فَحُبِسَ فِي بَيْتٍ مِنَ الْقَصْرِ ، وَأُطْعِمَ وَسُقِيَ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى ضَعُفَ وَكَادَ يَمُوتُ ، ثُمَّ دَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا ، فَقَالَ : أَمَا فِي الْحَرَامِ فَلَا يَحُونُ ذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَكِنْ أَتَزَوَّجُكَ . قَالَتْ : نَعَمْ ! فَتَزَوَّجَهَا ، وَأَمَرَتْ بِهِ فَأَحْسِنَ إِلَيْهِ حَتَّى رَجَعَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ ، فَأَقَامَ مَعَهَا زَمَانًا طَوِيلًا لَمْ تَدْعِهِ يَخْرُجُ مِنَ الْقَصْرِ ، حَتَّى يَتَسَّ مِنْهُ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ ، وَزَوَّجَ أَوْلَادَهُ بَنَاتِهِ وَاقْتَسَمُوا مِيرَاثَهُ .

وَأَقَامَتْ زَوْجَتُهُ تَبْكِي ، وَلَمْ تُقَاسِمَهُمْ مَالَهُ ، وَلَا أَخَذَتْ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْئًا ، وَجَاءَهَا الْخُطَّابُ ، فَأَبَتْ وَأَقَامَتْ عَلَى الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَقَالَ أَبُو دَهْبِلِ لَامِرَاتِهِ يَوْمًا : إِنَّكَ قَدْ أَثِمْتَ فِيَّ وَفِي وَلَدِي ، فَأَذْنِي لِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ، وَأَرْجِعَ إِلَيْكَ . فَأَخَذَتْ عَلَيْهِ أَيْمَانًا أَلَّا يُقِيمَ إِلَّا سَنَةً

حتى يعودَ إليهما ، وأعطته مالا كثيراً ، فخرجَ من عندها بذلك المال حتى
 قدّمَ على أهله ، فرأى زوجته ، وما صارتَ إليه من الحزن ، ونظَرَ إلى
 ولده ممّن اقتسَمَ ماله ، وجاؤوه فقال : ما بيني وبينكم عمل ! أنتم
 ورثتموني وأنا حيّ ، فهو حظكم ، والله لا يشركُ زوجي أحدٌ في ما قدِمْتُ
 به . وقال لزوجته : شأنك بهذا المال فهو كله لك ، ولستُ أجهلُ ما كان
 من وفائك ، وأقامَ معها وقال في الشاميّة :

صاح ! حيّ الإلهُ حيّاً ودوداً عند أصلِ القنّاة من جيرون^١
 فبئلك اغتربتُ بالشّام حتى ظنّ أهلي مرجّعاتِ الظّنون^٢
 وهَي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوّ اصـ ميّزتُ من لؤلؤ مكنون
 وفي هذه القصيدة يقولُ أبو دَهبل :

ثمّ فارقتُها على خيرٍ ما كا نَ قرينٌ مقارناً لقرينِ
 وبكّتْ خشيةَ التفرّق والبيّة نـ بكاءَ الحزينِ نحوَ الحزينِ
 فأسألي عن تدكّري واكتثابي جلّ أهلي إذا همّ عدلوني
 وقد رويَ هذا الشعر لعبدِ الرّحمن بنِ حسان ، وليسَ بصحيحٍ . قال :
 فلمّا جاءَ الأجلُ أرادَ الخروجَ إليها ففاجأهُ موتُها ، فأقام .

١ جيرون : دمشق ، أو بابها الذي بقرب الجامع .

٢ المرجعات : ما لا يوقف على حقيقتها .

الصوفي و غلامه

أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد الحبال بمصر قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن أبي حنيفة السمرقندي قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع قال : حدثنا أبو بكر احمد ابن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الخياط قال : قال أبو حمزة الصوفي :

رأيتُ معَ أحمد بن علي الصوفي ببيتِ المقدس غلاماً جميلاً ، فقلتُ : مُدِّ كمْ صَاحِبَكَ هَذَا الْغُلامَ ؟ فقال : مُنْذُ سَنَيْنِ ، فقلتُ : لَوْ صِرْتُما إِلَى بَعْضِ الْمَنَازِلِ فَكُنْتُما فِيهِ بِحَيْثُ لَا يَرَاكُمَا النَّاسُ كَانَ أَجْمَلَ بِكُمَا مِنَ الْجُلُوسِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْحَدِيثِ فِيهَا . فقال : أَخَافُ احْتِيَالَ الشَّيْطَانِ عَلَيَّ فِيهِ فِي وَقْتِ خُلُوقِي بِهِ ، وَإِنِّي لَا كَرِهَ أَنْ يَرَانِي اللَّهُ مَعَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ فَيُفَرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ يَوْمَ يَظْهَرُ الْمُحِبُّونَ بِأَحَابِيهِمْ .

يكره الخلو بالغلام

أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت بالشام قال : حدثنا ابن أيوب القمي قال : أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال : حدثنا أحمد بن ابراهيم قال : حدثنا أبو اسامة قال :

كُنَّا عِنْدَ شَيْخٍ يُقْرَأُ ، فَبَقِيَ عِنْدَهُ غُلامٌ يَقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَأَرَدْتُ الْقِيَامَ فَأَخَذَ بَثْوِي وَقَالَ : اصْبِرْ حَتَّى يَتَفَرَّغَ هَذَا الْغُلامُ ، وَكَرِهَ أَنْ يَخْلُوَ هُوَ وَالْغُلامُ .

على طريقة ابن مدرك الشيباني

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا قال :

كنتُ في الحداثة أنشأتُ كَلِمَةً مسمَّطة^١ على نحو قصيدة مدرك الشيباني في عمرو النَّصراني ، فكان ممَّا ذكرته في كَلِمَتِي هذه عند صِفَةِ عَيْنِ إنسان وتَسِيَّتُ الكَلِمَةَ به :

سَقُمٌ أَوْ أَحْسَنَ عَيْنٍ تَطَرَفُ تَقَوَّى بِهِ وَلِلْقُلُوبِ تُضْعِفُ
كَالسَّمِ فِي الْأَفْعَى بِنِي مِنْ يَحْصِفُ ، يَحْيَا بِهِ ، وَلِلنَّفُوسِ يُتْلِفُ^٢
ثُمَّ قُلْتُ :

دَوَاءٌ مَنْ أَقْصَدَهُ بِسَهْمِهِ تَكَرَّرَهُ نَحْوَ مَرَامِي سَهْمِهِ
كَالْإِفْعُوَانِ يُشْتَقَى مِنْ سَمِّهِ بِشَرْبِ دِرْيَاقِ كَرِيهِ لَحْمِهِ
قال المعافى بن زكريا ولنا أيضاً في كلمة :

وسقاني بسقمٍ مُقْلَةٍ ظَبِيٍّ قَدْ قَلْبِي مِنْهُ بِأَحْسَنِ قَدْ
سَقَمُهَا لِي شِفَاءٌ دَائِي ، إِذَا جَا دَتْ وَدَاءٌ إِذَا تَصَدَّتْ لَصَدِّ

وأنا أستغفرُ الله تعالى من مساكنةٍ ما يَشْغَلُ عَنْ عِبَادَتِهِ ، ومما يُضَارِعُ ما وصفنا في هذا الفصل من وجه قول ابن الرومي :

عَيْنِي لِعَيْنِكَ حِينَ تُبْصِرُ مَقْتَلُ لَكِنَّ عَيْنَكَ سَهْمٌ حَتَفٍ مُرْسَلُ
ومن العجائب أنَّ مَعْنَى واحدًا هُوَ مِنْكَ سَهْمٌ ، وَهُوَ مِنِّي مَقْتَلُ

١ المسططة : هي التي يتفرد كل يمين منها بقافية وحرف روي يكرفان في صدر البيت وعجزه .

٢ يحصف : يصيبه جرب يابس ، ولا تدري ماذا أراد .

عناية الله بخائفيه

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أحمد بن جرب قال : حدثني عبد الله بن محمد قال : حدثني أبو عبد الله البلخي :

أن شاباً كان في بني إسرائيل لم يُرَ شابٌ قطُّ أحسنَ منه ، قال : وكان يبيعُ القِفافَ ، قال : فبينما هو ذاتَ يومٍ يطوفُ بِقِفافِهِ ، إذ خرجت امرأةٌ من دار ملك من ملوك بني إسرائيل ، فلما رأتَهُ رجعت مبادرةً فقالت لابنة الملك : يا فلانةُ ، إني رأيتُ شاباً بالبابِ يبيعُ القِفافَ لم أرَ شاباً قطُّ أحسنَ منه . قالت : أدخله ! فخرجتُ إليه ، فقالت : يا فتى ادخلْ نشترِ منك ! فدخلَ ، فأغلقتِ البابَ دونَه ثم قالت : ادخل ، فدخل فأغلقتُ باباً آخرَ دونَه .

ثم استقبلته بنتُ الملكِ كاشفةً عن وجهيها ونحوها ، فقال لها : اشتر عافاك الله ، فقالت : إنا لم نَدْعُكَ لهذا ، إنما دعوناك لكذا ، تعني تراوده عن نفسه ، فقال لها : اتقي الله ! قالت له : إنك إن لم تطاوعني على ما أريد أخبرتُ الملكَ أنك إنما دخلت عليّ تُكابرني على نفسي . قال : فأبى ، ووعظتها ، فأبت ، فقال : ضعوا لي وضوءاً ! فقالت : أعليّ تَعَلَّلْ ؟ يا جاريةُ ! ضعي له وضوءاً فوقَ الجَوْسَقِ^١ ، مكاناً لا يستطيع أن يفرَّ منه ، ومن الجَوْسَقِ إلى الأرض أربعون ذراعاً .

قال : فلما صار في أعلى الجَوْسَقِ قال : اللهم إني دُعيتُ إلى معصيتك وإني أختارُ أن أصبرَ نفسي ، فألقيها من هذا الجَوْسَقِ ، ولا أركبُ المعصية ، ثم قال : بسم الله ، وألقى نفسه من أعلى الجَوْسَقِ فأهبط الله ، عز وجل ، مسلماً من الملائكة ، فأخذ بضبعيه ، فوقع قائماً على رجليه ،

١ الجوسق : القصر .

فلما صارَ في الأرض قال : اللهمَّ إِنَّكَ إِن شِئْتَ رَزَقْتَنِي رِزْقًا يَغْنِينِي عَنْ بَيْعِ
هَذِهِ الْقِفَافِ . قال : فَأَرْسَلَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَيْهِ جَرَادًا مِنْ ذَهَبٍ ،
فَأَخَذَ مِنْهُ حَتَّى مَلَأَ ثَوْبَهُ ، فلما صارَ في ثوبه قال : اللهمَّ إِن كَانَ هَذَا رِزْقًا
رَزَقْتَنِيهِ فِي الدُّنْيَا فَبَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِن كَانَ يُنْقِصُنِي مِمَّا لِي عِنْدَكَ فِي الْآخِرَةِ
فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِ . قال : فَبَنُوْدِي : إِن هَذَا الَّذِي أُعْطَيْتَكَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ
وَعِشْرِينَ جِزْءًا لَصَبْرِكَ عَلَى الْفَائِثِ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الْجُوسَقِ ، قال : فَقَالَ :
اللَّهُمَّ لَا حَاجَةَ لِي فِي مَا يُنْقِصُنِي مِمَّا لِي عِنْدَكَ فِي الْآخِرَةِ . قال : فَرُفِعَ .

المجنون الأديب

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأرديستاني في المسجد الحرام بباب الندوة قال : حدثنا أبو القاسم
الحسن بن محمد بن حبيب قال : سمعت أبا سعيد أحمد بن محمد بن رميح الزريدي يقول : سمعت
محمد بن إبراهيم الأرجاني يقول : سمعت محمد بن يعقوب الأزدي عن أبيه قال :
دَخَلْتُ دِيرَ هِرَقْلَ ، فَرَأَيْتُ مُجْنُونًا مُكَبَّلًا ، فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَجَدْتُهُ أَدِيبًا ،
فَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي صَبَّرَكَ إِلَى مَا أَرَى ؟ فَقَالَ :
نَظَرْتُ إِلَيْهَا فَاسْتَحَلَّتْ بِنَظَرَتِي دَمِي ، وَدَمِي غَالٍ ، فَأَرْخَصَهُ الْحُبُّ
وَعَالَيْتُ فِي حُبِّي لَهَا ، وَرَأْتُ دَمِي رَخِيصًا ، فَمِنْ هَذَيْنِ دَاخَلَهَا الْعُجْبُ

أربع نسوة وأربعة غربان

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد العتيقي قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني محمد بن عبد الله الأهوازي قال : أخبرني بعض أهل الأدب أن بعض البصريين أخبره قال :

كنّا لُمةً نَجْتَمِعُ ولا يفارقُ بعضُنا بعضاً، وكُنّا على عددِ أيامٍ عند أحدنا، فضَجِرْنَا من المقامِ في المنازلِ ، فقال بعضنا : لو عَزَمْتُمْ فَخَرَجْنَا إلى بعض البساتين ، فخرَجْنَا إلى بستانٍ قريبٍ مِنّا ، فَبَسَيْنَا نَحْنُ فِيهِ إِذْ سَمِعْنَا ضَجَّةً رَاعَتُنَا ، فقلتُ للبستاني : ما هذا ؟ فقال : هؤلاء نِسوةٌ لهنَّ قِصَّةٌ ، فقلتُ له أنا دون أصحابي : وما هي ؟ قال : العِيَانُ أَكْبَرُ من الخبر ، فقمُ حتى أريكَ وحدك . فقلتُ لأصحابي : أَقْسَمْتُ أَلَّا يَبْرَحَ أَحَدٌ مِنكُمْ حتى أعودَ . فنهَضْتُ وحدي ، فصَعِدْتُ إلى موضعٍ أَشْرَفَ عَلَيْهِنَّ ، وأراهنَّ ، ولا يرينني ، فرأيتُ نِسوةً أربعاً كأحسنِ ما يكونُ من النساءِ وأشكليهنَّ ، ومعهنَّ خَدَمٌ لهنَّ وأشياءٌ قد أَصْلَحَتْ من طعامٍ وشرابٍ وآلَةٍ ، فلَمَّا اطْمَأَنَّ بيهنَّ المجلسُ ، جاءَ خادِمٌ لهنَّ ، ومعه خمسة أجزاء من القرآن ، فدَفَعَ إلى كلِّ واحدةٍ منهنَّ جزءاً وَوَضَعَ الجزءَ الخامسَ بينهنَّ ، فقرَأَن أحسنَ قِراءةً ، ثمَّ أَخَذَنَ الجزءَ الخامسَ فقرَأَت كلَّ واحدةٍ منهنَّ رُبْعَ الجزءِ ، ثمَّ أخرجنَ صورةً معهنَّ في ثوبٍ ديبقي فبَسَطْنَهَا بينهنَّ فبَكَيْنَ عَلَيْهَا ودَعَوْنَ لها ، ثمَّ أَخَذَنَ في النُّوحِ ، فقالتِ الأولى :

خَلَسَ الزَّمانُ أَعَزَّ مَحْتَلَسٍ ، وَيَدُ الزَّمانِ كَثِيرَةُ الْحَلَسِ
للهِ هَالِكَةٌ فَجِيعَتُ بِيهَا ، ما كانَ أَبْعَدَها من الدَّائِسِ
أَتَتْ الْبِشَارَةُ والنَّعيُ بِيهَا ، يا قُرْبَ ما تَمِمَّها من العُرْسِ

ثمَّ قالَتِ الثَّانِيَّةُ :

ذَهَبَ الزَّمَانُ بِأَنْسِ نَفْسِي عَنَوَةً ،
أودى بِمَمْلَكَتِي وَلَوْ تُفَادَى نَفْسُهَا ،
ظَلَمْتُ تُكَلِّمُنِي كَلَاماً مُطْمَعاً ،
حَتَّى إِذَا فَتَرَ اللِّسَانُ وَأَصْبَحَتْ
وَتَسَهَّلَتْ مِنْهَا مَحَاسِنُ وَجْهِهَا ،
جَعَلَ الرَّجَاءُ مَطَامِعِي يَأْساً كَمَا

ثمَّ قالَتِ الثَّالِثَةُ :

جَرَّتْ عَلَى عَهْدِهَا اللَّيَالِي ،
فَاعْتَضْتُ بِالْيَأْسِ مِنْكَ صَبْرًا ،
فَلَسْتُ أَرْجُو ، وَلَسْتُ أَخْشَى
فَلْيَلِغِ الدَّهْرُ فِي مَسَاقِي ،
وَأُحْدِثْتُ بَعْدَهَا أُمُورُ
فَاعْتَدَلِ الْيَأْسُ وَالسُّرُورُ
مَا أُحْدِثْتُ بِعَدْلِكَ الدَّهْرُ
فَمَا عَسَى جَهْدُهُ بِضَيْرٍ^٢

ثمَّ قالَتِ الرَّابِعَةُ :

عَلِقْتُ نَفِيسٌ مِنَ الدُّنْيَا فُجِعْتُ بِهِ ،
وَيَحَ الْمُنَايَا أَمَا تَنْفُكُ أَسْهُمُهَا
يَبْلَى الْجَلِيدَانِ ، وَالْأَيَّامُ بِالْيَمَةِ ،
ثُمَّ قُمْنَ فَقُلْنَ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ :

١ ملك : يجب أن يكون اسم الميثة .

٢ مساتي : مهمل مساتي . يضير : يضر .

٣ الجليدان : الليل والنهار .

كنّا من المساعِده ، نحيّا بنفسٍ واحده^١
 فمات نصفُ نفسي حينَ ثَوَى في الرّمسِ
 فما بقائي بعده وشطُرُ نفسي عنده
 فهل سمِعتم قبلي في مَنْ مَضَى بِمِثلي
 عاشَ بنصفِ روحٍ في بَدَنٍ صَحِيحٍ

ثمّ تَنَحَّيْنَ وَقُلْنَ لِبَعْضِ الخَدَمِ : كم عندكِ مِنْهُنَّ ؟ قال : أربعة .
 قلن : ائتِ بِهِنَّ ، فلمْ أَلْبِثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَ بِقَقْصٍ فِيهِ أَرْبَعَةُ غِرْبَانٍ
 مُكْتَفَّةً ، فَوَضَعَ القَقْصَ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ ، فدَعَوْنَ بِعِيدَانِ ، فَأَخَذَتْ كُلُّ
 وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عودًا فَغَنَّتْ :

لَعَمْرِي ! لَقَدْ صَاحَ الْغُرَابُ بِبَيْنِهِم ، فَأَوْجَعَ قَلْبِي بِالْحَدِيثِ الَّذِي يُبْدِي
 فَقُلْتُ لَهُ : أَفَصَحْتَ لَا طِيرْتَ بَعْدَهَا ، بِرِيشٍ ، فَهَلْ لِلْقَلْبِ وَجَعٌ مِنْ رَدِّ !
 ثمّ أَخَذْنَ وَاحِدًا مِنَ الْغِرْبَانِ فَتَنَقَّنَ رِيشَهُ حَتَّى تَرَكْنَهُ كَأَن لَمْ يَكُنْ
 عَلَيْهِ رِيشٌ قَطُّ ، ثمّ ضَرَبْنَهُ بِقُضْبَانٍ مَعَهُنَّ لَا أُدْرِي مَا هِيَ حَتَّى قَتَلْنَهُ ،
 ثمّ غَنَّتْ :

أَشَاقَكَ ، وَاللَّيْلُ مُلْقِي الْجِرَانِ ، غُرَابٌ يَتَوَحُّ عَلَى غُصْنِ بَانٍ^٢
 أَحْصُ الْجَنَاحَ ، شَدِيدُ الصِّيَاحِ ، يَبْكِي بِعَيْنَيْنِ مَا تَهْمَلَانِ
 وَفِي نَعَبَاتِ الْغُرَابِ اغْتَرَابٌ ، وَفِي الْبَانِ بَيْنٌ بَعِيدُ التَّدَانِ
 ثمّ أَخَذْنَ الثَّانِي فَشَدَدْنَ فِي رِجْلَيْهِ خَيْطَيْنِ وَبَاعَدْنَ بَيْنَهُمَا وَجَعَلْنَ
 يَقُلْنَ لَهُ : أَتَبْكِي بِلَا دَمْعٍ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْأُلُوفِ ، فَمَنْ أَحَقُّ بِالْقَتْلِ مِنْكَ ؟

١ المساعدة : قوم النسوة .

٢ ألقى الليل جرائه : أقبل .

ثمَّ فَعَلَنَ بِهِ مَا فَعَلَنَ بِصَاحِبِهِ . ثمَّ غَنَّتِ الثَّالِثَةُ :

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ لَوْنُكَ شَاحِبٌ ، وَأَنْتَ بِلَوَاعَاتِ الْفِرَاقِ جَدِيرٌ
فَبَيِّنْ لَنَا مَا قُلْتَ ، إِذْ أَنْتَ وَاقِعٌ ؛ وَبَيِّنْ لَنَا مَا قُلْتَ حِينَ تَنْطِيرُ
فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا تَقُولُ ، فَأَصْبَحْتَ هُمُومُكَ شَتَّى ، وَالْجَنَاحُ كَسِيرٌ
وَلَا زِلْتَ مَكْسُورًا عَدِيمًا لِنَاصِرٍ ، كَمَا لَيْسَ لِي مِنْ ظَالِمٍ نَصِيرُ
ثمَّ قَالَتْ لَهُ : أَمَّا الدَّعْوَةُ فَقَدْ اسْتُجِيبَتْ ، ثُمَّ كَسَرَتْ جَنَاحَيْهِ ،
وَأَمَرَتْ فَفُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، ثُمَّ غَنَّتِ الرَّابِعَةُ :

عَشِيَّةَ مَا لِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنْتِي بِلَقَطِ الْحَصَى ، وَالْخَطِّ فِي الدَّارِ مَوْلَعٌ
أَخْطُ وَأَحْوُ كُلَّ مَا قَدْ خَطَّطْتُهُ بِدَمْعِي وَالْغُرْبَانُ فِي الدَّارِ وَقَعٌ
ثمَّ قَالَتْ لِأَخَوَاتِهَا : أَيُّ قَتْلَةٍ أَقْتُلُهُ ؟ فَقُلْنَ لَهَا : عَلَقِيهِ بِرِجْلَيْهِ وَشَدِّي
فِي رَأْسِهِ شَيْئًا ثَقِيلًا حَتَّى يَمُوتَ ، فَفَعَلَتْ بِهِ ذَلِكَ ، ثُمَّ وَضَعْنَ
عِيدَانَهُنَّ ، وَدَعَوْنَ بِالْغَدَاءِ ، فَأَكَلْنَ ، وَدَعَوْنَ بِالشَّرَابِ ، فَشَرِبْنَ ،
وَجَعَلْنَ كُلُّمَا شَرِبْنَ قَلْحًا شَرِبْنَ لِلصُّورَةِ مِثْلَهُ ، وَأَخْلَدْنَ عِيدَانَهُنَّ ،
فَغَنَيْنَ ، فَغَنَّتِ الْأُولَى كَأَنَّهَا تودِّعُ بِهِ :

أَبْكِي فِرَاقَكُمْ عَيْنِي فَأَرْقَهَا ، إِنَّ الْمُحِبَّ عَلَى الْأَحْبَابِ بِكَاءُ
مَا زَالَ يَدْعُو عَلَيْهِمْ رَبُّ دَهْرِهِمْ حَتَّى تَفَانَوْا ، وَرَبُّ الدَّهْرِ عَدَاءُ
ثمَّ غَنَّتِ الثَّانِيَّةُ :

أَمَّا وَالَّذِي أَبْكِي وَأَضْحَكَ ، وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا ، وَالَّذِي أَمَرُهُ الْأَمْرُ
لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى أَلِيفَيْنِ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا الذَّعْرُ

ثم غنّت الثالثة :

سأبكي على ما فات منك صبايةً وأندبُ أيامَ الأمانِ الذواهبِ
أحينَ دنا من كنتُ أرجو دنوّه رمّني عيونُ الناسِ من كلِّ جانبِ
فأصبحتُ مَرَحوماً، وكنتُ مُحَسَّداً، فصبراً على مكرّوه مرّاً العواقبِ

ثم غنّت الرابعة :

سأفني بكَ الأيامَ حتى يسُرّني بكَ الدهرُ، أو تنفّي حياتي مع الدهرِ
عزّاءً وصبراً! أسعداني على الهوى، وأحمدُ ما جرّبتُ عاقبةَ الصبرِ
ثم أخذت الصورة فعانقته ، وبكت ، وبكين ، ثم شكّونَ إليها
جميع ما كنّ فيه ، ثم أمرنَ بالصورة ، فطويّت ، ففرقتُ أن يتفرّقنَ قبل
أن أكلمهنّ ، فرفعتُ رأسي إليهنّ فقلتُ : لقد ظلمتُنَّ الغريبانَ .
فقلتُ ١ : لو قضيت حقّ السلام ، وجعلته سبباً للكلام ، لأخبرناك بقصةِ
الغريبان . قال قلتُ : إنّما أخبرتكُنَّ بالحقّ . قلن : وما الحقّ في هذا ،
وكيف ظلمناهنّ ؟ قلتُ : إنّ الشاعر يقول :

نعبَ الغرابُ برؤيةِ الأحبابِ ، فلذلك صيرتُ أحبّ كلّ غرابٍ
قالتُ : صحّفت وأحلت المعنى ، إنّما قال : يفرقةِ الأحبابِ ،
فلذلك صيرتُ عدوّ كلّ غرابٍ . فقلتُ لهنّ : فبالذي نخصّكنَ بهذا
المجلس ، وبحقّ صاحبةِ الصورة ، لا خبرتني بخبركنّ ؟ قلن : لولا أنّك
أقسمتَ علينا بحقّ من يجبُ علينا حقّه ما أخبرناك .

كنّا صواحِبَ مجتمعاتٍ على الألفة ، لا تشربُ منّا واحدةُ الباردِ دونَ
صاحبتها ، فاخترمتُ صاحبةِ الصورة من بيننا ، فنحنُ نصنعُ في كلّ
موضعٍ نجتمعُ فيه مثل الذي رأيت ، وأقسمنا أن نقتلَ في كلّ يومٍ نجتمعُ

١ قالت : يريد إحداهن .

فيه ما وجدنا من الغربان لعلّة كانت . قلت : وما تلك العلّة؟ قلن : فرق بينها وبين أنسٍ كان لها ، ففارقَت الحياة ، فكانت تدمهنّ عندنا ، وتأمُرُ بقتلهنّ ، فأقلّ ما لها عندنا أن نمتثلَ ما أمرت به ، ولو كان فيك شيء من السواد لفعلنا بك فعلنا بالغربان .

ثمّ نهضنَ فمضينَ ، ورجعتُ إلى أصحابي فأخبرتهم بما رأيتُ ، ثمّ طلبتُهنّ بعد ذلك ، فما وقعتُ لهنّ على خبر ، ولا رأيتُ لهنّ أثراً .

أبو السائب والغراب

أخبرنا أبو الحسن علي وأبو منصور أحمد ابنا الحسن بن الفضل الكاتب في ما أجازاه لي قالاً : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن خالد الكاتب من لفظه قال : أخبرنا أبو محمد علي بن عبد الله بن العباس بن المغيرة الجوهري قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : قال الخليل بن سعيد :

مررتُ بسوق الطير ، فإذا الناس قد اجتمعوا يركبُ بعضهم بعضاً ، فإذا أبو السائب قائماً على غرابٍ يُباعُ قد أخذ طرفَ رِدايه وهو يقول للغراب : يقول لك قيس بن ذريح :

ألا يا غرابَ البينِ ، قد طيرتَ بالذي أحاذرُ من لُبني ، فهل أنتَ واقعٌ ؟ ثمّ لا تَقع ، ويضربه بردائه والغراب يصيح .

ابن صاحب قيس بن ذريح والغربان

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني عبد الجبار بن عبد الأعلى قال : قال خندف بن سليم : حدثني أحمد بن هود أن لُبني أمرتُ غلاماً لها فاشترى لها أربعةَ غربان ، فلما رأتهنّ بكّت وصرخت ، وكتفتهنّ ، وجعلت تضربهنّ بالسوط

حتى مَتَنَ جميعاً ، وجَعَلَت تقول بأعلى صوتها :

لقد نادى الغُرَّابُ بَيْنَ لُبْنَى فطارَ القلبُ من حَذَرِ الغُرَّابِ
فَقُلْتُ : غَدَاً تَبَاعِدُ دَارُ لُبْنَى وَتَنَائِي بَعْدَ وَدِّ اقْتِرَابِ
فَقُلْتُ : تَعِيسَتَ وَيَحْلِكَ من غُرَّابِ أَكُلَّ الدهرِ سَعْيُكَ في تَبَابِ
لَقَدْ أُولِيتَ ، لا لَأَقِيتَ خَيْراً ، بِتَفْرِيقِ المحِبِّ عن الحِبَابِ
فدخل زوْجُها ، فرآها على تِلْكَ الحال ، فقال : ما دَعَاكِ إلى ما أرى ؟
قَالَتْ : دَعَانِي أَنْ ابن عمِّي وَحِيي قَيْساً أَمْرَهُنَّ بالوقوعِ فَلَمْ يَقْعَنَ
حيثُ يقول :

ألا يا غُرَّابَ البَيْنِ ، قد طَرِثَ بالذي أَحَازِرُ من لُبْنَى ، فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعُ ؟
فَأَلَيْتُ أَنْ لا أَظْفَرَ بِغُرَّابٍ إِلَّا قَتَلْتُهُ ، قال : فَنَغْضِبَ ، وقال : لقد
هَمَمْتُ بِتَحْلِيَةِ سَبِيلِكَ ، فَقَالَتْ : لَوَدِدْتُ أَنَّكَ فَعَلْتَ ، وإني عَمِيَاءُ ،
فوالله ما تَزَوَّجْتُكَ رَغْبَةً فَيْكَ ، ولقد كُنْتُ أَلَيْتُ أَنْ لا أَتَزَوَّجَ بَعْدَ قَيْسٍ
أَبداً ، وَلَكِنِّي غَلَبَنِي أَبِي على أَمْرِي .

قلبي باكٍ

أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة في ما أجاز لنا قال : أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن
عمران المرزباني إجازة قال :

أَنشَدَنَا نَفْطَوِيَه :

أَعَادُ من حُبِّكَ لا من ضَنْيِ وَأَكْثَرُ العُودِ أَشْرَاسِي^١
وَلَسْتُ أَشْكُوكَ إلى عَائِدٍ ، أَخَافُ أَنْ أَشْكُوَ إلى شَاكِي
إِنْ كُنْتُ لا أَبْكِي حِذَارَ الْعِدَى ، فَإِنَّ قَلْبِي أَبداً بَاكِي

١ أشراكي : شركائي .

قاتل الله للرقيب

ولي من قصيدة أولها :

إذا كنتُ من أسرى الهوى غيرَ مُنفكٍّ ، فدعْ جسدي يفتي ودعْ مقلتي تبكي
وفيها :

ألا قاتلَ الله الرقيبَ وموقِفاً بَكينا به ، والبينَ يفتَر بالضحكِ
وغربَ غربانِ النوى ، حينَ بشرتْ ، نعيّاً من البينِ المفرّقِ بالوشكِ
فيما ويح للعشاقِ أمست دماؤهم تُطلّ غراماً وهي هيّنة السفكِ

معبد المغني وعلامه

أخبرنا أبو الفتح عبد الواحد بن أحمد بن الحسين بن شيطا وأبو الحسين أحمد بن علي التوزي
قالا : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد المعدل قال : أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي
قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال : حدثني حماد بن اسحاق عن أبيه قال :

كان لمعبده مملوكٌ ربّاه وأحسنَ أدبه ، فمرّ به فتّى ، فاستظرفَ الغلامَ ،
فاشتراه منه ، فلما رحل سمعَ الفتى الغلامَ يبكي ، ويقول :
وما كنتُ أخشى مَعْبِداً أن يبيّعتني بشيءٍ ولو أضحتُ أنا مِلهُ صِفراً
أخوكُم ومولّاكُم ، وصاحبُ سرّكُم ، ومن قد نشأ فيكُم ، وعاصرَكُم دهرًا
فقال له مولاه : الحقّ بأهلكَ ، فهم في حِلٍّ من ثَمَنِكَ .

الفضل بن الربيع يهوى غلاماً

وبالإسناد قال : أخبرنا الحسين بن القاسم قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر الوراق قال :
أخبرني دوست الخراساني قال :

اشترى خُزّام صاحبُ دوابِّ المعتصم خادماً نظيفاً ، وكان عبدُ الله بن العباس
ابن الفضل بن الربيع يتعشّقه ، وقد نشبَ في ابتياعه^١ ، فسأله هبته له ،
أو بيعته منه ، فلم يفعل ، فصنّع أبياتاً ، وعمل فيها لحناً ، واتّصلَ خبرُها
بخُزّام ، وخاف أن يتّصلَ الخبرُ بالمعتصم فيأتني عليه ، فوجّه به إليه ،
وهذه هي الأبيات :

يَوْمُ سَبْتٍ فَصَرَّفَا لِي الْمُدَامَا واسْقِيَانِي لَعَلَّتِي أَنْ أَنَامَا
شَرَّدَ النَّوْمَ حُبُّ ظَبِّي غَرِيرٍ ، مَا أَرَاهُ يَرَى الْحَرَامَ حَرَامَا
اشْتَرَاهُ فَتَى بِقَضْمَةٍ يَوْمٍ أَصْبَحْتُ غِيْبَهُ الدُّوَابُّ صِيَامَا

دمعة هطلت في ساعة البين

وبالإسناد أيضاً قال : أخبرنا الحسين بن القاسم قال : حدثني محمد بن عجلان قال :
أخبرني ابنُ السكيت أنَّ عبدَ الله بنَ طاهر عزمَ على الحجِّ ، فنَخَرَجَتْ
إليه جاريةٌ شاعرة ، فَبَكَتْ لَمَّا رَأَتْ آلَةَ السَّفَرِ ، فقال محمد بن عبد الله :

دَمْعَةٌ كَاللَّوْلُو الرِّط بِ عَلَى الْخَلْدِ الْأَسِيلِ
هَطَلَتْ فِي سَاعَةِ الْبَيْنِ نِ مِنَ الطَّرْفِ الْكَحِيلِ

١ نشب في ابتياعه : اشتراه .

ثمّ قال لها : أجيّزي ، فقالت :

حِينَ هَمَّ الْقَمَرُ الزَّاهِرُ عَنَّا بِالْأَفُولِ^١
لِنَمَا يَفْتَضِحُ الْعُشَّاقُ فِي يَوْمِ الرَّحِيلِ

حنّ شوقاً وأنّ

ولي من نسب قصيدة :

وَأَخِي لَوَعَةٍ لَقِيتُ فَمَا زَا لَ بِمَاءِ الْجُفُونِ يُبْكِي الْجَفْنَ
يَشْتَكِي وَجَدَهُ إِلَيَّ وَأَشْكُو مَا يَقَاسِي قَلْبِي الْمَشُوقُ الْمَعْنَى
ثُمَّ لَمَّا كَفَّتْ دُمُوعُ مَاقِي هِ وَمَلَّ الْمَكَانُ مِمَّا وَقَفْنَا
قَالَ لِي، وَالْعُدَّالُ قَدْ يَتَسَوَّأُ مِنْ هِ وَمَنِي ، وَحَنّ شَوْقًا وَأَنَا:
قَدْ أَفَاقَ الْعُشَّاقُ مِنْ سَكْرَةِ الْبَيْتِ نِ جَمِيعًا ، فَمَا لَنَا مَا أَفَقْنَا ؟
قُلْتُ: جَارَ الْهَوَى عَلَيْنَا، فَلَوْ كُنَّا غَدَاةَ الْفِرَاقِ مُتَنِّسًا اسْتَرَحْنَا

إياس وابنة عمه صفوة

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي في ما أجاز لنا قال : أخبرنا أبو عمر محمد
ابن العباس بن حيويه الخزاز قراءة عليه قال : أخبرنا محمد بن خلف أجازة قال : حدثنا قاسم
ابن الحسن قال : حدثنا العمري قال :

أخبرني الهيثم بن عديّ أن إياسَ بنَ مُرَّةَ بنِ مُصْعَبِ الْقَيْسِي كَانَ
لَهُ أَخٌ يُقَالُ لَهُ فِيهِرٌ ، وَكَانَا يَتَزَلَّانِ الْحَيْرَةَ ، وَأَنْ فِيهِرًا ارْتَحَلَ بِأَهْلِهِ وَوَلَدَهُ ،

١ الأفول : الغياب .

فَنَزَلَ بِأَرْضِ السَّرَاقِ ، وَأَقَامَ مَرَّةً بِالْحَيْرَةِ ، وَكَانَتْ عِنْدَ مَرَّةٍ امْرَأَةٌ مِنْ
بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، فَلَبِثَتْ مَعَهُ زَمَانًا لَمْ يُرْزَقْ مِنْهَا وَلَدًا ، حَتَّى يَمُوتَ
مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَى فِي مَنَامِهِ ، لَيْلَةً مِنْ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ إِنْ بَاشَرْتَ
زَوْجَتَكَ مِنْ لَيْلَتِكَ هَذِهِ رَأَيْتَ سُرُورًا وَغَيْبَةً ، فَاتَّبَعَهُ ، فَبَاشَرَهَا فَحَمَلَتْ ،
فَلَمْ يَزَلْ مَسْرُورًا إِلَى أَنْ تَمَّتْ أَيَّامُهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا ، فَسَمَّاهُ إِيَّاسًا ،
لَأَنَّهُ كَانَ إِيَّاسًا مِنْهُ ، فَتَنَشَأُ الْغُلَامُ مَنَشَأً حَسَنًا .

فَلَمَّا تَرَعَرَخَ ضَمَمَهُ أَبُوهُ إِلَيْهِ ، وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَكَانَ إِذَا سَافَرَ
أَخْرَجَهُ مَعَهُ لِقِلَّةِ صَبْرِهِ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ يَوْمًا : يَا بُنَيَّ ، قَدْ كَبُرَتْ سُنِّي ،
وَكُنْتُ أَرْجُوكَ لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ، وَلِي إِلَى عَمِّكَ حَاجَةٌ ، فَأُحِبُّ أَنْ تَشْخَصَ
فِيهَا . فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ : نَعَمْ يَا أَبُي ، وَنِعَمَ عَيْنٍ وَكَرَامَةٍ ، فَلِذَا شِئْتُ فَأَنَا لِحَاجَتِكَ .
فَأَعْلَمَهُ الْحَاجَةَ ، فَخَرَجَ مُتَوَجِّهًا حَتَّى أَتَى عَمَّهُ ، فَعَظَّمُ سُرُورُهُ بِهِ وَسَأَلَهُ
عَنْ سَبَبِ قُدُومِهِ ، وَمَا الْحَاجَةُ فَأَخْبَرَهُ بِهَا ، وَوَعَدَهُ بِقَضَائِهَا ، فَأَقَامَ
عِنْدَ عَمِّهِ أَيَّامًا ، يَسْتَظِرُّ فِيهَا قَضَاءَ الْحَاجَةِ .

وَكَانَ لِعَمِّهِ بِنْتُ يُقَالُ لَهَا صَفْوَةٌ ، ذَاتُ جَمَالٍ وَعَقْلٍ ، فَبَيْنَمَا هِيَ
ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ بِفِنَاءِ دَارِهِمْ ، إِذْ بَدَتْ لَهُ صَفْوَةٌ زَائِرَةٌ بَعْضَ أَخَوَاتِهَا
وَهِيَ تَهَادِي بَيْنَ جَوَارِيهَا ، فَتَنَظَّرَ إِلَيْهَا إِيَّاسٌ نَظْرَةً أَوْرَثَتْ قَلْبَهُ حَسْرَةً ،
وَوَظَلَ نَهَارَهُ سَاهِيًا ، وَبَاتَ وَقَدْ اعْتَكَّرَتْ عَلَيْهِ الْأَحْزَانُ ، يَتَنَظَّرُ الصَّبَاحَ ،
يَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ النِّجَاحُ ، فَلَمَّا بَدَأَ لَهُ الصَّبَاحُ خَرَجَ فِي طَلَبِهَا يَتَنَظَّرُ
رُجُوعَهَا ، فَلَمَّ يَلْبِثُ أَنْ بَدَتْ لَهُ ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ تَنَكَّرَتْ ثُمَّ مَضَتْ
فَأَسْرَعَتْ ، فَمَرَّ يَسْعَى خَلْفَهَا ، يَأْمُلُ مِنْهَا نَظْرَةً ، فَلَمَّ يَصِلُ إِلَيْهَا ،
وَفَاتَتْهُ فَانصَرَفَ إِلَى مَنَزِلِهِ ، وَقَدْ تَضَاعَفَ عَلَيْهِ الْحُزْنُ وَاشْتَدَّ الْوَجْدُ ،
فَلَبِثَ أَيَّامًا ، وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ، إِلَى أَنْ أَعْقَبَهُ ذَلِكَ مَرَضًا أَضْنَاهُ وَأَنْحَلَ
جِسْمَهُ ، وَوَظَلَ صَرِيحًا عَلَى الْفِرَاشِ .

فَلَمَّا طَالَ بِهِ سَقَمُهُ وَتَخَوَّفَ عَلَى نَفْسِهِ بَعَثَ إِلَى عَمِّهِ لِيَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ

ويوصيه بما يُريد ، فلَمَّا رآهُ عَمَّهُ وَنَظَرَ إِلَى مَا بِهِ سَبَقَتُهُ الْعِبْرَةُ إِشْفَاقاً عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ : كَفَّ ، جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا عَمُّ ، فَقَدْ أَفْرَحْتَ قَلْبِي . فَكَفَّ عَنْ بَعْضِ بُكَائِهِ ، فَشَكَاَ إِلَيْهِ إِيَّاسُ مَا يَجِدُ مِنَ الْعِلَّةِ . فَقَالَ لَهُ : عَزَّ ، وَاللَّهِ ، عَلِيٌّ يَا ابْنَ أَخِي ، وَلَنْ أَدَعَ حِيلَةَ فِي طَلَبِ الشِّفَاءِ لَكَ . فَانصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى مَوْلَاةٍ لَهُ كَانَتْ ذَاتَ عَقْلٍ فَأَوْصَاهَا بِهِ ، وَبِالتَّعَاهُدِ لَهُ ، وَالْقِيَامِ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا دَخَلَتْ الْمَوْلَاةُ عَلَيْهِ فَتَأَمَّلَتْهُ عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي بِهِ عِشْقٌ ، فَقَعَدَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَأَجَرَتْ ذِكْرَ صَفْوَةَ لَتَسْتَيْقِنَ مَا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ ذِكْرَهَا زَقَرَ زَقَرَةً ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : وَاللَّهِ مَا زَقَرَ إِلَّا مِنْ هَوًى دَاخِلِهِ وَلَا أَظُنُّهُ إِلَّا عَاشِقًا . فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ كَالْمَازِحَةِ لَهُ فَقَالَتْ لَهُ : حَتَّى مَنَى تَبْلِي جِسْمِكَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَظُنُّ الَّذِي بِكَ إِلَّا هَوًى . فَقَالَ لَهَا إِيَّاسُ : يَا أُمَّهُ ، لَقَدْ ظَنَنْتَ بِي ظَنًّا سَوْماً ، فَكُفِّي عَنْ مُزَاحِكَ . فَقَالَتْ : إِنَّكَ وَاللَّهِ لَنْ تُبْدِيَهُ إِلَى أَحَدٍ هُوَ أَكْتَمُ لَهُ مِنْ قَلْبِي . فَلَمْ تَزَلْ تُعْطِيهِ الْمَوَائِقَ وَتُقَسِّمُ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ قَالَتْ لَهُ : بِحَقِّ صَفْوَةَ ! فَقَالَ لَهَا : لَقَدْ أَقْسَمْتُ عَلَيَّ بِحَقِّ عَظِيمٍ لَوْ سَأَلْتَنِي بِهِ رُوحِي لَدَفَعْتُهَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ يَا أُمَّهُ مَا أُعْظِمُ دَائِي إِلَّا بِالْأَسْمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ عَلَيَّ بِحَقِّهِ ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِتْمَانِهِ وَطَلَبِ وَجْهِ الْحِيلَةِ فِيهِ .

فَقَالَتْ : أَمَّا إِذَا أَطْلَعْتَنِي عَلَيْهِ ، فَسَأُبْلُغُ فِيهِ رِضَاكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ مَعَهَا بِالسَّلَامِ إِلَى صَفْوَةَ . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهَا ابْتَدَأَتْهَا صَفْوَةُ بِالسَّأَلِ عَنِ الَّذِي بَلَغَهَا مِنْ مَرَضِهِ وَشِدَّةِ حَالِهِ ، فَاسْتَبَشَرَتْ الْمَوْلَاةُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا صَفْوَةُ مَا حَالَةُ مَنْ يَبِيتُ اللَّيْلَ سَاهِراً مَحْزُوناً يَرْعَى التَّجُومَ وَيَتَمَنَّى الْمَوْتَ ؟ فَقَالَتْ صَفْوَةُ : مَا أَظُنُّ هَذَا عَلَى مَا ذَكَرْتَ بِبَاقٍ ، وَمَا أَسْرَعَ مِنْهُ الْفِرَاقُ .

ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى الْمَوْلَاةِ فَقَالَتْ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَبِحَقِّي عَلَيْكَ لَمَّا أَوْضَحْتِهِ . فَقَالَتْ : وَحَقِّكَ إِنْ عَرَفْتُهُ لَا كَتَمْتُكَ مِنْهُ شَيْئاً .

قَالَتْ : فَهَلْ أَرْسَلَكِ إِيَّاسَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ وَدَّةٍ فِي حَاجَةٍ ؟ فَقَالَتْ الْمَوْلَاةُ :
وَاللَّهِ لَأُصَدِّقَنَّكَ ، وَاللَّهِ مَا جُلُّ دَائِهِ وَعِظَمُ بَلَاءِهِ إِلَّا بِكَ ، وَمَا أَرْسَلَنِي
بِالسَّلَامِ إِلَّا إِلَيْكَ ، فَأَجِيبِيهِ إِنْ شِئْتَ ، أَوْ دَعِي . فَقَالَتْ : لَا شَفَاءَ لِلَّهِ ،
وَاللَّهِ لَوْ لَا مَا أُوجِبَ مِنْ حَقِّكَ لَأَسَأْتُ إِلَيْكَ ، وَزَجَرْتُهَا ، فَخَرَجَتْ مِنْ
عِنْدِهَا كَثِيبَةً ، فَأَتَتْهُ فَأَعْلَمَتْهُ فَازْدَادَ عَلَى مَا كَانَ بِهِ مِنْ مَرَضِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
كَتَمْتُ الْهُوَى حَتَّى إِذَا شَبَّ وَاسْتَوَتْ قُوَاهُ ، أَشَاعَ الدَّمْعُ مَا كُنْتُ أَكْتُمُ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّمْعَ قَدْ أَعْلَنَ الْهُوَى خَلَعْتُ عِذَارِي فِيهِ ، وَالْخَلْعُ أَسْلَمُ
فِيَا وَيْحَ نَفْسِي كَيْفَ صَبَرِي عَلَى الْهُوَى وَقَلْبِي وَرُوحِي عِنْدَ مَنْ لَيْسَ بِرَحِمٍ
قَالَ : ثُمَّ إِنَّ عَمَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ لِيَعْرِفَ خَبْرَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمُّ ،
إِنِّي مَخْبِرُكَ بِشَيْءٍ لَمْ أَخْبِرْكَ بِهِ حَتَّى بَرَحَ الْخَفَاءُ وَلَمْ أُطِيقْ لَهُ مَحْمَلًا ، فَأَخْبَرَهُ
الْخَبَرَ ، فَزَوَّجَهُ فَأَفَاقَ وَبَرَأَ مِنْ عِلَّتِهِ .

إِبْلِيسُ يَغْنِي

أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطُّبْرِيُّ فِي مَا أَجَازَ لَنَا قَالَ : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو
الْفَرَجِ الْمَعْقُوفِيُّ بْنُ زَكَرِيَّا قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الرَّبِيعِيُّ قَالَ :
قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْقَارِي :

رَأَيْتُ إِبْلِيسَ فِي النَّوْمِ شَيْخًا أَيْبَضَ الرَّأْسَ وَاللَّحْيَةَ ، وَهُوَ يُغْنِي
بِصَوْتِ شَجَرٍ :

أَسْهَرْتَ لَيْلَ الْمُسْتَهَامِ ، وَنَقَيْتَ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامُ
وَهَجَرْتَنِي مُتَعَمِّدًا ، مَا هَكَذَا فِعْلُ الْكَرَامِ

محنة العاشق

أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : أخبرنا علي بن أيوب القمي قال : أخبرني أبو عبيد الله محمد بن عمران قال : أخبرني الصولي قال :

قال أبو تمام :

أنتَ في حلٍّ فزِدني سَقَمًا ، افنِ صَبْرِي واجعل الدمعَ دما
وارضَ لي الموتَ بهَجْرِكَ فإنَّ أَلِمْتُ نَفْسِي، فزِدْني أَلَمًا
محنةُ العاشِقِ ذلٌّ في الهَوَى ، فلماذا استودعَ سِرًّا كَتَمًا
ليسَ مِنَّا مَنْ شكا عِلَّتَه ، مَنْ شكا ظَلَمَ حَبِيبٍ ظَلَمًا

المأمون والعباس بن الأحنف

أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي بن الجواز القرشي بالكوفة بقراعتي عليه سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وأنا متوجه إلى مكة ، قال : حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد ابن اسحاق البزاز في ما كتب به إلينا قال : حدثنا أبو هريرة أحمد بن عبد الله قال : حدثنا الحسن بن محمد بن اسماعيل بن موسى قال :

رَأَيْتُ فِي كِتَابِ الْأَخْبَارِ لِأَبِي أَنْ الْمَأْمُونُ لَمَّا خَرَجَ إِلَى خُرَّاسَانَ كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ جَالِسًا فِي لَيْلَةٍ مُقَمِّرَةٍ إِذْ سَمِعَ مُغْتَنِيًا يَغِي مِنْ خِيَمَةٍ لَهُ :

قَالُوا: خُرَّاسَانَ أَقْصَى مَا تَحَاوَلُهُ ، وَدُونَ ذَلِكَ، فَقَدْ جُزْنَا خُرَّاسَانَ
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي بَعِزَّتِيهِ سُكَّانَ دِجْلَةٍ مِنْ سُكَّانِ جَيْحَانَ^١
عَيْنًا أَظُنُّ أَصَابَتْنَا، فَلَا نَنْظُرَتْ ، وَعُذِّبَتْ بِصُؤْفِ الْهَجْرِ الْوَانَا
مَتَى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وَأَمْلُهُ ، أَمَّا الَّذِي كُنْتُ أَحْشَاهُ فَقَدْ كَانَا

١ جيجان : نهر في المواسم .

فخرجَ المأمونُ من موضِعِهِ حتى وقفَ على الحَيمة ، وعَلِمَها ، فلمّا كان من الغدَ وجّه فأحضَرَ صاحبَ الحَيمة ، وهو شابٌ ، فسألته عن اسمِهِ ، فقال : العباسُ بنُ الأحنف . قال : أنتَ الذي كنتَ تقول : متى يكونُ الذي أرجو وأملُهُ ، أمّا الذي كنتُ أخشاه فقد كانا قال : نَعَمْ . قال : ما شأنُكَ ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين تزوّجتُ ابنةَ عمِّ لي ، فننادى مُناديكَ يومَ أسبوعي في الرَّحيلِ إلى خُرّاسان ، فخرّجتُ ، فأعطاه رزقَ سنّة ، وردّه إلى بَغداد ، وقال : أقيمُ إلى أن تُنفِقَها ، فإذا نفِدت رجعت .

مهجور لا مسحور

أبانا أبو سعيد سمود بن ناصر السخري ، وقد قدم علينا بغداد ، قال : أبانا أبو القاسم منه ابن عمر ببغداد قال :

أنشدنا أبو علي الحسن بن عبد الله الزنجاني لبعضهم :

قال الطيّبُ لأهلي حينَ أبصرَني : هذا فتاكُم ، وحقُّ الله ، مسحورُ
فقلتُ : ويحك ! قد قاربتَ في صيفي عينَ الصّوابِ ، فهلّا قلتُ : مهجورُ

صيرت لحظها سلاحاً

أخبرنا أبو سعيد أيضاً قال : حدثني أبو غانم حميد بن مأمون همدان قال : حدثنا أبو بكر أحمد ابن عبد الرحمن الشيرازي قال : أخبرني أبو العباس الوليد بن بكر اللندلي قال :

أنشدنا أبو عمر يوسف بن عبد الله المُلقَّبُ بأبي رمال ، على البديهة ، إذ عبَرَ عليه حَبِيبُهُ :

بُحْتُ بَوَجْدِي، وَلَوْ غَرَامِي يَكُونُ فِي جَلَمَدٍ لَبَاحَا
أَضَعْتُمْ الرُّشْدَ فِي مُحِيبٍ لَيْسَ يَرَى فِي الْهَوَى جُنَاحَا
لَمْ يَسْتَطِعْ حَمَلٌ مَا يَلَاقِي، فَشَقَّ أَثْوَابَهُ وَنَاحَا
مُحِيرَ الْمُقْلَتَيْنِ قُلْ لِي: هَلْ شَرِبْتَ مُقْلَتَكَ رَاحَا؟
نَفْسِي فِدَا لِمَةٍ وَوَجْهِ قَدْ كَمَلَا اللَّيْلَ وَالصَّبَاحَا
وَمُقْلَةٍ أُولِعْتُ بِقَتْلِي، قَدْ صَيَّرْتُ لِحْظَهَا سِلَاحَا
وَعَقْرَبٍ سُلْطَتْ عَلَيْنَا، تَمَلَّأُ أَكْبَادَنَا جِرَاحَا

جمال يلبي الناس

حدثنا إبراهيم بن سعيد بمصر في سنة خمس وخمسين وأربعمائة بقرائني عليه قال : حدثنا
أبو صالح السمرقندي الصوفي قال : حدثنا الحسين بن القاسم بن الأيسع قال : حدثنا أبو بكر
أحمد بن محمد بن عمر الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال
أبو حمزة :

كان كامل بن المخارق الصوفي من أحسن ما رأيته من أحداث الصوفية
وجهاً، وكان قد لزم مَترَته، وأقبلَ على العِبادَةِ، فكان لا يخرجُ إلا من جمعة
إلى جمعة ، فإذا خرجَ يُريد المسجد ، وقف له الناس ، ورموه بأبصارهم
ينظرونَ إليه ، فقدم به علينا حَجَّارُ بن قيس المكي دمشقي ، وكان أحد
الفصحاء العقلاء ، وكان لي صديقاً ، فكَلَّمَنِي جماعة من أصحابه أسأله أن
يجلسَ لهم مجلساً يتكَلَّمُ عليهم فيه ، ويسألونه، فكَلَّمْتُهُ فَوَعَدَهُمْ
يوماً ، فاتَّعَدْنَا لذلك اليوم ، ودعا الناسُ بعضهم بعضاً .

فلما أن كان يوم الجمعة وصَلَّى الناس الغداة ، أقبلوا من كل ناحية ،

١ سنة ١٠٦٣ م .

فَوَقَفَ يَتَكَلَّمُ عَلَيْنَا ، فَبَيَّنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ أَقْبَلَ كَامِلُ بْنُ الْمُخَارِقِ ،
 فَلَمَّا رَأَاهُ النَّاسُ رَمَوْهُ بِأَبْصَارِهِمْ ، وَشَغِلُوا بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ مِنْهُ ،
 وَفُطِنَ بِهِمْ حَجَّارٌ ، فَقَطَّعَ كَلَامَهُ ، وَقَالَ : يَا قَوْمُ ! مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ
 وَقَارَأَ ، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ
 فِيهِنَّ نُورًا ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ، فَوَاللَّهِ لِمَا تَنْظُرُونَ مِنْهُمَا عَلَى بُعْدِهِمَا
 أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ نَظَرِكُمْ إِلَى هَذَا ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَعُودَ عَلَيْكُمْ النُّفُوسُ بِعَوَائِدِ
 حَكَمِهَا ، إِذَا حَالَتْ الْقُلُوبُ فِي غَامِضٍ فِكْرِهَا ، أَتَنْظُرُونَ إِلَى جَمَالِ
 تَحْوِيلٍ عَنْهُ نُضْرَتِهِ ، وَوَجْهِ تَتَخَرَّمُهُ الْحَادِثَاتُ بَعْدَ خُبْرَتِهِ ؟ مَا هَذَا نَظَرًا
 الْمُشْتَاقِينَ ، أَيْنَ تَدَهَبُ بِكُمْ الشَّهَوَاتُ ؟ لَقَدْ عَرَضَتْكُمْ لِحَنَةِ عَظِيمَةٍ
 عَلَى أَنْتُمْ لَا تَبْلُغُونَ مِنْهَا مَحْبُوبَ نَفُوسِكُمْ وَمُطَالِبَةَ قُلُوبِكُمْ إِلَّا بِإِحْدَى
 ثَلَاثٍ : إِمَّا بِتَوْبَةٍ يَتَلَفَاكُمْ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِهَا ، أَوْ عِصْمَةٍ يَتَقَمِّدُكُمْ
 بِرَحْمَتِهِ فِيهَا ، أَوْ يُطْلِقَكُمْ وَمَا تَطْلُبُونَ ، فَلَمَّا أَنْ تَحُولَ أَقْدَارُهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
 شَهْوَا تِكُمْ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْلُغُوا مِنْهَا إِرَادَتَكُمْ فَتُسَخِّطُوهُ عَلَيْكُمْ ، أَمَا سَمِعْتُمُوهُ ،
 تَعَالَى ذِكْرُهُ ، يَقُولُ : ذَلِكَ بِأَنْتُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ،
 فَأَحْبَبْتُ أَعْمَالَهُمْ ؟ ثُمَّ أَخَذَ فِي كَلَامِهِ ، فَأَحْصَيْتُ مِنْ أَحْرَمٍ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ
 الْيَوْمَ نِيفَ عَلَى سَبْعِينَ بَيْنَ رَجُلٍ وَغُلَامٍ .

مجنون مصفد بالحديد

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأرستثاني بمكة في المسجد الحرام سنة ست وأربعين وأربعمائة
 قال : أخبرنا الحسن بن محمد بن حبيب المذكر قال : حكى لي عن حبيب بن محمد بن خالد
 الواسطي قال :

دخلت يوماً على علي بن عثام ، فوجدته باكياً حزيناً ذاهب النفس ،
 فأنكرته ، فسألته عما دهاه ، فقال : اعلم أي مَرَرْتُ بِالْخُرَيْبَةِ فَرَأَيْتُ مُجْنُونًا

١ سنة ١٠٥٤ م .

مصَفِّدًا في الحديد يتَمَرَّغ في التراب ويقول :

ألا ليت أن الحَبَّ يعشَقُ مَرَّةً ، فيَعْرِفَ ماذا كان بالناس يصْنَعُ
يقولون فَنَزَّ بالصَّبْرِ لِمَنَّا هَالِكٌ ، وَلِلصَّبْرِ مِنِّي ، إن أحاوله ، أَجْزَعُ

إما موت أو حياة

أبانا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا
محمد بن القاسم قال :

أنشدني إبراهيم بن أحمد الشيباني لقيس بن ذريح :

لَقَدْ عَنَيْتَنِي يَا حُبَّ لُبْنَى ، فَتَقَعَ إِمَّا بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ
فَلِإِنَّ الْمَوْتَ أَيْسَرُ مِنْ حَيَاةٍ مِنْغَصَّةٍ لَهَا طَعْمُ الشَّتَاتِ
وَقَالَ الْآمِرُونَ : تَعَزَّ عَنْهَا ، فَقُلْتُ : نَعَمْ ، إِذَا حَانَتْ وَفَاتِي !

عاشقان يصليان

أبانا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أبوب قال : حدثنا محمد
ابن عمران قال : حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال :
رَأَيْتُ عَاشِقَيْنِ اجْتَمَعَا ، فَجَعَلَا يَتَحَدَّثَانِ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى الْغَدَاةِ ،
ثُمَّ قَامَا إِلَى الصَّلَاةِ .

الحياء المانع

قال محمد بن صمران وأخبرنا الصولي قال :

أنشدنا محمد بن القاسم :

كم قد خلّوتُ بمن أهوى فيمنعني منه الحياءُ ، وقد أودى بيمعقولي
يتأبى الحياءُ وشيبي أن أَلِمَّ به ، وخشيةٌ بعدُ من قالٍ ومن قيلٍ

العشاق الأعفاء

قال وأنشدنا إبراهيم بن محمد بن عرفة لنفسه :

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعني منه الحياءُ وخوفُ الله والحدَرُ
وكم خلّوتُ بمن أهوى فيفنعني منه الفكاهةُ والتحديثُ والنظرُ
كذلك الحبُّ لا إتيانَ معصيةٍ ، لا خيرَ في لذةٍ من بعدها سقرُ
وللعطوي من أبيات :

إن أكنُ عاشقاً فلني عفيفُ إلا حظي واللفظُ عن ركوبِ الحرامِ
كنتُ ماراً بين تيماء ووادي القيرى ، وأظنه في سنة اثنتين وأربعين
وأربعمئة^١ ، صادراً من مكة ، فرأيتُ صخرةً عظيمةً ملساءَ فيها تربيعُ
يقدر ما يجلسُ عليها النقر كالذكة^٢ ، فقال بعضُ من كان معنا من
العرب ، وأظنه جهنيّاً : هذا مجلسُ جميلٍ وبؤينةٍ فاعرفه .

١ سنة ١٠٥٠ م .

٢ الذكة : بناء يسطح أعلاه للجلوس .

سيوف البين

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري قال : أنبأني أبي قال :
أنشدنا أحمد بن عبيد :

ضَعُفْتُ عن التسليمِ يومَ فِرَاقِها ، فَوَدَّعْتُها بالطَّرَفِ والعَيْنُ تَدْمَعُ
وَأَمْسَكْتُ عن رَدِّ السلامِ ، فمن رَأَى حَبِيبًا بطَرَفِ العَيْنِ قَبْلِي يُودِّعُ
رَأَيْتُ سِوْفَ البينِ عندَ فِرَاقِها ، بأيدي جنودِ الشوقِ ، بالمَوْتِ تَدْفَعُ
عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ مِنِّي مُضَاعَفًا ، إلى أن تَغِيبَ الشمسُ من حيثُ تَطْلُعُ

لقاء في الجنة

أخبرنا أحمد بن علي بن محمد السواق قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله ابن إبراهيم الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا عبد الله بن عبيد قال : حدثني محمد بن الحسين في أسناد لا أحفظه قال :

علق فتى من الحمي بنت عم له ، فخطبها إلى أبيها ، فرغب بها عنه ،
فبَلَغَ ذلكَ البخارية ، فأرسلت إليه : قد بلغني حبك إياي ، وقد أحببتك
لذلك لا لغيره ، فإن شئت خرجت إليك بغير علم أهلي ، وإن شئت سهلت
لك المعجى . فأرسل إليها : كل ذلك لا حاجة لي فيه ، إني أخاف أن يلقيني
حبك في نارٍ لا تطفأ وعذابٍ لا ينقطع أبدًا . فلما جاءها الرسولُ بكَّتْ ،
ثم قالت : لا أراك راهبًا ، والله ، ما أحدٌ أولى بهذا الأمر من أحدٍ ، إن
الخلق في الوعد والوعيد مشتركون .

قال : فتدرعت الشعر^١ وأقبلت على العبادة ، فكبر ذلك على أهلها

١ تدرعت الشعر : لبست درعاً من الشعر ، والدرع : ثوب تلبسه المرأة في بيتها .

وعلى أبيها، فلم تزل تتعبته حتى ماتت . فكان الفتي يأتي قبرها كل ليلة،
فيستدعو لها ويستغفر وينصرف . فأخبرنا أنه رآها في المنام فقال لها : فلانة ؟
قالت : نعم ، ثم قالت :

نعم المحبة ، يا سولي ، محبتكم ، حب يجر إلى خير وإحسان
إلى نعيم وعيش لا زوال له ، في جنة الخلد جلد ليس بالفاني
قال : فقلت لها : أيتها الحبيبة ، أفتذكرينني ههناك ؟ قال : فقالت :
والله إني لأتسألك على مولاي ومولاك ، فأعيتني على نفسك بطاعته ، فلعنك
يجمع بيني وبينك في داره ، ثم ولت ، فقلت لها : متى أراك ؟ قالت :
تراني قريباً إن شاء الله . قال : فلم يلبث الفتي بعد هذه الرؤيا إلا قليلاً
حتى مات فدفن إلى جانبها .

صخر بن الشريد وزوجته

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقرائي عليه قال : حدثنا المعاني بن زكريا قال : حدثنا
محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعي قال :
التقي صخر بن عمرو بن الشريد السلمي ورجل من بني أسد، فطعن
الرجل صخرًا، ففيل لصخر: كيف طعنك ؟ قال : كان رُحهُ أطول
من رُحِّي بأنبوب، فضمن صخرٌ منها ، وطال مرضه ، وكانت أمه إذا
سئلت عنه ، قالت : نحن بخير ما رأينا سوادَه بيننا ، وكانت امرأته ،
إذا سئلت عنه ، قالت : لا هو حي فيرجى ، ولا ميت فيُنعى ، فقال صخر :
أرى أم صخرٍ لا تمل عيادتي ، ومكت سلمي مضجعي ومكاني

١ ضمن منها : مرض .

إذا ما امرؤ سَوَى بِأَمِّ حَلِيلَةٍ ، فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقَا وَهَوَانٍ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْقَظَ مَنْ كَانَ نَائِماً ، وَأَسْمَعَتْ مَنْ كَانَتْ لَهُ أَذُنَانِ
بَصِيرًا بَوَجْهِ الْحَزْمِ لَوْ يَسْتَطِيعُهُ ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ^١
قال المُعَاوِي بن زكريّا ويروى : أَهْمَّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ . وقول
أُمِّ صَخْر : مَا رَأَيْنَا سَوَادَهُ أَيَّ شَخْصِهِ . قال الشاعر : بَيْنَ الْمُخَاظِمِ^٢ يَرْتَقِبُنَّ
سَوَادِي ، أَيَّ شَخْصِي .

نوم الفهد

أخبرنا أبو الحسن علي بن صالح الروذباري بقراعتي عليه بمصر ، سنة خمس وخمسين وأربعمائة^٣ ،
قال : أخبرنا أبو مسلم الكاتب لإجازة قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن
صه قال :

مريض أعرابي من بني نمير يقال له : حنيف بن مُساور ، وكانت له
امرأة من قومه يقال لها زُرعة بنت الأسود ، وكان لها محبباً . فلما اشتدَّ وجعُهُ
جَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا زَرْعَ دُومِي وَاحْفَظِي لِي عَهْدِي ، كَمْ مِنْ مُنِيرٍ بَيْنَنَا مَسْدِي^٤
وَكَاشِحٍ ، يَا زَرْعَ ، بَادِي الْحِقْدِ ، يَا زَرْعَ إِنْ وَسَدْتَنِي فِي لَحْدِي
وَجَاءَكَ الْخَاطِبُ بَعْدَ الْوَقْدِ ، وَقُلْتُ : عَبْدٌ بَدَلٌ مِنْ عَبْدِ

١ حيل بين العير والنزوان : مثل يراد به انه صار عاجزاً عن الأمر الذي يريده .

٢ المخازم : الطرق في الجبال ، الواحد مخزم .

٣ سنة ١٠٦٣ م .

٤ قوله : منير بيننا مسدي ، هكذا في الأصل .

فَخَصَّكَ اللهُ بِفَدَةٍ وَغَدٍ يَنَامُ فِي بَيْتِكَ نَوْمَ فَهْدٍ^١
قال : فَمَاتَ ، فَوَاللهِ مَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ، إِلَّا رِيْشَمَا تَزَوَّجْتَ ،
فَكَأَنَّهُ كَانَ يَرَى زَوْجَهَا ، وَهُوَ كَمَا وَصَفَ .

لم يفؤا ولم يرحموا

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني بمكة في المسجد الحرام قال : أخبرنا الاستاذ أبو القاسم
الحسن بن محمد بن حبيب المذكر قال : سمعت أبا الفوارس بن حنيف بن أحمد بن حنيف
الطبري قال : سمعت أبا الحسن العيشي المؤدب يقول :
انحدرتُ من بالس^٢ أريد العراق ، فدخلتُ الموصل ، فأقمتُ بها أياماً ،
فبينما أنا مارٌّ في بعض أزقيتها ، إذا صياحٌ وجلبةٌ ، فسألتُ عنها فقيل :
ههنا دار المجانين ، وهذا صوتُ بعضهم ، فدخلتُ ، فإذا شابٌ مشدودٌ
متشحطٌ في الدم ، فسَلَّمْتُ ، فردَّ السلام ، وقال : من أين تبيء ؟ قلتُ :
من بالس . قال : وأين تريد ؟ قلتُ : العراق . فقال : أتعرفُ بني فلان ؟ وأشارَ
إلى أهلِ بَيْتٍ . قلتُ : نعم . قال : لا صَنَعَ اللهُ لَهُمْ ولا خَارَ لَهُمْ ، هم الذين
أدهشوني وتيموني وأحلوني هذا المحلَّ . قلتُ : وما فعلوا ؟ قال :
زَمُوا المطايا واستقلوا ضُحَى ولم يُبالوا قلبَ مَنْ تيمُّوا
ما ضَرَّهُمْ ، واللهُ يرعاهُمْ ، لو دَعَوْا بالطَّرْفِ أو سَلَمُوا
ما زِلْتُ أذري الدمعَ في إثرِهِمْ ، حتى جَرَى من بَعْدِ دَمْعِي دمُ
ما أنصفوني ، يومَ بانوا ضُحَى ، ولم يفؤا عهدي ولم يرحموا

١ الفد : الفرد . وأراد بنوم الفهد : النوم الثقيل .

٢ بالس : بلد بشط الفرات .

ضجيج الكواكب

أنبأنا محمد بن أبي نصر بدمشق قال :

أنشدني علي بن أحمد ليحيى بن هذيل :

إذا حَبَسْتُ عَلَى قَلْبِي يَدِي بِيَدِي ، وَصِحْتُ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ وَابْكَيْدِي
ضَجَّتْ كَوَاكِبُ لَيْلِي فِي مَطَالِعِهَا ، وَذَابَتْ الصَّخْرَةُ الصَّمَاءِ مِنْ كَمَدِي

الهوى حلو ومر

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين البخاري بقراءتي عليه قال : حدثنا الماعاني بن زكريا الحريري
قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال : حدثني أبو الوضاح
عن الواقدي عن أبي الجحاف قال :

إني لفي الطَّوَّافِ وقد مضى أكثرُ الليل وخفَّ الحاجُّ إذا امرأة قد أقبلتْ
كأنَّها شمسٌ على قُضَيْبٍ غُرْسٍ في كَثِيبٍ ، وهي تقول :
رَأَيْتُ الْهَوَى حُلُوءًا إِذَا اجْتَمَعَ الْوَصْلُ ، وَمُرًّا عَلَى الْهَجْرَانِ ، لَا بَلْ هُوَ الْقَتْلُ
وَمَنْ لَمْ يَدُقْ لِهَجْرٍ طَعْمًا ، فَلَمَّا إِذَا ذَاقَ طَعْمَ الْحُبِّ لَمْ يَدْرِ مَا الْوَصْلُ
وَقَدْ ذُقْتُ مِنْ هَذَيْنِ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى ، فَأَبْعَدُهُ قَتْلٌ وَأَقْرَبُهُ خَبَلٌ^١

١ الخيل : قتاد الأعضاء .

زليخا ويوسف

أخبرنا القاضي أبو علي زيد بن أبي حيويه قال : حدثنا أبو محمد الحسن بن عمر بن علي الحلبي قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : حدثنا ابن عليل المطيري قال : حدثنا ابن الدروي قال : حدثنا سلمة بن شبيب قال : حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال :

لَمَّا خَلَّتْ زُلَيْخَا بِيُوسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ارْتَعَدَ يُونُسُ . فَقَالَتْ زُلَيْخَا :
 مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تُرْعَدُ ؟ ، إِنَّمَا جِئْتُ بِكَ لِتَأْكُلَ وَتَشْرَبَ وَتَشْتَمَ رَائِحَتِي ،
 وَأَشْتَمَ رَائِحَتَكَ . قَالَ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ، لَسْتُ لِي بِحُرْمَةٍ . قَالَتْ : فَمِنْ أَيِّ
 شَيْءٍ تَفْرَعُ ؟ قَالَ : مِنْ سَيْدِي . قَالَتْ : السَّاعَةَ ، إِذَا نَزَلَ مِنَ الرُّكُوبِ ،
 وَأَخَذْتُ بِيَدِي الْكَأْسَ الْمُدَهَّبَ وَالْإِبْرِيْقَ الْمُفَضَّضَ ، سَقَيْتُهُ شُرْبَةً مِنْ
 السَّمِّ ، وَأَلْقَيْتُ لَحْمَهُ عَنْ عَظْمِهِ . قَالَ لَهَا : لَا تَفْعَلِي ، فَكَلَسْتُ مِمَّنْ يَقْتُلُ
 الْمُلُوكَ ، وَإِنَّمَا أَخَافُ مِنْ إِلَهِ السَّمَاءِ . قَالَتْ لَهُ : فَعِنْدِي مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْعَقِيقِ مَا أَفْذِيكَ مِنْهُ . قَالَ : هُوَ لَا يَقْبَلُ الرُّشَا . قَالَتْ :
 دَعْ عَنْكَ هَذَا ! قُمْ اسْقِ أَرْضِي . قَالَ : لَا أَزْرِعُ أَرْضَ غَيْرِي . قَالَتْ :
 فَارْفَعْ رَأْسَكَ انْظُرْ إِلَيَّ ! قَالَ : أَخَافُ الْعَمَى فِي آخِرِ عَمْرِي . قَالَتْ :
 فَمَازِحَتِي تُرْجِعُ إِلَيَّ نَفْسِي . قَالَ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ! لَسْتُ لِي بِحُرْمَةٍ فَمَازِحِكَ .
 قَالَتْ : فَلَا صَبْرَ لِي عَنْ هَذِهِ الذَّوَابَةِ الَّتِي بَلَغْتَ إِلَى قَدَمَيْكَ ، لَيْتَنِي وَسَمْتُهَا
 مَرَّةً وَاحِدَةً . قَالَ : أَخْشَى أَنْ تُحْشَى مِنْ قَطْرَانِ جَهَنَّمَ ، يَا هَذِهِ ، هُوَذَا
 الشَّيْطَانُ يُعِينُكَ عَلَى فِتْنَتِي ، لَا تَشْوَهِ بِخَلْقِي ذَا الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ، فَأَدْعِي
 فِي الْخَلْقِ زَانِيًا ، وَفِي الْوَحْشِ خَائِنًا ، وَفِي السَّمَاءِ عَبْدًا كَفُورًا .
 قَالَ وَهَبٌ : وَلَانَ مِنْ يُونُسَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِقْدَارُ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ ،
 فَارْتَفَعَتِ الشَّهْوَةُ إِلَى وَجْهِهِ ، فَاسْتَنَارَتْ ، وَكَانَ سِرُّوَالَهُ مَعْقُودًا تِسْعَ عَشْرَةَ

١ ترجمه : أي ترجمه خوفاً .

عقدة ، فَحَلَّ أَوَّلَ عَقْدَةٍ ، وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ مِنْ زَاوِيَةِ الْبَيْتِ : إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبًا ! ثُمَّ حَلَّ الْعَقْدَةَ الثَّانِيَةَ ، فَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ : وَلَا تَقْرَبُوا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ . فَأَوْحَى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَى جِبْرِيلَ : الْحَقُّهُ ، فَإِنَّهُ الْمَعْصُومُ فِي دِيْوَانَ الْأَنْبِيَاءِ ! فَاَنْفَرَجَ السَّقْفُ فِي أَقْلٍ مِنَ اللَّمَحِ فَتَنَزَّلَ جِبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَضَرَبَ صَدْرَهُ ضَرْبَةً ، فَخَرَجَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ أَطْرَافِ أَنْفَالِهِ فَتَنَقَّصَ مِنْهُ وَلَدٌ ، فَوُلِدَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، اثْنَا عَشَرَ وَلَدًا ، مَا خَلَا يُوسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ وَلِدَ لَهُ أَحَدَ عَشَرَ . فَقَالَ : يَا رَبِّ مَاذَا خَبِرِي ؟ لَمْ أَلْحِقْ بِإِخْوَتِي فِي الْوَلَدِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَيْهِ : إِنَّ الشَّهْوَةَ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ أَنْفَالِكَ حَاسِبَتَاكَ بِهَا .

وَبِإِسْنَادِهِ قَالَ وَهَبٌ : بَلَا أَرَادَ اللَّهُ بِيُوسُفَ الْخَيْرَ قَامَتْ زُلَيْخَا إِلَى طَاقٍ لَهَا ، فَأَرْجَحَتْ عَلَيْهِ سِرًّا ، وَكَانَ لَهَا فِي الطَّاقِ صَنَمٌ مِنْ خَشَبٍ تَعْبُدُهُ ، فَقَالَ لَهَا يُوسُفُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَاذَا صَنَعْتَ ؟ قَالَتْ : اسْتَحْيَيْتُ مِنَ الْهِجْ أَنْ يَرَانِي أَصْنَعُ الْفَاحِشَةَ . قَالَ : فَأَنْتِ تَسْتَحْيِينَ مِنَ إِلَهٍ مِنْ خَشَبٍ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَخْلُقُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ، فَأَنَا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ أَكْرَمَ مَشْوَائِي ، وَأَحْسَنَ مَاوَايَ ، وَاسْتَبَقَا الْبَابَ . قَالَتْ زُلَيْخَا : يَا يُوسُفَ ، بُلَيْتُ مِنْكَ بِحَصَلَتَيْنِ : مَا رَأَيْتُ بَشَرًا أَحْسَنَ مِنْكَ ، وَالثَّانِيَةَ زَوْجِي عَيْنَيْنِ . فَلَمَّا تَزَوَّجَهَا يُوسُفُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَبْصَرَ بَعَيْنَيْهَا حَوْلًا قَالَ : يَا زُلَيْخَا ! أَوْجَوْلَاءَ ؟ قَالَتْ لَهُ : مَا عَلِمْتَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَتْ : مَا اسْتَحَلَّتْ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْكَ .

قَالَ وَهَبُ بْنُ مَنْبَهٍ : وَكَانَتْ زُلَيْخَا مَمْنُوعَةً مِنَ الشَّقَاءِ ، وَكَانَتْ أَجْمَلَةً مِنْ بَطْشَابِعِ صَاحِبَةِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

انتظري الدهر

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراعتي عليه قال : حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا قال : حدثنا عبد الله بن جعفر بن اسحاق الجاهري الموصلي بالبصرة قال : حدثنا محمد ابن ياسر الكاتب كاتب ابن طولون قال : حدثني أبي قال : حدثنا علي بن اسحاق قال :
اشترى عبد الله بن طاهر جاريةً بخمسةٍ وعشرين ألفاً على ابنة عمته ،
فوجدت عليه ، وقعدت في بعض المقاصير ، فمكثت شهرين لا تكلمه ،
فعمل هذين البيتين :

إلى كم يكون العتبُ في كل ساعة ؛ وكم لا تمكين القطيعة والهجرة
رؤيدك ! إن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين ، فانتظري الدهر
قال : وقال للجارية : اجلسي على باب المقصورة فتغتي به ! قال : فلما
غنت البيت الأول لم تر شيئاً ، فلما غنت البيت الثاني ، إذا هي قد خرجت
مشقوقة الثوب حتى أكبّت على رجله فقبلتها .

هبوا ساعة

أخبرني أبو عبد الله الحافظ الاندلسي بدمشق قال :

أنشدني أبو عبد الله بن حزم لنفسه :

صِلُوا رَاحِلًا عَنْكُمْ بِتَائِيْسٍ لَيْلَةٍ ، فَسَوْفَ يَغِيْبُ الْمَرْءُ عَنْكُمْ لَيْلِيًا
هَبُوا سَاعَةً يَسْتَرْجِعُ الطَّرْفُ ضِعْفَهَا ، فِدَى لَكُمْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِيَا
وَلَا تَحْسَبُوا عَوْنَ الزَّمَانِ ، فَإِنَّهُ لَنَا وَلَكُمْ يُمْسِي وَيَضْحَى مُعَادِيَا

الله يحب التوايين

أخبرنا أبو الحسن علي بن صالح بن علي بقراءتي عليه بمصر ، في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ،
قال : أخبرنا أبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب في ما أجاز لنا قال : حدثنا ابن دريد قال :
أخبرنا الحسن بن خضر قال : أخبرني رجل من أهل بغداد عن أبي هاشم المذكر قال :
أردتُ البصرة ، فجيئتُ إلى سَفِينَةِ أَكْرِيهَا ، وفيها رَجُلٌ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ .
فقال الرجل : ليسَ ههنا مَوْضِعٌ ! فسألته الجاريةُ أن يَحْمِلَنِي ، فَحَمَلَنِي ،
فلَمَّا سَرَرْنَا ، دعا الرجلُ بالغداء ، فَوَضِعَ ، فقال : انزلوا بذلك المِسْكِينَ
لِيَتَغَدَّى . فَأَنْزِلْتُ عَلَى أَتْيِ مِسْكِينٍ ، فلَمَّا تَغَدَّيْنَا ، قال : يا جاريةُ
هاتِي شَرَابَكَ ، فَشَرِبَ ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَسْقِيَنِي ، فقلتُ : رَحِمَكَ اللهُ ،
إِنَّ اللَّضِيفَ حَقٌّ ، وهذا يؤذيني . قال : فتركتني ، فلَمَّا دَبَّ فِيهِ النَّبِيدُ قال :
يا جاريةُ هاتِي العودَ وهاتِي ما عندك ، فَأَخَذَتِ العودَ ، ثُمَّ غَنَّتْ :
وَكُنَّا كَعُصْنَتِي بَانَةٍ لَيْسَ وَاحِدٌ يَزُولُ عَلَى الْحَالَاتِ عَنْ رَأْيِ وَاحِدٍ
تَبَدَّلَ بِي خِيلاً فَخَالَكْتُ غَيْرَهُ ، وَخَلَّيْتُهُ لَمَّا أَرَادَ تَبَسَّاعُدِي
فَلَوْ أَنَّ كَفَّتِي لَمْ تُرِدْنِي أَبْنَتْهَا ، وَلَمْ يَصْطَحِبْهَا ، بَعْدَ ذَلِكَ ، سَاعِدِي
أَلَا قَبَّحَ الرَّحْمَنُ كُلَّ مَآذِقٍ يَكُونُ أَخَا فِي الْخَفَضِ لَا فِي الشَّدَائِدِ
ثُمَّ التَّقَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : أَتُحْسِنُ مِثْلَ هَذَا ؟ فقلتُ : أَحْسِنُ خَيْرَآ مِنْهُ ،
فَقَرَأْتُ : إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ . فَجَعَلَ يِكِي ، فلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ : وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِيرَتْ ،
قال : يا جاريةُ اذهبي ، فَأَنْتِ حُرَّةٌ لَوَجْهِ اللهِ ، عَزَّ وَحَلَّ ، وَأَلْقَى مَا مَعَهُ
مِنَ الشَّرَابِ فِي الْمَاءِ ، وَكَسَرَ العودَ ، ثُمَّ دَنَا إِلَيَّ ، فاعْتَنَقَنِي وَقَالَ : يَا أَخِي

١ المآذق : الذي لم يخلص الود . الخفض : سعة العيش .

أُتِرَى اللّٰهَ يَقْبَلُ تَوْبَتِي؟ فقلتُ : إن الله يحبّ التّوّابين ، ويحبّ المتطهّرين ،
قال : فأخبرتُه بعد ذلك أربعين سنة حتى مات قبلي ، فرأيتُه في المنام فقلتُ :
إلامَ صِرتَ بعدي؟ فقال : إلى الجنّة . فقلتُ : يا أخي بِمَ صِرتَ إلى الجنّة؟
قال : بقِراءَتِكَ عليّ : وإذا الصُّحُفُ نُشِرت .

رجل لا يملك دمه

أخبرنا إبراهيم بن سعيد اجازة قال : حدثنا أبو صالح السمرقندي قال : حدثنا أبو عبد الله
الحسين بن القاسم بن أليّس بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري
قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال أبو حمزة الصوفي ، وحدثني أبو
الفرح حسام بن المقفّاء المصري قال :

غَزَوْتُ فِي زَمَنِ الرَّشِيدِ فِي بَعْضِ الْمَرَائِبِ فَلَجَجَجْنَا فِي الْبَحْرِ ،
فَانْكَسَرَ بِنَا فِي بَعْضِ جَزَائِرِ صِقْلِيَّةٍ ، فَخَرَجَ مَنْ أَفَلَّتْ ، وَخَرَجْتُ مَدَّةً
فَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْجَزَائِرِ رَجُلًا لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ مِنْ كَثَرَةِ الْبُكَاءِ ، فَسَأَلْتُهُ
عَنْ حَالِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : ارْفُقْ بِعَيْنَيْكَ ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ قَدْ أَضَرَّ بِهِمَا . قَالَ :
إِلَّا ذَلِكَ . فقلتُ : وما جنايتهما عليك حتى تمنى لهما البلاء؟ فقال : جنايتي
لَا أَزَالُ مُعْتَدِرًا مِنْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَيَّامَ حَيَاتِي . قلتُ : وما هي؟ قال : سرعة
نَظَرِيهِمَا إِلَى الْأُمُورِ الْمَحْظُورَةِ عَلَيْهِمَا ، وَلَقَدْ أَوقَعْتَانِي فِي ذَنْبٍ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ،
لَوْلَا الرَّجَاءُ لِرَحْمَةِ اللَّهِ لَأَيْسْتُ أَنْ يَغْفُوَ لِي عَنْهُ . وَبِاللَّهِ لَوْ صَفَحَ اللَّهُ لِي عَنْهُ
وَأَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ ثُمَّ تَرَأَى لاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ بِعَيْنَيْنِ عَصَتَاهُ ، ثُمَّ
صُعِقَ وَسَقَطَ مَغْشِيًا عَلَيْهِ .

حنين المغنية الحسنة إلى بغداد

أخبرني أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الاندلسي بمصر ، وكتبه لي بخطه قال : أخبرني أبو محمد
اليزيدي قال : حدثنا الزبير قال : حدثني أبو علي بن الأشكري المصري قال :

كنتُ من جُلّاسِ تَمِيمِ بنِ أوفى ، وممنْ يخفّ عليه ، فَبَعَثَ بي
إلى بَغْدَاد ، فابْتَعْتُ له هُنَاكَ جَارِيَةً رَاحِيَةً جَدًّا ، فَلَمَّا حَصَلَتْ عنده أَقَامَ
دَعْوَةً لِحُلْسَائِهِ ، قال : وأنا فيهِمْ ، ثمَّ وُضِعَتِ السَّتَّارَةُ ، وأمرَها بِالغِنَاءِ
لِيَسْمَعَ غِنَاءَهَا ، وَيُحَاسِنَ الحَاضِرِينَ بِهَا ، فَغَنَّتْ :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برقٌ تآلقَ موهناً لمعانهُ
يبدو كحاشية الرداء ، ودونه صعبُ الذرى متمتعٌ أركانهُ
فالنارُ ما اشتعلتْ عليه ضلوعهُ ، والماءُ ما سَمَحَتْ به أجفانهُ

قال : فأحسنتَ ما شئت ، وطربَ تميمَ وكلَّ من حضر ، ثمَّ غَنَّتْ :
سَيْسَلِيكَ عَمَّاتِ دَوْلَةٍ مُفْضِلٍ أَوَائِلُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ
ثَنَى اللَّهِ عِطْفِيهِ وَأَلْفَ شَخْصَةٍ ، على البرِّ ، مذ شُدَّتْ عليه مَازِرُهُ

قال : فطربَ تميمٌ ومن حضرَ طرباً شديداً ، ثمَّ غَنَّتْ :

أستودع الله في بَغْدَادَ لي قَمَرًا بالكُرْخِ من فَلَكَ الأَزْرارِ مَطْلِعُهُ

قال : فاشتدَّ طربُ تميمٍ ، وأفرطَ جيداً ، ثمَّ قال لها : تمنّي ما شِئتِ ،
فَلَكَ مُتَمَنَّاكَ . فقالت : أتمنّي عَافِيَةَ الأميرِ وبقَاءَهُ . فقال : والله لا
بدّ لك أن تَتَمَنَّيَ . فقالت : على الوفاءِ أيّها الأميرُ بما أتمنّي ؟ فقال : نعم !
فقالت له : أتمنّي أن أُغْنِي بهذه النوبة ببغداد . قال : فاستنقِعْ لَوْنُ تَمِيمٍ ،
وتَغَيَّرَ وجهُهُ ، وتكدَّرَ المَجْلِسُ ، وقامَ وقُضِيَ كُلُّنَا .

قال ابن الأشكري : فلحقني بعضُ خَدَمِهِ ، وقال لي : أرجعْ فالأميرُ

يدعوك، فرجعتُ ، فوجدته جالسا ينتظرنني ، فسكمتُ وجلستُ ، فقال :
ويحك أرايت ما امتحننا به؟ قلتُ : نعم أيها الأمير . فقال : لا بد من الوفاء لها ،
وما أتي في هذا بغيرك ، فتأهب لتحميلها إلى بغداد ، فإذا غنت هناك
فاصرفها . فقلتُ : سمعاً وطاعة . قال : ثم قم وتأهب وأمرها بالتأهب
وأصحابها جارية سوداء تخدمها ، وأمرَ بِنَاقَةٍ ومحمل ، فأدخلتُ فيه ،
وجعلتها معي ، ثم دخلنا الطريق إلى مكة مع القافلة ، فقضينا حَجَّنا ،
ثم دخلنا في قافلة العراق ، فلما وردنا القادسية ، أتني السوداء عنها ،
فقلت : تقول لك سيدي : أين نحن ؟ فقلتُ لها : نحن نزلُ بالقادسية .
فانصرفتُ إليها وأخبرتها ، فلم أنشب أن سمعتُ صوتها قد اندفع
بالغناء :

لما وردنا القادسية هـ حيثُ يجتمعُ الرِّفاقِ
وشممتُ من أرض الحجا ز نسيمَ أنفاسِ العراقِ
أيقنتُ لي ولمن أحـ ب يجمع شملِ واتفاقِ
وضحكْتُ من فرح اللقا هـ كما بكيتُ من الفراقِ

فتصايح الناسُ من أقطار القافلة : أعيدي بالله ! أعيدي بالله ! فما سُمع
ها كلمة . قال : ثم نزلنا بالياسرية ، وبينها وبين بغداد قريبُ في بساتين
متصلة من الناس فيبيتون ليلتهم ، ثم يبكرون لدخول بغداد ، فلما
كان قرب الصباح ، إذا أنا بالسوداء قد أتني مكهوفة . فقلتُ : مالك ؟ فقالت :
إن سيدي ليست حاضرة ! فقلتُ : وأين هي ؟ قالت : والله ما أدري .
قال : فلم أحس لها أثراً ، فدخلتُ بغداد ، وقضيتُ حوائجي بها ، وانصرفتُ
إلى تميم فأخبرته الخبر ، فعظم ذلك عليه ، ثم ما زال بعد ذلك ذاكرها لها
واجماً عليها .

الأسود المتيم بالله

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمود الزوزني شيخ الرباط بقراءتي عليه قال : سمعت محمد بن محمد ابن ثوبة يقول :

حكى لي عن الشبلي أنه دخل إلى مارستان ، فإذا هو بأسود ، إحدى يديه مغلولة إلى عنقه ، والأخرى إلى سارية ، وهو مقيد بقيدتين . قال : فلما رأيته قال لي : يا أبا بكر قل لربك أما كفالك أن تيممني بجبك حتى قيدتني ؟ ثم أنشأ يقول :

على بُعدك لا يصبر من عادته القرب
وعن قريبك لا يصبر من تيممه الحب
فإن لم ترك العين فقد أبصرك القلب
قال : فزَعَقَ الشبلي ، وأغمي عليه ، فلما أفاق رأى الغل مطروحاً والقيد والأسود مفقودين .

الشبلي وشعر المجنون

أخبرنا أبو الحسن الزوزني أيضاً على أثره قال :

قال لي علي بن المثنى : دخلت على أبي بكر جحدَر بن جعفر الملقب بالشبلي في داره يوماً ، وهو يهيج ويقول :

على بُعدك لا يصبر من عادته القرب
ولا يقوى على حجبك من تيممه الحب
لئن لم ترك العين فقد يبصرك القلب

سأل الله أن يتلىه

حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن علي العلاف الواعظ من حفظه قال : سمعت أبا الحسين محمد ابن أحمد بن سمون الواعظ شيخنا يقول : سمعت أبا عبد الله الغلفي ، أو قال لي أبو عبد الله الغلفي بطرسوس صاحب أبي العباس بن عطاء يقول : سمعت أبا العباس بن عطاء يقول : قرأتُ القرآنَ ، فما رأيتُ اللهَ ، عزَّ وجلَّ ، ذكرَ عبدًا فأثني عليه حتى ابتلاه ، فسألتُ اللهَ تعالى أن يبتليَّني ، فقلتُ : اللهمَّ ابتليَّني واحفظني في ما تبتليَّني ، فما مضتُ الأيامَ والليالي حتى خرجَ من داري نيفٌ وعشرونَ ما رجَعَ منهم أحدٌ ، وذهبَ ماله ، وذهبَ عقله ، وذهبَ ولده وأهلُه . قال أبو عبد الله الغلفي : فَمَكَثَ بِحُكْمِ الْغَلْبَةِ سَبْعَ سِنِينَ أو نحوها ، فما رأيتُ أحدًا صحا بعد غلبَةٍ فَتَنَطَّقَ بِالْحِكْمَةِ أَحْسَنَ من أبي العباس بن عطاء ، فكان أولُ شيءٍ قال بعد صحوه من غلبته :

حَقًّا أَقُولُ لَقَدْ كَلَّفْتَنِي شَطَطًا حملي هوأك وصبري ذانٍ تعجيبُ
 جمعتَ شيئينِ في قلبٍ له خطرٌ ، نوعينِ ضدينِ : تَبْرِيدٌ وتلهيبُ
 نارٌ تُقَلِّقُنِي ، والشوقُ يُضِرُّمُهَا ، فكيفَ قد جُمِعَا ، والعقلُ مسلوبُ
 لا كنتُ إن كنتُ أدري كيفَ يُسلمني صبري إليك كما قد ضرَّ أيتوبُ
 لما تطاولَ بلكواه اقشعرَّ لها ، فصاحَ ، من حملها ، غرثانُ مَكْرُوبُ :
 قد مسَّني الضرُّ والشیطانُ يَنْصُبُ بي ، وأنتَ ذو رحمةٍ ، والعبدُ منكوبُ

قال لنا شيخنا أبو طاهر بن العلاف : قال لنا أبو الحسين بن سمون ، رحمه الله : أظنُّ كان بقي عليه من الغلبة شيءٌ فقال : لقد كَلَّفْتَنِي شَطَطًا ، وأنا أقول : لقد حملتني عَجَبًا .

١ ينصب بي : يمايني .

ريحانة ناطقة

أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد المكي صاحب قوت القلوب بقراي عليه قال : حدثنا أبو الفتح يوسف بن عمر القواس إملاء قال : حدثنا أحمد بن الحسن بن محمد بن سهل الواعظ قال : حدثنا محمد يعني ابن جعفر قال : حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا روح بن منصور قال : قال عباد العطار :

قُمْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اكْسُ وَجْهِي مِنْكَ حَيَاءً ، فَصَرَخَتْ رِيحَانَةٌ: ادْعُ لَكَ بِإِسْقَاطِ الْعَرَى ، أَنْتَ مُرَاءٍ ، وَتَدْعُو بِالْحَيَاءِ ؟ الْوَرَعُ أَوَّلُ بَيْتٍ مِنْ ذَا ، وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

تَعَوَّدُ سَهَرَ اللَّيْلِ ، فَإِنَّ النَّوْمَ خُسْرَانُ
وَلَا تَرْمِكُنْ إِلَى الذَّنْبِ ، فَعُقْبَى الذَّنْبِ نِيرَانُ
وَكُنْ لِلْوَحْيِ دَرَّاسًا ، فَلْيَلْقُرْآنَ أَخْدَانُ
إِذَا مَا اللَّيْلُ فَاجَاهُهُمْ ، فَهَمَّ فِي اللَّيْلِ رُهْبَانُ
يَمِيلُونَ كَمَا مَالَتْ ، مِنَ الْأَرْوَاحِ ، أَغْصَانُ

قال : فَبَكَيْتِ حَتَّى اسْتَفَيْتِ .

عيسى بن مريم والأسد

أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد الشاهد قال : حدثنا الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي قال : حدثنا أبو يوسف الفخيم قال : حدثنا عبد الله بن مقوم التنوخي قال : أخبرنا عبد المنعم عن أبيه قال :

خَرَجَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ فِي سِيَاحَتِهِ فَأَخَذَتْهُ السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ وَالرَّيْحِ ، فَأَتَى كَهْفًا لِيَسْكُنَ فِيهِ ، فَإِذَا هُوَ بِسَبْعٍ قَدْ خَرَجَ إِلَيْهِ يُبْصِصُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ عِيسَى رَجَعَ وَقَالَ: أَنْتَ أَحَقُّ بِمَوْضِعِكَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : يَا رَبُّ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ مَلَجًا يَسْكُنُ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ لِعِيسَى

مَسْكَن ، فَأَوْحَى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَيْهِ : اسْتَطَبَّأَنِي ، وَعِزَّتِي لِأَزْوَجِنَكَ ،
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَوْرَاءَ ، وَلَأَوْلَمْنَ عَلَيْكَ أَرْبَعَةَ آلَافِ سَنَةٍ .

كُمُونِ الْحُبِّ فِي الْحُشَا

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَكِيلُ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ حَكَمَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا
أَبُو الْفَتْحِ الْبَصْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ عَطَاءٍ قَالَ :
حَكَى لَنَا عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ :

دَخَلْتُ بَعْضَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَإِذَا بِقَوْمٍ شُحِبِ الْوَأْنُ هُمْ ، فَقُلْتُ فِي
نَفْسِي : إِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ وَقَعُوا عَلَى دَاءٍ ، فَأَنَا أَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمْ .
قَالَ : فَذَهَبْتُ لِأَخْرُجَ فَإِذَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِي : إِلَى أَيْنَ ، يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟
فَقُلْتُ : أَطْلُبُ لِدَائِكُمْ دَوَاءً . فَقَالَ : ارْجِعْ ، عَافَاكَ اللَّهُ ، فَإِنَّا قَوْمٌ لَيْسَ
لِدَائِنَا دَوَاءٌ ، نَحْنُ قَوْمٌ فَتَشَتْ فِي قُلُوبِنَا حُبَّةُ اللَّهِ ، فَتَخَيَّرَتِ الْوَأْنُ .
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَأَعْجَبْتَنِي مَا سَمِعْتُ لَأَنْتِي مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ . قَالَ : فَرَجَعْتُ
إِلَى الْحَيِّ ، وَلَمْ أَزَلْ أَدُورُ فَرَأَيْتُ خَبَاءَ شَعْرٍ مُنْفَرِدًا عَنِ الْبُيُوتِ ، فَقَصَدْتَهُ ،
فَاطْلَعْتُ فِيهِ ، فَإِذَا أَنَا بِفَتَى حَسَنِ الْوَجْهِ فِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ مُشْدُودَةٌ إِلَى
سِكَّةٍ فِي الْأَرْضِ ، قَالَ : فَهَالَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : يَا فَتَى مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَ :
يَا ابْنَ عَمِّي ! يَقُولُونَ إِنِّي مُجَنُونٌ ! فَقُلْتُ : أَهْوَا كَمَا يَقُولُونَ ؟ فَقَالَ لِي : لَا وَاللَّهِ
مَا أَنَا بِمُجَنُونٍ ، وَلَكِنِّي بِحُبِّ اللَّهِ مَفْتُونٌ .

قَالَ : قُلْتُ فَصِيفُ لِي الْحُبِّ ! فَقَالَ : إِلَيْكَ عَنِّي ، يَا أَخَا الْعَرَبِ ، جَلَّ
عَنْ أَنْ يُحَدِّثَ ، وَخَفِيَ أَنْ يُرَى ، كَمَنْ فِي الْحُشَا كُمُونُ النَّارِ فِي الْحَجَرِ ،
إِنْ قَدَحْتَهُ أَوْرَى ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ تَوَارَى ، ثُمَّ صَفَّقَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَأَنْتَ الَّذِي أَصْفَيْتَ مِنْكَ مَوَدَّةَ قَلَائِعُهَا فِي سَاحَةِ الْقَلْبِ تُغْرَسُ
وَإِنْ كَانَ لِي مِنْ فَقْدِ قَلْبِي مَوْحَشٌ ، فَقَدْ ظَلَّ لِي مِنْ فِكْرَتِي فِيكَ مَوْنَسٌ
أُنَاجِيكَ بِالْإِضْمَارِ حَتَّى كَأَنَّكَ بَعَيْنِي فِكْرَتِي ، حِينَ أَجْلِسُ

كل حبّ عليل

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حنون النرسي بقراقي عليه قال : حدثنا أبو حاتم محمد
ابن عبد الواحد الرازي قال : أخبرني محمد بن هارون الثقفني قال : أنشدنا المسروقي قال :
أنشدنا بعضُ أصحابنا :

ونفسُ حبّ الله نفسٌ عليلةٌ ، وأيُّ حبٍّ لا تراه عيلاً ؟

المكفوف المجذوم

أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت الحافظ قال : حدثنا عبد الرحمن بن فضالة النيسابوري قال : أخبرنا
محمد بن عبد الله بن شاذان المزكي قال : سمعت طيباً المخملي بالبصرة يقول : سمعت علي بن
سميد المطار يقول :

مَرَرْتُ بِعَبَّادَانِ يَمَكْفُوفٍ مَجْذُومٍ ، وَإِذَا الزَّبُورُ يَقَعُ عَلَيْهِ ، فَيَقْطَعُ
لَحْمَهُ . فَقُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاهُ ، وَفَتَحَ مِنْ عَيْنِي مَا أَغْلَقَ
مِنْ عَيْنَيْهِ !

قال : فَبَيْنَمَا أَنَا أَرْدَدُ الْحَمْدَ إِذْ صُرِعَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتَخَبَّطُ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ،
فَإِذَا هُوَ مُقْعَدٌ ، فَقُلْتُ : مَكْفُوفٌ يُصْرَعُ ، وَمُقْعَدٌ مَجْذُومٌ ؟ قال : فَمَا اسْتَمَمْتَ
كَلَامِي حَتَّى صَاحَ : يَا مُكَلِّفُ ! مَا دَخَوْلَكَ فِي مَا بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي ؟ دَعِهِ يَعْمَلْ
بِي مَا شَاءَ . ثُمَّ قَالَ : وَعِزَّتِكَ وَجَلَّالِكَ لَوْ قَطَّعْتَنِي لِأَرْبَا أَرْبَا ، وَصَبَّيْتَ عَلَيَّ
الْعَذَابَ صَبًّا ، مَا أَزْدَدْتُ لَكَ إِلَّا حُبًّا .

زوجتان من الحور العين^١

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان قراءة عليه ، غير مرة ، في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة قال : حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي إملاء قال : حدثنا إبراهيم الحربي قال : حدثنا الحسن بن عبد العزيز عن الحارث عن ابن وهب قال :

حدثني بكر بن مُضَرَّ أنَّ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَهُ عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُمْ كَانُوا مَرَابِطِينَ فِي حِصْنٍ ، فَخَرَجَ رَجُلَانِ إِلَى الْخَيْشِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لصاحبه : هل لك أن تَغْتَسِلَ لعلَّ الله أن يُعَرِّضَنَا للشَّهَادَةِ ؟ فقال صاحبه : ما أريد أن أغتسل ، فاغتسل صاحبه ، فلما فرغ سَقَطَ حَجَرٌ مِنَ الْحِصْنِ فَأَصَابَ الرَّجُلَ ، فَمَرَرْتُ بِهِمْ ، وَهُمْ يَجْرُونَ إِلَى خِيَامِهِمْ ، فَسَأَلْتُهُمْ مَا شَأْنُهُ ؟ فَأَخْبَرُونِي الْخَبَرَ ، فَانصَرَفْتُ إِلَى أَصْحَابِي ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيْهِمْ ، فَأَقَمْتُ عندهم ، وَهُمْ يَشْكُونَ هَل مَاتَ أَوْ عَادَ لِأَسِيهِ الرُّوحِ .

فبينما هو كذلك إذ ضحك فقلنا : إنه حي ، ثم مكثت ملياً ، ثم ضحك ، ثم مكثت ملياً ، ثم بكى ، ففتحت عيني . قلنا : ابشِر يا فلان ، فلا بأس عليك ، لقد رأينا منك عجباً ، كنا نظن أنك قد مت إذ ضحكك ، ثم مكثت ملياً . قال : إني لما أصابني ما أصابني أتاني رجل فأخذ بيدي فمضى بي إلى قصر من ياقوته ، فوقف بي على الباب ، فخرج إلي غلمان مشمَّرين لم أر مثلهُم ، فقالوا : مرحباً بيسيدنا ! فقلت : من أنتم ، بارك الله فيكم ؟ قالوا : نحن خُلِقْنَا لك .

ثم مضى بي حتى أتى بي قصر آخر ، وخرج إلي منه غلمان مشمَّرين هم أفضل من الأولين فقالوا : مرحباً وأهلاً بيسيدنا ! فقلت : من أنتم ،

١ الحور ، الواحدة حوراء ، التي اشتد بياض بياض عينا وسواد سوادها . العين ، الواحدة عيناء : التي عظم سواد عينا مع سعة ، وقيل للنساء الحور العين تشبيهاً لهن بالظباء أو ببقرة الوحش في جمال أعينها .
٢ سنة ١٠٤٧ م .

بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ ؟ فقالوا : نحنُ خُلِقْنَا لَكَ .

ثم مضى بي إلى بيتٍ لا أدري من ياقوتٍ أو زبرجدٍ أو لؤلؤٍ ، فخرجَ إليَّ غلمانٌ مشمرين سوى الأولين فقالوا مثل ما قال الأولون ، وقلتُ لهم مثلَ ذلك ، فوقفتُ بي على بابِ البيتِ ، فإذا بيتٌ مبسوطٌ فيه فرشٌ موضوعةٌ بعضها فوقَ بعضٍ ونمازقُ مبسوطة ، فأدخلتُ البيتَ ، وفيه بابان ، فألقيتُ نفسي بين الوسادتين ، فقال : أقسمتُ عليكِ إلا ألقىتِ نفسك فوقَ هذه الفرشِ ، فإنك قد نصبتِ في يومك هذا . فقمْتُ فاضطجعتُ على تلكَ الفرش على وطاءٍ لم أضعُ جنبتي على مثله قط .

فبينما أنا كذلك إذ سمعتُ حساً من أحدِ البابين ، فإذا أنا بامرأةٍ لم أرَ مثلَ جمالها ، وعليها حليٌّ وثيابٌ لم أرَ مثلها ، وأقبلتُ حتى وقفتُ عليَّ ، ولم تتخطَ تلكَ النمازقَ ، ولكن أقبلتُ بين السماطين حتى وقفتُ وسلمت ، فرددت عليها السلام . فقلتُ : من أنت ، بَارَكَ اللَّهُ فيك ؟ فقالت : أنا زوجتك من الحور العين ، فضحكتُ فرحاً بها ، فأقامتُ تحدثني ، وتذكرني أمرَ نساء أهل الدنيا ، كأن ذلك معها في كتاب .

فبينما أنا كذلك إذ سمعتُ حساً من الشقِّ الآخر ، فإذا أنا بامرأةٍ لم أرَ مثلها ولا مثلَ حليها وجمالها ، فأقبلتُ ، حتى وقفتُ كنعوي ما صنعتُ صاحبيتها ، ثم مكثتُ تحدثني ، فأقصرت الأخرى ، فأهويتُ بيدي إلى إحداهما ، فقالت : تأنٍ لم يأن لك ، إن ذلك مع صلاة الظهر ، فما أدري أقالته ذلك أم رُمي بي إلى صحراء ، فلم أرَ منهم أحداً ، فبكيتُ عند ذلك .

فقال الرجل : فما صليتِ الظهرَ أو عندَ الظهرِ ، حتى قبضه الله ، عز وجل .

الشهداء في قباب ورياض

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان أيضاً قال : أخبرنا أبو بكر الشافعي قال : حدثنا محمد بن يونس بن موسى قال : حدثنا يعقوب بن اسحاق الحضرمي قال : حدثنا يزيد بن ابراهيم التستري عن أبي هارون الفنوي عن مسلم بن شداد عن عبيد الله بن عمير عن أبي بن كعب قال : الشهداء يوم القيامة بفناء العرش ، في قباب ورياض بين يدي الله ، عز وجل .

عناء الجنة

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان قال : حدثنا أبو بكر الشافعي قال : حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار قال : حدثنا الحسن بن الصباح البزاز قال : حدثنا اسحاق ابن بنت داود ابن أبي هند قال : أخبرنا عباد بن راشد البصري عن ثابت البناني قال : كنت عند أنس بن مالك ، إذ قدم عليه ابن له من غزاة ، يقال له أبو بكر ، فسأله ، فقال : ألا أخبرك عن صاحبينا فلان ؟ بينا نحن قائلون في غزاتنا إذ ثار ، وهو يقول : وأهلاه ، وأهلاه ، فشرنا إليه ، وظننا أن عارضاً عرض له ، فقلنا : ما لك ؟ فقال : إني كنت أحدث نفسي ألا أتزوج حتى أستشهد ، فيزوجني الله تعالى من الحور العين ، فلما طالت علي الشهادة قلت في سفرتي هذه : إن أنا رجعت ، هذه المرة ، تزوجت ، فأتاني آت في المنام قال : أنت القائل إن رجعت تزوجت ؟ قم ، فقد زوجك الله العيناء ، فانطلق بي إلى روضة خضراء معشبة ، فيها عشر جوار .

(وذكر الحديث وقطع الحديث ، بسبب ما وقع في الجامع ، وذلك أنه تكلم رجل في المذهب ، فعاونه رجل فضولي في رواق الجامع ، وأخرجوه فقتلوا واندفع عنا الحديث ، وقبر في غد في قبر معروف ، فسئل الشافعي

أَن يُعْلِي تَمَامَ هَذَا الْحَدِيثِ ، فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِسَبْعٍ خَلَكُونَا مِنْ جَمَادَى الْأُولَى ، فَأَمْلَاهُ عَلَيْنَا (وَبِيَدِ كُلِّ وَاحِدَةٍ صَنْعَةٌ تَصْنَعُهَا ، لَمْ أَرِ مِثْلَهُنَّ فِي الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ . فَقُلْتُ : أَفِيَكُنَّ الْعَيْنَاءُ ؟ فَقُلْنَ : نَحْنُ مِنْ خَدَمِهَا ، وَهِيَ أَمَامُكَ . فَمَضَيْتُ ، فَإِذَا رَوْضَةٌ أَعْشَبُ مِنَ الْأُولَى ، وَأَحْسَنُ ، فِيهَا عِشْرُونَ جَارِيَةً فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدَةٍ صَنْعَةٌ تَصْنَعُهَا ، وَلَيْسَ الْعِشْرُ إِلَيْهَا بِشَيْءٍ فِي الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ ؛ قُلْتُ : أَفِيَكُنَّ الْعَيْنَاءُ ؟ قُلْنَ : نَحْنُ مِنْ خَدَمِهَا ، وَهِيَ أَمَامُكَ .

فَمَضَيْتُ ، فَإِذَا بَرَوْضَةٌ وَهِيَ أَعْشَبُ مِنَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فِي الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ ، فِيهَا أَرْبَعُونَ جَارِيَةً فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ صَنْعَةٌ تَصْنَعُهَا وَلَيْسَ الْعِشْرُ وَالْعِشْرُونَ إِلَيْهِنَّ بِشَيْءٍ فِي الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ ، قُلْتُ : أَفِيَكُنَّ الْعَيْنَاءُ ؟ قُلْنَ : نَحْنُ مِنْ خَدَمِهَا ، وَهِيَ أَمَامُكَ .

فَمَضَيْتُ فَإِذَا أَنَا بِبَيْتِ قَوْتَةٍ مُجَوَّفَةٍ فِيهَا سَرِيرٌ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ قَدْ فَضَّلَ جَنَابُهَا عَنِ السَّرِيرِ ، فَقُلْتُ : أَأَنْتِ الْعَيْنَاءُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ! مَرْحَبًا بِكَ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَضَعَّ يَدَيَّ عَلَيْهِمَا ، قَالَتْ : مَهْ ، إِنَّ فِيكَ شَيْئًا مِنَ الرُّوحِ بَعْدَ ، وَلَكِنْ تَقْطُرُ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ ، قَالَ : فَانْتَبَهَتْ .

قَالَ : فَمَا فَتَرَعَ الرَّجُلُ مِنْ حَدِيثِهِ ، حَتَّى نَادَى الْمَنَادِي : يَا خَيْلَ اللَّهِ اارْكَبِي ؛ قَالَ : فَارْكَبْنَا فَصَافَ الرَّجُلُ الْعَدُوَّ ؛ وَقَالَ : فَإِنِّي لَأَنْظُرُ الرَّجُلَ ، وَأَنْظُرُ إِلَى الشَّمْسِ ، وَأَذْكُرُ حَدِيثَهُ ، فَمَا أَدْرِي أَرَأْسَهُ سَقَطَتْ أَمْ الشَّمْسُ سَقَطَتْ .

جارية تزور في المنام

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي بقراقي عليه ، في سنة أربعين وأربعمائة ،
قال : حدثنا أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن سويد قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم
الأنباري قال : أخبرنا عبد الله بن خلف قال : حدثنا أبو بكر محمد بن سماعة قال : حدثنا
محمد بن الحسين قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز القرشي قال : حدثني اسماعيل بن أبي خالد
قال :

كان عندنا فتى باليمن بطالٌ مسرفٌ على نفسه . وكان مع ذاك ذا مال
وجمال ، فرأى ليلةً ، في نومه ، جاريةً ، قد أقبلت إليه ، وعليها ثوبٌ
من اللؤلؤ تتشنى أطرافه ، وبسدها كتابٌ من حريرٍ أخضر مكتوبٌ بالذهب ،
فقالت له : بأبي أنت اقرأ لي هذا الكتاب ، فقراه فإذا هو :

مِنَ الَّتِي صَاغَهَا الرَّحْمَنُ فِي غُرْفٍ ، مِنْ مِسْكَةٍ عُجِنَتْ فِي مَاءِ نِسْرِينَ
إِلَى الَّذِي حَبَّه فِي الْقَلْبِ مَحْتَبَسٌ ، وَقَلْبُهُ عَنْهُ فِي لَهْوٍ وَتَفَتِينِ
يَا سَهْلُ بَادِرٍ ، فَقَدْ أَوْرَثْتَنِي حَزَنًا ، كَمْ عَنْكَ مَا لَا أَحِبُّ ، الدَّهْرَ ، يَأْتِينِي
أَلَسْتَ تَشْتَاقُ أَنْ تَكْهُو عَلَى فُرْشٍ مَوْضُونَةٍ مَعَ جَوَارٍ خُرْدٍ عَيْنٍ ؟
قال : فَأَصْبَحَ الْفَتَى تَارِكًا لِكُلِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَطَالَةِ وَالصَّبِي ، وَلَمْ
يَزَلْ مُتَنَسِّكًا أَحْسَنَ تَنَسُّكَ حَتَّى مَاتَ . قال : وكان اسمه سهلاً . قال أبو
بكر بن الأنباري : الخُرْدُ الحسان . والموضونة : المنسوجة بالذهب . والعَيْنُ :
الحسانُ الأعين .

خود في قصر زبرجد

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد البراز قال : حدثنا عثمان بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن محمد الطوسي قال : حدثنا أبو الطيب بن الشهورى قال : حدثني زريق الصوفي قال : أخبرني محمد بن الحسين عن حبيب الفارسي قال :

دخلتُ يوماً إلى الرّجّان^١ ، فإذا بمجنون يقال له أبنا . قال : فهاجّ على قلبي آيةً من كتاب الله ، عزّ وجلّ ، فقرأتُ : حورٌ مقصُوراتٌ في الخيام ، لم يطْمَثْنَنَّ إنسٌ قبلَهُمْ ولا جانٌ . قال : فهاجّ ثمّ أنشأ يقول :

مِنْ حُبِّ سَيِّدَةٍ تَبَوَّأَ جَنَّةً قَدْ حُقِّقَتْ أَهَارُهَا بِخِيَامِ
مع خَوْدَةٍ فِي جَوْفِ قَصْرِ زَبَرْجَدٍ مَسْكُونَةٍ فِي خَدِيرِهَا كَغَلَامِ
وَرَصَانَةٍ فِي قَوْلِهَا وَحَدِيثِهَا ، لَا تَأْيَسَنَّ بِرَأْفِدِ نَوَامِ

الجارية المجنونة والزرع

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي بهذا الإسناد عن زريق الصوفي عن عبد الواحد قال : قال عتبة الغلام :

خَرَجْتُ مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْأُبُلَّةِ ، فَإِذَا أَنَا بِخَبَاءِ أَعْرَابٍ قَدْ زَرَعُوا ، وَإِذَا أَنَا بِخِيَمَةٍ ، وَفِي الْخِيَمَةِ جَارِيَةٌ مَجْنُونَةٌ عَلَيْهِا جَبَّةٌ صُوفٌ لَا تُبَاعُ وَلَا تُشْتَرَى ، فَدَنَوْتُ فَسَلَّمْتُ ، فَلَمْ تُرُدِّ السَّلَامَ ، ثُمَّ وَلَيْتَ فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ :

زَهَيْدَ الزَّاهِدُونَ وَالْعَابِدُونَ ، إِذْ لَمَوَّلَاهُمْ أَجَاعُوا الْبَطُونَا
أَسْهَرُوا الْأَعْيْنَ الْقَرِيحَةَ فِيهِ ، فَمَضَى لَيْلُهُمْ ، وَهُمْ سَاهِرُونَ
حَبَّرَتْهُمْ مَحَبَّةُ اللَّهِ حَتَّى عِلِمَ النَّاسُ أَنَّ فِيهِمْ جُنُونَا

١ الرّجّان : لعلها تعني المارستان .

هم ألبا ذوو عقول، ولكن قد شجاهم جميع ما يعرفونا^١
 قال : فدنوتُ إليها فقلتُ : لمن الزرع ؟ فقالت : لنا إن سلم ، فتركها
 وأتيتُ بعضَ الأخبيّة ، فأرختِ السماء كأفواه القرب فقلتُ : والله لا تينها
 فأنظرَ قصتها في هذا المطر ، فإذا أنا بالزرع قد غرق ، وإذا هي قائمة نحوّه
 وهي تقول : والذي أسكنَ قلبي من طرف سحرٍ بصفيّ محبةً اشتياقك ، إن
 قلبي ليوقن منك بالرضا ، ثمّ التفتتُ إليّ فقالت : يا هذا ! إنّه زرع ،
 فأنبته ، وأقامه ، فسبّله ، وركّبه ، وأرسلَ عليه غيثاً فسقاه ، واطلعَ
 عليه فحفظه ، فلمّا دنا حصّاده ، أهلكه ، ثمّ رفعتُ رأسها نحو السماء
 فقالت : العبادُ عبادك ، وأرزاقهم عليك ، فاصنع ما شئت ! فقلتُ لها :
 كيف صبرك ؟ فقالت : اسكُتْ يا عبّته .

إنّ إلهي لَغنيّ حميد ، في كل يومٍ منه رزقٌ جديد
 الحمدُ لله الذي لم يزلْ يفعل بي أكثر مما أريد
 قال عبّته : فوالله ما ذكرتُ كلامها إلّا هتجّني .

دعاء ربحان المجنون

وحكى الصقرُ بن عبد الرحمن الزاهد قال : كان ربحانُ المجنونُ يقول في
 دعائه : اللهمّ قصّدتك آمالي ، الطمعُ رغبني فيك ، وولّيت بك جوارحي
 لمواصلات الوداد إليك . ثمّ يقول :

كُتِبَ الناسُ بالدمِّ حِ إلى الحورِ كِتَاباً
 لا بأفلامٍ ولكنْ خطّاً بالدّمِ سَحَاباً
 من فتّى ألقاهُ الشوّ قُ وأضنى وأذاباً

١ ألبا ، الواحد لبب : العاقل .

لا تمرض ولا تهرم ولا تموت

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الجبال بقراءتي عليه بمصر ، في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن أبي عدي السمرقندي الصوفي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن أليسع بن عاصم البزاز الصوفي قراءة عليه بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الخياط قال : قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي :

كنتُ مع محمد بن الفرج السائح ، فنظرتُ إلى جارية جميلة تُعرضُ على رجلٍ ليشتريها ، فقال : بكم تُبَاعُ هذه الجارية ؟ فقيلَ له : بألف دينار ، فرفعَ رأسه إلى السماء وقال : اللهم ! إنك تعلمُ أني لا أملكُها ، ولا تنالُها يدي ، وإني لأعلمُ من كرمِكَ أني لو سألتُك إياها لم تردُني عنها ولم تمنعني منها ، تفضلاً منك عليّ وإحساناً إليّ ، وإني أسألكَ ما هو أنفُسُ عندي منها ، بادنةً^١ لا تمرضُ ولا تهرمُ ولا تموتُ ، ومهرُها أن لا تراني نائماً بليل ، ولا طاعماً بنهار ، ولا ضاحكاً إلى أحد من خلقك أبداً ، وأنا أجدُ في المهرِ من وقتي هذا ، فأنجِزْ لي ، إذا لقيتُك ، ما سألتُك يا كريم . قال : فما رأيانه نائماً بليل ، ولا طاعماً بنهار ، ولا ضاحكاً إلى أحد من الناس حتى لحقَ بالله ، عزَّ وجلَّ .

الغلام الشهيد

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بقراءتي عليه بمصر بإسناده قال : قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي :

كنتُ مع عبيد الله بن محمد الاسكندراني ببلاد الروم فنظرتُ إلى غلامٍ جميلٍ يحمِلُ على عِلجٍ من الروم ، ويرجع عنه أحياناً ، فدنا منه ، وقال : فدتك

١ سنة ١٠٦٢ م .

٢ الباذنة : الكثيرة اللحم ، وأراد بها إحدى حور الجنة .

النفسُ أما تَشْتاقُ إلى أن تَرى وجهاً هوَ أحسنُ من وجهك وأبهجُ من شخصيك ؟ فقال : بلى ، والله يا عم . فقال : والله ما بينك وبين أن تَرى الله ، عزّ وجلّ ، إلا أن يَقتُلَكَ هذا العِلجُ ، فصاحَ الغُلامُ ، وحَمَلَ عَليهِ ، فقتَلَهُ العِلجُ ، فكان عُبَيْدُ اللهِ بن محمد يقول بعد ذلك إذا ذكره : رحمةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَليهِ ، إني لأرجو أن يكونَ اللهُ ، عزّ وجلّ ، قد ضَحِكَ إلى وجهِهِ الحسن الجميل بما بَدَلْ لَهُ من مُهْجَةِ نفسه .

ابن جويرية والغلام الجميل

ويأسناده قال : قال أبو حمزة وحديثي اسماعيل بن هرثة الوقاص قال : حدثنا الأسود بن مالك الفزاري قال : حدثني أبي قال :

حَضَرْتُ أبا مسلم سعيد بن جُويرية الخشوعي ، وقد نَظَرَ إلى غُ جَمِيل فأتالَ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، ثمَّ قرأ : إنَّ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واختلافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ، سُبْحَانَ اللهِ ، ما أَهْجَمَ طَرَفِي على مَكْرِهِ نَفْسِهِ ، وأَقْدَمَهُ على سَخَطِ سَيِّدِهِ ، وأَغْرَاه بما قَدْ نَهَى عَنْهُ ، وأَلْهَجَهُ بِالْأَمْرِ الَّذِي حَدَّرَ مِنْهُ ، لقد نَظَرْتُ إلى هَذَا نَظَرًا لا أَحْسِبُهُ إِلَّا أَنَّهُ سَيُفْضَحُنِي عِنْدَ جَمِيعِ مَنْ عَرَفَنِي فِي عَرِصَةِ الْقِيَامَةِ ، ولقد تَرَكْنِي نظري هَذَا ، وأنا أَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ ، عزّ وجلّ ، وإنْ غَفَرَ لي ، وأَرَانِي وَجْهَهُ ، ثمَّ صُعِقَ .

يحيى بالجنان

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأرستاني بقراقي عليه في المسجد الحرام بباب الندوة قال :
أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المذكر قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن هزار
ابن محمد بن هزار الخطيب بمرو الروذ قال : حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز
قال : حدثنا علي بن الجعد قال : حدثنا شعبة قال :

بَلَغَنِي عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي
فِي مَسْجِدٍ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ فَقَرَأَ الْإِمَامُ ذَاتَ لَيْلَةٍ : وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَّتَانِ ، فَقَطَعَ صَلَاتَهُ وَجُنَّ ، وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ يَوْقِفْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ .

العهدة القاتلة

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بقراقي عليه بمصر ، سنة خمس وخمسين ١ ، قال : أخبرنا
أبو صالح السمرقندي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع قال : حدثنا أبو
بكر أحمد بن محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال أبو
حمزة الصوفي : حدثني محمد بن مصعب بن الزبير المكي قال : حدثني أبي قال :

حدثني رجلٌ من أهل المدينة ، ونحن ببلاد الروم في سرية^٢ عليهما محمد
ابن مُصْعَب الطرطوسي قال :

كان بالمدينة غلامٌ من بني مخزوم موصوف ببراءة الجمال ، فإذا كان في
أيام الحج حَجَّجَهُ أَبُوهُ عَنْ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى يَصْدُرَ آخِرُ الْحَاجِّ
إِشْفَاقًا عَلَيْهِ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ وَحَدَّرَا عَلَيْهِ مِنْهُمْ ، فَاشْتَهَرَ بِجَمَالِهِ وَوُصِفَ
بِكَمَالِهِ ، فَكَانَتْ الرَّفَاقُ تَتَحَدَّثُ بِحَدِيثِهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ
الصَّوْفِيَّةِ عِنْدَ انْقِضَاءِ عُمْرَتِهِمْ ، وَقَدْ رَجَعُوا مِنَ الْحَجِّ لَزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى

١ يريد ٤٥٥ أي سنة ١٠٦٣ م .

٢ السرية : القطعة من الجيش .

الله عليه وآله وسلم ، وما بالمدينة يومئذ أحدٌ من الحاج غيرهم ، فخرجَ
المخزومي في ذلك اليوم ، فأتى قبر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فسكَّم عليه ،
ثم قعد في الروضة ينتظر الصلاة ، فوقف عليه طلحة ينظر إليه ملياً ،
فرأى شيئاً لم ير مثله قط ، ثم قال : يا فتى اسمع عني مقالتي واعرض على
قلبك كلامي ، وافهم مني عِظتي ، فإنني قد بدأتُك بالنصيحة لما أملتُ
لك من الله ، عز وجل ، فيها من حسن الجزاء ، وجميل الثناء .
يا حبيبي أتدري من يراك ، ومن يشهد عليك ؟ قال : ومن هما
يا عم ؟ قال : الله تعالى يراك ، ونبيه ، صلى الله عليه وسلم ، يشهد عليك ،
فلما لك واقتراف المعاصي بحضرة نبيك ، صلى الله عليه وسلم ، فلأنك
لا تأتي أمراً في هذه البلدة يكونُ عليك فيه تبعه ، إلا والله تعالى له حفيظ ،
والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، عليك به شهيد ، وأصحابه لك خصوم ،
وكفى خصماً أن يكون القاضي عليه خالقه ، والشاهد عليه نبيه . فما
الله عليه وسلم ، والخصوم له خيرة الله من خلقه الصالحون من عباده .
فانتفض الغلام وسقط مغشياً عليه ، واجتمع الناس فاحتملوه إلى
منزله ، فما أتي عليه ثلاثة أيام حتى مات .

خليلان في الجنة

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر بقراة عليه قال : حدثنا أبو صالح السمرقندي الصوفي
قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن
عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : حدثنا أبو حمزة
الصوفي قال : حدثنا محمد بن الاحوص الثقفي قال : حدثني أبي قال : حدثني رجل من
أصحابنا قال :

كان محمد بن الحسين الضبِّي وعبدُ العزيز بن الشاه التيمي كأنهما
هلالان أو دُرَّتَانِ من حُسْنِيهِمَا وَجَمَالِهِمَا ، فَسَمِعَا كَلَامَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ

الدبلي ، وكان من أحسن الناس كلاماً وأظهرهم خشوعاً وأكثرهم صلاة واجتهاداً ، فصحباه ، وكانا معه لا يأمن عليهما أبواهما أحداً غيره ، فكان يحجّ بهما في كلّ عام ، ويرابطُ معهما في السواحل سائرَ سنينهِ ، حتى أخذَا منه ، ووعيا عنه ، وتأسياً بأخلاقه ، واحتذيا على طريقته ، وكانا مُقبلين على طلبِ الخيرِ والجهاد ، فخرَجَ بهما فرآهما رجلٌ من الجُند ، فرأى شيئاً لم ير مثله ، فأراد أخذهما منه ، فحالَ بينه وبينهما ، وأعانه الناس على ذلك ، وكان مشهوراً بالنسك والعفاف ، فاغتاله الجندي فقتلته ، وقبضَ على العُلامين ، فامتنع عليه ، واستغاثا بالناس ، فجاءوا فنظروا إلى أبي عبد الله الديلمي مقتولاً ، فأخذوا الجندي ، وأتوا به السلطان فقتلته .

قال أبي : فحدثني هذا الرجل قال : كنتُ حاضراً لهما ، وقد دفنناه ورجعا عن قبره ، يُعرفُ الحُزنُ عليهما ، والكآبةُ فيهما ، فسمعتُ أحدهما يقول لصاحبه : ما ترى ، يا أخِي ؟ قال : أرى أن يكون على عزيمتنا أن يمضي على ما عقدناه من نيتنا حتى نقضي رباطنا ، ونرجع إلى بلادنا ، فقال له الآخر : لستُ أرى رأيك ولا ما أشرتَ به ، ولكن مُصيبتنا بهذا الرجل ليست بصغيرة ولا حقه علينا بيسير ، له علينا حقٌّ الوالد بالشفقة ، وحقُّ التعليم وطول الصُحبة ، وطهارة العشرة ، وحسن المرافقة ، قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن نقيمَ على قبره مقدارَ رباطنا نستغفرُ له ، ثم ننصرف ، فإن عزمنا أن نرابطَ بعدُ فعلنا ، وإن أحببت أن نرجعَ صدَرنا . قال : قد قلتَ قولاً لن أخالفكَ عليه ، فسألاني الإسعاد لهما على ذلك ، فأقمتُ معهما نيفاً على عشرين يوماً ، فاعتلَّ محمد بن الحسن ، فاشتدَّت علته ، ففلقَ عبدُ العزيز قَلْباً شديداً ، وجزَّعَ جَزَعاً لم أره من أحد قط ، فقلتُ : ما هذا الجزعُ يا أخِي ؟

قال : أفلا يحقُّ لي أن أجزعَ على أخٍ شقيقٍ وحبيبٍ شقيقٍ ؟
فسمعتُ محمد فقال : يا عبدَ العزيز لا تجزعَ فإنَّ الجزعَ لا يُغني عني

شيئاً مما نزلَ بي من الموت ، واعلم يا أخي أنك أرفعُ عندَ الله ، عزَّ وجلَّ ، درجةً مني .

فقال : وبِمَ ذاكَ ؟

قال : بِمُصَابِكَ بي ، فَبَكَى عَبْدُ الْعَزِيزِ حَتَّى أَلْصَقَ خَدَهُ بِالْأَرْضِ وَأَبَكَى مَنْ حَضَرَ مِنَ النَّسَاكِ وَغَيْرِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : يَا أَخِي لَا تَبْكُ فَإِنِّي فِي أَمْرِ عَظِيمٍ ، وَعَلَى خَطَرٍ جَسِيمٍ هُوَ أَكْبَرُ عِنْدِي وَأَجَلٌ فِي قَلْبِي مِنْ بُكَائِكَ ، وَقَدْ شَغَلَتْنِي الْفِكْرُ فِيكَ وَفِي وَحْدَتِكَ بَعْدِي عَنْ بَعْضِ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ أَلَمِ الْعِلَّةِ ، وَقَدْ تَزَايَدَتِ عَلَيَّ لِمَا أَرَاهُ فِي وَجْهِكَ مِنَ الْحُزْنِ وَالْغَمِّ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْتَسِبَنِي عِنْدَ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَافْعَلَنَّ ، وَلَا تُطْلِقَنَّ عَلَيَّ عِبْرَةً وَلَا تُذَرِّينَ بَعْدِي دَمْعَةً ، فَإِنِّي مَتَقُولٌ إِلَى رَحْمَةٍ وَصَائِرٌ إِلَى نِعْمَةٍ ، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَحَقَّ بِالْبُكَاءِ مِنْ أَحَدٍ لَكُنْتُ أَحَقُّ بِهِ لَمَا نَزَلَ بِي مِنَ الْمَوْتِ وَشِدَّةِ كَرْبِهِ وَحَيَاءِ مَا حَضَرَنِي مِنْ مَلَائِكَةِ رَبِّي .

فَصَبَقَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَخَرَّ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ ، فَدَنُوْتُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، فَقُلْتُ : أَلَاكَ حَاجَةٌ أَوْ أَمْرٌ تَوْصِيَنِي بِهِ ؟

فَقَالَ : أَوْصِيكَ بِإِثَارِ تَقْوَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَى جَمِيعِ الْأُمُورِ ، وَحَاجَتِي أَنْ تَحْفَظَنِي فِي أَخِي هَذَا ، فَإِنَّهُ مِنْ أَهَمِّ مَنْ أَتْرَكُ بَعْدِي .
فَقَالَ لَهُ أَبُو الْمَغَلَسِ الصُّوفِي ، وَكَانَ يُشَبِّهُ خُشُوعَهُ بِخُشُوعِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدِّيلَمِيِّ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! قَدْ عِشْتُمَا مُصْطَفَحَيْنِ مِنْذُ كُنْتُمَا صَغِيرَيْنِ ، لَا نَعْرِفُ لِأَحَدٍ مِنْكُمَا خِزْيَةً وَلَا نَحْفَظُ عَلَيْكُمَا زَلَّةً ، فَنَشَأْتُمَا عَلَى أَمْرِ وَاحِدٍ لَمْ تَتَهَاجَرَا ، وَلَمْ تَخْتَصِمَا ، وَلَمْ تَتَفَرَّقَا ، وَقَدْ تَكَلَّمَتْ بَعْضُ النَّاسِ فِيكُمَا بِكَلَامٍ قَدْ رَفَعَ اللَّهُ أَقْدَارَكُمَا عَنْهُ لَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْيَوْمَ مِنْ أُمُورِكُمَا ، وَنَشَرَّ مِنْ حُسْنِ طَوَيَّتِكُمَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَاكُمَا مِنْ ذَلِكَ . وَقَدْ تَذَكَّرْتُ أَنَّ أَعْلَامَ الْمَوْتِ إِلَيْكَ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْكَ قَدْ اقْتَرَبَتْ ، وَإِنِّي أَثِقُ بِفَهْمِكَ ، لَمَا أَعْلَمُ مِنْ حُسْنِ عَقْلِكَ ، فَهَلْ تَرَى أَحَدًا مِنْهُمْ ؟

فقال : إني أرى صُوراً تُقبِلُ ولا أُنْبِتُها على حَقِيقَةِ النَّظَرِ .

قال : فما تجد ؟

قال : أَجِدُ أُلماً لَوْ قُسِمَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ لَكَانُوا فِي مِثْلِ حَالِي .

قال : صِفْه لِي .

قال : وما عسى أن أَصِفَ لَكَ مِنْهُ ؟ أَجِدُ نَفْسِي كَأَنَّهَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ قَدْ اصْطَلَكَا عَلَيَّ ، وَكَأَنَّ أَسِنَّةً تُوَحَّزُ فِي بَدَنِي ، وَكَأَنَّ نَاراً تَوَقَّدُ فِي عَيْنِي ، وَأَجِدُ لَهَاتِي قَدْ بَيَّسَتْ ، فَمَا أَجِدُ فِيهَا شَيْئاً مِنْ رَيْبِي .

فقال له أَبُو الْمَغْلَسِ : إني قرأتُ في بعض الأخبار ، وما رُوي في الآثار : حتى يرى مقعده من النار ، أو الجنة . فهل رأيتَ شيئاً من ذلك ؟

قال : أمّا في وقي هذا فلا .

فلما اشتدَّ به الأمر وكاد أن يغلبه الكربُ أوماً بيده إلى أَبِي الْمَغْلَسِ ، فَأَصْغَى بِأُذُنِهِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ سَأَلْتَنِي عَنْ مَقْعَدِي ، وَهَذِهِ الرُّوحُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ بَعْضِ جَسَدِي ، وَارْتَفَعَتْ إِلَى حَقْوِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ مَقْعَدِي .

قال : وأين رأيته ؟

قال : رأيته في جَنَّةٍ عَمَدٌ .

قال : فَهَلْ رَأَيْتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الدِّيلَمِي ؟

قال : إِنَّ رُوحَهُ لَشُرُفَرُفٌ عَلَيَّ ، وَقَدْ رَأَيْتُ مَقْعَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ مَقْعَدِي ، وَدَرَجَتَهُ أَفْضَلَ مِنْ دَرَجَتِي ، وَلَا أَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ إِلَّا بِالْعِلْمِ الَّذِي سَبَقَ إِلَيْهِ قَبْلِي ، أَوْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي اخْتَصَّهَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا دُونِي ، وَهَذِهِ رُوحُهُ تُبَشِّرُ رُوحِي بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِي مِمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ عَمَلِي ، وَلَا أَحَاطَ بِهِ فَهْمِي ، وَلَا اسْتَحَقَّقْتَهُ بِفِعْلِي مِمَّا يَعْجُزُ عَنْ صِفَتِهِ قَوْلٌ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَغَمَضَ عَيْنَيْهِ ، وَقَضَى ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ أَفَاقَ بَعْدَ طَوِيلٍ فَحَضَرَ غَسْلَهُ وَجِهَازَهُ ، وَدَفَنَهُ ، وَرَجَعَ ، وَرَجَعْنَا مَعَهُ ، فَمَكَثَ أَيَّاماً لَا يَطْعَمُ وَلَا يَتَكَلَّمُ ، وَحَضَرَتْ

صَلَاةَ الْغَدَاةِ ، فَقَامَ إِلَى جَانِبِي فِي الصَّفِّ ، فَسَمِعْتُهُ يَدْعُو بَعْدَمَا فَرَغَ مِنْ الصَّلَاةِ ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَجْمَعْ عَلَيَّ كَرْبَ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْآخِرَةِ ، وَعَسْجَلَ خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا سَالماً مِنْهَا إِلَى رِضَاكَ وَمَغْفِرَتِكَ ، وَارْحَمْ غُرْبِي ، وَأَجِبْ دَعْوَتِي ، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَحَبَّتِي فِيكَ ، وَأَجِبْتُهُ لَكَ ، وَلَا تُفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَاجْعَلْ اجْتِمَاعَنَا فِي مَحَلِّ الْفَائِزِينَ .

ثُمَّ قَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ أَلَّا فَعَلْتُ . ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ سَجَدَ وَأَطَالَ السُّجُودَ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَحَرَّكَتُهُ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى ، فَدَفَنْتُهُ إِلَى جَنْبِ صَاحِبِهِ ، فَكُنَّا حِينَئِذٍ مِنَ الدَّهْرِ نَتَحَدَّثُ بِحَدِيثِهِمْ ، وَبِمَا وَهَبَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لَهُمْ مِنَ الْاجْتِمَاعِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَبِمَا أَفْضَلُوا إِلَيْهِ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالرَّحْمَةِ .

قَالَ : فَمَكَثْتُ سِنِينَ أَتَمَنَّى أَنْ أَرَى وَاحِداً مِنْهُمْ فِي مَنَامٍ ، فَرَأَيْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ الشَّاهِ ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ خُضْرٌ ، وَهُوَ يَطِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَنَادَيْتُهُ ، فَوَقَّفَ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ قَالَ : غَفَّرَ لِي .

قُلْتُ : بِمَاذَا غَفَّرَ لَكَ ؟

قَالَ : بِقَوْلِ النَّاسِ فِيَّ مَا لَا يَعْلَمُونَ وَبِرَمْيِهِمْ إِلَيَّ بِالْإِفْكِ وَالظُّنُونِ . قُلْتُ : فَمَا فَعَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ؟

قَالَ : جَمَعَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَأَنَا وَهُوَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ .

قُلْتُ : فَمَا فَعَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدِّيلَمِيُّ ؟

قَالَ : هَيَّاهُ ! ذَاكَ رَجُلٌ أُبَيِّحُ لَهُ الْجَنَّةُ ، فَهُوَ يَسْرَحُ فِيهَا ، وَيَسْحِلُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ .

قُلْتُ : وَبِمَ ذَاكَ ؟

قَالَ : بِمَا سَبَقَ لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ ، وَبِفَضْلِ أَجْرِ الشَّهَادَةِ ، وَبِحِفْظِهِ لِفَرْجِهِ عَنِ الْحَرَامِ ، وَطَرَفِهِ وَلِسَانِهِ عَنِ الْآثَامِ .

فقلتُ : كيفَ وجدتَ الموتَ ؟
قال : هوَنهُ اللهَ عليّ لِمَا عَلِمَ من ضعفي وطولِ حزني .
قلتُ : هل رأيتَ جهنَّمَ ؟
قال : وهل الصِّراطُ إلَّا عليَّها ، والورودُ إلَّا إليَّها ؟ نَعَمْ قد رأيتها
ووردتها ، فما أَلَمِي حَزَّها ، ولا أَفْزَعَتِي زَفِيرُها .
قلتُ : فكيفَ كانَ مَمَرُكَ على الصِّراطِ ؟
قال : كما يجرِي الفَرَسُ الجَوَادُ على الأرضِ البَسِيطَةِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا
حَجَرٌ يُخَافُ أَنْ يُعَثَّرَ بِهِ .
قلتُ : هل رأيتَ مُنْكَدِرًا الشَّعْرَانِي ؟
قال : رأيتُهُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وما أَقْرَبَ دَرَجَتَهُ من دَرَجَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الديلمي .
قلتُ : وَبِمَ أُعْطِيَ ذَلِكَ ؟
قال : بِغَضَبِهِ لَطَرَفِهِ وَحِفْظِهِ لِفَرَجِهِ .
قلتُ : فَهَلْ رَأَيْتَ مُغْلَسًا الصَّوْفِيَّ ؟
قال : نَعَمْ ، رأيتُهُ على فرسٍ من ياقوتٍ أَحْمَرَ ، يَطِيرُ بِهِ فِي الْجَنَّةِ .
فقلتُ لَهُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟
فقال : أُرِيدُ أَنْ أَسْتَقْبِلَ أَرْوَاحَ قَوْمٍ قُتِلُوا فِي الْبَحْرِ .
قلتُ : وَكَيْفَ أُعْطِيَ ذَلِكَ ؟
قال : بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ .
قلتُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا نَالَ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِرَحْمَتِهِ .
قال : بِكَثْرَةِ الْبُكَاءِ وَمُلَازِمَةِ الدَّعَاءِ وَطُولِ الظَّمَاءِ وَصَبْرِهِ عَلَى الْبَلَاءِ .

الهارب إلى ربه والآبق من ذنبه

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي بقراعتي عليه قال : أخبرنا أبو الفتح يوسف بن عمر بن مسرور الزاهد القواس ، رحمه الله ، قال : حدثنا أبو الفضل محمد بن أحمد ابن محمد بن سهل إملاء سمعته من لفظه قال : حدثنا سعيد بن عثمان بن عباس الخياط قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى الاسكندراني واصله مصيبي قال : حدثني منصور بن عمار قال :

بَيْنَا أَنَا سَائِرٌ فِي بَعْضِ طُرُقَاتِ الْبَصْرَةِ ، إِذَا أَنَا بِقَصْرِ مُشَيَّدٍ ، وَخَدَمٍ وَعَبِيدٍ ، وَبُسْمِرِ الْقِنَا مَنصُوبَةٍ وَقِيَابِ الْأَدَمِ مَضْرُوبَةٍ ، وَإِذَا حَاجِبٌ قَدْ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ حَدِيدٍ ، وَثَنِي رِجْلًا عَلَى رِجْلٍ ، كَأَنَّهُ جَبَّارٌ عَنِيدٌ ، فَهَمَمْتُ بِأَنْ أَدْنُو مِنَ الْقَصْرِ ، فَصَاحَ بِي تَجَبَّرًا وَتَحَكُّمًا : وَيَحْك ! أَمَا كَانَ لَكَ قَصْدٌ غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ إِلَى غَيْرِهِ ؟ قُلْتُ : هَذَا مَلِكٌ يَمُوتُ وَالْحَيُّ فِي السَّمَاءِ مَلِكٌ لَا يَمُوتُ ، وَاللَّهِ لِأَدْنُوْنَ مِنَ الْقَصْرِ ، فَأَنْظُرَ لِمَنْ هُوَ .

فَدَنَوْتُ مِنْ وَرَائِهِ فَلِذَا أَنَا بِمَتَابِرِ طِوَالٍ مَشْبُكَةٍ بِقُضْبَانِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَإِذَا بِغُلَامٍ جَالِسٍ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ ذَهَبٍ مَرَصَّعٍ بِأَنْوَاعِ الْجَوْهَرِ ، كَأَنَّهُ غُصْنٌ بَانٍ أَوْ مَشَقُّ قُضَيْبِ رِيحَانٍ ، أَخْضَرِ الشَّارِبِ صَلَتِ الْجَبِينِ ، سَهْلِ الْخَدَيْنِ مَقْرُونِ الْحَاجِبَيْنِ ، كَأَنَّ لَبَتَهُ صَفْحَةً فِضَّةً ، وَخَدَهُ أَشْبَهُ بِخُدُودِ النِّسَاءِ مِنْ خُدُودِ الرِّجَالِ ، قَدْ حُزِقَ فِي الْفَتَكِ وَالسَّمُورِ ، وَرَقِيقِ الْكَتَّانِ ، وَهُوَ يَنَادِي بِحَنِينٍ جَرِيمِهِ : يَا نَشْوَانُ ! فَمَا لَبِثْتَ أَنْ خَرَجْتَ عَلَيَّ جَارِيَةً كَأَنَّهَا خُوطٌ بَانٍ أَوْ مَشَقُّ قُضَيْبِ رِيحَانٍ ، عَلَيْهَا مِرْطُ^١ حَرِيرٍ أَخْضَرَ ، قَدْ لَصِقَ عَلَى رُطُوبَةِ جِسْمِهَا ، تَمْشِي عَلَى فَاضِلٍ شَعْرِهَا تَطْرُقُ بِنَعْلَيْهَا ، وَتَقْتَنُ ، وَاللَّهِ مَنِ رَأَاهَا ، فَلَا أُدْرِي ، وَاللَّهِ ، الْجَارِيَةُ كَانَتْ

١ حَزَقٌ : عَصَبٌ ، وَضَخَطٌ . الْفَتَكُ : جَنْسٌ مِنَ الثَّمَالِبِ صَغِيرِ الْقَدِّ ، وَفُرُوتُهُ مِنْ أَحْسَنِ الْفَرَاهِ .
السَّمُورُ : حَيَوَانٌ يَشَبْهُ ابْنَ عَرَسٍ لَوْنُهُ أَحْمَرٌ مَائِلٌ إِلَى السَّوَادِ يَتَخَذُ مِنْ بِلْدِهِ فَرَاهٌ ثَمِيمَةً .
٢ الْخُوطُ : الْفَصْنُ الطَّرِيقُ . الْمِرْطُ : كُلُّ ثَوْبٍ غَيْرِ مَخِيْطٍ .

أَحْسَنَ أُمَ الْغُلَامُ ، فَخَشَيْتُ أَنْ تَغْشَانِي ، فَفَتَحَتِ الْأَبْوَابَ ، فَخَرَجَ الْغُلَامَانُ فَتَلَبَّبُونِي^١ وَقَالُوا : وَيْحَكَ ! مَا كَانَ لَكَ قَصْدٌ غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى نَظَرْتَ إِلَى حَرَمَةِ الْمَلِكِ .

فَقُلْتُ : لِمَنْ يَكُونُ هَذَا الْقَصْرُ ؟

فَقَالُوا : لِلْمَلِكِ الْبَصْرَةِ ، وَابْنِ سَيِّدِهَا .

فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَتَنَظَّرَ إِلَيَّ وَأَجَالَ حَمَالِيْقَ عَيْنَيْهِ ، كَأَنَّهُمَا عَيْنَا ظَبْيٍ تَتَقَرَّسُ^٢ إِلَيَّ ، فَقَالَ لِي : لَقَدْ اجْتَرَأْتَ عَلَيَّ إِذْ نَظَرْتَ إِلَى حَرَمِي .

فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! جُدْ بَعْفُوكَ عَلَى ضِعْفِي ، وَبِحِلْمِكَ عَلَى جَهْلِي ، فَإِنِّي رَجُلٌ طَبِيبٌ ، وَلَا يُرَى فِي كُتُبِ الْحُكَمَاءِ قَتْلُ الطَّبِيبِ ، وَإِنِّي لَأَرَى فِي جِسْمِكَ هَذَا مَدْخَلًا قَدْ التَوَتْ عَلَيْهِ الضَّلُوعُ وَالْأَعْضَاءُ ، وَهُوَ رَقِيقٌ فِي الضَّمِيرِ ، مَا بَيْنَ الْأَحْشَاءِ . يَا غُلَامُ قَدْ حَزِقْتَ فِي الْفَنِّ وَالسَّمُورِ ، هَلْ لَكَ صَبْرٌ عَلَى مَقْطَعَاتِ النَّيْرَانِ ، وَسَرَائِلِ الْقَطِرَانِ^٢ ، وَصَوْتِ مَالِكٍ وَعَرَضِ الرَّحْمَنِ ؟ أَمَا سَمِعْتَ أَنَّهُ يَنَادِي بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعَةِ أَصْوَاتٍ : يَا نَارُ كُلِّي وَلَا تَقْتُلِي ، يَا نَارُ أَحْرِقِي ، يَا نَارُ أَنْضَجِي ، يَا نَارُ اشْتَفِي ، فَإِذَا سَمِعْتَ النَّارُ يَا نَارُ كُلِّي ، أَكَلْتُ بَوَهَجِ اللَّهَبِ مِنْ بَيْنِ أَطْبَاقِهَا ، فَوَيْلٌ^٣ لِلطَّبِيقَةِ السُّفْلَى مِنَ الطَّبِيقَةِ الْعُلْيَا كَيْفَ يَتْرَاكِبُ عَلَيْهِمُ الصَّدِيدُ كَالزَّيْتِ الْمَغْلِيِّ ، وَوَيْلٌ^٤ لِلطَّبِيقَةِ الْعُلْيَا مِنَ الطَّبِيقَةِ السُّفْلَى كَيْفَ يَتْرَاكِبُ عَلَيْهِمُ الدُّخَانُ مِنْ بَعْدِ مَهَاوِيهَا ، وَقَدْ شُدُّوا فِي سَلَسِلِهَا وَقُرِنُوا مَعَ شَيْطَانِهَا ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ حَيَاتُهَا وَعَقَارُهَا .

فَصَرَخَ الْغُلَامُ صَرْخَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا طَبِيبُ قَتَلْتَنِي ، وَبَأْسُهُمُ الْمَنَآيَا رَشَقْتَنِي ، فَمَا أَخْطَأْتَ صَمِيمَ كَبِدِي ، وَيْحَكَ يَا طَبِيبُ ، مَا أَحْرَمَ مَكَاوِيكَ ،

١ تَلْبِيهِ : أَخْذُهُ بِتَلْبِيهِهِ أَيْ بِطَوْقِهِ وَجَرَهُ .

٢ الْمُقْطَعَاتُ : الْقَصَارِ مِنْ الثِّيَابِ ، الْوَاحِدَةُ مُقْطَعَةٌ . الْمَرَايِلُ ، الْوَاحِدُ سَرِيَالٌ : الْقَمِيصُ .

وَأَرْشَقَ نَبْلَكَ .

فقلتُ له : حبيبي قد أعجبتك نشوانُ ، فلكو نظرتَ إليها بعد ثالثةٍ من وفاتها ، وقد تمعّطَ شعرُها ، وسالَ صديدها ، وبليَ بدنُها ، إذن لمقتتها ، أفلا أصيفُ لكَ نشوانَ الجِنانِ التي ذكرها الله تعالى في القرآن : إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً لأصحابِ اليمينِ ، جاريةٌ إذا خَطَرَتْ مالتِ الأشجارُ إلى حسنِ وجهِها ، وصَفَرَتِ الطيرُ إلى جمالِها طرباً ؛ وإذا وقفتَ وقفَ جاري الماءِ لوقوفِها ، وإذا مشّت تبسّمتَ الحضرةُ من تحتِ زمامِ نعلِها ، ويكادُ ينطوي من رطوبةِ جسمِها ، جاريةٌ خلقتُ من الزعفرانِ والمسكِ الأذفر ، بلا تعبٍ ولا نصبٍ ، فترى مجرى الدمِ منها كما ترى الحمرةَ في الزجاجَةِ البيضاء . قال لها باري النسم : كوني فكانتُ .

قال : فصاحَ الغلامُ : يا طبيبُ قتلتي ، وبسّهمِ المنايا رشتني ، ثمّ ضربَ بيدهِ إلى أقبيةِ فسقِها ، ورمىَ بسيفِهِ ومنطقَتِهِ ، ووثبَ قائماً على قدميه يرتعدُ كالسَّعفةِ في يومِ ريحِ عاصِفٍ ، ثمّ قال : يا قصرُ ! عليكِ السلامُ قد هربني هذا الطبيبُ الشفيقُ الرقيقُ .

قال منصورُ : فصَرَختُ نشوانُ صرخةً من داخلِ القصرِ ، وقالتُ : يا مولاي والله ما تُنصِفُني ، تهربُ وترُكني ، رويداً مكانك ، فخرَجَتُ عليّ نشوانُ ، وقد قصّرتُ من شعرِها ، ثمّ قالتُ : يا مولاي ! مَنْ أرادَ السفرَ إلى بلدٍ قفرَ هيباً الزادَ ، ومَنْ أرادَ التوبةَ شَمَّرَ لها .

قال منصورُ : ثمّ هرباً جميعاً ، فخرَجَتُ إلى بابِ القصرِ ، فإذا أنا بالقبابِ قد نُزِعَتِ ، وبالحيامِ قد رُفِعَتِ ، وبالحُجُبِ قد نُحِيتِ ، فوقفتُ فنَاديتُ بأعلى صوتي : يا أيّها الهارب إلى ربّه ، والآبقُ من ذنبِهِ ، لقد هربتَ إلى أكرمِ الأكرمين .

١ العرب ، الواحدة عروب : الضحاكة .

قال منصور : فلما كان بعدَ حَوْلَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ حَجَّجْتُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، فَبَيْنَا أَنَا فِي الطَّوَافِ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ مَحْزُونٍ مَكْرُوبٍ مَغْمُومٍ ، وَهُوَ يَقُولُ : إِلَهِي وَسَيِّدِي ! نَحْلُ جِسْمِي وَدَقَّ عَظْمِي وَرَقَّ جِلْدِي وَخَرَجْتُ مِنْ مَالِي رَجَاءً أَنْ تُرِيَّتِي وَجْهَكَ الْكَرِيمَ الْجَمِيلَ ، وَتَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَشْوَانِ الْجِنَانِ .

قال منصور : فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ : يَا غُلَامُ مَا أَقْلَ حَيَاءَكَ ! بَأَيِّ حَقٍّ تَطْلُبُ مِنْ رَبِّكَ نَشْوَانَ الْجِنَانِ ؟ فَتَنْظُرَ إِلَيَّ وَبُكِّي وَقَالَ لِي : رِفْقًا يَا طَبِيبُ ! رِفْقًا ! هَكَذَا تَضْرِبُ بِسَوْطِكَ جِسْمًا عَلِيلاً ، ثُمَّ لَا تَعْرِفُهُ ؟ أَنَا وَاللَّهُ مَلِكُ الْبَصَرَةِ وَابْنُ سَيِّدِهَا .

قال منصور : فَوَاللَّهِ مَا عَرَفْتُهُ إِلَّا بِخَالٍ كَانَ فِي وَجْهِهِ ، وَقَدْ نَحَلَ وَذَابَ جِسْمُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : حَبِيبِي مَا فَعَلْتَ نَشْوَانُكَ ؟ فَبُكِّي وَقَالَ : يَا ابْنَ عَمَّارٍ ، وَاللَّهِ لَوِ رَأَيْتَهَا مَا عَرَفْتُهَا ، قَدْ ذَهَبَ الْبُكْيُ بَصَرِهَا ، وَنَحَتْ الدَّمُوعُ مُحَاسِنَ وَجْهِهَا .

فَقُلْتُ لَهُ : حَبِيبِي ! مَا كَانَ أَحْوَجُنِي إِلَى رُؤْيَيْهَا ، فَأَخَذَ بِيَدِي ، فَأَوْقَفَنِي إِلَى بَابِ خِيَمَةِ مِنَ الشَّعْرِ ، فَقُلْتُ : أَحْبَبْتِي ! بَعْدَ الْقُصُورِ صِرْتُمْ إِلَى خِيَامِ الشَّعْرِ ، لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ فِي الْعِبَادَةِ .

فَخَرَجْتُ نَشْوَانُ مِنْ دَاخِلِ الْخِيَمَةِ فَقَالَتْ : بِاللَّهِ ! أَنْتَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ ؟ فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ ! فَقَالَتْ لِي : يَا مَنْصُورُ أَتَرَى رَبِّي يُسَكِّنُنِي الْجِنَانِ وَيُرِيْنِي نَشْوَانَ الْجِنَانِ ؟ فَقُلْتُ لَهَا : جُدِّي فِي الطَّلَبِ ، وَأَحْسِنِي الْمُعَامَلَةَ ، تَخْدُمُكَ الْوِلْدَانُ ، وَتَسْكُنُنِي الْجِنَانُ ، وَتَرِي نَشْوَانَ الْجِنَانِ ، وَتَزُورِي اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، الْمَلِكَ الدِّيَّانَ .

قال منصورُ بْنُ عَمَّارٍ : فَشَهَقْتُ شَهَقَةً خَرَّتْ مِنْهَا مَيِّتَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ، قَالَ : فَبُكِيَ الْغُلَامُ وَقَالَ : بِأَبِي وَاللَّهِ مَنْ كَانَتْ مُسَاعِدَتِي عَلَى الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ !

ولم يتمالك الغلامُ أن شهقَ أيضاً شهقةً خَرَّ مِنْهَا مَيِّتاً .
قال منصور : فأخذنا في جهازِهما ، وغسلناهما وكفناهما ، وصلينا
عليهما ، ودفناهما ، رحمهما الله .

الدب المنقطع إلى الله

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الخياط قال : حدثنا أبو الحسن علي بن جهم بمكة قال :
حدثنا أحمد بن محمد بن سالم قال : قال سهل يعني ابن عبد الله :

أولُ ما رأيتُ من العجائب والكرامات أني خرجتُ يوماً إلى موضعٍ خالٍ
وطاب لي المقامُ ، وكأني وجدتُ من قلبي قُرْبَةً إلى الله ، عز وجل ، وحضرتُ
الصلاة ، وأردتُ الطهورَ ، وكانت عادتي من صباي أن أجدد الوضوء عند
كل صلاة ، وكأني اغتممتُ لِفَقْدِ الماء ، فَبَيْنَا أنا كذلك إذا دُبَّ يمشي
على رجلَيْه ، كأنه إنسان ، ومعه جرّةٌ خضراءُ ممسكٌ بيده عليها .

قال سهل : فلما رأيته من بعيدٍ توهمتُ أنه آدمي ، حتى إذا دنا مني
وسلمَ عليَّ ووَضَعَ الجِرَّةَ بينَ يديَّ قال : أبو محمد ؟ فجاءني العلمُ يعترضُ ،
وذلك من شريطةِ الصَّحَّةِ ، فقلتُ في نفسي : هذه الجرّة ، والماءُ من أين هو ؟
فَنَظَقَ الدبُّ ، وقال : يا سهَّل ! إنَّا قومٌ من الوحش قد انقطعنا إلى الله ،
عز وجل ، بعزمِ التَّوَكُّلِ والمَحَبَّةِ ، فَبَيْنَا نحنُ نَتَشَكَّلُ مع أصحابينا
في مسألةٍ إذ نُودِينَا : ألا إنَّ سهَّلَ بنَ عبد الله يُريدُ ماءً للوضوءِ ،
فوضِعتُ هذه الجرّة في يدي ، وبجَنَبِيَّ ملكان ، حتى دنوتُ منك فصَبَا فيها
هذا الماء من الهواءِ ، وأنا أسمعُ خريرَ الماء .

قال سهل : فغَشِيَّ عليَّ ، فلما أفقتُ إذا أنا بالجرّةِ موضوعةً ، ولا
علمَ لي بالدبِّ أين ذهب ، وأنا متَحَسِّرٌ إذ لم أكلّمه ، فتَوَضَّأتُ ، فلما

فَرَعْتُ أَرَدْتُ الشَّرْبَ مِنْهُ ، فَنُودِيْتُ مِنَ الْوَادِي : يَا سَهْلُ ! لَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَشْرَبَ هَذَا الْمَاءَ بَعْدُ . فَبَقِيَّتِ الْجُرَّةُ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا تَضْطَرِبُ ، فَلَا أُدْرِي أَيْنَ مَرَّتْ .

تصفيق القناديل

أخبرنا عبد العزيز بن علي قال : أخبرنا علي بن عبد الله المذاني بمكة قال : حدثني محمد بن إبراهيم ابن أحمد الأصبهاني بطرسوس قال : سمعت أبا طالب يقول :
كُنْتُ مَعَ سَمَنُونَ ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ ، وَقَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ ، فَرَأَيْتُ الْقَنَادِيلَ تُصَفِّقُ حَتَّى تَكْثُرَتْ .

المشتاق إلى الجنة

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي المحتسب قال : حدثنا أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن سويد قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الألباري قال : حدثنا الكديمي قال : حدثنا اسماعيل ابن نصر العبدي قال :
صَاحَ صَائِحٌ فِي مَجْلِسِ صَالِحِ الْمُرِّي : لِيَقْسُمَ الْبَكَاءُونَ الْمَشْتَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ ! فقام أبو جهير . فقال : يَا صَالِحُ ، اقْرَأ ! فَقَرَأَ : وَقَدَمْنَا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ ، فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ، أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا . فقال : أَعِيدْهَا يَا صَالِحُ ، فَأَعَادَهَا ، فَمَا انْتَهَى حَتَّى مَاتَ أَبُو جُهَيْرٍ .

أشعر من قال في منى

أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن عيسى القيسي بقراة عليه بمصر في سنة خمس وخمسين وأربعمائة
قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن مقلس بن جعفر السراي قال : حدثنا القاضي أبو الطاهر محمد
ابن أحمد بن عبد الله بن نصر اللهي قال : أنشدنا ثعلب قال :

وَسُئِلَ جَعْفَرُ بْنُ مُوسَى اللَّيْثِيُّ : مَنْ أَشْعَرُ مَنْ قَالَ فِي مَنًى وَعَرَافَاتٍ
وَالْحَجِّ ؟ فَقَالَ : مَا قَالَ أَحَدٌ مَا قَالَ أَصْحَابُنَا الْقُرَشِيُّونَ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْمَلْحِي ،
يَعْنِي كَثِيرًا ، حِينَ يَقُول :

تَفَرَّقَ أَنْوَاعُ الْحَجَّاجِ عَلَى مَنًى وَفَرَّقَهُمْ ، شَعْبَ النَّوَى ، مِثْلُ أَرْبَعٍ^١
فَلَمْ أَرْ دَارًا مِثْلَهَا دَارَ غَيْطَةٍ ، وَمَلَقَى إِذَا التَّفَّ الْحَجَّاجُ بِمَجْمَعٍ
أَقْلَ مُقِيمًا رَاضِيًا بِمَقَامِهِ ، وَأَكْثَرَ جَارًا ظَاعِنًا لَمْ يُودَّعْ
فَشَاقُوا لَمَّا وَجَّهُوا كُلَّ وَجْهَةٍ سِرَاعًا ، وَخَلَّوْا عَنْ مَنَازِلَ بَلْقَعِ
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ سَالِكٌ بَطْنَ نَخْلَةٍ ، وَآخَرُ مِنْهُمْ سَالِكٌ خَبْتِ يَفْرَعِ^٢

أعين الإنس لا أعين الجن

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأرمني بمكة في المسجد الحرام قال : أخبرنا الحسن بن محمد
ابن حبيب المذكر قال : سمعت أبا علي الحسين بن أحمد البيهقي القاضي يقول : سمعت أبا
بكر بن الأنباري يقول : سمعت العباس بن سالم الشيباني يقول : سمعت ابن الأعرابي قال :

ومن جيد شعره ، يعني مجنون بني عامر :

وَجَاؤُوا إِلَيْهِ بِالتَّعَاوِيدِ وَالرُّقَى ، وَصَبَّوْا عَلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ أَلَمِ النُّكْسِ
وَقَالُوا بِهِ مِمَّنْ أَعَيْنَ الْجِنَّ نَظْرَةً ، وَلَوْ عَقَلُوا قَالُوا : بِهِ أَعَيْنَ الْإِنْسِ

١ الشعب : التفريق . النوى : البعد . مِثْلُ أَرْبَعٍ : أي مسير أربع ليال فرقمهم تفريق البعد .

٢ بطن نخلة وخبث يفرع : موضعان .

قميص سعدون

أخبرنا أبو بكر الاردستاني محمد بن أحمد بمكة قال : حدثنا أبو القاسم بن حبيب المذكر
قال : سمعت الحاكم الحسين بن محمد يقول : سمعت إبراهيم بن فاذك يقول : سمعت يوسف
ابن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصري يقول :

خَرَجْتُ يَوْمًا بُكْرَةً إِلَى مَقَابِرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ فَرَأَيْتُ شَخْصًا مَقْنَعًا
كُلَّمَا رَأَى قَبْرًا مَنْخَسِفًا وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ سَعْدُون ، فَقُلْتُ : أَيُّ شَيْءٍ
تَصْنَعُ هَهُنَا ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا يَسْأَلُ عَمَّا أَصْنَعُ مَنْ أَنْكَرَ مَا أَصْنَعُ ، فَأَمَّا مَنْ
عَرَفَ مَا أَصْنَعُ ، فَمَا يُغْنِي سَوَالَهُ ، فَقُلْتُ : يَا سَعْدُونُ تَعَالِ نَبِكْ عَلَيَّ
هَذِهِ الْأَبْدَانُ قَبْلَ أَنْ تَبْلَى ! فَقَالَ : الْبُكْيُ عَلَى الْقُدُومِ عَلَى اللَّهِ ، عَزَّ
وَجَلَّ ، أَوَّلِي بِنَا مِنَ الْبُكْيِ عَلَى الْأَبْدَانِ ، فَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهَا خَيْرٌ ،
فَخَيْرُهَا عِنْدَ رَبِّهَا أَكْثَرُ مِنْ بِلَاهَا ، وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهَا شَرٌّ ، فَشَرُّهَا عِنْدَ
رَبِّهَا شَرٌّ مِنْ بِلَاهَا فِي الْقُبُورِ ، فَلَيْتَهَا تَرُكْتُ تَبْلَى فِي الْقُبُورِ ، وَلَمْ تُبْعَثْ
لِلْحِسَابِ .

يَا ذَا النُّونِ إِنَّكَ إِنْ تَدْخُلَ النَّارَ فَلَا يَنْفَعَكَ فِي النَّارِ دُخُولُ غَيْرِكَ الْجَنَّةِ .
وإِنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ لَا يَضُرُّكَ دُخُولُ غَيْرِكَ النَّارِ .

ثُمَّ قَالَ : يَا ذَا النُّونِ ! وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ، ثُمَّ صَاحَ : وَاعِظُوكَ بِاللَّهِ ،
مَاذَا تَقَابِلُهُ فِي الصُّحُفِ ؟ قَالَ : فَعُشِّي عَلَى غَشِيَّةٍ ، فَلَمَّا أَفْقَتُ إِذَا هُوَ
يَمْسَحُ وَجْهِي بِكُمِّهِ ، وَيَقُولُ : يَا ذَا النُّونِ ! مَنْ أَشْرَفُ مِنْكَ إِنْ مِتَّ مَكَانَكَ
هَذَا ؟

قال محمد بن الصَّبَّاحِ : وَقَرَأْتُ عَلَى قَمِيصِ سَعْدُونِ :

عَيْنِ فَا بَكِي عَلَيَّ ، قَبْلَ انْطِلَاقِي ، بِدُمُوعٍ تَمَلَّ مِنْهَا الْمَآئِي
وَانْظُرِي مَصْرَعِي ، فَقَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ رُ وَنُوحِي عَلَيَّ قَبْلَ الْفِرَاقِ .

ذو النون الصوفي والمشتاقون

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المجلاني بمكة قال : سمعت أبا بكر محمد بن علي قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال : حدثنا يوسف بن الحسين قال :

وَصَفَّ ذُو النُّونِ الْمُشْتَاقِينَ فَقَالَ : سَقَاهُمْ مِنْ صِرْفِ الْمَوَدَّةِ شُرْبَةً ،
فَمَاتَتْ شَهَوَاتُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَوْفِ عَوَاقِبِ الذُّنُوبِ ، وَذَهَلَتْ أَنْفُسُهُمْ
عَنِ الْمَطَاعِمِ مِنْ حَذَرِ فَوْتِ الْمَنَاعِمِ ، قَدْ أَلْخَلَوْا الْأَبْدَانِ بِالْجُوعِ وَصَفَّوْا الْقُلُوبَ
مِنْ كُلِّ كَدَّرٍ ، فَهِيَ مَعْلَقَةٌ بِمَوَاصِلَةِ الْمَحْبُوبِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا حُسْنَ
غِرَاسِ الْأَشْجَانِ فِي رِيَاضِ الْكِتْمَانِ ! وَذَكَرَ كَلَاماً ثُمَّ تَنَفَّسَ وَقَالَ :
شَوْقٌ أَضَرَّ بِمُهْجَةِ الْمُشْتَاقِ فَجَرَّتْ سَوَابِقُ عِبْرَةِ الْأَمَاقِ
لَعِبَتْ يَدُ الْعَبْرَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ وَكَذَا بِهِ لَعِبَتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ

يا من يعز علي

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأرمني بمكة بقراءتي عليه ، في المسجد الحرام ، بباب
الندوة قال : حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال : حدثنا يوسف بن عمر
الزاهد قال : قرأت على جعفر بن محمد الخواص حديث إبراهيم بن محمد المروزي قال :
رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُثْبَةَ قَدْ سَمِعَ صَوْتاً وَهُوَ يَقُولُ : يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيَّ
مَا لِي أَهْوَنُ عَلَيْكَ ؟ ثُمَّ صَاحَ وَوَقَعَ فِي الطَّيْنِ فَبَقِيَ أَرْبَعِينَ يَوْماً مَرِيضاً .

كل كريم طروب

أخبرنا الاردستاني بمكة قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت الإمام أبا سهل محمد ابن سليمان بن روزبة يقول : سمعت أبا محمد السوري يقول : سمعت أبا العباس محمد بن يزيد يقول :

حدثت أن معاوية قال لعمر بن العاص : امض بنا إلى هذا الذي قد تشاغلت باللهو في هدم مروءته ، نبتقي عليه فعله ، يريد عبد الله بن أبي طالب ، فخلا عليه وعنده سائب خاسر ، وهو يلقي على جوار له ، فأمر عبد الله الجواري أن يتنحى لدخول معاوية ، وتنحى عبد الله عن سريره لمعاوية ، فرفع معاوية عمراً ، فأجلسه إلى جنبه ، ثم قال لعبد الله : عد إلى ما كنت عليه ! فأمر بالكراسي فألقيت ، وأمر الجواري أن يخرجن ، فخرجن فجلسن على الكراسي ، فتغنى سائب :

ديار التي كنا ونحن نزورها تعفت بأرياح الصبا والجنائب
ومضى في الشعر ورددت الجواري عليه النغم الطيب ، وحرك معاوية يديه ، وتحرك في مجلسه ، ثم مدّ رجله ، فجعل يضرب وجه السرير . فقال له عمرو : اتشد فإن الذي جيئت تلحاه أحسن حالاً منك ، وأقل حركة . فقال معاوية : اسكت ، لا أباك ، فإن كل كريم طروب .

عروة بن حزام

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري اجازة قال : أخبرنا أبو الحسين بن روح قراءة عليه قال : حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثني ابن فهم قال : حدثنا عبد الله بن شبيب عن سليمان بن عبد العزيز قال : حدثني خارجة المكي قال :

حدثني من رأى عروة بن حزام بطاف به حول البيت قال : فدنوت منه ، فقلت : من أنت ؟ قال : أنا الذي أقول :

أني كل يومٍ أنتَ رامٍ بلادها بعينين إنساناهما غريقان
ألا فاحمِلاني، باركَ اللهُ فيكُما، إلى حاضِرِ الرِّوحاءِ ثمَّ ذراني
قلتُ : زدني . قال : لا والله ولا حرفاً واحداً .

جفون وجفون

أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : أخبرنا علي بن أيوب القمي قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال : أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال :

أنشدني محمد بن موسى البربري :

يا جُفُوناً سَوَاهِراً أَعَدَمَتْهَا لَذَّةُ النَّوْمِ وَالرَّقَادِ جُفُونُ
إِنَّ اللَّهَ فِي الْعِبَادِ مَنَآيَا سَلَّطَهَا عَلَى الْقُلُوبِ الْعَيُونُ

القاتلات الضعائف

..أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني
إجازة قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن أبي
عمرو بن الملاء قال :

لَقِيتُ أَعْرَابِيًّا بِمَكَّةَ ، فَاسْتَنْطَقْتُهُ فَوَجَدْتُهُ ظَرِيفًا ، فَاسْتَنْسَبْتُهُ ،
فَأَخْبَرَ أَنَّهُ عُنْزِيٌّ . فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ لَقَبِيلَةٌ قَدْ شَاعَ عَنْكُمْ فِي الْعَرَبِ مَا شَاعَ
مِنْ رِقَّةِ الْقُلُوبِ وَصِدْقِ الْمَقَّةِ^١ ، وَتَجَنَّبِ الْمَأْثَمَ ، فَهَلْ صَحَبْتَ
مَشَبِيئَتَكَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَصْحَبُ الشَّابَّ بِالتَّضَابِي ،
وَأَتَحَدَّثُ إِلَى الْعَقَائِلِ . فَقُلْتُ : فَهَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَدَنِي :

تَتَبَّعْنَ مَرْمَى الْوَحْشِ حَتَّى رَمَيْنَنَا مِنْ التَّبَلِ لَا بِالطَّائِشَاتِ الْخَوَاطِفِ^٢
بِئُ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِلَا دَمٍ ، فَيَبَا عَجَبًا لِلْقَاتِلَاتِ الضَّعَائِفِ
وَالْعَيْنِ مَلْهُى فِي التَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءَ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ^٣

١ المقة : المحبة .

٢ الخواطف ، الواحد خاطف : السهم الذي يقع على الأرض ثم يصرع إلى الهدف . والسهم الطائش :
هو الذي يحمي عن الهدف .

٣ الطرائف ، الواحدة طريفة : الشيء الغريب النادر . والطرائف : الحديث المستحسن .

الزوجة الفارك

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري اجازة قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه قال :
حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني عبد الله بن المهاجر قال : حدثني محمد بن يزيد
قال :

تَزَوَّجَ رَجُلٌ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَظَرْفٍ ،
فَكَانَتْ نَجِيَّةً وَتَذْهَبُ وَتَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ :

سَتَنْدَمُ حِينَ تَفْقِدُنِي وَتَطْلُبُنِي فَلَا تَجِدُ

قال : فكان الزوجُ يَتَطَيَّرُ مِنْ قَوْلِهَا ، ويقول : تَعِدُنِي بِالذَّهَابِ ، قال :
وكان لها محباً ، قال : فَأَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ يَطْلُبُهَا ، فلم يقدر عليها حتى الساعة .

لابسة السواد

حدث أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني أبو صالح
الأزدني قال : حدثني محمد بن الحسين قال : أخبرني محمد بن سعادة القرشي قال :

أَخْرَجْتُ مِنْ مَاتَ مِنَ الْعِشْقِ عَلِيَّ بْنَ أَدِيمٍ مَوْلَى الْجَعْفِيِّ ، وَكَانَ خَرَّازاً ،
مَرَّ بِكُتَّابٍ بِالْكُوفَةِ فِي بَنِي عَبَسَ ، فَرَأَى جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا مُنْهَلَةٌ ، فَعَشَقَهَا ،
وكان رآها في سواد ، فقال :

إِنِّي لِمَا يَعْتَادُنِي مِنْ حَبِّ لَابِسَةِ السَّوَادِ

فِي فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ مَا إِنْ يُطِيقُهُمَا قُودَادِي

فَبَقِيْتُ لَا دُنْيَا أَنَا لَوْ قَاتَنِي طَلَبُ الْمَعَادِ

قال : وَأَصَابَهُ عَلَيْهَا شِبْهُ الْجُنُونِ ، فَجَمَعَ أَبُوهُ التَّجَّارَ ، فَتَحَمَّلَ
بِهِمْ عَلَى الْعَبْسِيَّةِ مَوْلَاةِ الْجَارِيَةِ ، وَأَعْطَاهَا مَالاً كَثِيراً ، فَأَبَتْ ، فَخَرَجَ الْفَتَى إِلَى

أَمَّ جَعْفَرٌ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا قِصَّةً يَجْبُرُهَا فِيهَا بِخَبْرِهِ وَحَالِهِ ، فَأَمَرَتْ أَنْ تُشْتَرَى لَهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَنْتَجِزُ ذَلِكَ إِذْ خَرَجَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْقَصْرِ فَقَالَتْ : أَيْنَ هَذَا الْعَاشِقُ ؟ فَأَوْمَأَ لَهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : أَنْتَ عَاشِقٌ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ تَحِبُّ الْجَسُورُ وَالْمَفَاوِزُ وَالْقَنَاطِرُ ، وَلَا تَدْرِي مَا يَكُونُ ؟ قَالَ : صَدَقْتَ ، وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ مُبَادِرًا ، فَكَتَبَ بَعْلًا ، فَمَاتَ يَوْمَ دَخُولِهِ الْكَوْفَةَ .

ما لليالي ومالي

أُنشِدُنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّوَيْحِ الْأَرْمُويِّ الْفَقِيهَ بِمِصْرَ
لِنَفْسِهِ :

ما لليالي وما لي يَطْلُبُنْ رُوحِي وَمَالِي
قَدْ جِئْتَنِي بِمَحْلُوبٍ لَمْ تَمُضْ يَوْمًا بِيَالِي
لَمَّا عَرَقَنْ عِظَامِي سَأَلْتَنِي كَيْفَ حَالِي
فَقُلْتُ قَوْلًا وَجِيزًا : الْحَالُ مِنْ بِيَالِي

يا جارة الحي

وَلِي مِنْ ابْتِدَاءِ قَصِيدَةٍ نَظَّمْتُهَا بِالشَّامِ فِي بَيْتِي أَبِي عَقِيلٍ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ :
أَلَا هَلْ لِمَنْ أَضْنَاهُ حَبْلُكَ لِإِفْرَاقٍ وَهَلْ لِلدَّيْغِ الْبَيْنِ عِنْدَكَ دِرْيَاقُ
وَهَلْ لِأَسِيرٍ سَامَهُ قَتْلَ نَفْسِهِ هَوَاكَ ، وَقَدْ زُمْتُ رِكَابُكَ ، لِإِطْلَاقِ

١ الخلوب : الخادعة بلطيف الكلام .

أيا جارةَ الحَيِّ الذين تَرَحَّلوا ، فليُعِيسَ وَحْدُ بِالْحُمُولِ وإِعْناقُ^١
 أَلَمَّا تخافي الله في قَتْلِ عاشِقٍ هَجَرَتْهُ حَتَّى فِي الْكَرَى وهو مُشْتاقُ
 فَقَالَتْ، وَرَوَعَاتُ النَّوَى تَسْتَحِثُّهَا وَدَمَعُ مَا قَبِيهَا عَلَى النَّحْرِ مِهْرَاقُ :
 هُوَ الْبَيْنُ فَالْبَسْ جُنَّةَ الصَّبْرِ، أَوْ فَمْتُ يَدَاءِ الْهَوَى، قَدْ مَاتَ قَبْلَكَ عُشَاقُ

رابعة العدوية الصوفية ونامها

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي بقراة عليه قال : أخبرنا محمد بن
 عبد الله القطيعي قال : حدثنا الحسين بن صلوان قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن
 محمد القرشي قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن الحسين قال : حدثني عصام بن عثمان الحلبي قال :
 حدثني مسعم بن عاصم قال :

قالت لي رابعةُ العدويةُ : اعتلكتُ علّةً قطعَتني عن التهجّد وقيامِ
 الليلِ ، فَمَسَكْتُ أَيْمَاناً أَقْرَأُ جِزْيَ ، إِذَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ ، لِمَا يُدْكَرُ فِيهِ أَنَّهُ
 يُعَدَّلُ بِقِيَامِ اللَّيْلِ . قالت : ثُمَّ رَزَقَنِي اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، الْعَافِيَةَ فاعْتادَتني
 فِتْرَةٌ فِي عَقِبِ الْعَلَّةِ ، وَكُنْتُ قَدْ سَكَنْتُ إِلَى قِرَاءَةِ جِزْيَ بِالنَّهَارِ ، فَانْقَطَعَ
 عَنِّي قِيَامُ اللَّيْلِ . قالت : فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ رَاقِدَةٌ أُرِيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي
 رُفِعْتُ إِلَى رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ ، ذَاتَ قُصُورٍ وَنَبْتٍ حَسَنٍ ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَجُولُ
 فِيهَا أَتَعَجَّبُ مِنْ حُسْنِهَا ، إِذَا أَنَا بِطَائِرٍ أَخْضَرَ ، وَجَارِيَةٍ تُطَارِدُهُ ،
 كَأَنَّهُمَا تَرِيدُ أَخْذَهُ ، قالت : فَشَغَلَنِي حُسْنُهَا عَنْ حُسْنِهِ، فَقُلْتُ: مَا تَرِيدِينَ مِنْهُ؟
 دَعِيهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ طَائِراً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ .

قالت : بلى ، ثُمَّ أَخَذَتْ بِيَدِي فَأَدَارَتْ بِي فِي تِلْكَ الرَّوْضَةِ حَتَّى انْتَهَتْ
 بِي إِلَى بَابٍ قَصِيرٍ فِيهَا ، فَاسْتَفْتَحَتْ ، فَفُتِّحَ لَهَا ، ثُمَّ قالت : افْتَحُوا لِي

١ الوجد والاعناق : ضربان من السير .

بَيْتَ لَمْعَةٍ ، قَالَتْ : فَفُتِّحَ لَهَا بَابٌ شَاعَ مِنْهُ شُعَاعٌ اسْتَنَارَ مِنْ ضَوْءِ نَوْرِهِ مَا بَيْنَ يَدَيْ وَمَا خَلْفِي ، وَقَالَتْ لِي : ادْخُلِي ، فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ يَحَارُ فِيهِ الْبَصَرُ تَلَأُلُوا وَحَسَنًا ، مَا أَعْرِفُ لَهُ فِي الدُّنْيَا شَيْئًا أَشَبَّهُهُ بِهِ .

فَبَيْنَا نَحْنُ نَجُولُ فِيهِ إِذْ رُفِعَ لَنَا بَابٌ يُنْفَذُ مِنْهُ إِلَى بُسْتَانٍ ، فَأَهْوَتْ نَحْوَهُ أَنَا مَعَهَا ، فَتَلَقَّانَا فِيهِ وَصَفَاءُ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ اللَّوْلُؤُ ، بِأَيْدِيهِمُ الْمَجَامِرُ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : أَيْنَ تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ فَلَانًا قُتِلَ فِي الْبَحْرِ شَهِيدًا . قَالَتْ : أَفَلَا تُجِيرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ ؟ قَالُوا : قَدْ كَانَ لَهَا فِي ذَلِكَ حِظٌّ فَرَكَّتَهُ . قَالَتْ : فَأَرْسَلْتُ يَدَهَا مِنْ يَدَيَّ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيَّ فَقَالَتْ :

صَلَاتُكَ نَوْرٌ وَالْعِبَادُ رُقُودٌ وَنَوْمُكَ ضِدٌّ لِلصَّلَاةِ عِنْدُ
وَعَمْرُكَ غَنَمٌ إِنْ عَقَلْتَ وَمِهْلَةٌ يَسِيرُ وَيَفْنَى دَائِمًا وَيَبِيدُ

ثُمَّ غَابَتْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيَّ ، وَاسْتَيْقَظْتُ حِينَ تَبَدَّى الْفَجْرُ ، فَوَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُهَا فَتَوَهَّمْتُهَا إِلَّا طَاشَ عَقْلِي ، وَأَنْكَرْتُ نَفْسِي . قَالَ : ثُمَّ سَقَمْتُ رَابِعَةً مَغْشِيًّا عَلَيْهَا .

مَعَاذَةٌ وَغَايَتُهَا مِنْ صَلَاتِهَا

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بَسْطَامٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أُمُّ الْأَسْوَدِ بِنْتُ زَيْدِ الْمَدَوِيِّ ، وَكَانَتْ مَعَاذَةً قَدْ أَرْضَعَتْهَا ، قَالَتْ :

قَالَتْ لِي مَعَاذَةٌ ، لَمَّا قُتِلَ أَبُو الصَّهْبَاءِ وَقُتِلَ وَلَدُهَا : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّةُ ! مَا مَحَبَّتِي لِلْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا لِلتَّيْدِ عَيْشٍ ، وَلَا لِرُوحِ نَسِيمٍ ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ الْبَقَاءِ لِاتَّقَرَّبَ إِلَى رَبِّي ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِالْوَسَائِلِ لَعَلَّهُ يَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الصَّهْبَاءِ وَوَلَدِهِ فِي الْجَنَّةِ .

١ تَجْمُرُونَ : تَبْغُرُونَ بِالطَّيِّبِ .

معاذة تبكي وتضحك عند احتضارها

ويأسناده قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثني روح بن سلمة الوراق قال :

سمعتُ عَفِيرَةَ العابِدةَ تقول : بَلَغَتْنِي أَنْ مَعَاذَةَ العَدَوِيَّةَ ، لَمَّا احْتَضَرَتْ ، بَكَتْ ، ثُمَّ ضَحِكَتْ ، فَقِيلَ لَهَا : بَكَيتِ ثُمَّ ضَحِكْتِ ، فَمِمَّ البُكَاءُ وَمِمَّ الضَّحْكُ ، رَحِمَكَ اللَّهُ ! قَالَتْ : أَمَّا البُكَاءُ فَلِأَنِّي ، وَاللَّهِ ، ذَكَرْتُ مُفَارَقَةَ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ ، فَكَانَ البُكَاءُ لِلذِّكْرِ . وَأَمَّا الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ تَبَسُّمِي وَضَحِكِي ، فَلِأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى أَبِي الصَّهْبَاءِ ، وَقَدْ أَقْبَلَ فِي صَحْنِ الدَّارِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ خَضِرَاوَانِ ، وَهُوَ فِي نَفْسٍ ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا شَبَهَا ، فَضَحِكْتُ إِلَيْهِ ، وَلَا أَرَانِي أُدْرِكُ بَعْدَ ذَلِكَ قَرَضًا . قَالَ :

فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ .

ذو الرُّمَّةِ ومي

أَبَانَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْمُسْلِمَةِ قَالَ : أَبَانَا أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الْمَرْزَبَانِي

قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي غَيْثَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ الْأَعْرَابِيِّ

قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ الْفَزَارِيُّ قَالَ :

ذُكِرَ ذُو الرُّمَّةِ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ عِدَّةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَقَالَ عَصْمَةُ بْنُ مَالِكٍ الْفَزَارِيُّ شَيْخٌ مِنْهُمْ ، بَلَغَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً : لِيَأَيَّ فَسَلَوْا عَنْهُ ! كَانَ حُلُوَ الْعَيْنَيْنِ ، حَسَنَ الْمَضْحَكِ ، بَرَّاقَ الشَّنَائِيَا ، خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ ، إِذَا نَازَعَكَ الْكَلَامَ لَا تَسَامُ حَدِيثَهُ ، وَإِذَا أَنْشَدَ أَبْرَّ وَحَسُنَ صَوْتُهُ . جَمَعَتْنِي وَإِيَّاهُ مَرْبَعٌ مَرَّةً ، فَأَتَانِي فَقَالَ : هِيََا عَصْمَةُ ! إِنَّ مَيَّا مِّنْقَرِيَّةً ، وَمِنْقَرٌ أَخْبَثُ حَيٍّ وَأَقْوَفُهُ ١ لِأَثَرٍ ، وَأُبْتُهُ فِي نَظَرٍ ، وَأَعْلَمَهُ بِبَصَرٍ ، وَقَدْ

١ قَافُ الْأَثَرِ : تَتَبَّعَهُ .

عرفوا آثارَ إيلي ، فهل من ناقية نردارُ عليها مياء ؟ قال : إي والله ، الجوذُرُ بنتُ يمانية . قال : فَعَلَيْنَا بِهَا ! فَجِثْتُ بِهَا ، فَرَكِبَ وَرَدَفْتُهُ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى نَهَيْطَ عَلَى مِيٍّ ، وَإِذَا الْحَيَّ خُلُوفٌ ، فَلَمَّا رَأَيْنَا النَّسْوَةَ عَرَفْنَ ذَا الرِّمَّةَ ، فَتَقَوَّضْنَ مِنْ بِيوتِهِنَّ حَتَّى اجْتَمَعْنَ ، وَأُنْخَنَّا قَرِيبًا ، وَجِثْنَاهُنَّ ، وَجَلَسْنَا ، فَقَالَتْ ظَرِيفَةٌ مِنْهُنَّ : أَنْشِدْنَا يَا ذَا الرِّمَّةَ ، فَقَالَ لِي : أَنْشِدْهُنَّ ، فَأَنْشَدْتُ قَوْلَهُ :

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لَمِيَّةٍ نَاقَتِي ، فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ ، وَأُخَاطِبُهُ
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

نَظَرْتُ إِلَى أَظْطَعَانٍ مَيٍّ كَأَنَّهَا ذُرَى النَّخْلِ ، أَوْ أَثْلٌ تَمِيلُ ذَوَائِبُهُ^١
فَأَسْبَلَتِ الْعَيْنَانِ وَالْقَلْبُ كَاتِمٌ بِمُغْرُورِقٍ نَمَّتْ عَلَيَّ سَوَاقِيهِ^٢
بَسَكَى وَامِقٌ ، جَاءَ الْفِرَاقُ ، وَلَمْ يُجَلِّ جَوَائِلِهَا ، أَسْرَارُهُ أَوْ مَعَاتِبُهُ^٣
قَالَتْ الظَّرِيفَةُ : لَكِنِ الْيَوْمَ فَلْيُجَلِّ ، ثُمَّ مَضَيْتُ . فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

وَقَدْ حَلَكْتُ بِاللَّهِ مِيَّةُ مَا الَّذِي أَحَادِثُهَا إِلَّا الَّذِي أَنَا كَاذِبُهُ^١
إِذَنْ ، فَرَمَانِي اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى ، وَلَا زَالَ فِي أَرْضِي عَدُوٌّ أَحَارِيهِ^٢
قَالَتْ مِيٍّ : وَيَحْكُ يَا ذَا الرِّمَّةَ خَفَ عَوَاقِبَ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ مَضَيْتُ
حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِذَا سَرَحْتَ مِنْ حُبِّ مَيٍّ سَوَارِحُ عَلَى الْقَلْبِ آتَتْهُ جَمِيعاً عَوَازِيهِ^٣

١ الاثِل : شجر . ذَوَائِبُهُ : أراد أغصانه .

٢ لم يحل جوائِلها : أي أن أسرارهُ ومعاتبهُ لم تنل مرادها .

٣ عَوَازِيهِ : أي ذكرياته الماضية .

فَقَالَتِ الظَّرِيفَةُ : قَتَلْتَهُ قَتَلَكَ اللَّهُ ! فَقَالَتْ مِیَّةٌ : مَا أَصَحُّهُ وَهْنِيئاً لَهُ .
 قَالَ : فَتَنْفَسَ ذُو الرِّمَّةِ تَنْفَسَةً كَادَ جَرُّهَا يَطِيرُ بِلَحِيَّتِهِ ، ثُمَّ مَضَتْ حَتَّى
 أَنْتَهَيْتْ إِلَى قَوْلِهِ :

إِذَا نَازَعَتْكَ الْقَوْلَ مِیَّةٌ أَوْ بَسَدًا لَكَ الْوَجْهُ مِنْهَا أَوْ نَفْصًا الدَّرْعَ سَالِبُهُ^١
 فَمِیَّةٌ لَكَ مِنْ خَدِّكَ أَسِيلٍ وَمَنْطِقٍ رَحِيمٍ وَمِنْ خَلْقٍ تَعَلَّلَ جَاذِبُهُ^٢
 فَقَالَتِ الظَّرِيفَةُ : هَذَا الْوَجْهُ قَدْ بَدَأَ ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَدْ تَنْوَزَعُ ، فَمَنْ
 لَنَا بِأَنْ يَنْصُورَ الدَّرْعَ سَالِبُهُ ؟ فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهَا مِیَّةٌ فَقَالَتْ : مَا لَكَ ، قَاتَلَكِ
 اللَّهُ ، مَاذَا تَجْنِیْنَ بِهِ ؟ فَتَضَاحَكْتَ النِّسْوَةُ ، فَقَالَتِ الظَّرِيفَةُ : لَإِنْ لَهْذَيْنِ
 لَشَأْنًا ، فَقَسْمُ بَنَاءِ عَنُومًا ، فَقَسْمُ بَنَاءِ بَيْتٍ قَرِيبٍ مِنْهُمَا
 أَرَاهُمَا ، وَلَا أَسْمَعُ كَلَامَهُمَا إِلَّا الْحَرْفَ بَعْدَ الْحَرْفِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ
 بَرَحَ مَكَانَهُ ، وَلَا تَحَرَّكَ . وَسَمِعْتُهَا تَقُولُ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِی
 مَا الَّذِي كَذَبْتَهُ فِيهِ ، فَتَحَدَّثَا سَاعَةً ، ثُمَّ جَاءَنِي وَمَعَهُ قُوَيْرِيرَةٌ فِيهَا
 دُهْنٌ طَيِّبٌ ، فَقَالَ : هَذِهِ دُهْنَةٌ أَتَحَفَّتُنَا بِهَا مِیَّةٌ ، فَشَأْنُكَ بِهَا . وَهَذِهِ
 قَلَانْدُ زَوْدَتَانَاهَا لِلْجَوْذُرِ ، فَلَا وَاللَّهِ لَا قَلْدَتُهُنَّ بَعِيرًا أَبَدًا . ثُمَّ عَقَدَهُنَّ
 فِي ذُوَابَةِ سَيْفِهِ .

قَالَ : فَاَنْصَرَفْنَا ، فَلَمْ تَزَلْ تَخْتَلِفُ إِلَيْهَا ، مَرَبَّعًا ، حَتَّى انْقَضَى .
 ثُمَّ جَاءَنِي يَوْمًا فَقَالَ : يَا عَصْمَةُ ! قَدْ ظَلَعْتَ مِیَّةً ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الدِّيَارُ ،
 وَالنَّظَرُ فِي الْآثَارِ ، فَانْهَضْ بِنَا نَنْظُرَ إِلَى آثَارِهَا ، فَخَرَجْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَى
 دِيَارِهَا ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ ثُمَّ قَالَ :

أَلَا ، فَاسْلَمِي يَا دَارَ مِیَّةٍ عَلَى الْبِلَى ، وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجُرْعَائِكَ الْقَطْرُ^٣

.....

١ نفصا : خلع . الدرع : ثوب المرأة .

٢ الجرعاء : رملة مستوية لا تثبت شيئا .

فإن لم تَكُونِي غَيْرَ شَامٍ بِقَفْرَةٍ ، يَجْرُ بِهَا الْأَذْيَالُ صَيْفِيَّةٌ كُدْرًا
 ثمَّ انتَضَحَتْ عَيْنَاهُ بِعَبْرَةٍ ، فَقُلْتُ : مَهْ ! فَقَالَ : إِنِّي لَجَلْدٌ ، وَإِنْ
 كَانَ مِنِّي مَا تَرَى ، فَمَا رَأَيْتُ صَبَابَةً قَطُّ ، وَلَا تَجَلَّدًا أَحْسَنَ مِنْ صَبَابَتِهِ
 وَتَجَلَّدَهُ يَوْمئِذٍ ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

تَأَلَّفَا فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ

أَبَانَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَيُّوبَ الْقُمِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ
 النَّخَعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ يَحْيَى الصَّنَعَانِيُّ قَالَ :

خَرَجْتُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى صَنْعَاءَ ، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ صَنْعَاءَ خَمْسُ
 سَاعَاتٍ رَأَيْتُ النَّاسَ يَتَزَلُّونَ عَنْ مَحَامِلِهِمْ وَيَتَرَكِبُونَ دَوَابَّهُمْ ، فَقُلْتُ :
 أَيْنَ تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى قَبْرِ عَفْرَاءَ وَعُرْوَةَ ، فَانْزَلْتُ عَنْ
 مَحْمَلِي وَرَكِبْتُ حِمَارِي ، وَاتَّصَلْتُ بِهِمْ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى قَبْرَيْنِ مُتَلَاصِقَيْنِ ،
 قَدْ خَرَجَ مِنْ كِلَا الْقَبْرَيْنِ سَاقُ شَجَرَةٍ ، حَتَّى إِذَا صَارَا عَلَى قَامَةِ الثَّفَا ،
 فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ : تَأَلَّفَا فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ .

الهُوَى إِلَهَ مَعْبُودٍ

وَبِإِسْنَادِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ
 قَالَ : قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ :

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْهُوَى إِلَهَ مَعْبُودٍ ! فَخِيلَ لَهُ : أَتَقُولُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ :
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ .

١ الشَّامُ ، الْوَاحِدَةُ شَامَةٌ : الْخَالُ ، فَكُنْتُ سُدَّاءَ فِي الْوَجْهِ . شَبَّ دَارِ مِيَّةَ بِهَا . الصَّيْفِيَّةُ الْكُدْرُ :
 السَّحَابَةُ الَّتِي تَطْلُعُ فِي الصَّيْفِ مُنْكَدِرَةٌ . أَرَادَ سَحَابَتِ صَيْفِيَّةِ كُدْرٍ .

عمر بن عون وحيلته يا

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا محمد بن أحمد بن فارس الحافظ قال : أخبرنا أبو الحسين الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف بن الرزباني قال : حدثنا أبو الفضل المروزي قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن صالح قال :

كان فتى من بني مرة يقال له عمر بن عون ، وكان يُحبّ جارية من قومه يُقال لها بيا بنت الرُكَيْن ، فتزوجها رجل من قومه يُقال له دُهِيم ، وأبت بيا إلا حبّ عُمر بن عون ، وأبى عمر إلا حبّها وقول الشعر فيها ، فخرج زوجها بها هارباً منه حتى وقع باليمن في بني الحارث ابن كعب ، فطلبها عمر ، فخطب عليه أمرها ، ولم يعلم موضعيها ، فمكث حيناً يبكي ويبكي له من عرفه ، ثم خرج حاجباً على ناقة له ، ومعه صحابة له ، وقال : لعلّي أتعلق بأستار الكعبة ، أسأل الله ، فعسى أن يرحمني ، فيردّها عليّ ، أو يذهب بقلبي عن حبّها .

فلما كان بعيني نظرت إليه فتى من بني الحارث بن كعب ، فأعجبته ، فجلست إليه يتحدّث معه ، وأنشدّه عُمرُ بعضَ شعره في بيا ، وشكّا إليه بعض ما هو فيه من البلاء ، فرّق له ، فقال الفتى ، وسأله عن صفتها وصيفة زوجها ، فوصفها له ، فقال الفتى : عندي خبر هذه المرأة ، وهذا الرجل ، منذ سنّوات ، فخرّ عُمرُ لله تعالى ساجداً ، ثمّ سأله عن حالها ، فذكر له أنّها سالمة ، وأنّها باكية حزينة لا يهنؤنها شيء من العيش . فقال له عمر : هل لك في صنيعة عند من يُحسنُ الشكر ؟ فقال له الفتى : أفلُ ماذا ؟ قال عمر : تخلف عن أصحابك ، وأتخلف عن أصحابي حتى لا يكون عند أحد منا عليم ، ثمّ أمضي معك مُتكرراً . فقال الفتى : ذلك لك في عنقي .

فلما كان النفرُ تخلف كل واحدٍ منهما عن صاحبه ، وأقاما بمكة

أياماً ثلاثة أو أربعة حتى ارتحل الحاج ، ثم مضى حتى وصل الفتي إلى أهله ، فأدخله مع امرأته وأخته في منزلهما ، ومضى إلى بيا ، وأخبرها ، فكانت تحيثه كل يوم فيتحدثان ويشكوان ما كانا فيه من البلاء والوحشة . واستراب زوجها بغشيانها ذلك البيت ، ولم تكن من قبل تغشاه ، ولا تقرب أهلها ، واستراب بطيب نفسها ، وأنها ليست كما كانت ، فخرج في رقة إلى نجران على أن يغيب عشر ليال ، فأقام ليلتين مختفياً في موضع ، ثم أقبل راجعاً في الليلة الثالثة ، وقد أمين عمر ، وظن أنه قد ذهب فأتاها ، ففرشت له بساطاً قدام البيت ، فتحدثا ثم غلبهما النوم ، وهي مضطجعة على جانب البساط ، وعمر على جانبه الآخر ، فأقبل الزوج ، فوجدتهما على تلك الحال ، فنظر في وجه عمر ، فعرفه فأبته ، وانتبه عمر ، فوثب بالسيف فرعاً . فقال له الزوج : ويلك يا عمر ما يُنجيني منك بر ولا بحر .

فقال عمر : يا ابن عمي ! ما أنا على رية ، وما يُسائلني الله تعالى عن أهلك عن قبيح قط ، ولكن نشأت أنا وهي فألفتها وألفتني ، ونحن صبيان ، فلست أعطي عنها صبراً ، وما بيننا شيء أكثر من هذا الحديث الذي ترى .

قال له الزوج : أما أنا فلم أهرب إلى هذه البلاد إلا منك ، فأما بعد أن صحّ عندي من عفتك وصدق قولك فلني لا أهرب منك أبداً . فأقاموا سنّوات ، وهم على تلك الحال ، فمات عمر وجداً بها ، فكانت تبكي عليه الدماء ، فضلاً عن الدموع ، ثم مات دهميم بعد ذلك وعمرت هي .

التقي عزيز*

ويأسناده قال : وأخبرني محمد بن سعد قال :

أنشدني رجُلٌ من النِّسَّاءِ :

ما للتَّصَبُّرِ، ما أعلاهُ من عَمَدٍ ، قد يُورِثُ الصَّبْرُ أهلَ الصَّبْرِ إحسانا
كم عاشِقٍ ماتَ شَوْقاً في تَعَلَّدِهِ، وعاشِقٍ حالَ مَنْ يَهْوَاهُ أحياناً
لا شيءَ أعلى من التَّقْوَى وصُحبتها، إنَّ التَّقِيَّ عَزِيزٌ حَيْثُ ما كانا

لا تنفع الرقي

ولي من أثناء قصيدة :

يا لَهْفَ قلبي اليَوْمَ ما بآلهُ، يُعَاوِدُ النُّكْسَ ، إذا فُرِّقا
هلْ سَكُونٌ؟ هَيْهَاتَ لا سَكُونٌ ، قد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ وارْتَقَى^١
لا تَرْقِيَا في حُبِّه ذَا هَوَى ، فَالْحُبُّ لا تَنْفَعُ فِيهِ الرُّقَى^٢

١ الزبي، الواحدة زبية : الراية لا يعلوها ماء، وبلغ السيل الزبي مثل معناه: إن الأمر قد اشتد وانتهى إلى غاية بعيدة .

٢ ترقيا : تستعلا الرقية وهي أن يستعان عل أمر بقوى تفوق القوى الطبيعية في زعمهم أو وهمهم .

ماتت على القبر

أخبرني أبو عبد الله محمد بن أبي نصر قال : حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد
الاندلسي قال : أخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن الربيع قال : حدثنا أبو علي القالي اسماعيل
ابن القاسم قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال :

رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ امْرَأَةً عَلَى رَاحِلَةٍ تَطُوفُ حَوْلَ قَبْرِ وَهْيَ تَقُولُ :
يَا مَنْ بِمَقْلَتِهِ زَهَى الدَّهْرُ ، قَدْ كَانَ فِيكَ تَضَاعُلُ الْأَمْرِ
زَعَمُوا قُتِلْتَ ، وَمَا لَهُمْ خَيْرٌ ، كَذَبُوا ، وَقَبْرُكَ ، مَا لَهُمْ عَذْرُا
يَا قَبْرَ سَيِّدِنَا عَلَيْكَ رِضًا ، صَلَّي الْإِلَهِ عَلَيْكَ يَا قَبْرُ
مَا ضَرَّ قَبْرًا قَدْ سَكَنْتَ بِهِ ، إِلَّا يَمُرُّ بِأَرْضِيهِ الْقَطَرُ
فَلْيَنْتَبِعْنِ جُودُكَ فِي تَرْبِهِ ، وَلْيُورِقْنَ بِقُسْرِكَ الصَّخْرُ
وَإِذَا غَضِبْتَ تَصَدَّعَتْ فَرْقًا ، مِنْكَ الْجِبَالُ ، وَخَافَكَ الدُّعْرُ
وَإِذَا رَقَدْتَ ، فَانْتَ مُنْتَبِهٌ ، وَإِذَا انْتَبَهْتَ ، فَوَجْهُكَ الْبَدْرُ
وَاللَّهُ إِلَوتُكَ لَمْ أَدْعُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلْتُ لِقَاتِي السُّوْتَرُ^١
قال : فدنوت منها لأسألها عن أمرها فإذا هي ميتة .

إسحاق وزهر الأعرابية

وبإسناده قال : حدثنا القالي قال : حدثني جعظة قال : حدثني حماد بن إسحاق الموصلي قال :
حدثني أبي قال :

كُتِبَ إِلَيَّ زَهْرُ الْأَعْرَابِيَةِ ، وَقَدْ غَابَتْ عَنِّي ، كِتَابًا فِيهِ :
وَجَدِي يَجِلُّ ، عَلَى أَنْتِي أَجْمَعِجُمُهُ ، وَجَدُ السَّقِيمِ بِبُرْءٍ بَعْدَ إِزْفَافٍ^٢
١ الوتر : الثار .

٢ الإزفاف لملها من قولهم : هو يزف من الحمى أي يرتعد ، لأن الإزفاف السرعة ، ولا معنى له هنا .

أَوْ وَجَدُ ثَكْلِي أَصَابَ الْمَوْتُ وَاحِدَهَا ، أَوْ وَجَدُ مُشْعَبٍ مِنْ بَيْنِ أَلْفٍ ١
قال حماد : قال لي أبي ، فكتبْتُ إليها :

افترَا السَّلامَ عَلَى زَهْرٍ إِذَا شَحَطْتُ ، وَقُلْ لَهَا : قَدْ أَذَقْتُ الْقَلْبَ مَا خَافَا
أَمَّا أَوْيْتُ لِمَنْ قَدْ بَاتَ مُكْنَشِبًا ، يُنْذِرِي مَدَامِعَهُ سَحًا وَتَوَكَّافًا ٢
فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْإِنْفِ أَفَارِقُهُ ، وَجَدِي عَلَيْكَ ، وَقَدْ فَارَقْتُ أَلْفًا

الضيف الضائع

ورأسناده قال : حدثنا القالي قال :

أنشدنا ابن دُرَيْدٍ وَلَمْ يُسَمَّ قَائِلًا وَلَا عَرَاهُ إِلَى أَحَدٍ :
أَلْ لَيْلَى ! إِنْ ضَيَّفَكُمُ ضَائِعٌ فِي الْحَيِّ مُدُّ نَزَلَا
أَمَكِيئُوهُ مِنْ ثَنِيَّتَيْهَا ، لَمْ يُرِدْ خَمْرًا وَلَا عَسَلًا ٣

١ الملشعب : المتباعد .

٢ أويْتُ : عطفت .

٣ الثانية : من أسنان مقدم الغم .

التفاح بطل الجمار

أنبأنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قال : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد
المعدل قال : حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي قال : أخبرني ابن الأصقع قال : قال
لي بعضهم :

رَأَيْتُ بِيغْدَادَ فِي وَقْتِ الْحَجِّ فَتَى ، وَمَعَهُ تَفْاحٌ مَغْلَفٌ ، فَاَنْتَهَى إِلَى سَوِيٍّ
فَوَقَفَ تَحْتَهُ ، فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ جَوَارٍ كَأَنَّهُنَّ الْمَهَا ، فَأَقْبَلَ يَرْمِيَهُنَّ بِذَلِكَ التَّفَاحِ ،
فَقُلْتُ لَهُ : أَلَيْسَ كُنْتَ مُعْتَزِماً عَلَى الْحَجِّ ؟ فَقَالَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَجَّ قَدْ آنَ وَقْتُهِ ، وَأَبْصَرْتُ بُزْلَ الْعَيْسِ بِالرَّكْبِ تَعْسِفُ^١ ،
رَحَلْتُ مَعَ الْعُشَّاقِ فِي طَلَبِ الْهَوَى ، وَعَرَفْتُ مِنْ حَيْثُ الْمُحِبُّونَ عَرَفُوا^٢ ،
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْجِمَارَ فَرِيضَةٌ ، وَتَارَكَ مَفْرُوضِ الْجِمَارِ يُعَنَّفُ^٣ ،
فَهَيَّاتُ تَفَاحاً ثَلَاثاً وَأَرْبَعاً ، فَرُغْتُ لِي بَعْضٌ وَبَعْضٌ مُغْلَفٌ ،
وَقُمْتُ حِيَالَ الْقَصْرِ ثُمَّ رَمَيْتُهُ ، فَظَلَّتْ لَهَا أَيْدِي الْمِلَاحِ تَلْقَفُ ،
وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تُقْبَلَ حِجَّتِي ، وَمَا ضَمَنِي لِلْحَجِّ سَعْيٌ وَمَوْقِفٌ

١ البزل ، الواحد بازل : البعير الذي طلع نابه . العيس : الجمال الكريمة ، الواحدة عيساء .
تعسف : تسير على غير هدى .
٢ عرف : ذهب إلى عرفات .
٣ رمي الجمار : من مناسك الحج .

قمرية الوادي

أبانا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : حدثنا اسماعيل بن سويد قال : حدثنا الكوكبي قال : حدثني أبو الحسن بن الأصم قال :
 كان فتى من بني عذرة يتعشق ابنة عم له ، فبلغه أن فتى أسود
 يأتيها لريبة ، فغمه ذلك ، فمر يوماً ببابها ، فقال :
 شابت أعالي قروني وامحى شعري ، مما أحدثت عن قمرية الوادي
 نبتت أن غراباً بكّت محتضناً قمرية بين أغصان وأعواد
 فلمّا سمعت شعره خرجت ، فاعتدّت إليه ، وآلت أن لا تعرف
 ذكراً غيره ، فلم يزل يحتال حتى تزوّجها .

الصوفي وغلّامه

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر قال : أخبرنا أبو صالح السمرقندي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع بالقراءة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : حدثني أبو المختار الفسبي قال : حدثني أبي قال :

قلت لأبي الكميت الأندلسي ، وكان جوالاً في أرض الله ، عز وجل :
 حدثني بأعجب ما رأيته من الصوفية ! قال : صحبت رجلاً منهم يقال
 له مهربان ، وكان مجوسياً ، فأسلم وتصوّف ، فرأيت معه غلاماً جميلاً
 لا يفارقه ، فكان إذا جاء الليل ، قام فصلّى ثم يتأم إلى جانبه ثم يقوم
 فزِعاً ، فيصلي ما قدّر له ، ثم يعود فينام إلى جانبه أيضاً ، حتى يفعل
 ذلك في الليلة مراراً ، فإذا أسفر الصبح ، أو كاد أن يسفر ، أو ترّ ثم رقع

يَدَّيْهِ ، فقال : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّيْلَ قَدْ مَضَى عَلَيَّ سَلِيمًا لَمْ أَقَارِفْ فِيهِ فَاحِشَةً ، وَلَا كَتَبْتَ الْحَقِظَةَ عَلَيَّ فِيهِ مَعْصِيَةً ، وَأَنْ الَّذِي أَضْمِرُهُ فِي قَلْبِي لَوْ حَمَلْتَهُ الْجِبَالُ لَتَصَدَّعَتْ ، أَوْ كَانَ بِالْأَرْضِ لَتَدَكَّدَتْ .
 ثُمَّ يَقُولُ : يَا لَيْلُ اشْهَدْ بَمَا كَانَ مِنِّي فِيكَ ، فَقَدْ مَنَعَنِي خَوْفُ اللَّهِ ، عِزُّ وَجَلِّ ، عَنْ طَلَبِ الْحَرَامِ وَالتَّعَرُّضِ لِلْآثَامِ .
 ثُمَّ يَقُولُ : يَا سَيِّدِي ! أَنْتَ اجْمَعْ بَيْنَنَا عَلَى تُقَى ، وَلَا تَفْرُقْ بَيْنَنَا يَوْمَ تُجْمَعُ فِيهِ الْأَحْبَابُ .
 فَأَقَمْتُ مَعَهُ مَدَّةً طَوِيلَةً أَرَاهُ يُفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، وَأَسْمَعُ هَذَا الْقَوْلَ ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالْانْصِرَافِ مِنْ عِنْدِهِ قُلْتُ لَهُ : سَمِعْتُكَ تَقُولُ ، إِذَا انْقَضَى اللَّيْلُ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ : أَوْقَدْ سَمِعْتَنِي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ! قَالَ : فَوَاللَّهِ يَا أَخِي إِنِّي لِأَدَارِي مِنْ قَلْبِي مَا لَوْ دَارَاهُ سُلْطَانُنَا مِنْ رَعِيَّتِهِ ، لَكَانَ مِنَ اللَّهِ حَقِيقًا مَلَكًا .
 فَقُلْتُ : وَمَا الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ تَخَافُ عَلَى نَفْسِكَ الْعَنَتَ مِنْ قَبْلِهِ ؟ وَذَكَرَ كَلَامًا اخْتَصَرْتُهُ .

الصوفي المتشكف

وإسناده قال : قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي : حدثني الصلت بن هيرام المجاشعي قال :
 حدثني محمد بن الخضر التيمي قال :

كَانَ أَبُو عَمْرٍو الضَّبَّابِيُّ مِنْ أَحْسَنَ مَنْ رَأَيْتُهُ وَجْهًا مِمَّنْ يَصْحَبُ الصَّوْفِيَّةَ ، وَكَانَ لَا يُرَافِقُ أَحَدًا وَلَا يُجَالِسُهُ وَلَا يُلَاقِيهِ إِلَّا فِي طَرِيقٍ ، فَأَتَانِي ذَاتَ يَوْمٍ ، وَنَحْنُ بِيَلَادِ الرُّومِ ، فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي مُرَافَقَتِي ، فَإِنِّي قَدْ مَلَكَتُ الْوَحْدَةَ ، وَطَلَّاتُ عَلَيَّ الْوَحْشَةُ .
 فَقُلْتُ : عَلَى خِلَالٍ ثَلَاثَ .

قال : وَمَا هِيَ ؟

قلتُ : على أن لا أراكَ ضاحكاً إلى أحد من خلقِ الله ، ولا مشغولاً
بغير طاعةِ الله ، عزَّ وجلَّ ، ولا تعمل عملاً حتى أقول لك .
قال : قد فعلتُ .

وكان معي لا يُفارقُنِي في حجٍّ ولا غزو ، فكنتُ أرى منه أموراً أعلمُ
أنَّ الله سيرفعه بها في الدنيا والآخرة من حسن صلاته وكثرة صيامه وطول
صمته وقلة كلامه ، فقلتُ له ، ذات يوم ، لأتبيِّنَ معرفةَ عقله : ألا أشترِي
لك جارية ؟

فقال : وَمَا أَصْنَعُ بها ؟

قلتُ : ما يصنعُ الرَّجلُ بملكٍ يمينه !

فقال : لو أردتُ هذا لم أتركُ أهلي وأشخصُ عن وطني وأخرجُ عن
دياري ، ولكان لي منهم مَقْنَعٌ وفي المَقَامِ معهم مُتَسَعٌ .
فقلتُ : ألقى هذا الصَّوفَ عنك ، فإنه قد أثرَ بيدك ، وتَهَكَ
جِسْمُكَ .

فقال : أأمرُني أن ألقى عني ثوباً أتقربُ إلى الله ، عزَّ وجلَّ ، بخشونته
ورِيحِهِ ، وأنا أرجو منه حُسْنَ الثَّوابِ عليه عند مُنْقَلَبِي إليه .

قلتُ : فهل لك أن تُفطِرَ فإن الصِّيَامَ قد أخلَكَ والظَّمَأ قد غيرَكَ ؟

فقال : سبحانَ الله ، ما أعجَبَ ما تأمرُني به ! هل الدنيا إلاَّ يومان ،
يومٌ قد مضى عليَّ ويومٌ أنا فيه لا أدري بما يُختمُ لي من رَحمةٍ أو عذابٍ ،
فإن عذَّبَنِي وأنا على حالةٍ أتقربُ إليه بها ، فهو أجدرُّ أن يعذَّبني إذا
فعلتُ أمراً أنا فيه مقصِّرٌ .

فقلتُ : فصُمْ يوماً وأفطرْ يوماً .

فقال : ذلك صَوْمُ الأبرار ، ومن أَمِنَ النَّارَ ، الذين علموا أنَّ الله ،
عزَّ وجلَّ ، مُتَجَاوِزٌ عنهم ، وقابلٌ منهم ، فأما أنا فأنت تعلمُ أَنِّي غيرُ

عالم بما سبقَ عليّ في الكتابِ من شقاءٍ وسعادةٍ ، والله لئن عذبَني الله على طاعته أحبّ إليّ من أن يغفرَ لي وأنا على معصيته ، على أنه غيرُ جائزٍ على من خلقه ولا معذبٌ له إلا بذنبٍ .

قلت : أفلا أشتري لك وطاءً تنامُ عليه ؟

فقال : وأيّ وطاءٍ أو طأ من ظهر الأرض ، وقد سماه الله ، عزّ وجلّ ، مهاداً ، والله لا أفرشُ فراشاً ولا أتوسدُ وساداً ، حتى ألحقَ بالله ، عزّ وجلّ .

فقلت : فهل لك أن تُريحَ نفسك في هذه الغزاة ، وترجعَ ؟

فقال : وأعجبه من قولك ! تأمرني أن أرجعَ عن الجنة ، وقد فُتِحَ لي بابُها ، والله لا أزالُ أعرضُ نفسي على الله تعالى لعله يقبلني ، فإن رزقي ونحبي بالشهادة ، فهو الذي كنتُ أحاولُ وبه أطلبُ ، فإن حرمني ذلك فبالذنوبِ التي سلفتُ ، وأنا أسألُ الله أن يفضّلَ عليّ بما سأله ، ويُجيبني في ما دعوته .

فغزاً معنا ، ونحنُ في خلقٍ كثيرٍ مع محمد بن مُصعب ، فلقينا العدو ، فكان أولُ من جرح ، فوقفتُ عليه ، فقلتُ : أبشرْ بثوابِ الله ، عزّ وجلّ ، فقد أعطاك الرضا ، وفوقَ المزيد .

فقال بصوتٍ ضعيفٍ : الحمدُ لله على كلِّ حالٍ ، لقد نظرتُ إلى كلِّ ما تمنيتُ ، وفوقَ ما اشتيتُ ، وبلغتُ ما أحببتُ ، وأدركتُ ما طلبتُ من حورٍ وولدانٍ وسلسبيلٍ وريحانٍ ، وإياك والتقصيرِ ، لعلَّ الله ، عزّ وجلّ ، أن يُبَلِّغَكَ ما بَلَغني ويرزُقَكَ ما رَزَقني ، ثم فاضتُ نفسه .

أبو اسماعيل وفتح الموصل

حدث جعفر الخالدي قال : حدثنا أحمد بن مسروق قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا عبد الله بن الفرج العابد قال :

كان بالموصل رجلٌ نصراني يُكنى أبا إسماعيل ، قال : فمرّ ذات ليلةً برجلٍ ، وهو يتهجّد على سطحه ، ويقرأ : وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً ، وإليه ترجعون . قال : فصرخ أبو إسماعيل صرخةً وغشي عليه ، فلم يزل على حاله تلك ، حتى أصبح ، فلما أصبح أسلم ، ثم أتى فتحا الموصل فاستأذنه في صُحبته ، فكان يصُحبه ويخدمه .

قال : وبكى أبو إسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وغشي على الأخرى . فقلتُ له ذات يوم : حدثني ببعض أمرٍ فتح . قال : فبكي ثم قال : أخبرك عنه ، كان والله كهيفة الروحانيين معلق القلب بما هناك ، ليست له في الدنيا راحة .

قلت : على ذاك ؟

قال : شهدت العيدَ ذات يوم بالموصل ، ورجع بعدما تفرّق الناس ، ورجعتُ معه فنظر إلى الدخان يَفُورُ من قواحي المدينة ، فبكى ثم قال : قد قرّب الناسُ قربانهم ، فليت شعري ما فعلتُ في قرباني عندك أيّها المحبوب ! ثم سقط مغشياً عليه ، فجئتُ بماء فمسحتُ به وجهه ، فأفاق ثم مضى حتى دخلَ بعض أزقة المدينة ، فرفع رأسه إلى السماء ثم قال : قد علمت طولَ غمي وحزني وتردادي في أزقة الدنيا ، فحتى متى تحبسي أيّها المحبوب ؟ ثم سقط مغشياً عليه ، فجئتُ بماء ، فمسحتُ على وجهه ، فأفاق فما عاشَ بعد ذلك إلا أياماً ، حتى مات ، رحمه الله .

النفس حيث يجعلها الفتى

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس
ابن محبوب قال : حدثنا محمد بن خلف بن المروزي قال : أخبرني أبو عبد الله أحمد بن عبد
الرحيم عن العباس بن علي قال : حدثني بعض أهل المدينة قال :

دعاني فتى من أهل المدينة إلى جارية تُغَنِّي ، فلما دخلنا عليها ، إذا
هي أحسنُ الناس وجهاً ، وإذا بها انخرائط^١ وجهه وسهوه وسكوت ، فجعلنا نبسطها
بالمزاح والكلام ، ويمنعها من ذلك ما تكتسبه ، فقلت في نفسي :
والله إن بها لتهيماً ، وطائفاً من الحب ، فأقبلتُ عليها ، فقلت : بالله لسا
صدقتيني ما الذي بك ؟ فقالت : برحُ الذكر ، ودوامُ الفكر ، وخلو
النهار ، وتشوقُ إلى من سار ، والذي يرى ما وصفتُ لك ، فإن كنت
ذا أدبٍ صرقتَ العشبَ عن ذي الكربِ واجتهدتَ في الطلبِ لدواء من
قد أشرفَ على العطشِ ، كما قال الشاعر ، وأخذتِ العودَ ، فغنت :

سَيُورِدُنِي التَّدْكَارُ حَوْضَ الْمَهَالِكِ فَلَسْتُ لَتَذْكَارِ الْحَبِيبِ بِتَارِكِ
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ أُمُوتَ صَبَابَةً ، وَلَسْتُ لِمَا يَقْضِي الْإِلَهُ بِمَالِكِ
كَأَنَّ بَقْلِي حِينَ شَطَطَ بِهِ النَّوَى ، وَخَلَفَنِي فَرْدًا ، صُدُورَ النَّيَازِكِ^٢
تَقَطَّعَتِ الْأَخْبَارُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، لِيُبْعِدَ النَّوَى ، وَاسْتَدَّ سُبُلَ الْمَسَالِكِ

قال : فوالله لقد خفتُ أن أسلبَ عقلي لما غنت ، فقلت : جعلني
الله فداك ، وهو الذي صيرك إلى ما أرى يستحق هذا منك ! فوالله إن
الناسَ لكثير ، فلو تسلبت بغيره فلعل ما بك أن يسكن أو يخيف ،

١ انخرائط : دقة ، هزال .

٢ النيازك ، الواحد فيزك : الرمح القصير .

فقد قال الأول :

صَبَرْتُ عَلَى اللَّذَاتِ ، لَمَّا تَوَلَّتْ ، وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا ، فَاسْتَمَرَّتْ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَى ، فَإِنْ أَطْمِئَعْتُ نَاقَتُ ، وَإِلَّا تَسَلَّتْ
فَأَقْبَلْتُ عَلَيَّ فَقَالَتْ : قَدْ وَاللَّهِ رُمْتُ ذَلِكَ ، فَكُنْتُ كَمَا قَالَ قَيْسُ بْنُ
الْمُلُوحِ :

وَلَمَّا أَبَى إِلَّا جَمَاحًا فُؤَادُهُ ، وَلَمْ يَسْلُ عَنْ لَيْلِي بِمَالٍ وَلَا أَهْلٍ
تَسَلَّى بِأُخْرَى غَيْرِهَا ، فَإِذَا الَّتِي تَسَلَّى بِهَا تُغْرِي بِلَيْلِي وَلَا تُسَلِّي
قَالَ : فَأَسْكَنْتَنِي وَاللَّهِ بِنَوَاتِرِ حُجُجِهَا عَنْ مُحَاوَرَتِهَا ، وَمَا رَأَيْتُ
كُنْطِقِهَا وَلَا كَشْكَلِهَا وَأَدْبِهَا وَكَمَالِ خُلُقِهَا .

العِظَةُ النَّاجِعَةُ

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ التُّوزِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ صَفْوَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الْجَلَّابُ قَالَ : حَدَّثَنِي سَعْدَانُ قَالَ :

أَمَرَ قَوْمٌ امْرَأَةً ذَاتَ جَمَالٍ بَارِعَةٍ ، أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ ، فَلَعَلَّهَا
تَفْتِنُهُ ، قَالَ : وَجَعَلُوا لَهَا ، إِنْ هِيَ فَعَلَتْ ، أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَلَبَّسَتْ أَحْسَنَ
مَا قَدَّرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ ، وَتَطَيَّبَتْ بِأَطْيَبِ مَا قَدَّرَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَعَرَّضَتْ
لَهُ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَسْجِدِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فِي تِلْكَ الْحَالِ ، فَرَأَاهُ أَمْرُهَا وَجَمَالُهَا ،
ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ، وَهِيَ سَافِرَةٌ ، فَقَالَ لَهَا الرَّبِيعُ : كَيْفَ بَكَ لَوْ نَزَلَتْ
الْحُمَّى بِجِسْمِكَ فَغَيَّرَتْ مَا أَرَى مِنْ نُورِكَ وَبَهْجَتِكَ ؟ أَمْ كَيْفَ بَكَ لَوْ
نَزَلَ بِكَ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَطَعَ مِنْكَ حَبْلَ الْوَتِينِ ؟ أَمْ كَيْفَ بَكَ لَوْ سَأَلَكَ
مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ؟ فَصَرَخْتَ صَرْخَةً ، وَخَرْتَ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا ، قَالَ : فَوَاللَّهِ
لَقَدْ أَفَاقَتْ وَبَلَغَتْ مِنْ عِبَادَتِهَا أَنَّهَا يَوْمَ مَاتَتْ كَانَتْ كَأَنَّهَا جِدَعٌ مُحْتَرِقٌ .

الحبّ الصارع

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الابنوسي ، رحمه الله ، قال : حدثنا أبو محمد بن مغيرة
الجوهري قال : حدثنا أحمد بن محمد أبو عيسى قال :
أنشدنا أبو العباس المبرّد لأمّ الضحّاك المحاربية :
الحُبّ أولُ مَا يَكُونُ وَلَعٌ ، وَإِذَا تَمَسَّكْنَ فِي الْفُؤَادِ صَرَخُ
وَيْلِي مِنَ الْحُبِّ الَّذِي شَقَّيْ ، مَاذَا عَلَيَّ مِنَ الْهُمُومِ جَمَعَ

أم سبعة أنبياء

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي الحسين المحتسب قال : حدثنا محمد بن عبد الله القطيعي
قال : حدثنا الحسين بن صفوان قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا سعيد بن يعقوب
الطالقاني قال : حدثنا المعتز بن سليمان عن أبي كعب الحريري عن الحسن
أنّ امرأةً من بني إسرائيل كانت أعطيت من الجمال عَجَباً ، قال :
فبلغ من أمرها أنّها كانت لا تُمَكِّنُ من نفسها إلاّ من أعطاهها مائة دينارٍ ،
فاتخذت سريراً من ذهب ، فأبصرها رجلٌ من العابدين ، فأعجبته ، فانطلق
فالتمسّ وأبتغى ، وتَمَحَّل ، أو كما وُصِفَ ، حتى جمع مائة دينارٍ ، فأناها
بها ، فقال : إني رأيتك فأعجبتي ، فانطلقتُ فتَمَحَّلْتُ وأبتغيتُ ،
حتى جمعتُ مائة دينارٍ .
قالت : فادفعها إلى الجَهِيدِ يَتَّقِيهَا ، ففعل ، فقالت للجَهِيدِ :
انتقِدها ! قال : نعم ! قال : فتهيأتُ ، كما كانت تتهيأ ، وجَلَسْتُ
على سَرِيرِهَا ، فلمّا جَلَسَ منها مكانَ الرَّجُلِ من امرأته ذكره الله تعالى

١ الجَهِيد : الناقد العارف حميد الدراهم من رديتها .

بِرَحْمَتِهِ ، فَاَنْقَسَبَتْ اِلَيْهِ نَفْسُهُ ، فَقَامَ عَنْهَا فَقَالَ : الْمِائَةُ دِينَارٍ لَكَ ، افْتَحِي
 الْبَابَ ! فَقَالَتْ : وَمَا رَأَيْتَ ؟ اَلَسْتَ زَعَمْتَ اَنَّكَ رَأَيْتَنِي فَأَعْجَبْتُكَ فَتَمَحَّلْتَ
 وَابْتَغَيْتَ حَتَّى جَمَعْتَ مِائَةَ دِينَارٍ ، فَمَا رَأَيْتَ ؟
 قَالَ : لَيْسَ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْكَ .
 قَالَتْ : وَمَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : هَذَا شَيْءٌ لَمْ أَفْعَلْهُ قَطًّا .
 قَالَتْ : مَا قَالَ لِي هَذَا أَحَدٌ ، لَئِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَمَا أُرِيدُ زَوْجًا غَيْرَكَ ،
 فَلِي عَلَيْكَ أَنْ تَتَزَوَّجَنِي .
 قَالَ : نَعَمْ ، فَقَنَعَ رَأْسَهُ وَرَجَعَ ، فَلَحَقَ بِلَدِهِ ، وَأَقْبَلَتْ تَبِيعُ مَتَاعَهَا ،
 ثُمَّ ارْتَحَلَتْ إِلَيْهِ ، فَانْتَهَتْ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَسَأَلَتْ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهَا :
 هُوَذَا فِي الْمَسْجِدِ . فَقِيلَ لَهُ : جَاءَتْ مَلَكَهُ أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا تُسَالُّ عَنْكَ ،
 فَأَتَتْهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَالٍ مِيتًا ، فَوَجَدَتْ عَلَيْهِ وَجَدًا شَدِيدًا ؛ قَالَتْ :
 أَمَّا هَذَا فَقَدْ فَاتَنِي ، وَلَكِنْ هَلْ لَهُ أَخٌ أَوْ قَرِيبٌ ؟ قِيلَ : إِنَّ لَهُ أَخًا ضَعِيفًا .
 قَالَ مُعْتَمِرٌ : أَيُّ لَيْسَ فِي الْعِبَادَةِ مِثْلَهُ ، فَتَزَوَّجَتْ أَخَاهُ ، فَوَلَدَتْ لَهُ
 سَبْعَةَ أَنْبِيَاءَ .

المرقش الشاعر وأسماء

كتب إلي أبو غالب بن بشران من واسط حدثنا ابن دينار قال : حدثنا أبو الفرج محمد بن علي
 الأصمهباني في كتاب الأغاني قال : قال أبو عمرو ، ووافقه المفضل الغسبي :
 كَانَ مِنْ خَيْرِ مُرَقَّشٍ الْأَكْبَرِ أَنَّهُ عَشَقَ ابْنَةَ عَمٍّ لَهُ يُقَالُ لَهَا أَسْمَاءُ
 بِنْتُ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ، عَلَّقَهَا وَهُوَ غَلَامٌ ، فَخَطَبَهَا إِلَى أَبِيهَا ، فَقَالَ لَهُ :
 لَا أُزَوِّجُهَا حَتَّى تُعَرِّفَ بِالنَّاسِ ، وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ رَبِيعَةُ^١ مِنْ أَرْضِ

١ ربيعة : أراد أبا قبيلة ربيعة .

اليمن ، فكانَ يَبْعِدُهُ فيها المَوَاعِيد ، ثُمَّ انْطَلَقَ مَرْقَشٌ إِلَى مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ زَمَانًا ، وَمَدَحَهُ ، فَأَجَازَهُ ؛ وَأَصَابَ عَوْفًا زَمَانًا شَدِيدًا ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ مُرَادِ أَحَدِ بَنِي عَطِيفٍ ، فَأَرْغَبَهُ فِي الْمَالِ ، فزَوَّجَهُ أَسْمَاءَ عَلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ .

وَرَجَعَ مَرْقَشٌ ، فَقَالَ لِاخْوَتِهَا : لَا تَخْبُرُوهُ إِلَّا أَنَّهَا مَاتَتْ ، فَذَبَحُوا كَبْشًا ، فَأَكَلُوا لَحْمَهُ ، وَدَفَنُوا عَظَامَتَهُ ، وَلَقَّوْهَا فِي مِلْحَفَةٍ ، وَدَفَنُوهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ مَرْقَشٌ عَلَيْهِمْ أَخْبَرُوهُ أَنَّهَا مَاتَتْ ، وَأَتَوْا بِهِ مَوْضِعَ الْقَبْرِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَعْتَادُهُ ، وَيَتَزَوَّرُهُ .

فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ مُضْطَجِعٌ ، وَقَدْ تَغَطَّى بِثَوْبِهِ ، وَابْنَا أَخِيهِ يَلْعَبَانِ بِكِعَابٍ لهُمَا ، إِذْ اخْتَصَمَا فِي كَعْبٍ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : هَذَا كَعْبِي أَعْطَانِيهِ أَبِي مِنَ الْكَبْشِ الَّذِي دَفَنُوهُ ، وَقَالُوا : إِذَا جَاءَ مَرْقَشٌ أَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَبْرُ أَسْمَاءَ . فَكَشَفَ مَرْقَشٌ عَنْ رَأْسِهِ ، وَدَعَا الْغُلَامَ ، وَقَدْ ضَيَّ ضَنْئًا شَدِيدًا ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَدِيثِ ؛ فَأَخْبَرَهُ بِهِ ، وَبَتَزْوِيجِ الْمُرَادِيِّ أَسْمَاءَ ، فَدَعَا مَرْقَشٌ وَلِيدَةً لَهُ ، وَلَهَا زَوْجٌ مِنْ غَفِيلَةٍ كَانَ عَسِيفًا لِمَرْقَشٍ ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَدْعُو لَهُ زَوْجَهَا ، فَدَعَتْهُ ، وَكَانَتْ لَهُ رَوَاحِلُ ، فَأَمَرَهُ بِإِحْضَارِهَا لِيَطْلُبَ الْمُرَادِي ، فَأَحْضَرَهَا فَرَكَبَهَا ، وَمَضَى فِي طَلْبِهِ ، فَمَرِضَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى صَارَ لَا يُحْمَلُ إِلَّا مَعْرُوضًا .

وَلِأَنَّهُمَا نَزَلَا كَهْفًا بِأَسْفَلِ نَجْرَانَ ، وَهِيَ أَرْضُ مُرَادٍ ، وَمَعَ الْغَفِيلِي امْرَأَتُهُ وَلِيدَةُ مَرْقَشٍ ، فَسَمِعَ مَرْقَشٌ زَوْجَ الْوَلِيدَةِ يَقُولُ لَهَا : انْزِكِي ، فَقَدْ هَلَكَ سَقْمًا ، وَهَلَكْنَا مَعَهُ جَوْعًا وَضَرًّا ، فَجَعَلَتِ الْوَلِيدَةُ تَبْكِي مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا : إِنْ أَطَعْتَنِي ، وَإِلَّا فَلِإِنِّي تَارِكُكَ ، وَكَانَ مَرْقَشٌ يَسْكُتُ ، وَكَانَ أَبُوهُ دَفَعَهُ وَأَخَاهُ حَرْمَلَةً ، وَكَانَا أَحَبَّ وَلَدَيْهِ إِلَيْهِ ، إِلَى نَصْرَانِي مِنْ

١ العسيف : الأجير .

أهل الحيرة ، فعلمتهما الخط ، فلما سمع مرقش قول الغفلي الوليدة كتب
على مؤخر الرجل :

يا صاحبي تلبثنا لا تعجلا ! إن الرواح رهين أن لا تفعل
فلعل لبثكما يقرب نائيا ، أو يسبق الإسراع شيئا مقبلا
يا راكبا إما عرّضت فبلغا أنس بن سعد إن لقيت وحرّملا
لله دركما ودر أبيكما ، إن أفلت الغفلي حتى يقتلا
من مبلغ الأقوام أن مرقشا أضحي على الأصحاب عينا مشقلا
وكأتما يرد السباع بشلوه ، إذ غاب جمع بني ضبيعة متهللا

قال : وانطلق الغفلي وأمرأته حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات
المرقش ، ونظر حرمة إلى الرجل ، وجعل يقبله . فقرأ الأبيات ، فدعاها
وخوفهما ، وأمرهما أن يصدقاها ، فعلا ، فقتلهما ، وقد كانا وصفا له
الموضع ، فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره ،
فعرف أن مرقشا كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغم تنزو على
الغار الذي هو فيه ، وأقبل راعيها إليه ، فلما بصّر به قال : من أنت وما شأنك ؟
فقال له مرقش : أنا رجل من مراد فمن أنت ؟ قال : راعي فلان ، وإذا
هو راعي زوج أسماء ، فقال له مرقش : أئستطيع أن تكلم أسماء امرأة
صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريثها كل ليلة فأحلب
لها عتزا ، فأتيها بلبنها . فقال له : خذ خاتمي هذا ، فإذا حلبت فألقيه في
اللبن فإنها ستعرفه ، وإنك مصيب به خيرا لم يصبه راعي قط إن أنت
فعلت ذلك .

١ بلغا : أراد بلغن ، أبدل النون ألفا .

٢ الشلو : الجسم ، أراد جثته بعد موته .

فأخذ الرَّاعي الخاتمَ ، فلمّا حُلِبَتِ العَنَزُ طَرَحَ الخاتمَ في القَدَحِ ، فانطلقت به الجاريةُ ، وتَرَكْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فلمّا سَكَنَت رَغَوَتُهُ ، أَخَذَتْهُ ، فشربته ، وكذلك كانت تصْنَعُ ، ففَرَعَ الخاتمَ ثِنِيَّتَهَا ، فَأَخَذَتْهُ ، واستَضَاعَتْ بِهِ بالنَّارِ ، فعرَفْتَهُ ، فقالت للجارية : ما هذا ؟ فقالت : ما لي به عِلْمٌ ، فأرْسَلَتْهَا إِلَى مَوْلَاهَا ، وَهَوَّ فِي شَرْبِ بَنَجْرَانَ ، فَأَقْبَلَ فَنَزِعَا ، فقال لها : لِمَ دَعَوْتَنِي ؟ فقالت : ادْعُ عَبْدَكَ رَاعي غَنَمِكَ ، فدَعَاهُ ، فقالت : سَلِّهُ أَيْنَ وَجَدَ هذا الخاتمَ ؟ فقال : وَجَدْتُهُ مَعَ رَجُلٍ فِي كَهْفِ جَبَارٍ ، فقال لي : اطْرَحْهُ فِي اللَّبَنِ الَّذِي تَشْرِبُهُ أَسمَاءُ ، فَإِنَّكَ تُصِيبُ بِهِ خَيْرًا ، وَمَا أُخْبِرُنِي مِنْ هُوَ ، وَلَقَدْ تَرَكْتُهُ فِي آخِرِ رَمَقٍ .

فقال زَوْجُهَا : وَمَا هذا الخاتمُ ؟

قالت : هذا خاتمُ مَرَقَشٍ ، فأعجلِ الساعةَ في طَلَبِهِ ، فركبَ فرَسَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى فَرَسٍ وَسَارَا حَتَّى طَرَفَاهُ مِنْ لَيْلَتِهِ ، فاحتملاه فماتَ عِنْدَ أَسمَاءَ ، وقال قبلَ أَنْ يَمُوتَ :

سَمَا نَحْوِي خِيَالٌ مِنْ سُلَيْمَى ، فَأَرَقْتِي ، وَأَصْحَابِي هُجُودُ
قَبِيتُ أَدِيرُ أَمْرِي كُلِّ حَالٍ ، وَأَذْكَرُ أَهْلَهَا ، وَهَمُّ بَعِيدُ
عَلَى أَنْ قَدْ سَمَا طَرَفِي لِنَارٍ ، يُشَبُّ لَهَا بِيَدِي الْأَرَطَى وَقُودُ^٢
حَوَالِيهَا مَهًا بَيْضُ التَّرَاقِي ، وَآرَامٌ وَغَزْلَانٌ رُقُودُ^٣
نَوَاعِيمُ لَتُعَالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ ، أَوَانِسُ لَا تَرُوحُ ، وَلَا تَرُودُ^٤

١ الشرب ، الواحد شارب : أراد في جماعة يشربون الخمر .

٢ الأرطى : شجر ثمره كالمناب ، الواحدة أرطاة .

٣ التراقي ، الواحدة ترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر . الآرام ، الواحد رثم : الفزال الأبيض اللون .

٤ ترود : تدور تذهب وتجي .

يَرْحَنَ مَعًا بِيْطَاءَ الْمَشْيِ رُودًا ، عَليهنَّ الْمَجَاسِدُ وَالْبُرُودُ^١ ،
 سَكَنَ بِيْلَدَةً وَسَكَنَتْ أُخْرَى ، فَقَطَّعَتْ الْمَوَاتِقُ وَالْعُهُودُ^٢ ،
 فَمَا بَالِي أَفِي وَيُخَانُ عَهْدِي ؛ وَمَا بَالِي أَصَادُ وَلَا أَصِيدُ^٣ ،
 وَرُبَّ أَسِيلَةٍ الْخَدَيْنِ بِكُرٍ ، مُنْعَمَةٌ لَهَا فَرَعٌ وَجِيدُ^٤ ،
 وَذُو أَشْرٍ شَتِيَتْ النَّبْتُ عَذْبُ^٥ نَقِيُّ اللَّوْنِ بَرَّاقُ^٦ بَرُودُ^٧ ،
 لَهَوْتُ بِهَا زَمَانًا فِي شَتَائِي ، وَزَارَتْهَا النَّجَائِبُ وَالْقَصِيدُ^٨ ،
 أَنَسَا كُلَّمَا أَخْلَقْتُ وَصَلًا عَنَانِي مِنْهُمْ وَصَلُ^٩ جَنَدِيدُ^{١٠} ،
 فدفن في أرض مراد .

المحب الجاحد

أبانا أبو بكر أحمد بن الحافظ قال : أخبرنا أبو القاسم الأزهرى قال : حدثنا محمد بن جعفر
 الأديب قال : حدثنا أبو القاسم السكوني أملاء قال : حدثني الحسين بن مكرم قال : حدثنا
 يزيد الشامي قال :

مات أبو العتاهية وعبّاس بن الأخنف وإبراهيم الموصلي في يومٍ واحدٍ ،
 فرُفِعَ خبرُهم إلى الرشيد ، فأمر المأمون بحضورهم والصلاة عليهم ، فوافى
 المأمون ، وقد صُفِّوا له في موضع الجنائز ، فقال : من قدمتم ؟ قالوا : إبراهيم ،
 قال : أخرّوه وقدّموا عبّاساً ! قال : فلما فرغ من الصلاة اعترضه بعضُ
 الظاهريّة ، فقال له : أيّها الأميرُ بمَ قدّمْتَ عبّاساً ؟ قال : يا فضولي بقوله :
 سَمَّاكَ لِي قَوْمٌ وَقَالُوا : إِنَّهَا لَهِيَ الَّتِي تَشْقَى بِهَا وَتُكَابِدُ^١
 فجحدتهم ليكونَ غيرُكَ ظنّهم ؛ إني ليُعجِبُنِي الْمَحِبُّ الْجَاحِدُ^٢

- ١ الرود : الشابات الحسنات ، الواحدة رادة ورؤد ورأد . المجاسد ، الواحد مجسد : التقيص الذي يلي البدن .
- ٢ الفرع : الشعر . الجيد : العنق .
- ٣ ذو أشر : أراد ثغراً فيه أشر وهو تحديد في الأسنان .

القبلة القائلة

حدث أبو عمر بن حيويه ونقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال :
حدثني أحمد بن حرب قال : حدثني أبو عبد الله القرشي قال : حدثني أبو غسان قال :

كان سببُ وفاة مالك بن أبي السَّمْحِ^١ أَنَّهُ لما كَبَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ رَجُلًا من
قَرَيْشٍ يقوم عليه ، ففَرَشَ له على سَرِيرٍ وَخَرَقَ فِيهِ خَرَقًا لِلْوَضُوءِ ، فَأَتَتْهُ
الْجَارِيَةُ يَوْمًا بِطَعَامٍ فَأَكَلَ ، ثُمَّ أَتَتْهُ بِسَخُورٍ فَتَبَخَّرَ ، فَوَقَعَتِ الْجَارِيَةُ
بِقَلْبِهِ ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا لِيَقْبَلَهَا ، وَتَنَحَّيَتْ عَنْهُ ، فَسَقَطَ عَنِ السَّرِيرِ ، فَاذْدَقَتْ
عُنُقَهُ ، فَمَاتَ .

قال الزَّيْزِير : أَنشَدَنِي ظُبِيَّةُ لِحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ
ابن العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي مَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ :

لَيْسَ عَيْشٌ إِلَّا بِمَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ	ح ، فَلَا تَلَحَّيْ ، وَلَا تَلَمَّ
نَقَمَلِي لَدَيْدَ عَيْشٍ ، وَلَا نَهْ	مِكَ حَقَّ الْإِسْلَامِ وَالْحُرَمِ
رُبَّ لَيْلٍ قَصَرَهُ اللَّهُ ، فَانْجَا	ب ، وَيَوْمَ كَذَّاكَ لَمْ يَدُم
كُنْتُ فِيهِ وَمَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ	ح الْكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ

ضلَّ عنه فؤاده

أَبَانَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : أَخْبَرَنَا الْأَزْهَرِيُّ قَالَ : أَنشَدَنَا سَهْلُ بْنُ أَحْمَدَ الدِّيَابِيُّ قَالَ :
أَنشَدَنَا ابْنُ دُرَيْدٍ لِنَفْسِهِ :

صَارَ مَتِيهِ فَتَوَاصَلَتْ أَحْزَانُهُ	وَهَجَرْتِهِ فَتَهَاجَرَتْ أَجْفَانُهُ
قَالَتْ تَعْرِضُ : مَسُّ شَيْطَانٍ بِهِ ،	بَلْ أَنْتِ حِينَ مَلَكَتِهِ شَيْطَانُهُ
قَدْ ضَلَّ عَنْهُ فُؤَادُهُ ، فَاسْتَخْبِرِي	عَيْنِيكَ أَيْنَ مَحَلُّهُ وَمَكَانُهُ

١ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ : أَحَدُ مَفْنِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ الْبَارِعِينَ .

هل من آسٍ لداء القلب؟

ولي من قصيدة أولها :

بالحُزنِ هاجتَ للفَسي أحزانهُ ، وَجَفَتَ لَدِيدَ رُقَادِهَا أَجْفَانُهُ

ومنها :

يَا جَارَةَ الْحَيِّ الَّذِينَ تَرَحَّلُوا سَحَرًا فَأَوْحَشَ رَبْعَهُمْ غَزْلَانُهُ
هَلْ تَعْلَمِينَ لِدَاءِ قَلْبِي آسِيًا ، فَالْيَوْمَ حِينَ تَرَحَّلُوا بُحْرَانُهُ
كَتَمَ الْهَوَى خَوْفَ الْعَدُولِ وَلَوْ مِهُ ، حَتَّى أَضَرَّ بِجِسْمِهِ كَيْتَمَانُهُ

بنت الوالي والسجين

أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المحلة إن لم يكن سماعاً فأجازة قال : أخبرنا أبو القاسم
اسماعيل بن سويد المعدل قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثني ابن أبي الدنيا
قال : حدثني محمد بن زيد العبدي قال : أخبرني جدي الحسين بن زيد قال :

وَلِيَّ بَدْيَارٍ مَصْرَ وَالٍ فَوَجَدَ^٢ عَلَى بَعْضِ عُمَلَاهُ ، فَحَبَسَهُ ، وَقَيَّدَهُ ،
فَأَشْرَفَتْ عَلَيْهِ ابْنَةُ الْوَالِي فَهَوِيَّتَهُ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ نَظَرَ إِلَيْهَا :

أَيُّهَا الرَّامِي بِعَيْنَيْتَيْهِ هِ ، وَفِي الطَّرْفِ الْخُتُوفُ
إِنْ تُرِدْ وَصَلًا ، فَقَدْ أَمَكَنَّكَ الظُّبْيُ الْأُلُوفُ

فأجابها الفقي :

إِنْ تَرِينِي زَانِيَ الْعِيِّ سَنِينَ ، فَالْفَرْجُ عَقِيْفُ
لَيْسَ إِلَّا التَّنَظُّرُ الْفَا تِرُ ، وَالشَّعْرُ الظَّرِيفُ

١ البهران في عرف الأطباء : تهيج واختلال في القوى المدركة تسببه شدة المرض .

٢ وجد : غضب .

فكُتبت إليه :

قَدْ أَرَدْنَاكَ عَلَى عِشْ قِكْ إِنْسَانًا عَفِيفًا
فَتَأْبَيْتَ ، فَلَا زِلْ تَ لِقَيْدِكَ حَلِيفًا

فأجابها الفتى :

غَيْرَ أَنِّي خِفْتُ رَبًّا كَمَا كَانَ بِي بَرًّا لَطِيفًا
فَدَاعَ الشَّعْرُ وَبَلَغَ الْخَبْرُ الْوَالِي ، فَدَعَا بِهِ فَرَّوْجَهُ لِتَأْهَا وَدَقَّعَهَا إِلَيْهِ .

دواء الحب غال

أخبرنا التَّنُوخِيُّ عَلِيُّ بْنُ الْمُحَسَّنِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَمِيوَيْهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمُحَوَّلِيُّ قَالَ :

وَأَنْشَدَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ لِلْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ :

وَلَقَدْ قَالَ طَبِيبِي ، وَطَبِيبِي غَيْرُ آلِ
أَشْكُ مَا شِئْتُ سِوَى الْحُبِّ ، فَإِنِّي لَا أَبَالِي
سَقَمَ الْحُبِّ رَخِيصٌ ، وَدَوَاءُ الْحُبِّ غَسَالٌ

مرضى الحب

وَبِإِسْنَادِهِ قَالَ : وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ أَحْمَدَ مِنْ أَهْلِ ضَرِيَّةَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أَسَدَ :

أَقُولُ ، وَعَقْبَةُ الْأَسَدِيِّ يَرْقِي أَخَاهُ بِرُقِيَّةِ الْمَيْنِ الْكَتْدُوبِ :

١ الآلِي : الْمُقَمَّرُ .

تَشَاءَ بِي لِي ، فَمَا بِي غَيْرُ حُبِّي صَفِيَّةَ ، ضَلَّ سَعْيُكَ مِنْ طَبِيبٍ
وَيَسْنَادُهُ قَالَ : أَنَشِدُنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْمُرُورُودِي :
أَيَا سَبَبَ الدَّمْعِ إِلَى الْخُفُونِ ، وَشَجَوَ الْمُسْتَهَامِ الْمُسْتَكِينِ
سَلَّ الْحَسَرَاتِ : هَلْ أَبْقَيْنَا دَمْعًا يَجُودُ بِهِ عَلَى قَلْبِ حَزِينٍ
وَهَلْ تَرَكَ السَّقَامُ بِهِ حَرَاكَ يَسِيرُ بِهِ إِلَيْكَ سِوَى الْحَنِينِ ؟

القطيعة أذهب للعقل

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الْإِزْدَلِيُّ
قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الرَّيِّعِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي قَالَ :
قَرَأْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ دَرِيدٍ لِلْحُسَيْنِ بْنِ مَطِيرٍ الْأَسَدِيِّ :

فَوَاعَجَبَا لِلنَّاسِ يَسْتَشِيرُفُونَنِي ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا بَعْدِي حَبِيبًا ، وَلَا قَبِيلِي
يَقُولُونَ لِي : اصْرِمْ يَرْجِعِ الْعَقْلُ كُلُّهُ وَصَرَّمْ حَبِيبَ النَّفْسِ أَذْهَبَ لِلْعَقْلِ
فِيَا عَجَبًا مَنْ حَبَّ مَنْ هُوَ قَاتِلِي ، كَأَنِّي أَجَازِيهِ الْمَوَدَّةَ عَنْ قَتْلِي
وَمَنْ بَيَّنَّاتِ الْحُبِّ أَنَّ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَى قَلْبِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي

أنا أشعر من قيس

وَيَسْنَادُهُ قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَالِي قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَرِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الرِّيَاضِيُّ عَنْ بَعْضِ
أَصْحَابِهِ قَالَ : أَخْبَرَنِي رَجُلٌ قَالَ :

جَلَسْتُ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ وَقُلْتُ مَا أَشْعَرَ قَيْسًا^١ حَيْثُ يَقُولُ :
بَيْتٌ وَيُضْحِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى مَنْهَجٍ تَبْكِي عَلَيْهِ الْقَبَائِلُ

١ المراد قيس بن ذريح .

فَتَسِيلُ لِّلْبُئِيِّ صَدَعَ الْحُبِّ قَلْبَهُ ، وَفِي الْحُبِّ شُغْلٌ لِّلْمُحِبِّينَ شَاغِلٌ

فقال : أنا ١ وَاللهُ أَشْعُرُ مِنْهُ حَيْثُ أَقُول :

سَلَبْتُ عِظَامِي لِحَمِّهَا فَتَرَكَتِهَا مُعْرِقَةً ، تَضْحَى إِلَيْكَ وَتَخْضَرُ ٢
وَأَخْلَيْتِهَا مِنْ مَخْهَا ، فَكَأَنَّهَا قَوَارِيرُ فِي أَجَوَافِهَا الرِّيحُ تَصْفِيرُ
إِذَا سَمِعَتْ ذِكْرَ الْفِرَاقِ تَقْطَعُ عِلَائِقُهَا مِثْلَ تَخَافٍ وَتَحْذَرُ
خِذِّي يَدَيَّ ثُمَّ انْهَضِي بِي تَبَيَّيْ بِي الضَّرَّ ، إِلَّا أَنْتِي أُتَسَتِّرُ
قال : ثُمَّ مَرَّ فَجَمَزَ فِي الصَّحَرَاءِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي أَتَيْتُهُ ،
فَجَلَسْتُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، فَلَمَّا أَحْسَسْتُ بِهِ قُلْتُ : مَا أَشْعَرَ قِيسًا حَيْثُ
يَقُول :

تُبَاكِرُ أُمُّ تَرَوْحُ غَدًا رَوَاحًا ، وَلَكِنْ يَسْتَطِيعُ مَرْتَهِنٌ بَرَّاحًا
سَقِيمٌ لَا يُصَابُ لَهُ دَوَاءٌ ، أَصَابَ الْحُبُّ مُقْلَتَهُ فَتَنَاحًا
وَعَدَبَهُ الْهَوَى حَتَّى بَرَّاهُ ، كَبَّرِي الْقَيْنَ بِالسَّفَنِ الْقِدَاحًا ٣
وَكَادَ يُلْدِيقُهُ جُرْعَ الْمَنَآيَا ، وَلَوْ أَسْقَاهُ ذَلِكَ لَاسْتَرَّاحًا

فقال : أنا أَشْعُرُ مِنْهُ حَيْثُ أَقُول :

فَمَا وَجَدُ مَغْلُوبٍ بِصَنْعَاءِ مُوْتَقٍ ، بِسَاقِيهِ مِنْ ثِقَلِ الْحَدِيدِ كُبُولُ
قَلِيلِ الْمُوَالِي مُسْتَهَامٍ مُرَوِّعٍ ، لَهُ بَعْدَ نَوْمَاتِ الْعِشَاءِ عَوِيلُ
يَقُولُ لَهُ الْحَدَّادُ : أَنْتَ مُعَذَّبٌ ، غَدَاةَ غَدٍ ، أَوْ مُسْلَمٌ فَتَقْتِيلُ
بِأَعْظَمَ مِنِّي رَوْعَةً يَوْمَ رَاعَتِي فِرَاقُ حَبِيبٍ مِمَّا إِلَيْهِ سَبِيلُ

١ قوله : فقال أنا : يحمل على الاعتقاد أنه كان هناك رجل أجاب بهذا الجواب ، وقد تكون سقطت الإشارة إليه بالنسخ .

٢ تضحى : تصيبها الشمس . تخضر : تبرد .

٣ السفن : كل ما ينحت به . القداح : سهام الميسر ، الواحد قدح .

سيف الفراق

وبإسناده قال : حدثنا القالي قال : أنبأنا أبو بكر بن الأنباري قال :

أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي :

قَدْ قُلْتُ وَالْعَبْرَاتُ تَسُفُ فَحُفَّهَا عَلَى الْخَدِّ الْأَمَاقِ
حِينَ انْحَدَرْتُ إِلَى الْجَزِيدِ وَانْقَطَعْتُ عَنِ الْعِرَاقِ
وَتَخَبَّطْتُ أَيْدِي الرِّفْقَا قِي مَهَامِيهِ الْبَيْدِ الرِّفْقَا
يَا بُؤْسَ مَنْ سَلَ الزَّمَا نُ عَلَيْهِ سَيْفًا لِلْفِرَاقِ

نصدعة القلوب

وبإسناده قال : حدثنا القالي قال : قرأتُ على أبي بكر بن دريد للحميل

رَحَلَ الْخَلِيطُ جِمالَهُمْ بِسَوَادٍ ، وَحَدَا عَلَى أَثَرِ الْأَحْيَةِ حَادٍ
مَا لَنْ شَعَرْتُ بَيْنِهِمْ وَرَحِيلِهِمْ ، حَتَّى سَمِعْتُ بِهِ الْغُرَابَ يُنَادِي
لَمَّا رَأَيْتُ الْبَيْنَ قُلْتُ لِصَاحِبِي : صَدَعَتْ مُصَدَّعَةُ الْقُلُوبِ فَوَادِي
بَانُوا ، وَغَوْدِرَ فِي الدِّيَارِ مُتَيِّمٌ ، كَلِفٌ بِذِكْرِكَ يَا بُشَيْنَةَ صَادٍ

١ أي أيدي الجمال ، الواحد أرفق وهو البعير الذي انفتل مرفقه عن جنبه . أما
الرفاق الثانية فلمله أراد ان القفار والبيد كانت رفاقاً له في سفره أو رفيقة به ، ولعل اللفظة
محرقة عن رفاق ، وهي الصحراء .

ليست له صبوة

أبنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال : أخبرني أبو الحسن علي بن أيوب القمي الكاتب بقرامتي عليه قال : حدثنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي إمام قال : حدثنا كامل بن طلحة قال : حدثنا ابن لهيعة قال : حدثنا أبو عشانة قال : سمعت عقبة بن عامر يقول : قال رسول الله ، صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ : عَجِبَ رَبَّنَا تَعَالَى مِنْ شَابٍ لَيْسَ لَهُ صَبَوَةٌ .

المأمون وجارية أبيه

أخبرنا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري في ما أجاز لنا قال : حدثنا المعاني بن زكريا الحريري قال : حدثنا محمد بن القاسم اللبيري قال : حدثني أبي قال : قال منصور البرمكي وكان أديباً : كانت هارون الرشيد جارية غلامية ، تَصُوبُ على يده ، وتَقِفُ على رأسه ، وكان المأمون يُعَجِّبُ بها ، وهو أمرد ، فبينما هي تَصُوبُ على هارون من إبريقٍ معها ، والمأمونُ مع هارون قد قابلَ بوجهه وجهَ الجارية ، إذ أشارَ إليها بقُبلة ، فزبرتهُ بحاجبها وأبطأت عن الصَّبِّ في مُهلة ما بين ذلك ، فنظرَ إليها هارون فقال : ما هذا ؟ فتلكأتُ عليه ، فقال : ضعي ما معك ! عليّ كذا إن لم تُخبريني لأقتلَنَّكِ . فقالت : أشارَ إليّ عبدُ الله بقُبلة . فالتفتَ إليه ، وإذا هو قد نزلَ به من الحياء والرُعبِ ما رَحِمَهُ منه ، فاعتنقه ، وقال : أُنحِبُها ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، فقال : قُمي فاخلُي بها في تلكَ القُبلة ، فقامَ ففعل ، فقال له هارون : قُلِي في

١ زبرته : نهته .

هذا شعراً ، فأنشأ يقول :

ظَنَيْتُ كُنَيْتُ بِطَرَفِي عَنْ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ
قَبْلَتْهُ مِنْ بَعِيدٍ فَأَعْتَلَّ مِنْ شَقَاتِهِ
وَرَدَّ أَخْبَسْتُ رَدَّ بِالْكَسْرِ مِنْ حَاجِبَيْهِ
فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى قَدِرْتُ عَلَيْهِ

الأطباء والمحبون

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن بن علي قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه قراءة عليه قال :

حدثنا أبو بكر بن المَرْزبان إجازة قال :

أنشدني مُنْشِئٌ لِلْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ :

جَسَّ عِرْقِي فَقَالَ : حَبٌّ ، طَبِيبِي ، مَا لَهُ فِي عِلَاجِهِ مِنْ مُصِيبِ
فَغَمَزْتُ الطَّبِيبَ سِرّاً بِعَيْنِي ، ثُمَّ حَلَفْتُهُ بِحَقِّ الصَّلِيبِ
لَا تَقُلْ : لَوْعَةُ الْهَوَى أَسْقَمَتُهُ ، فَيَنَالُوا ، بِدَعْوَةٍ ، مِنْ حَبِيبِي
وَأُنْشَدَ :

دَوَاخِي السُّقْمِ تُخْبِرُ عَنْ ضَمِيرِي ، وَيُخْبِرُ عَنْ مُفَارَقَتِي سُرُورِي
أَلَا يَا سَائِلِي عَنْ سُوءِ حَالِي ، وَعَنْ شَأْنِي سَقَطْتُ عَلَى الْخَبِيرِ
شَرِبْتُ مِنَ الصَّبَابَةِ كَأْسَ سَقْمِ بَعِثْنِي شَادِنِ طَبِيبِي غَرِيرِ
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ :

طَبِيبِي دَاوَيْتُمَا ظَاهِرًا ، فَمَنْ ذَا يُدَاوِي جَوْيَ بَاطِنَا
فَعُوجَنَا عَلَى مَنَزِلٍ بِالْعَمِي ، فَلَانِي لَقِيتُ بِهِ شَادِنَا

ولي من أثناء قصيدة :

وَذِي شَجَنٍ مِثْلِي شَكَوْتُ صَبَابَتِي لِأَبْنَيْهِ ، وَدَمَعِي مَا يُفْتَرُّ قَطْرُهُ
فَقَالَ ، وَلَمْ يَمْلِكْ سَوَابِقَ عِبْرَةٍ تُتَرْجَمُ عَمَّا قَدْ تَضَمَّنَ صَدْرُهُ :
كِلَانَا أَسِيرٌ فِي الْهَوَى مُتَهَدِّدٌ بِقَتْلِ ، فَمَا يَنْفَكُ مَا عَاشَ أَسْرُهُ
وَأَقْلَقْتَنِي حَادِي الرِّكَائِبِ بِالضَّحَى ، وَسَائِقُهَا لَمَّا تَتَابَعَ زَجْرُهُ
وَتَقْوِيضُ خَيْمِ الْحَيِّ ، وَالْبَيْنُ ضَا حَكُ لِفِرْقَتَيْنَا حَتَّى بَدَا مِنْهُ تُغْرُهُ
وَفِي الْجَحْرِ الْغَادِينَ أَحْوَى ، عِذَارُهُ يَقُومُ بِهِ لِلْعَاشِقِ الصَّبِّ عُدْرُهُ
غَدَائِرُهُ لِي شَاهِدَاتٌ بِأَنِّي وَفَيْتُ لَهُ مِنْ بَعْدٍ مَا بَانَ عُدْرُهُ

السوداء وحبيبها عمرو

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي وأبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال :
أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال :
حدثني محمد بن عبد الله بن أبي مالك بن الهيثم الخزازي عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال :
حدثني ابراهيم بن ميمون قال :

حَجَجْتُ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، فَبَيْنَا أَنَا بِمَكَّةَ أَجُولُ فِي سِكَكِهَا ، إِذَا
أَنَا بِسَوْدَاءَ قَائِمَةً سَاهِيَةً ، فَأَنْكَرْتُ حَالَهَا ، فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَمَكَّنْتُ كَذَلِكَ
سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَتْ :

أَعْمَرُو عَلَامَ تَجَنَّبْتَنِي ؟ أَخَذْتَ فَوَادِي فَعَدَّ بَتَنِي
فَلَوْ كُنْتُ ، يَا عَمْرُو ، خَبَرْتَنِي أَخَذْتَ حِدَارِي ، فَمَا نِلْتَنِي

١ الخيم : الواحدة خيمة .

قال : فدنوتُ منها ، فقلت : يا هذه ! من عمرو ؟ فارتاعت من قولي
 وقالت : زوّجي . فقلت : وما شأنه ؟
 قالت : أخبرني أنّه يهواني وما زال يدسّ إليّ ويعلّقُ بي في كلّ طريق ،
 ويشكو شدةً وجده حتى تزوّجتي ، فلبّثَ معي قليلاً ، وكان له عندي من
 الحبّ مثل الذي كان لي عنده ، ثمّ مضى إلى جدّة ، وتركتني .
 قلت : فصفه لي .
 فقالت : أحسنُ من تراه ، وهو أسمرٌ حلوّ ظريفٌ .
 قال ، قلت : فخبّرني أتُحبّين أن أجمعَ بينكما ؟
 قالت : فكيفَ لي بذلك ؟ وظنّني أهزلُ بها . قال : فركبتُ راحلتي
 وصرتُ إلى جدّة فوقفتُ في المرقى أتبصرُ من يعمل في السفن ، وأصوتُ :
 يا عمرو يا عمرو ! فإذا أنا به خارجٌ من سفينة ، وعلى عنقه صَنّ ، فعرّفته
 بالصفة ، فقلت : أعمره علامَ تجنّبتني ؟ فقال : هيه هيه ، رأيتهَا وسمعتَه
 منها ؟ ثمّ أطرقَ هُنيهةً ثمّ اندفعَ يغنيهِ ، فأخذتهُ منه ، وقلتُ له : ألا
 ترجعُ ؟ فقال : بأبي أنت ، ومَن لي بذلك ؟ ذلك والله أحبّ الأشياءِ إليّ
 ولكن منعَ منه طلبُ المعاش .
 قلتُ : كم يكفيك كلّ سنة .
 قال : ثلاثمائة درهم ، فأعطته ثلاثة آلاف درهمٍ ، وقلت : هذه
 لعشرِ سنينَ ، ورَدَدته إليها ، وقلتُ له : إذا فنيْتُ أو قاربتِ الغناء قدمتَ
 عليّ فسررتُكَ ، وإلاّ وجهتُ إليك ، وكان ذلك أحبّ إليّ من حجي .
 قال محمد بن عبد الله قال إسحاق : والناسُ ينسبونَ هذا الصّوتَ إلى
 إبراهيم ، وكان إبراهيمُ أخذه من هذا الفتى .

١ الصن : شبه السلة .

مدرك الشيباني وعمرو النصراني

أنبأنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي ولقيته بمدينة النبي ، صل الله عليه وسلم ، في أول سنة ست وأربعين وأربع مائة ١ قال : أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن يعقوب ابن خرواذ النجيري قال : أنشدني جعفر بن شاذان القمي أبو القاسم قال :

أنشدني مدرك بن عليّ الشيباني له ببغداد في الجانب الغربي في عمرو بن يوحنا النصراني :

مِنْ عَاشِقٍ نَاءٍ هَوَاهُ دَانٌ ، ذَاطِقٍ دَمْعٍ صَامِتِ اللِّسَانِ
القصيدة جميعها .

وقال أبو القاسم جعفر بن شاذان القمي : وكان عمرو بن يوحنا النصراني يسكن في دار الروم ببغداد من الجانب الشرقي ، وكان من أحسن الناس صورةً وأجملهم خلقاً ، وكان مدرك بن عليّ الشيباني هواه ، وكان مدرك من أفاضل أهل الأدب والمطوبعين في الشعر ، وكان له مجلس يجتمع إليه الأحداث لا غير ، فإن حضره شيخ أو كهل قال له مدرك : لأنه يقبح بمثلك أن يختلط بالأحداث والصبيان ، فقم في حفظ الله ، فيقوم .

وكان عمرو بن يوحنا ممن يحضر مجلسه ، فعشقه مدرك وهام به ، فجاء عمرو يوماً إلى المجلس ، فكتب مدرك رقعةً وطرحها في حجره ، فقرأها ، فإذا فيها :

بمَجَالِسِ الْعَاسِمِ الَّتِي بِكَ تَمَّ جَمْعُ جُمُوعِهَا
أَلَا رَثِيَتْ لِمُقْلَاةٍ غَرِقَتْ بِمَاءِ دُمُوعِهَا
بَيْتِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةٌ ، اللَّهُ فِي تَضْيِيعِهَا

فقرأ الآيات ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا مَنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ وَقَرَأُوهَا ، وَاسْتَحْيَا
عمرو من ذلك ، فانقطعَ عن الحضورِ ، وَغَلَبَ الْأَمْرُ عَلَى مَدْرِكِ ، فَتَرَكَ مَجْلِسَهُ
وَلَزِمَ دَارَ الرُّومِ ، وَجَعَلَ يَتَّبِعُ عَمْرًا حَيْثُ سَلَكَ ، وَقَالَ فِيهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ
الْمَزْدُوجَةُ الْعَجِيبَةُ .

وَلَمَّا دَرِكَ فِي عَمْرٍو أَيْضًا أَشْعَارُ كَثِيرَةٌ ، ثُمَّ خَرَجَ مَدْرِكُ إِلَى الْوَسْوَاسِ .
وَسُئِلَ جِسْمُهُ ، وَذَهَلَ عَقْلُهُ ، وَانْقَطَعَ عَنْ إِخْوَانِهِ وَلَزِمَ الْفَرَاشَ ، فَحَضَرَهُ
جَمَاعَةٌ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَلَسْتُ صَدِيقَكُمْ الْقَدِيمَ الْعَشْرَةَ لَكُمْ ، أَلَمْ أَفِيكُمْ أَحَدًا
يُسْعِدُنِي بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ عَمْرٍو ؟ فَمَضَوْا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْهِ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنْ كَانَ
قَتْلُ هَذَا الْفَقِي دِينًا ، فَإِنَّ إِحْيَاءَهُ لِمُرُوءَةٍ قَالَ : وَمَا فَعَلَ ؟ قَالُوا : قَدْ صَارَ إِلَى
حَالٍ مَا نَحْسَبُكَ تَرْضَى بِهِ . فَلَبَسَ ثِيَابَهُ وَتَهَضَّرَ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ
سَلَّمَ عَلَيْهِ عَمْرٍو وَأَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ : كَيْفَ تُجِدُّكَ يَا سَيِّدِي ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِ
فَأَغْمَى عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَفَاقَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَنَا فِي عَافِيَةٍ لَا مِنْ الشَّوْقِ إِلَيْكَ
أَيُّهَا الْعَائِدُ مَا بِي مِنْكَ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ
لَا تَعُدْ جِسْمًا ، وَعُدْ قَلْبًا رَهِينًا فِي يَدَيْكَ
كَيْفَ لَا يَهْلِكُ مَرَشُو قُيُسُهُمْ مَقْلَتَيْكَ

ثُمَّ شَهَقَ شَهَقَةً فَارَّقَ فِيهَا الدُّنْيَا ، فَمَا بَرَحْنَا حَتَّى دَفَنُوهُ .

موسى في وقت الكلام

أخبرنا محمد بن أحمد الاردستاني، رحمه الله، قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت
أبا الفضل محمد بن اسحاق السخري قال : سمعت القناد يقول :

سألتُ الحُسَيْنَ بْنَ مَتَّصُورٍ عَنْ حَالِ مُوسَى فِي وَقْتِ الْكَلَامِ ، فَقَالَ :
بَدَأَ لَهُ بِأَدْنَى مِنَ الْحَقِّ فَلَمْ يَبْقَ لِمُوسَى شَيْءٌ أَثَرٌ ، وَأَنْشَدَ :
وَبَدَأَ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا انْدَمَلَ الْهَوَى بَرَقَ تَأَلَّقَ مَسْوِهِنَا لِمَعَانِهِ
يَسْبَدُ وَكَحَاشِيَةِ الرَّدَاءِ ، وَدَوْنَهُ صَعْبُ الذَّرَى مُتَمَتِّعٌ أَرْكَانُهُ
فَسَاقٍ لِيَنْظُرَ كَيْفَ لَاحٍ ، فَلَمْ يُطِيقْ نَظْرًا إِلَيْهِ وَرَدَّهُ سُبْحَانُهُ
فَالنَّارُ مَا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ ، وَالْمَاءُ مَا سَمَحَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ

الحب يذهب بالحب

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو
بكر المحولي محمد بن خلف قال : أخبرني أبو بكر العامري قال : حدثني الحسين بن علي بن
قدامة مولى بني أمية عن أبيه قال :

خَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا كُنْتُ بِالشَّرَافَةِ ١ ، وَدَنَا اللَّيْلُ ، إِذَا قَصْرٌ ، فَهَوَيْتُ
إِلَيْهِ ، فَإِذَا بَيْنَ بَابِي الْقَصْرِ امْرَأَةٌ لَمْ أَرِ مِثْلَهَا ، قَطُّ ، هَيْئَةً وَجَمَالًا ، فَسَلَّمْتُ ،
فَرَدَّتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ .
فَقَالَتْ : مَرْحَبًا ، وَحَيَّاكَ اللَّهُ ، أَنْزِلْ أَنْتَ فِي أَهْلِكَ ، قُلْتُ : وَمَنْ أَنْتِ ،
عَافَاكَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ : امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِكَ ، فَأَمَرْتُ إِلَيَّ بِمَنْزِلٍ وَفِرَى وَبَتَّ فِي

١ موسى : أي النبي . في وقت الكلام : أي حينما كلمه الله تعالى .

٢ الشرافة : موضع بين دمشق والمدينة .

خير مَسِيَّتٍ ، فلمّا أَصْبَحْتُ أُرْسَلْتُ إِلَيَّ تقول : كيفَ مَسِيَّتُكَ ؟ قلت :
خيرُ مَسِيَّتٍ ، وَاللّهِ مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ مِنْكَ وَلَا أَشْرَفَ مِنْ فَعَالِكَ ، قالت :
فإنَّ لي إِلَيْكَ حَاجَةً ؛ تَمْضِي حَتَّى تَأْتِيَ ذَلِكَ الدَّيْرَ ، دِيرٌ أَشَارَتْ إِلَيْهِ مُنْتَحِ ،
فإنَّ فِيهِ ابْنُ عَمِّي ، وَهُوَ زَوْجِي ، قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ نَصْرَانِيَّةٌ فِي ذَلِكَ الدَّيْرِ ،
فَهَجَرْتَنِي وَكَلِمَتَهَا ، فَتَنْظُرَ إِلَيْهِ وَإِلَيْهَا وَتَخْبِرَهُ عَنْ مَسِيَّتِكَ ، وَعَمَّا قُلْتُ لَكَ ،
فقلت : أَفْعَلُ ، وَتُعْمَى عَيْن .

فَخَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الدَّيْرِ ، وَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ فِي فِئَانِهِ جَالِسٌ كَأَجْمَلٍ
مَا يَكُونُ مِنَ الرِّجَالِ ، فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّ وَسَلَّيَ ، فَأَخْبَرْتُهُ مِنْ أَنَا ، وَأَيْنَ
بَيْتٍ ، وَمَا قَالَتْ لِي الْمَرْأَةُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ ! أَنَا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِكَ مِنْ آلِ
الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ ، ثُمَّ صَاحَ : يَا قِسْطُ ! فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ نَصْرَانِيَّةً عَلَيْهَا ثِيَابُ
حَبِيرٍ وَزَنَارٌ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا ، فَقَالَ : هَذِهِ قِسْطُ ، وَتِلْكَ أَرْوَى ، وَأَنَا الَّذِي
أَقُول :

تَبَدَّلْتُ قِسْطًا بَعْدَ أَرْوَى وَحُبَّيْهَا ، كَذَلِكَ لَعَمْرِي الْحُبُّ يَذْهَبُ بِالْحُبِّ

صوفي سيء الحال

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر بقراءتي عليه في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ،
قال : حدثنا أبو صالح محمد بن أبي عدي السمرقندي الصوفي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين
ابن القاسم بن أليس قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا
أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال أبو حمزة الصوفي :

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى مِنْ رُؤَسَاءِ الصَّوْفِيَّةِ وَوُجُوهِهِمْ ، فَنَظَرَ إِلَى غُلَامٍ
فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ فَبُيِّلَ بِهِ ، وَكَادَ يَذْهَبُ عَقْلُهُ عَلَيْهِ صَبَابَةً وَحَبًّا لَهُ ،
وَكَانَ يَقِفُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى طَرِيقِهِ حَتَّى يَرَاهُ ، إِذَا أَقْبَلَ ، وَإِذَا انْصَرَفَ ،

١ سنة ١٠٦٣ م .

فطال به البلاءُ ، وأقعدته عن الحركة الضنى ، فكان لا يقدرُ أن يمشي خطوةً
فما فوقها ، فأتيتهُ يوماً لأعوده ، فقلت : يا أبا محمد ! ما قصتُك ، وما
الأمرُ الذي بلغَ بك ما أرى ؟

فقال : أمورٌ امتحنني اللهُ تعالى بها ، فلم أصبرُ على البلاءِ فيها ، ولم يكن
لي بها طاقةٌ ولا يدان ، ورُبَّ ذنبٍ استصغرهُ الإنسانُ ممّا يزيتُه له الشيطانُ
هوَ عندَ الله تعالى أعظمُ من تسييرٍ ، وحقيقٌ لمن تعرّضَ للنظرِ الحرّام أن
تطولَ به الأسقام . ثم بكى .

فقلت : ما يُبكيك ؟ فقال : أخافُ أن يكونَ حسابي إلى النارِ
يطولُ فيها شقائي . فانصرفَ عنه ، وأنا راحِمٌ له لما رأيتُ به من سوءِ
الحال .

الطرف الغرّار

وياسناده قال : قال أبو حمزة :

وكنْتُ مع ثابت بن السري الصوفي ، فنظرُ إلى غلام ، فقال : يا طولَ
حُزْنَاهُ ممّا أرتيته عيني ، لقد تركني وأنا لا آنسُ إلى نظري بعد نظرتي هذه !
يا شرّ ما أثنائي به المقدورُ في النظرِ إلى الغرورِ ، غرتي والله طرفي حتى استمكن
من حنفي .

ثم قال : كم أستقيلُ الله ، عزّ وجلّ ، فيُقيلني ، وكم أستعفيه فيُعفيني ،
لقد خفتُ أن يكونَ ذلك استدراجاً منه حتى يأخذني بذلك كله ، في وقتٍ
حاجتي إليه عند قدومي عليه .
ثم بكى حتى غشي عليه .

١ نير : جبل بظاهر مكة .

الهاتف بالليل

أبانا أبو القاسم علي بن أبي علي التنوخي قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف المحولي إجازة قال : حدثني سعيد بن عمر بن علي البيروني قال : حدثني علي بن المختار قال : حدثني القحطي قال :

هَوِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ امْرَأَةً فَضَيَّ مِنْ حُبِّهَا ، حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْفِرَاشِ ، وَكَانَ إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : كَمْ تُرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّبَاحِ ؟ فَإِذَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ هَتَفَ بِهِ هَائِفٌ مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ :

أَلْفُ عَامٍ وَأَلْفُ عَامٍ تِبَاعاً ، غَيْرَ شَكٍّ ، فَلَا تَكُنْ مِلْحَاحاً

قال : فَأَقَامَ الرَّجُلُ عَلَى عِلَّتِهِ سَنِينَ ثَمَّ أَيْلٌ مِنْ عِلَّتِهِ .

لي سكرتان

أخبرنا أبو بكر الأردستاني قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول :

حَضَرْتُ مَعَ الشُّبْلِيِّ فِي مَجْلَسِ سَمَاعٍ ، وَحَضَرَ الْمَشَائِخُ ، فَغَنَى قَوَّالٌ ، فَصَاحَ رَجُلٌ ، وَالْقَوْمُ سُكُوتٌ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمَشَائِخِ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَؤُلَاءِ سَمِعُوا مَعَكَ ، كَمَا سَمِعْتَ ؟ فَقَامَ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ وَتَوَاجَدَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا خَرُّوا لِعِزَّةِ رُكْعَاءِ وَسُجُودِهَا

وَأَنْشَدَ عَلَى أَثَرِهِ :

لِي سَكْرَتَانِ ، وَلَكِنَّدُمَانٍ وَاحِدَةً ، شَيْءٌ خُصِّصْتُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدِي^٢

١ هذا البيت لكثير عزة .

٢ هذا البيت لأبي نواس .

سُكِينَةُ وَعُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ

أَبَانَا الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَافِظُ بِالشَّامِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ :
 حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الطُّومَارِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو مُعَاوِيَةَ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ سَعِيدٍ الْمَسَاقِيُّ قَالَ :
 وَقَفَّتْ سُكِينَةُ عَلَى ابْنِ أُذَيْنَةَ فِي مَوْكِبِهَا ، وَمَعَهَا جَوَارِيهَا ، فَقَالَتْ :
 يَا أَبَا عَامِرٍ ! أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ رَيْيٌّ وَأَنْتَ هَيْيٌّ^١ ، وَأَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :
 قَالَتْ ، وَأَبْشَشْتُهَا سِرِّي ، فَبُحْتُ بِهِ : قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السَّرَّ فَاسْتَبْرِ
 أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا : غَطَّى هَوَاكَ ، وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي

الْهَالِكُ مِنْ عَشَقٍ

أَبَانَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَيُّوبَ الْقُمِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
 ابْنُ عِمْرَانَ قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ :
 قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ :
 وَيَحُحُّ الْمُحِبِّينَ مَا أَشَقَى جَدُودَهُمْ ، إِنْ كَانَ مِثْلَ الَّذِي بِي بِالْمُحِبِّينَا
 يَشْقَوْنَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِعَشَقِهِمْ ، لَا يُدْرِكُونَ بِهِ دُنْيَا وَلَا دِينَا
 يَرْقُ قَلْبِي لِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْنِي وَمَا أَلْقَى يَرْقُونَا
 قَالَ : وَلَهُ أَيْضًا :

أَيُّهَا النَّادِبُ قَوْمًا هَلَكُوا ، صَارَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ طَبَقًا
 أَنْدُبِ الْعُشَاقِ ، لَا غَيْرَهُمْ ، إِنَّمَا الْهَالِكُ مَنْ قَدْ عَشِقَا

١ رِييٌّ الْقَوْمُ : الَّذِي يَرْجُمُونَ إِلَى رَأْيِهِ . الْهَيْيُّ : الْحَسَنُ الْهَيَاةُ .

ولي من أثناء قصيدة :

مَرَّتْ بِنَا سَاحِبَةً مِرْطَهَا ، قَدِ افْتَنَتْ فِي حُبِّهَا رَهْطَهَا
وَمِنْهَا :

وَشَرَطَتْ إِتْلَافَ عُشَاقِهَا ، فَكُلُّهُمْ مُلْتَزِمٌ شَرْطِهَا
وَاسْتَخْبَرَتْ عَنِّي عَدَاوِي بِنَا ، تِ الْعَمِّ ثُمَّ اسْتَخْبَرَتْ سِمِطَهَا
وَكُلُّهُمْ أَخْبَرَ عَن رُتْبَةِ لِي فِي الْهَوَى ، غَيْرِي لَمْ يُعْطَهَا
لَوْ لَا الْهَوَى الْعُدْرِيُّ ، يَاهَنْدُ ، لَمْ أَشْكُ النَّوَى قَطَّ وَلَا شَحْطَهَا

كوى ما كوى

ولي ابتداء قصيدة :

يَا نَاطِرِي أَنْتَ جَنَيْتَ الْهَوَى ، يَوْمَ اسْتَقَلَّ الْحَيُّ عَنْ ذِي طَوَى
تَاللَّهِ ! مَا أَدْرِي مَتَى أُرْشَقْتُ عَيْنَاكَ قَلْبِي يَا غَزَالَ الْوَى
أَحْيَيْكَ الطَّائِيَّ أَغْرَاكَ بِي ؟ لَا عَقْدَ الْعِزِّ عَلَيْهِمْ لِيَا
حُبَّ إِلَى قَلْبِي الْغَزَالَ السَّيِّدِي كَوَى مِنْ الْأَحْشَاءِ مَا قَدَ كَوَى

١ السمت : قلادة أطول من المخنقة . والسمط من الثياب : ما ظهر من تحت الرداء .

قتله خبر زواجها

ذكر ابن حيويه وقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني اسحاق بن محمد الكوفي قال : حدثني عبيد الله بن محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر عن أبيه قال :

كان مسافر بن أبي عمرو بن أمية يتعشق جارية من أهل مكة ، فتدبر به أهلها ، فهرب ، فلحق بالخيرة بالنعمان بن المنذر ، فاعتل هناك بالهلاس^١ ، فجمع له النعمان أطباء الخيرة فأجمعوا على كيئه ، فكوي فبرأ ، ثم إنه قدّم عليه رجل من أهل مكة ، فقال له : ما فعلت فلانة ؟ قال : تزوّجت ، قال فشقق ومات في مكانه ، فقال أبو طالب ، وكان صديقاً لمسافر خاصاً به ، فقال يرثيه :

لَيْتَ شِعْرِي ، مُسَافِرُ بْنُ أَبِي عَمِّ رُو ، وَلَيْتَ ، يَقُولُهَا الْمُحْزُونُ^٢
كَيْفَ كَانَتْ مَرَارَةُ الْمَوْتِ فِي لَكَ ، وَمَاذَا بَعْدَ الْمَمَاتِ يَكُونُ^٣
خَيْرُ مَيِّتٍ عَلَى هَبَالَةٍ ، قَدْ حَا لَسْتُ فَيَافٍ مِنْ دُونِهِ وَحَزُونُ^٣
بُورِكَ الْمَيِّتِ الْغَرِيبُ ، كَمَا بُو رِكَ نَضْرُ الرِّبْحَانِ وَالزَّيْتُونُ^٣
كَمْ صَدِيقٍ وَصَاحِبٍ وَابْنٍ عَمِّ وَخَلِيلٍ عَقَّتْ عَلَيْهِ الْمَنُونُ^٣
فَتَعَزَّيْتُ بِالْجَلَادَةِ وَالصِّبِّ رِ ، وَلَئِنِّي بِصَاحِبِي لَضَنِينُ^٣
رَجَعَ النَّاسُ آيِبِينَ جَمِيعًا ، وَخَلِيلِي فِي مَرْمَسٍ مَدْفُونُ^٣

١ نذريه : علمه فحذره واستعد له .

٢ الهلاس : مرض السل .

٣ الفياقي ، الواحدة فياء : المفاضة لا ماء فيها . الحزون ، الواحد حزن : ما غلظ من الأرض وقلما يكون إلا مرتفعاً .

خشف شبیه الحبيب

وجدت بخط أحمد بن محمد بن الأبنوسي ونقلته من أصله قال : حدثنا أبو محمد علي بن عبد الله
ابن المغيرة قال : حدثنا جدي قال : حدثنا أبو عمر العمري قال : حدثنا عبد الملك بن قريب
عن غياث بن الحارث السهمي قال : حدثني زيد بن عمارة النهدي قال :

اصْطَلَدْتُ خَشْفًا ١ فَأَوْثَقْتُهُ ، وَحَمَلْتُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ بِهِ ، إِذْ اسْتَقْبَلَنِي
غَلَامٌ كَأَنَّهُ فِلَقَةٌ قَمَرٍ لَهُ ضَفِيرَتَانِ قَدْ قَارَبَتَا عَجِيزَتَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الْخَشْفَ ،
وَقَفَّ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْتَفِسُ الصُّعْدَاءُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ ، وَهُوَ يَبْكِي :

وَذَكَّرَنِي مَنْ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ ، مَحْتَاجِرُ ظَبْيٍ فِي حَبَائِلِ قَانِصٍ
فَقُلْتُ ، وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي بِحُرْفَةٍ ، وَلَحْظِي إِلَى عَيْنَيْهِ لِحْظَةً شَاخِصٍ :
أَلَا أَيُّهَذَا الْقَانِصُ الظَّبْيَ حَلَّهٖ ! وَإِنْ كُنْتُ تَأْبَاهُ ، فَمُرْ بِقَلَانِصِي
خَفِ اللَّهُ لَا تَحْبِسْهُ ! إِنْ شَبَّهْتُهُ حَيَاتِي ، وَقَدْ أُرْعِدَتْ فِيهِ قَرَارُ .

قال : ثُمَّ بَكَى ، قال : فقلت : دُونَسْكَهٗ يَا فَيَّ فَهُوَ لَكَ ، قال :
فَعَمَدَ إِلَيْهِ فَحَلَّهٗ ، ثُمَّ قَبَّلَ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ .

قال : فَمُرَّ الظَّبْيُ وَأَتْبَعَهُ بَصَرَهُ يَبْكِي فِي أَثَرِهِ ، قال : ثُمَّ سَكَنَ ،
فقلت : يَا فَيَّ أَلَكِ حَاجَةٌ ؟ قال : نَعَمْ ! قلت : مَا هِيَ ؟ قال : تَبْلُغُ مَعِيَ
الْحَيَّ . قال : فَوَصَلْتُ مَعَهُ الْمَنْزِلَ ، قال : فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، إِذَا بِهِ يَسُوقُ
عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : دُونَسْكَهَا ، فَاْمْتَنَعْتُ ، فَأَبَى إِلَّا قَبُولَهَا .
قال : فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : هَذَا فَيَّ يَهُوَى فِتْنَةً مِنَ الْحَيِّ .

١ الخشف : ولد الظبى أول ما يولد .

العجوز المتصاية

أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد العدل أن أبا عبيد الله محمد بن عمران أخبرهم في ما أجاز لهم قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال :

إني لفي سوق ضريّة ، وقد نزلتُ على رجلٍ من بني كلاب ، وكان متزوّجاً بالبصرة ، وكان له أهلٌ بضريّة ، إذ أقبلتُ عجوزٌ على ناقةٍ لها حسنة البزة ، يُتخيلُ فيها باقي جمال ، فأناخت ، وعقلتُ ناقةً لها ، وأقبلتُ تتوكأ على محجنٍ لها ، فجلستُ قريباً منها ، فقالت : هل من مُنشدٍ ؟ فقلتُ للكلابي : أبحضرُك شيءٌ ؟ فقال : لا ! فأنشدتها شعراً لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري ، وهو :

وقصيرة الأيام ودّ جلسها لو باع مجلسها يفقد حميم
محمدات أخي الهوى غصص الجوى بدلال غانية ومقلّة ريم^٢
صفراء من بقر الجواء ، كأنما خقر الحياء بها رداع ستقيم^٣
فجشت على ركبتيها ، وأقبلت تنكت الأرض بمحجنها وأنشأت تقول^٤ :

قفي يا أمّام القلب ، نقض لبانة وتَشكُّ الهوى ثم افعلي ما بدا لك
فلو قلت طمأ في النار أعلم أنه هوى منك لي أو مينة من نواك
لقدّمتُ رجلي نحوها فوطئتُها ، هوى منك لي أو هفوة من ملاك

١ المحجن : العسا المنعطفة الرأس .

٢ المحديات : لعله من أحذاه أعطاه قسمه من الغنية ، فيكون المعنى المجازي انهن أعطين أخا الهوى حصّة النصص .

٣ الجواء : الوادي المتسع ، واسم موضع . الرداع : عودة المرض .

٤ الأبيات الآتية هي لعبد الله بن الدميثة ، شاعر اسلامي ، مشهور بركة شعره وعاطفته .

سَلَى الْبَانَةَ الْعُلْيَا مِنْ الْأَجْرَعِ الَّذِي بِهِ الْبَانُ، هَلْ حَاوَلْتُ غَيْرَ وَصَالِكَ
وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلَاهِينَ عَشِيَّةً، قِيَامَ سَقِيمِ الْقَلْبِ، وَأَخْبَرْتُ ذَلِكَ
لِيَهْنِكَ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى الْحِشَاءِ، وَرَقَرَأَقُ دَمْعِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكَ
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَأُظْلِمْتُ وَاللَّهِ عَلَيَّ الدُّنْيَا لِحُلَاوَةِ مَنْطِقِهَا ، وَفَصَاحَةِ
لَهْجَتِهَا ، فَدَنَوْتُ مِنْهَا فَقُلْتُ : تَسْتَدْتُكَ بِاللَّهِ لَمَّا زِدْتَنِي مِنْ هَذَا ؟ فَرَأَيْتُ
الضَّحِكَ فِي عَيْنَيْهَا ، وَأَنْشَدْتُ :
وَمُسْتَحْقَبَاتٌ لَيْسَ يَحْقِقِينَ زُرُونَنَا ، وَيَسْحَبِينَ أَذْيَالَ الصَّيَانَةِ وَالشُّكْلِ ١
جَمَعْنَ الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَ كُنْهَهُ نَزَعْنَ ، وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ
مَرِيضَاتُ رَجَعِ الْقَوْلُ خُرُسٌ عَنِ الْخَنَا ، تَمَلَّظْنَ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ بِلَا بَدَلِ
مَوَارِقُ مِنْ حَبْلِ الْمُحِبِّ عَوَاطِفُ بِحَبْلِ ذَوِي الْأَلْبَابِ بِالْحِدِّ وَالْهَزْلِ ٢
يُعْتَفِي الْعُدَالُ فِيهِنَّ ، وَالْهَوَى يُحَدِّثُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوِي الْعَدَالِ
فَقُلْتُ : أَحْسَنْتَ ، وَالَّذِي خَلَقَكَ ! فَقَالَتْ : أَكْذَاكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ !
قَالَتْ : فَتُسْشِرُكَ فِي هَذَا الْإِحْسَانِ غَيْرُكُمْ ، ثُمَّ قَامَتْ ، فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ
مُنْشِدَةً بَعْدَهَا أَحْلَى الْفَاطَا مِنْهَا .

أَمَاتُهَا وَمَاتَ أَسْفَا عَلَيْهَا

وَجَدْتُ بِحُطِّ أَبِي عَمْرِو بْنِ حَيَوِيهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقُلْتُهُ مِنْهُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفِ
الْمَحُولِي قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنَا زِيَادُ بْنُ صَالِحٍ الْكُوفِيُّ قَالَ :
كَانَ الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّغْلِبِيِّ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالظَّرْفِ ، فَوَاصَلَتْهُ
.....
١ الْمُسْتَحْقَبَاتُ مِنْ اسْتَحْقَبَ الشَّيْءَ : ادْخَرَهُ، أَوْ مِنْ اسْتَحْقَبَهُ : شَدَّ فِي مَوْخِرِ رَحْلِهِ وَاحْتَمَلَهُ خَلْفَهُ .
يَحْقِقِينَ مِنْ حَقْبِهِ : أَرْكَبَهُ وَرَآهُ . وَلَا نَدْرِي مَا الْمُرَادُ . الشُّكْلُ : الدَّلَالُ .
٢ مَوَارِقَاتُ : خَارِجَاتُ خُرُوجِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ . الْعَوَاطِفُ : لَعْلُ الْمُرَادُ بِالْعَوَاطِفِ ، الْمَمِيلَاتُ
حَبْلُ الْمَشَاقِّ ، عَابَثَاتُ بِهِمْ ، فَتَكُونُ الْبَاءُ فِي بِحَبْلِ زَائِدَةٍ ، وَالْعَوَاطِفُ : الْمَشْفَقَاتُ .

جارية من جَوَّاري القِيان ، فكان يُظهرُ لها ما ليس في قلبه ، وكانت الجاريةُ
على غاية العشق له ، والميل إليه ، فلم يَزَلا على ذلك حتى ماتت الجاريةُ
عِشْقاً له ووَجِداً به ، فذكرَها بعدَ ذلك وأَسِيفَ على ما كان من جَفائِه لها
ولاعراضِه عنها ، فرآها لَيْلَةً في مَنامه ، وَهِيَ تَقول له :

أَتَبْكِي بَعْدَ قَتْلِكَ لِي عَلَيَّ ، فَهَلَا كَانَ ذَا إِذْ كُنْتُ حَيًّا
سَكَبْتَ دُمُوعَ عَيْنِكَ فِي أَنْهَالٍ ، وَمِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ تُسَيِّ لِيَّ
فِيَا قَمَرًا بَرَى جِسْمِي وَرُوحِي ، وَيَقْتُلُنِي وَمَا أَبْقَى عَلَيَّ
أَقِيلَ مِنَ النَّبَاحَةِ وَالْمَرَاثِي ، فَلَمَّي مَا أَرَاكَ صَنَعْتَ شَيْئًا
قال : فزَادَ ما كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْفِ وَالْغَمِّ وَالْبُسْكِ ، حَتَّى فَاضَتْ
نَفْسُهُ فَمَاتَ .

عذبة الأنياب

أَبَانَا الْقَاضِي أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ التُّورِي قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ
الْمَأْمُونِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ قَالَ :

قال جميل بن معمر :

خَلَّيْلِي عُوجًا الْيَوْمَ حَتَّى تُسَلِّمًا عَلَى عَذْبَةِ الْأَنْيَابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
فَإِنَّكُمَا إِنْ عُجْتُمَا لِي سَاعَةً شَكَرْتُكُمَا حَتَّى أُغَيِّبَ فِي قَبْرِي
وَأَنَّكُمَا إِنْ لَمْ تَعُوجَا فَلَنْتِي سَأَصْرِفُ وَجْدِي ، فَأَذْأُ الْيَوْمَ بِالْهَجْرِ
وَمَا لِي لَا أَبْكِي ، وَفِي الْأَيْلِكِ نَائِحٌ ؟ وَقَدْ فَارَقْتَنِي شَخْتَةُ الْكَشْحِ وَالْخَصْرِ

١ قسي : سهل تسي .

٢ الشخنة : الدققة ، الضامرة . الكشح : ما بين السرة ووسط الظهر .

أَيْبَكِي حَمَامُ الْأَيْكِ مِنْ فَقْدِ الْفِهِ
يَقُولُونَ: مَسْحُورٌ يُجَنِّ بِذِكْرِهَا،
فَأَقْسِمُ لَا أَنْسَاكَ مَا ذَرَّ شَارِقُ،
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُعَلَّقُ،
لَقَدْ شُغِفْتُ نَفْسِي، بِثَيْنٍ، بِذِكْرِكُمْ،
ذَكَرْتُ مَقَامِي لَيْلَةَ الْبَنَانِ قَابِضاً
فَكِيدْتُ، وَلَمْ أَمْلِكْ إِلَيْهَا صَبَابَةً،
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي أَهْلُ أَبِينِ لَيْلَةَ
تَجُودُ عَلَيْنَا بِالْحَدِيثِ وَتَارَةً
فَلَيْتَ الْهَوَى لِي قَدْ قَضَى ذَاكَ مَرَّةً،
فَلَوْ سَأَلْتُ مِنِّي حَيَاتِي بِذَلِكَ،

وَأَحْمِلُ مَا بِي عَنْ بُشَيْنَةَ مِنْ صَبَرٍ
فَأَقْسِمُ مَا بِي مِنْ جُنُونٍ، وَلَا سِحْرِ
وَمَا خَبَّ آلُ فِي مُلْتَمَعَةٍ فَقَرٍ
وَمَا تَوْرَقُ الْأَغْصَانُ مِنْ وَرَقِ السِّدْرِ
كَمَا شُغِفَ الْمَخْمُورُ، يَا بَثْنُ، بِالْخَمْرِ
عَلَى كَفِّ حَوَارِ الْمَدَامِعِ كَالْبَدْرِ
أَهِيمُ، وَقَاضِ الدَّمْعُ مِنِّي عَلَى النَّحْرِ
كَلِيلَاتِنَا حَتَّى يُرَى سَاطِعُ الْفَسْجِ
تَجُودُ عَلَيْنَا بِالرُّضَابِ مِنَ الشَّغْرِ
فَيَعْلَمَ رَبِّي، عِنْدَ ذَلِكَ، مَا شُكْرِي
وَجَدْتُ بِهَا إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِي

بكيت من الفراق

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس
ابن حيويه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال :
أنشدني إبراهيم بن عمرو لمحمد بن أبي أمية :

بَكَيتُ مِنَ الْفِرَاقِ غَدَاةً وَلَتُ
فَمَا رَقَاتُ دُمُوعِ الْعَيْنِ حَتَّى
غَدَا أَحْدُو مَطَايَا الشَّوْقِ مِنِّي
وَأَسْتَبْطِي إِلَى بَغْدَادَ سَيْرِي،

بَنَا بُزْلُ الرِّكَابِ عَنِ الْعِرَاقِ
شَفَى قَلْبِي الْعِرَاقُ مِنَ الْفِرَاقِ
بِسَوْقٍ لَا يُقِيمُ عَلَى الرِّفَاقِ
وَلَوْ أَنِّي حُمِلْتُ عَلَى الْبُرَاقِ

١ الآل : ما يرى كالسراب . الملمعة : الغلاة التي يلعب فيها السراب .

آه من الحب

حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأندلسي من لفظه قال : حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي قال : حدثني القاضي أبو محمد عبد الله بن الربيع قال : حدثنا أبو علي الغالي قال :

أنشدنا ابن عرفة نيفطويه لابن أبي مرة المكي :

إنْ وَصَفُونِي، فَنَاحِلُ الْجَسَدِ ، أَوْ فَتَشُونِي فَأَبْيَضُ الْكَبِدِ ١
ضَاعَفَ وَجَدِي وَزَادَ فِي سَقَمِي أَنْ لَسْتُ أَشْكُو الْهَوَى إِلَى أَحَدٍ
آه من الحب ! آه ، وَاكْبِدِي ! إِنَّ لَمْ أُمِتْ فِي غَدٍ فَبَعْدَ غَدٍ
جَعَلْتُ كَفِّي عَلَى فُؤَادِي مِنْ حَرِّ الْهَوَى ، وَأَنْطَوَيْتُ فَوْقَ يَدِي
كَأَنَّ قَلْبِي ، إِذَا ذَكَرْتُكُمْ ، فَرِيَسَةٌ بَيْنَ سَاعِدَيْ أُسَدٍ

قاتل الله الحمى

قال : وأخبرنا الأشرف قال :

قرأت على أبي العباس الأعرابي :

أَيَا مُنْشِرَ الْمَوْتِ أَقِدْنِي مِنَ الَّتِي بَهَا نَهَلْتُ نَفْسِي سَقَاماً وَعَلَّتِ ٢
لَقَدْ بَخَلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَذَى الْعَيْنِ مِنْ صَاحِي التَّرَابِ لَضَنْتِ ٣

١ أراد بأبيض الكبد : انه عليل ، قد فقد دمه فأبيضت كبده .

٢ أقاده به : قتله بدلا منه . نهلت : شربت اول الشرب . علت : شربت ثانية .

٣ القذى : ما يقع في العين من تبنة ونحوها فيؤذيها . الصاحي : البارز للشمس . ضنت : بخلت .

أَلَا مَنْ لَعَيْنٍ لَا تَرَى قُلُلَ الحِمَى ، وَلَا حَبَبَ الأَوْشَالِ إِلَّا اسْتَهَلَّتْ^١
 أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الحِمَى مِنْ مَقَامَةٍ ، وَقَاتِلَ دُنْيَانَا بِهِ كَيْفَ وَلَّتِ
 فَمَا أُمَّ بَوٍّ هَالِكٍ بِتَنُوفَسَةٍ إِذَا ذَكَرْتَهُ آخِرَ اللَّيْلِ حَنَّتِ^٢
 وَمَا وَجَدُ أَعْرَابِيَةٍ قَدَفَتْ بِهَا صُرُوفُ النُّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَنَّتِ
 إِذَا ذَكَرْتَ نَجْدًا وَطَيْبَ تُرَابِهِ ، وَبَرَدَ الحَصَى مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ أَرْتِ^٣
 بِأَكْثَرِ مَنِيِّ لَوْعَةٍ ، غَيْرَ أَنْتِي أَطَامِينَ أَحْشَائِي عَلَى مَا أَجْنَتْ^٤

حديث كالقطر

ويسانده قال : حدثنا القاضي قال : قرأت في نوادر ابن الأعرابي عن أبي عمر الملقب بالأعرابي
 قال أبو عمر :

أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي :

وَحَدِيثُهَا كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سِنِينَ تَتَابَعَتْ جَدُوبًا
 فَاصْأَخَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَيًّا ، وَيَقُولُ مِنْ فَرَحٍ : أَيَا رَبًّا

..... ..

- ١ القل ، الواحدة قلة : القمة . الحبيب : الفقايع التي تملأ الماء . الأوشال ، الواحد وشل : الماء القليل . استهلَّت : أفاضت الدمع .
- ٢ البو : ولد الناقة . التنوفة : البرية لا ماء فيها ولا أنيس .
- ٣ ارتت : اعولت .
- ٤ أجنت : سرت .

حديثها السحر الحلال

وأحسنَ ابن الرومي في هذا المعنى قوله :
وَحَدِيثُهَا السَّحَرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ، وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزِ
شَرَكُ الْعِيُونِ، وَفِتْنَةُ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ، وَعَقْلَةُ الْمُسْتَوْفِزِ

حديث كقطع الرياض

قال : وأنشدني بعضُ أصحابنا لبشار :
وَكَاَنَّ حُلُومَ حَدِيثِهَا ، قِطْعُ الرِّيَاضِ كُسَيْنَ زَهْرًا
وَكَاَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَتَخَالَ مَا جُمِعَتْ عَلَيْهِ ثِيَابُهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا
وَكَاَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَا بِصَفَاوَا فِئْتِكَ فِطْرًا

ما لي وللعيد

أنيافا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال :
أنشدني أبو عبد الله بن حجاج لنفسه :
قالوا : غَدَا الْعِيدُ فَاسْتَبَشِّرْ بِهِ فَرَحًا ! فقلتُ : مَا لِي وَمَا لِلْعِيدِ وَالْفَرَحِ
.....
١ العقلة : ما يعقل به أي يربط . المستوفز : المتهني للوثوب .

قَدْ كَانَ ذَا، وَالنَّوَى لَمْ تُضَحِ نَازِلَةً،
 بِعَقَوْتِي، وَغُرَابُ الْبَيْنِ لَمْ يَصِحْ^١
 أَيَّامَ لَمْ يَخْتَرِمَ قُرْبِي الْعِبَادُ، وَلَمْ
 يَغْدُ الشَّتَاتُ عَلَى شَمْلِي وَلَمْ يَرْحُ^٢
 وَطَائِرُ طَارَ فِي خَضْرَاءِ مُورِقَةٍ
 عَلَى شَفَا جَدُولٍ بِالرَّوَضِ مُنْشَحٍ
 بَسَكَى وَنَاحَ، وَلَوْ لَا أَنَّهُ سَبَبُ
 لَشَجْوِ قَلْبِي الْمُعْتَى فَيْكَ لَمْ يَنْحُ
 فَمَا ذَكَرْتُكَ، وَالْأَفْدَاحُ دَائِرَةٌ،
 إِلَّا مَزَجْتُ بَدَمِي بِكَ يَا قَدْ حَيَّ
 وَلَا سَمِعْتُ بِصَوْتٍ فِيهِ ذِكْرُ نَوَى
 إِلَّا عَصَيْتُ عَلَيْهِ كُلَّ مُقْشَرِحٍ

مختصر يصف نفسه في ساعة الموت

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بفسطاط مصر قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن أبي عدي السمرقندي الصوفي قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن أليع بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الخياط قال : قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي قال : حدثنا أبو كامل الحراني قال : حدثني أبو محمد بن زرعة قال :

كَانَ خَضِرُ بْنُ زَهْرَةَ الشَّيْبَانِي مِنْ أَعْبِدِ الصَّوْفِيَّةِ ، وَأَنْتَسَكَهُمْ وَأَشَدَّهُمْ
 اجْتِهَاداً ، وَأَمْلَكَهُمْ لِنَفْسِهِ ، وَكَانَ مَقْبُولَ الْقَوْلِ مُطَاعاً فِي بَلَدِهِ ، فَارِساً
 شُجَاعاً ، ذَا مَالٍ وَآفِرٍ ، فَتَنَشَأُ لَهُ غِلَامٌ قَدْ رَبَّاهُ كَأَحْسَنِ مَا رُؤِيَ مِنَ الْغِلْمَانِ
 فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِ الْحَدِيثِ وَحَسَنِ الْمُنَاطَرَةِ وَالْأَدَبِ وَالْعِبَادَةِ ، وَكَانَ
 قَدْ أَخَذَ عَنْهُ ، وَسَمِعَ حَتَّى كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يُوَازِيهِ بِهِ فِي الْفُرُوسِيَّةِ وَالشُّجَاعَةِ
 وَالْمَعْرِفَةِ ، وَكَانَا مُلَازِمَيْنِ لِلْغَزْوِ ، فَخَرَجَا فِي بَعْضِ السَّرَايَا ، فَأُصِيبَتْ
 السَّرِيَّةُ ، وَأَفْلَتَ مِنْهَا جَرَحِي ، وَفِيهَا خَضِرٌ وَغِلَامُهُ جَرِيحَانِ ، مُتَخَنَانِ ،

١ العقوة : الساحة ، المحلة .

٢ يَحْتَرِمُ : يَسْتَأْصِلُ .

فَكَمْنَا فِي بَعْضِ الْغِيَاضِ ، فَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْغَلَامُ ، وَضَعُفَ عَنْ الْحَرَكَةِ
وَالنَّهْوِ ، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، وَنَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ ، فَأَقْبَلَ يَضْحَكُ أحيانًا ،
وَيَبْكِي أحيانًا ، فَقَالَ لَهُ خَضِرٌ : مِمَّ تَضْحَكُ يَا بَنِي ؟
قَالَ : أَضْحَكُ إِلَى جَوَارٍ يَضْحَكُنَ إِلَيَّ ، وَيُقْبِلَنَ بُوْجُوْهِيْنَ عَلَيَّ .
قَالَ : فَمَا يَبْكِيكَ ؟

قَالَ : أَبْكِي فِرَاقَكَ وَحَبْسَكَ فِي الدُّنْيَا بَعْدِي .
قَالَ : أَمَا لَنْ قُلْتَ ذَلِكَ يَا بَنِي لِيَكُونَ عَمْرِي بَعْدَكَ قَصِيرًا ، وَحُزْنِي
عَلَيْكَ كَثِيرًا ، وَفَرَحِي بَعْدَكَ قَلِيلًا ، وَقَلْبِي بِفِرَاقِكَ عَمِيلًا ، فَسُبْحَانَ
مَنْ أَبْقَانِي بَعْدَكَ لِلْأَحْزَانِ ، وَعَرَضَنِي لِنَوَائِبِ الزَّمَانِ ، وَجَعَلَنِي غَرَضًا
لِنَوَازِلِ الْحِدَاثِ .
وَبَكَتْ حَتَّى انْقَطَعَ عَنِ الْكَلَامِ ، فَقَالَ لَهُ : لَا تَبْكِ فَإِنَّ لِقَاءَنَا قَرِيبٌ ،
وَاجْتِمَاعُنَا سَرِيعٌ .

فَقَالَ : أَنْصِي بِشَيْءٍ يَا بَنِي حَتَّى أُبْلَغَ فِيهِ مَحْبُوبَكَ ؟
قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : قُلْ ! قَالَ : عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ بَعْدِي ، فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ
الْأَبْرَارِ ، وَمَعْقَلُ الْأَخْيَارِ ، وَإِيَّاكَ وَالْجَزَعَ ، فَإِنَّهُ سَبِيلٌ لِكُلِّ ضَعِيفٍ ،
وَمُعْوَلٌ كُلِّ خَاطِئٍ ، وَإِيَّاكَ وَالزَّيْغَ ، وَالزَّمَّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ
أَنْ يُقَدَّمَ بِكَ عَلَى غِيبَةِ وَسْرُورٍ وَسَعَادَةٍ وَحُبُورٍ ، فَلَوْ رَأَيْتَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ
تَعَالَى لِي مِنَ الْكِرَامَةِ ، وَتَفَضَّلَ عَلَيَّ بِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ ، لَأَحْبَبْتَ أَنْ تَكُونَ
الْمُقَدَّمُ إِلَيْهِ قَبْلِي .

فَقَالَ : لَقَدْ سَرَرْتَنِي يَا بَنِي بِمَا وَصَفْتَ ، وَغَبَطْتُكَ بِمَا قَدْ بَلَغْتَ ،
فَهَلْ بَقِيَ سَبِيلٌ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا تُحِبُّ أَنْ تُبْلِغَهُ حَتَّى أُبْلِغَهُ لَكَ إِنْ رَزَقْتَنِي
اللَّهُ الْعَافِيَةَ ، وَتَخَلَّصْتُ سَلَامًا ، وَوَهَبْتَ لِي الْحَيَاةَ .
قَالَ : نَعَمْ ! تَجْعَلْ لِي مَعَكَ سَهْمًا فِي حَبْلِكَ وَغَزْوِكَ وَصَدَقْتِكَ .
قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، لَوَالِدِي الثَّلَاثُ وَلَكَ الثَّلَاثُ ، مِمَّا تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلَيَّ

من الأجر .

فقال : أمّا إذ بدا لك ما سألت ، فإني أقولُ شيئاً لم أكن قلته لك ، ولا أطلعك عليه : ما أتيتُ أمراً من أمور الخيرِ إلّا قلتُ : اللهمّ ما قسمت لي فيه من أجرٍ فاجعله لمولايَ دوني .

قال : بَمَ استحققتُ ذلك منك يا بني ؟

قال : لأنك ملكتني صغيراً ، فأحسنتَ ملكي ، وصحبتني كبيراً ، فوفقتَ في صحبتي ، وخيفتَ مقامَ الله فيّ ، ونزّهتَ نفسك عن السوء ، وصيّتني عن أفعال قد كانت عن غيرك مأثورةً عنهم ، ومحفوظةً مشهورةً ، قد تحدث بها النّسأكُ عنهم وسمعوها منهم ، وشهيدات الحفظة وكتبتها الملائكة من هجومهم على السيئات وركوبهم الفاحشات ، وجموحهم في الباطل وتركهم سبيلَ الحق ، وإيثارهم لشهواتهم في جميع حالاتهم ؛ وقد صحبتك على مرّ الأيام وكثر السنين فلم أركَ تُؤثّر شيئاً من هوائك على أمرٍ آخرتكَ ، ولم أرَ أحداً اللهُ أهيبُ في قلبه منك ، فنفعك اللهُ بذلك ، وجعله سبباً للنظر إلى وجهه ، والبلاغِ إلى رحمته ، والخلوة في داره ، والمقام في جواره .

قال أبو محمد بن زُرعة : فدنوتُ منه ، وقلت : بأبي أنت وأمي ! اجعلني في شفاعتك .

قال : أنت الرقيقُ والصّاحبُ ؛ أنت أوّلُ مَنْ أشفعُ له بعد مولاي ، وهؤلاء الذين معك .

فقال له مَوْلَاهُ : يا بُني ! هل تجدُ الموتَ ألماً ، وتَرى من مقدّماته علماً ؟ فإن كنتَ تَرى شيئاً ، فحدّثني بكلّ ما تراهُ قبلَ أن تُغلبَ على الحديث ، فلا يُمكنك أن تُخبرني بشيءٍ ممّا تجدُ أو تَرى .

قال : أمّا ما أجدهُ فإني أجِدُ قلبي كأنه سَعفةٌ في يومٍ ريح عاصِفٍ من خفّاقانه ، أو ريشةٌ في جناح طائرٍ إذا أمعنَ في طيرانه ؛ وأجدُ نفسي ساعةً بعد ساعة تذبذبُ كالسّراج إذا أرادَ أن يطفأ ؛ وأجدُ عيني كأن

الْأَسِنَّةَ تَنْخَسُّهَا ، فَمَا أَقْدِرُ عَلَى جَمْرَةٍ تَتَوَقَّدُ ؛ وَأَجِدُ عَظَامِي كَأَنَّهَا بَيْنَ رَحِييْنِ تَطْعَنَانِي ؛ وَأَجِدُ أَمْعَائِي وَأَحْشَائِي كَأَنَّهَا فِي أَفْوَاهِ سِبَاعٍ تَمَضُّغُهَا .
فَبَكَى خَضِرٌ وَقَالَ : كُفَّ عَنِّي ، لَا تَصِفْ شَيْئاً ، فَقَدْ كَادَ عَقْلِي أَنْ يَذْهَلَ بِصِفَتِكَ وَقَلْبِي يَتَصَدَّعُ مِمَّا نَزَلَ بِكَ .

فَقُلْتُ لَهُ : أَلَيْسَ فِي مَا سَمِعْتَ وَسَمِعْنَا أَنَّ الشَّهِيدَ لَا يَجِدُ مِنَ أَلَمِ السِّلَاحِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ الشَّوْكَةِ أَوْ أَقْلَ ؟ قَالَ : بَلَى ! قَالَ : فَقُلْتُ : أَفَلَسْتَ شَهِيداً مِثْلَهُمْ ؟ قَالَ : بَلَى ! قُلْتُ : فَمَا بِالْكَ أَنْتَ تَأْلُمُ مِنْ بَيْنَهُمْ ؟ قَالَ : إِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِ النَّفْسِ وَرُؤْيَا مَلَكِ الْمَوْتِ ، وَلَمْ أَبْلُغْ بَعْدُ إِلَى ذَلِكَ .

فَقَالَ لَهُ خَضِرٌ : فَهَلْ تَرَى شَيْئاً ؟
قَالَ : أَرَى صُوراً مُقْبِلَةً لَهَا أَجْنِحَةٌ تَطِيرُ بِهَا ، تُرَفِّفُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

قَالَ : فَهَلْ قُرْبَ مِنْكَ أَحَدٌ مِنْهَا ؟

قَالَ : نَعَمْ جَمَاعَةٌ .

قَالَ : صِفْهُمْ لِي .

قَالَ : أَرَى صُوراً لَمْ أَرَ أَحْسَنَ مِنْهَا مِنْظَراً ، بَعْضُهُمْ جَنَاحَاهُ مِنْ لَوْلُوٍّ وَسَائِرُ بَدَنِهِ مِنْ يَاقُوتٍ ، وَبَعْضُهُمْ جَنَاحَاهُ مِنْ يَاقُوتٍ وَسَائِرُ بَدَنِهِ مِنْ زُمْرُودٍ .
قَالَ : فَهَلْ تَرَى مَلَكِ الْمَوْتِ ؟

قَالَ : مَا أَرَاهُ ! أَلَيْسَ فِي مَا كَتَبْتَ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَايَنَ مَلَكِ الْمَوْتِ شَخْصاً ثُمَّ أَمْسَكَ سَاعَةً فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ؟
فَقَالَ لَهُ خَضِرٌ : هَلْ تَرَى شَيْئاً ؟

قَالَ : أَرَى شَخْصاً قَدْ هَبَّطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى سَدَّ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ ، قَدْ نَشَرَ أَجْنَحَتَهُ ، فَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ مِنْ حُسْنِهِ وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا مِنْ نُورِهِ ، وَسَكَنَ عَنِّي مَا أَجِدُ مِنَ الْأَلَمِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، فَمَا أَحْسَنَ مِنْهُ شَيْئاً ، ثُمَّ سَكَتَ ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ حَتَّى مَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

نومة عبود

ذكر أبو بكر محمد بن الفضل بن قدير في مجموعه قال : حدثني محمد بن أحمد البراز قال :
حدثني عبد الله بن محمد أبو جمعة الوراق قال :

أخبرت أن المهدي دخل الكوفة فقال لأبي الأحوص محمد بن حيان الكوفي : حدثنا حديثاً من طرائف الأخبار بما حضرَكَ ، قال :
كان في الزمان الأول رجل يُقال له عبود وكان عاشقاً لابنة عم له فحضرها الوفاة ، فأزعجه ذلك ، وأقلقته ، فلما توفيت صار إلى المسيح ، فسأله أن يحييها قال : لن يتهيأ ذلك أو تهب لها من عمرك شيئاً . قال : قد وهبت لها نصف عمري ، فصار المسيح إلى تربتها ، فوقف عليها ، وسأل ربه أن يحييها فأحيها ، فأخذ بيدها عبود ، ومضى يريد بها أهله ، فأدركه الفتور في بعض الطريق ، فحط رحله ، ووضع رأسه في حجرها ، واستقل نوماً .

فاجتاز بها ملك الناحية فرأى وجهاً جميلاً وخلقاً حسناً ، فعرض عليها صحبتها ، فأجابته ، فأمرها ، فوضعت رأسه من حجرها ، وحملها في قبة كانت معه ، فلما انتبه عبود بقي مثلدداً^١ ، فبينما هو كذلك إذ تلقاه نفر يتواصفون الجارية وبراعة خلقها ، فسألهم عن الخبر ، فأسموه أنهم رأوا مع الملك امرأة قد حملها في قبة ، من حالها وصفتها ، فلم يزل يقفوا الأثر حتى لحقها فجعل يذكرونها العهد ، وهي ساكنة^٢ ، ويسألونها النزوع عما هي عليه ، وهي مزورة^٣ عنه^٤ ، إلى أن قال : ويحك قد كنت توفيت ، فصرت في جملة الموتى ، فسألت المسيح ، فأحيك لي على أني أعطيتك من عمري نصفه ، فإن كنت لا تساعدني ولا تصيرين معي إلى أهلي

١ مثلدداً : متحيراً .

٢ مزورة عنه : معرضة عنه .

وأهلك ، فرُدِّي عليّ ما وهَبْتُ لكِ من عمري .
 قالت : فإني قد رَدَدْتُه عليك ، ولا حاجةَ لي فيه ، فما أُنِمت هذه
 الكلمة حتى وقعت ميتة ، وأنصرفَ عبود إلى أهله مغتبطاً ، فضرَبَتِ العربُ
 بنومةِ عبودٍ مثلاً .

عمر وعفراء وعروة

أخبرنا أبو طاهر بن السواق وذكر حديثاً قال : قال أبو عمر محمد بن العباس الخزاز قال :
 حدثني أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني أبو محمد البلخي قال : حدثني أحمد بن سراقه
 قال : حدثني العباس بن الفرّج قال : سمعت الأصمعي يقول عن ابن أبي الزناد قال :
 قال عمر بن الخطّاب ، رَحِمَهُ الله : لو أدركتُ عفراءَ وعروةَ
 لجمعتُ بينهما .

شجرتان ملتفتان على قبرين

وبإسناده قال ابن المرزبان : وحدثني إسحاق بن محمد بن أبان قال : حدثني معاذ بن يحيى قال :
 خرجتُ إلى صنعاء ، فلما كنّا ببعضِ الطريق قيلَ لنا : إنّ قبرَ عفراءَ
 وعروةَ على مقدارِ ميلٍ من الطريق . قال : فمضتُ جماعةٌ كنتُ فيهم ،
 فإذا قبرانِ مُتلاصقان قد خرجَ من كلّ قبرٍ ساقُ شجرةٍ ، حتّى إذا صارَتَا
 على مقدارِ قامةِ التفت كلّ واحدةٍ منهما بصاحبها .
 قال إسحاق : فقلتُ لمعاذ أيّ ضربٍ هوَ من الشجر؟ فقال : لا أدري ،
 ولقد سألتُ أهلَ القرية عنه ، فقالوا : لا نعرفُ هذا الشجر ببلادنا .

القلب الخافق

قال أبو بكر بن المرزبان : أخبرني سعيد بن الفضل الأزدي قال :

أنشدني العتبيّ لعروّة بن حزام :

لَوْ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ وَجْدًا وَمِثْلَهُ مِنْ الْجَيْنِ بَعْدَ الْإِنْسِ يَلْتَقِيَانِ
فِي شَتَكِيَانِ الْوَجْدِ ثُمَّتْ أَشْتَكِي لِأَضْعَفَ وَجْدِي فَوْقَ مَا يَجِدَانِ
فَقَعْدُ تَرَكَتْنِي مَا أَعْيَ لِمُحَدِّثٍ حَدِيثًا، وَإِنْ نَاجَيْتُهُ وَلَجَانِي
لَقَعْدُ تَرَكَتُ عَمْرَاءُ قَلْبِي كَأَنَّهُ جَنَاحُ عُقَابٍ دَائِمِ الْخَفَقَانِ

ها تف الجبل

وجدت بخط ابن حيويه يقول : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني عبد الواحد بن محمد
النجاري قال : حدثني محمد بن الهيثم بن عدي عن الهيثم قال : حدثنا محمد بن ملك قال : حدثني
عثمان بن عمر التيمي قال :

هَوِيَ فَتَى مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَتَاةً مِنْ فِعْظِهِ ، وَكَانَ أَيْسَرَ مِنْهَا وَأَغْنَى ، فَكَانَ
أَبُوهُ يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، وَيُرِيدُ لَهُ أَشْرَفَ مِنْهَا وَأَيْسَرَ ، وَيَعْرِضُ
عَلَيْهِ غَيْرَهَا ، فَيَأْبَى إِلَّا هِيَ ، فَيَمْتَنِعُ أَبُوهُ مِنْ ذَلِكَ . وَكَانَ أَبُوهَا قَدْ حَبَسَهَا
عَلَيْهِ رَجَاءً أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، فَلَمَّا طَالَ عَلَى أَيْيَها وَأَيْسَرَ مِنْهُ زَوَّجَهَا مِنْ غَيْرِهِ ،
فَلَقِيَهَا الْفَتَى يَوْمًا فَقَالَ لَهَا :

لَعَمْرِي، يَا سَعْدَى، لَطَالَ تَأْتِمِي ، وَمَعْصِيَتِي شَيْخِي فَيْكِ كَلِيهِمَا
وَتَرَكَتِي ذَا الْحَيْنِ لَمْ أَبْغِ مِنْهُمَا سِوَاكَ ، وَلَمْ يَرْبَعْ هَوَايَ عَلَيْهِمَا

١ يربع : يتوقف .

فقالت الجارية :

حَبِيبِي لَا تَعْجَلْ لِنَفْسِهِمْ حُجَّتِي ، كَفَانِي مَا بِي مِنْ بَلَاءٍ وَمِنْ جُهِدٍ
وَمِنْ عِبَرَاتٍ تَعْتَرِينِي وَزَفَرَةٍ تَكَادُ لَهَا نَفْسِي تَسِيلُ مِنَ الْوَجْدِ
غُلِبْتُ عَلَى نَفْسِي جَهَاراً وَلَمْ أُطِقْ خِلَافاً عَلَى أَهْلِي بِهِزَلٍ وَلَا جِدّاً
وَلَكِنْ يَمْنَعُونِي أَنْ أَمُوتَ بِرُغْمِهِمْ ، غَدّاً ، جَوْفَ هَذَا الْغَارِ فِي جَدَثٍ وَحْدِي
فَلَا تَنْسَ أَنْ تَأْتِيَ هُنَاكَ ، فَتَلْتَمِسَ مَكَانِي فَتَسْلُو مَا تَحْمَلْتَنِي مِنْ جَهْدِي
فَلَمَّا كَانَ فِي غَدٍ أَتَاهَا حَيْثُ زَعَمْتَ لَهُ ، فَوَجَدَهَا مَيِّتَةً فَحَمَلَهَا ،
فَادْخَلَهَا شِعْباً ثُمَّ التَزَمَهَا فَمَاتَ مَعَهَا ، قَالَ : فَالْتُمِسَا حَوْلًا ، فَلَمْ يُقْدِرْ
عَلَيْهِمَا ، وَلَمْ يُعْلَمْ لهما خَيْرٌ ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي هُمَا فِيهِ ،
وَكَانَ الْجَبَلُ يُدْعَى أَعْرَافًا :

إِنَّ الْكَرِيمَيْنِ ذَوِي التَّصَانِي الدَّاهِيَيْنِ بِالْوَفَاءِ الصَّانِي
وَاللَّهِ مَا لَاقِيَتْ فِي تَطَوَّانِي أَبْعَدَ مِنْ غَدَرٍ وَمِنْ إِخْلَافٍ
مِنْ مَيِّتَيْنِ فِي ذُرَى أَعْرَافٍ

قال : فصعدَ القَوْمُ الْجَبَلَ ، فَوَجَدُوهُمَا مَيِّتَيْنِ فَوَارَوْهُمَا .

المجنون الهائج

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي إن لم يكن سماعاً فإجازة قال : أخبرنا أبو
عمر بن حيويه قال : حدثنا ابن المزيان قال : حدثني محمد بن عبد الله بن الفضل قال : حدثني
أحمد بن معاوية قال :

رَأَيْتُ مَجْنُونًا وَاقِفًا بِصَحْرَاءٍ أَثِيرٍ ١ ، وَقَدْ هَاجَ ، وَهُوَ يَقُولُ :
هَدَّ رُكْبِي الْهَوَى وَكُنْتُ جَلِيدًا ، وَرَأَيْتُ الْفِرَاقَ مُرًّا شَدِيدًا

١ قوله : فلتلمس هكذا في الأصل مجزوم لغير جازم ، والوجه النصب .

٢ أثير : موضع .

الناسك العاشق

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن العلاف الراءظ بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين الراءظ قال : حدثنا جعفر بن محمد قال : حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : حدثنا فضل اليزيدي قال : حدثني اسحاق بن ابراهيم بن المهدي بن عمرو الهلالي قال : سمعت أبا يحيى التيمي يقول :

كان يختلفُ معنا فتى من النساءِ يُقالُ له أبو الحسينِ إلى مسعر بن كدام ، وكان يختلفُ معه فتى حسنُ الوجهِ يفتنُ الناسَ ، إذا رآوه ، فأكثرَ الناسُ القولَ فيه ، وفي صُحبتهِ إياه ، فمنعه أهلهُ أن يصحبَه ، وأن يكلمَه ، فذهَلَ عقلُه حتى خشيَ عليه التلفُ ، فبلغَ ذلكَ مسعراً ، فقال : قولوا له لا تقربني ، ولا تأتِ مجلسي ، فإني له كاره ، فلقيتهُ ، فأخبرتهُ بذلك ، فتنفَسَ الصعداءُ ، ثم أنشأ يقول :

بما منَ بلاءِ حُسنِ صورتهُ ، تُشقي لِيهِ أَعِنَّةَ الحَدَقِ
لي مِنكَ ما للناسِ كُلِّهِمْ ، نَظَرٌ وَتَسْلِيمٌ عَلى الطَرُقِ
لَكِنَّهُمْ سَعِدُوا بِأَمْنِهِمْ ، وَشَقِيتُ حِينَ أَرَاكَ بِالْفَرَقِ
قال : ثم صرَّخَ صرَّخةً وشَخَصَ يبصره فإذا هو ميت .

لا راحة ولا نوم

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن العلاف صاحب بن سمعون بقراءتي عليه من نحو خمسين سنة قال : أخبرنا عمر بن أحمد بن شاهين ، حدثنا جعفر بن محمد ، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق ، حدثنا أبو حاتم السجستاني ، حدثني شيخ طريف حجازي قال :

كنتُ بمكةَ ، فإذا كان الليلُ سمعتُ أنيناً إلى جنبي ، فطالَ الليلُ عليّ ، فسألتُ عنه فقليلَ لي : فتَيَّ مريضٌ ، فدخلتُ عليه فإذا هو من أحسنِ
١ مسعر بن كدام : شيخ السفينانيين .

النَّاسِ وَجْهًا كَأَنَّهُ ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ ، فَكَلَّمْتَهُ ، فَإِذَا هُوَ عَاشِقٌ يُغْلَسُ عَلَى عَقْلِهِ
حَتَّى يُخَالِطَ ، فَأَصَابَهُ ذَلِكَ وَأَنَا عِنْدَهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ :
مُتَّيِّمٌ قَدْ بَرَّاهُ السَّقَمُ ، كَأَنَّهُ نِضْوٌ يُقَاسِي الْأَلَمَ
فَمَا لَهُ رَاحَةٌ وَلَا نَوْمٌ إِلَى الصَّبَاحِ .

آه من البين

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الازدستاني بقراءتي عليه بمكة في المسجد الحرام ، حدثنا الحسن
ابن محمد بن حبيب ، سمعت أبا علي الحسن بن محمد الزنجاني الصوفي بأسفرايين ، سمعت عبد
السعيد المنجوري ، سمعت سهلان القاضي يقول :
بَيْنَا أَنَا مَارٌّ فِي طُرُقَاتِ جَبَلِ شُورَى ، وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيَّ قَافِلَةٌ عَظِيمَةٌ ،
إِذَا بَفَى شَابٌّ عَلَى طَرِيقٍ ذَاهِبِ الْعَقْلِ مَدْهُوشٍ عُرْيَانٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ
خُلُقَانٌ^١ مُتَمَزِّقَةٌ ، فَقَالَ لِي : أَيْنَ رَأَيْتَ الْقَافِلَةَ ؟ قُلْتُ : فِي مَوْضِعٍ كَذَا
وَكَذَا . قَالَ : آهِ مِنَ الْبَيْنِ ، آهِ مِنَ الْبَيْنِ ، آهِ مِنْ دَوَاعِي الْحُبِّ ! قُلْتُ :
مَا دَهَاكَ ؟ فَقَالَ :

شَيَّعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا ، وَرُحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمٌ
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ ، عَلَيَّ إِذْ بَانُوا فَمَا سَلَّمُوا
سَارُوا وَلَمْ يَرْتُوا الْمُسْتَهْتَرِ ، وَلَمْ يُبَالُوا قَلْبَ مَنْ تَيَّمُوا
وَاسْتَحْسَنُوا ظُلْمِي ، فَمَنْ أَجْلُهُمْ أَحَبَّ قَلْبِي كُلِّ مَنْ يَظْلِمُ

١ الخلقان : الثياب البالية .

يوم طش بعد رش

وأخبرنا أبو بكر الاردستاني أيضاً بمكة على باب الندوة ، أخبرنا الحسين بن حبيب المذكر ،
سمعت أبا الفرج أحمد بن محمد النهاردي يقول :
مَرَرْتُ بِدَرْبِ أَبِي خَلَفَ ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ وَقُوفٌ عَلَى مَجْنُونٍ ، فَوَقَفْتُ ،
فَهَشَّ إِلَيَّ ، وَقَالَ :

اسْقِنِي قَبْلَ تَبَارِيحِ الْعَطَشِ ، إِنَّ يَوْمِي يَوْمٌ طَشٌ بَعْدَ رَشٍ^١
حُبٌّ مِّنْ أَهْوَاهُ قَدْ أَدهَشَنِي ، لَا خُلُوتُ الدَّهْرَ مِنْ ذَاكَ الدَّهَشِ

ابن أبي البغل والمغنية

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراة عليه سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ٢ ، أخبرنا
القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا ، حدثنا محمد بن أحمد بن الكاتب ، حدثني عبدوس بن
مهدي بالكرج قال :

نَزَلَ عَلَيَّ بَنُ أَبِي الْبَغْلِ ، عِنْدَ تَقَلُّدِهِ الْأَشْرَافَ ، عَلَى عَمَّالِ الْجَبَلِ ،
فَزَارَتْهُ مَغْنِيَّةٌ^٢ كَانَ بِهَا لَهْجاً عَلَى قِلَّةِ إِعْجَابِهِ بِالنِّسَاءِ ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةً ،
وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي الْبِسْتَانِ نَشْرَبُ ، وَقَدْ طَلَعَ الْقَمَرُ ، هَبَّتْ رِيحٌ عَظِيمَةٌ^٣
فَقَلَبَتْ صَوَانِينَا^٣ الَّتِي كَانَ فِيهَا شَرَابُنَا ، وَأَقْبَلَتِ الْغُلَامَانُ يَسْقُونَنَا ، فَسَكَرَ
ابْنُ أَبِي الْبَغْلِ عَلَى ضَعْفِ شُرْبِهِ وَقَامَ إِلَى مَرْقَدِهِ ، وَأَخَذَنَا مَعَهُ وَالْمَغْنِيَّةَ ،
فَلَمَّا حَصَلْنَا فِيهِ اسْتَدْعَى قَدَحاً ، وَلَنَا مِثْلَهُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَغْمُوسَةٌ فِي الْحُسْنِ مَعشُوقَةٌ ، تَقْئُلُ ذَا اللَّبِّ وَتُحْيِيهِ

١ الطش : المطر الضعيف .

٢ سنة ١٠٥١ م .

٣ الصواني : جمع صينية .

بَاتَ يُرِينِيهَا هِلَالُ الدُّجَى ، حَتَّى إِذَا غَابَ ارْتْنِيهِ
وَطَرَحَ الشُّعْرَ عَلَى الْمُغْنِيَةِ فَلَقَيْنَتْهُ وَغَنَّتْنَا فِيهِ ، وَشَرِبْنَا الْقَدَحَ ،
وَأَنْصَرَفْنَا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، وَحَضَرْنَا الْمَالِدَةَ ، وَهِيَ مَعَنَا ، فَاتَّخَذَ بِمَا
كَانَ فَحَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِمَا جَرَى ، وَلَا بِالشَّعْرِ ، وَاسْتَدْعَى دَفْتَرَهُ ،
فَأَثْبَتَ الْبَيْتَيْنِ فِيهِ .

لا قضاة للعاشقين

أُنْبَأَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامَةَ الْقَضَاعِي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الصَّبَاحِ لِعَمْرٍو
الرَّصَافِيِّ :

لَهْفِي عَلَى سَاكِنِ قَصْرِ السَّرَاهِ نَغْصَ حُبِّيهِ عَلَيَّ الْحَيَاةُ
مَا يَنْقُضِي مِنْ عَجَبٍ فِكْرَتِي فِي قِصَّةٍ فَرَطَ فِيهَا الْوَلَاهُ
تَرَكْتُ الْمُحِبِّينَ ، بِلَا حَاكِمٍ لَمْ يَنْصَبُوا لِلْعَاشِقِينَ الْقُضَاةُ
لَقَدْ أَتَانِي خَبَرٌ سَاءَ نِي مِنْ قَوْلِهَا فِي السَّرِّ : وَأَخْبَجَلَنَاهُ

حديث الجنيد

أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْفَضْلِ الْأَزْجِي سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعَمِائَةٍ ،
أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ السَّيْرَوَانِيُّ بِمَكَّةَ حَكَى عَنِ الْجَنِيدِ أَنَّهُ قَالَ :
أَعْرِفُ مَنْ قَتَلَتْهُ الْمَحَبَّةُ ، وَلَمْ يَعْرِفِ الْمَحَبَّةَ ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ ؟ فَقُلْنَا :
يَقُولُ الشَّيْخُ ! فَقَالَ : قَتَلَهُ مَا خُبِّيَ فِيهَا .

١ سَنَةَ ١٠٤٨ م .

أصناف الناس

أخبرنا عبد العزيز بن علي قراءة عليه ، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن بن جهضم بمكة من لفظه وكتابه في المسجد سنة ست وتسعين وثلاثمائة ١ ، سمعت أحمد بن محمد يقول :

كان سهل يقول : الناس ثلاثة أصناف : صنفٌ منهم مضروبٌ بسوطِ المحبة ، مقتولٌ بسيفِ الشوق ، مضطجعٌ على بابه ينتظرُ الكرامة ؛ وصنفٌ منهم مضروبٌ بسوطِ التوبة ، مقتولٌ بسيفِ الندامة ، مضطجعٌ على بابه ينتظرُ العفو ؛ وصنفٌ منهم مضروبٌ بسوطِ الغفلة ، مقتولٌ بسيفِ الشهوة ، مضطجعٌ على بابه ينتظرُ العقوبة .

ذو النون والمريض

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي ، حدثنا علي بن الحسن بمكة ، حدثنا أحمد بن عمود بن خرزاذ الهمداني ، حدثني أحمد بن جعفر الدستري ، حدثنا سعيد بن عثمان قال :

دخلَ ذو النون على مريضٍ يعودُهُ فرأى المريضَ يثني ، فقال ذو النون : ليسَ بصادقٍ في حبه مَنْ لم يصبرْ على ضربه ، فقال المريض : لا ولا صادقٍ في حبه مَنْ لم يتلذذْ بضرِّه ، فقال ذو النون : لا ولا صادقٍ مَنْ رأى حبه لربه ، عزَّ وجلَّ .

نوح داود

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني بقراءتي عليه بمكة في المسجد الحرام ، حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي ، حدثنا عبد الرحمن بن محبوب ، حدثنا زكريا بن يحيى البزاز ، حدثنا محمد ابن الحسين ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا محمد بن يحيى البصري ، حدثنا عمرو بن جميع المجلي عن عامر بن يسار عن يحيى بن أبي كثير قال :

بلغنا أنه إذا كان يومُ نوح داود ، عليه السلام ، كان يَمْكُثُ قبلَ ذلك لا يأكلُ الطعامَ ، ولا يشربُ ، ولا يَقْرَبُ النساءَ ، فإذا كان قبلَ ذلك بيومٍ أخرجَ له مَنَبَرًا إلى البرية ، وأمرَ منادياً قبلَ ذلك بيومٍ ليستنفرَ في البلادِ ومن حَوَها : ألا من أحبَّ أن يسمعَ نوح داود فليأتِ ، فتأتي الوحوشُ والسباعُ والهوامُ والطيورُ والرهبانُ والعداري من خدورهنَّ ، وبنو إسرائيل ، كلٌّ صنفٍ على حديثه ، فيصغونَ إليه . قال : وسليمانُ قائمٌ على رأسه فيأخذُ في الثناءِ على الله ، عزَّ وجلَّ ، فيضيغونَ بالصراخِ والبكاءِ ، ثمَّ يأخذُ في ذكرِ الجنةِ ، فتَمُوتُ طائفةٌ من الناسِ والوحوشِ والسباعِ والرهبانِ ، وطائفةٌ من العداري ، ثمَّ يأخذُ في ذكرِ النارِ ، فتَمُوتُ طائفةٌ منهم ، ثمَّ يأخذُ في أهوالِ القيامةِ والنوحِ على نفسه ، فتَمُوتُ طائفةٌ من هؤلاء ومن كلِّ صنفٍ .

قال : فإذا رأى سليمانُ ما قد كثرَ من الموتى في كلِّ فرقة ، نادى يا أبتاه ! قد مزقتَ المستمعينَ كلَّ مُمزَّقٍ من بني إسرائيلَ والوحوشِ والهوامِ والسباعِ . قال : فيقطعُ النوحَ ، ويأخذُ في الدعاءِ .

قال : فبينما هم كذلك إذ ناداه بعضُ عبَّادِ بني إسرائيل : يا داود ! عَجَلْتَ على ربِّكَ تَطْلُبُ الجزاءَ ، فيأخُذُ داودُ مَغْشِيًّا عليه ، فإذا نَظَرَ إليه سليمانُ وما أصابه أتى بِسَرِيرٍ ، فحمله عليه ، ثمَّ أمرَ منادياً ، فنادى : من كان له مَعَ داود حَمِيمٌ أو قَرِيبٌ ، فليأتِ بِسَرِيرٍ ، فإنَّ الذينَ كانوا معه قد قتلهم ذكرُ الجنةِ والنارِ .

قال : فكانت المرأة تأتي بالسريير ، فتقف على ابنها وأبيها وأخيها ، وهم أموات ، فينادي : وأبائي ! من قتله ذكر النار ؛ وأبائي ! من قتله ذكر الجنة ؛ وأبائي ! من قتله ذكر الخوف من الله تعالى ، حتى إن الوحوش ليجتمعن على من مات منهن فيحملنه ، وكذلك السباع والحوام .

قال : ثم يتفردون ، فإذا أفاق داود من غشيته قال لسليمان : ما فعلت عبادة بني إسرائيل ؟ فيقول سليمان : يا أبتاه ماتوا عن آخرهم . قال : فيقوم داود فيضع يده على رأسه ، ثم يدخل بيت عبادته ، ويغلق عليه بابه ثم ينادي : يا إله داود ! أغضبان أنت على داود أم كيف ذا ، إذ قصرت من الموت خوفاً منك .

أيوب في بلاته

أخبرنا عبد العزيز بن علي الطحان ، رحمه الله ، حدثنا علي بن عبد الله بمكة ، حدثني منصور بن أحمد قال :

سئل أبو العباس بن عطاء عن قوله ، عز وجل : مسني الضر ، وأنت أرحم الراحمين ؛ فقال : إن الله ، عز وجل ، سَلَطَ الدود على جسم أيوب ، عليه السلام ، كله إلا على قلبه ولسانه ، فكان القلب غنياً بالله ، عز وجل ، قوياً ، واللسان يذكر الله تعالى رطباً دائماً ، فأكل الدود الجسم كله حتى بقيت أضلأعه مشتبكة ، والعروق ممدودة ، وحتى ما بقي للدود شيء يأكله ، فسَلَطَ الله ، عز وجل ، الدود بعضه على بعض ، فأكل بعضه بعضاً ، حتى بقيت دودتان ، فجاعتا ، فشدت إحداهما على الأخرى ، فأكلتها ، وبقيت واحدة ، فجاعت فددت إلى القلب لتنفذه ، فقال أيوب ، عليه السلام ، عند ذلك : مسني الضر أن فقدت حلاوة ذكرك من قلبي ، لأنك لو جمعت البلاء كله علي بعد أن لا أفقدك من قلبي

ما وَجَدْتُ لِلْبَلَاءِ أَمَلًا ، فَأَوْحَى إِلَيَّ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَيْهِ : يَا أَيُّوبُ ! إِنَّكَ
لَتَنْظُرُ إِلَيَّ غَدًا . قَالَ : يَا رَبَّ بَهَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ ؟ قَالَ : يَا أَيُّوبُ أَجْعَلْ لَكَ
عَيْنَيْنِ يُقَالُ لهما الْبَقَاءُ ، فَتَنْظُرُ إِلَى الْبَقَاءِ بِالْبَقَاءِ .

الجارية الصوفية

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي ، حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن المملاني بمكة ، حدثنا
محمد بن عبد الله الشكلي ، حدثني محمد بن جعفر القنطري قال : قال ذو النون :

بَيْنَا أَنَا أُسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ عَلَيْهَا أَطْمَارُ شَعَرٍ ،
وَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ ، فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ ، فَرَأَيْتُهَا مُتَّصِلَةً
الْأَحْزَانِ بِالْأَشْجَانِ ، وَعَصَصَتْ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتْ الْأَمْوَاجُ ، وَظَهَرَتْ
الْحَيْثَانُ ، فَصَرَخْتُ ، ثُمَّ سَقَطْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَمَّا أَفَاقْتُ نَحَبْتُ ،
ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي ! بَكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ فِي الْخَلَوَاتِ ، وَلِعَظَمَتِكَ سَبَّحَتْ
النِّينَانُ فِي الْبَحَارِ الزَّآخِرَاتِ ، وَبَلَلَالٍ قُدْسِكَ تَصَافَقَتْ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِمَاتُ .
أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ وَالْفَلَكَ الدَّوَارُ وَالْبَحْرُ
الزَّخَّارُ وَالْقَمَرُ النَّوَّارُ وَالنَّجْمُ الزَّهَّارُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمَقْدَارٍ ، لِأَنَّكَ
اللَّهُ الْعَلِيُّ الْقَهَّارُ :

يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خَلَوَاتِهِمْ ، يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ النَّزَالُ
مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتَّيِّمًا ، قَرِحَ الْفُؤَادِ يَعُودُهُ بَلْبَالُ
مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يُرَى مُتَّيِّسًا ، فِي طُولِ حُزْنٍ لِلْحَشَا يَغْتَالُ
فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ تَرِيدِينَ ؟ فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِي ، ثُمَّ رَفَعَتْ طَرْفَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ
فَقَالَتْ :

أَحِبُّكَ حُبَّيْنِ ، حُبَّ الْوِدَادِ ، وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَ ١

١ هذه الأبيات لرابعة العدوية الصوفية المشهورة .

فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوِدَادِ ، فَحُبُّ شُغِلَتْ بِهِ عَنْ سَوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ ، فَكَشْفُكَ لِلْحُجُبِ حَتَّى أَرَاكَ
فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي ، وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
ثُمَّ شَهَقْتُ شَهَقَةً ، فَإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا ، فَبَقِيْتُ أَتَعَجَّبُ مِمَّا
رَأَيْتُ مِنْهَا ، فَإِذَا أَنَا بِنُسُوءٍ قَدْ أَقْبَلَنْ وَعَلَيْهِنَّ مَدَارِعُ الْعِشْرِ ، فَاحْتَمَلْنَهَا ،
فَغَيَّبْنَهَا عَنِّي فَغَسَلْنَهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَنْ بِهَا فِي أَكْفَانِهَا فَقُلْنَ لِي : تَقْدِمُ فَصَلِّ عَلَيْهَا ،
فَتَقَدَّمْتُ فَصَلَّيْتُ عَلَيْهَا ، وَهَنَ خَلْفِي . ثُمَّ احْتَمَلْنَهَا وَمَضَيْنَ .

ما بي جنون

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي ، حدثنا أبو الحسن بن جهم
أنشدنا محمد بن عبد الله ليحيى بن معاذ :

أَمُوتُ بِدَائِي لَا أَصِيبُ مُدَاوِيَا ، وَلَا فَرَجًا مِمَّا أَرَى مِنْ بَلَائِيَا
إِذَا كَانَ دَاءُ الْعَبْدِ حُبُّ مَلِكِيهِ ، فَمَنْ دُونَهُ يُرْجَى طَبِيبًا مُدَاوِيَا
مَعَ اللَّهِ يُمِضِي دَهْرَهُ مُتَلَدِّذَا ، مُطِيعًا ، تَرَاهُ كَانَ ، أَوْ كَانَ عَاصِيَا
يَقُولُونَ يَحْيَى جُنَّ مِنْ بَعْدِ صَحَّةٍ ، وَمَا بِي جُنُونٌ ، يَا خَلِيلِي ، مَا بِيَا

رابعة العدوية ورياح القيسي

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي، رحمه الله، بقرامتي عليه، أخبرنا
محمد بن عبد الله ابن أخي ميمي ، حدثنا الحسين بن صفوان ، حدثنا عبد الله بن محمد القرشي ،
حدثني محمد بن الحسين ، حدثني أبو معمر صاحب عبد الوارث قال :

نَظَرْتُ رَابِعَةً إِلَى رِيَّاحِ الْقَيْسِيِّ ، وَهُوَ يُقْبَلُ صَبِيًّا مِنْ أَهْلِهِ ، وَيَضُمُّهُ
إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : أَتُحِبُّهُ يَا رِيَّاح ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَتْ : مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ

في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيري . قال : فصاح رباحٌ وسقط مغشياً عليه ، ثم أفاق ، وهو يمسح العرق عن وجهه ، وهو يقول : رحمة منته ، تعالى ذكره ، ألقاها في قلوب العباد للأطفال .

دواء المحبين

أخبرنا أحمد بن علي بن الحسين البراز ، حدثنا محمد بن عبد الله القطيبي ، حدثنا الحسين بن صفوان ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إبراهيم بن عبد الملك قال : قدمت شعوانة وزوجها مكة ، فجعلتا يطوفان ويصليان ، فإذا كَلَّ الرجلُ وأعيى ، جلس ، وجلس خلفه ، فيقول هو في جلوسه : أنا العطشان من حبك لا أروى ، وتقول هي بالفارسية : أنبت لكل داء دواء في الجبال ، ودواء المحبين في الجبال لم ينبت .

يستحيي من الله

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت إن لم يكن ساعاً فإجازة ، أخبرنا علي بن أيوب ، حدثنا محمد بن عمران قال : حكى عن أبي مسلم الخشوعي أنه نظر إلى غلام جميل ، فأطال ، ثم قرأ : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب ، سبحانه الله ، ما أهجم طرفي على مكروه نفسه ، وأدمنته على سخط سيده ، وأغراه بما قد نهى عنه ، وأهجمه بالأمر الذي قد حذر منه ؛ لقد نظرت إلى هذا نظراً لا أحسب إلا أنه سيفضحني عند جميع من قد عرفني في عرصة القيامة ، ولقد تركت نظري هذا ، وأنا أستحيي من الله ، سبحانه ، وإن غفر لي . ثم صُغِقَ .

عَبَّوْا اللَّهَ أَحْيَاءَ وَإِنْ قَبَرُوا

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن شكر الخياط، حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن بمكة، حدثنا علي بن إبراهيم النقاش، سمعت أبا القاسم بن مردان، سمعت أحمد بن عيسى الحرّاز يقول :

دَعَتْنِي امْرَأَةٌ إِلَى غَسْلِ وَلَدِهَا ، ذَكَرَتْ أَنَّهُ أَوْصَى بِذَلِكَ ، فَلَمَّا كَشَفْتُ عَنْ الثَّوْبِ قَبَضَ عَلَى يَدَيَّ ، فَقُلْتُ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! حَيَاةٌ بَعْدَ مَوْتٍ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنَّ الْمُحِبِّينَ لِلَّهِ تَعَالَى أَحْيَاءٌ وَإِنْ قَبَرُوا .

العباد على ثلاث منازل

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي الخياط الشيخ الصالح، رحمه الله ، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد المملاني بمكة في المسجد الحرام ، حدثنا الخالدي ، سمعت ابن مسروق يقول :

بلغنا عن حيّان القيسي أَنَّهُ قَالَ : الْعِبَادُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى ثَلَاثِ مَنَازِلَ : قَوْمٌ يُضَنُّ بِهِمْ عَنِ الْبَلَاءِ لثَلَاثِ سَبَبَاتٍ الْجَزَعُ سَرَّهُمْ ، فَتَكُونُ هَذِهِ حِكْمَةً ، أَوْ يَكُونُ فِي صُدُورِهِمْ حَرَجٌ مِنْ قَضَائِهِ ؛ وَقَوْمٌ يُضَنُّ بِهِمْ عَنِ مَسَاكِنَةِ أَهْلِ الْمَعَاصِي لثَلَاثِ تَغَمُّ قُلُوبِهِمْ ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَلِمَتْ صُدُورُهُمْ لِلْعَالَمِ ؛ وَقَوْمٌ صَبَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ صَبًّا ، فَمَا أَزْدَادُوا لَهُ إِلَّا حَيًّا .

تاه في حب الله

أخبرنا عبد العزيز بن علي ، حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا الحسن بن يحيى بن حمويه ، حدثنا
عبيد الله بن عمر ، حدثني إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن الحسن البلخي عن إبراهيم بن أدهم
قال :

وَجَدْتُ يَوْمًا رَاحَةً ، وَطَابَ قَلْبِي لِحُسْنِ صُنْعِ اللَّهِ بِي وَاخْتِيَارِهِ لِي ، فَقُلْتُ :
اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا مِنَ الْمُحِبِّينَ لَكَ مَا أَسْكَنْتَ بِهِ قُلُوبَهُمْ قَبْلَ
لِقَائِكَ ، فَأَعْطِنِي ذَلِكَ ، فَلَقَدْ أَضْرَبَ بِي الْقَلْقُ . قَالَ : فَرَأَيْتُ اللَّهَ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ،
فِي النَّوْمِ ، فَوَقَّعْتَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ ! مَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي ، تَسْأَلُنِي
أَنْ أَعْطِيكَ مَا يَسْكُنُ بِهِ قَلْبُكَ قَبْلَ لِقَائِي ، وَهَلْ يَسْكُنُ قَلْبُ الْمُشْتَاقِ إِلَى
غَيْرِ حَبِيبِهِ أَمْ هَلْ يَسْتَرِيحُ الْمُحِبُّ إِلَى غَيْرِ مَنْ اشْتَاقَ إِلَيْهِ ؟ فَقُلْتُ : يَا رَبِّ !
تِهَتْ فِي حَبْلِكَ ، فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ .

عمر والزاني القاتل

أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه ، حدثنا
أبو بكر محمد بن خلف المحولي ، حدثنا أبو الفضل أحمد بن ملاح ، أخبرني محمد بن سعيد
الاصميهاني ، أخبرنا علي بن مسهر عن أبي عاصم الثقفي عن الشعبي قال :

كَانَ أَخْوَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَخَرَجَ أَحَدُهُمَا فِي بَعْثٍ ، وَتَخَلَّفَ
الْآخَرُ عِنْدَ امْرَأَةِ أَخِيهِ . فَقَالَتِ امْرَأَةُ الْمُقِيمِ لَهُ : أَشَعُرْتُ أَنَّ امْرَأَةَ أَخِيكَ
يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا رَجُلٌ . قَالَ لَهَا : فَإِذَا جَاءَ فَأَعْلِمِينِي ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ ، وَبَيْنَهَا
وَبَيْنَهُ حَائِطٌ ، فَوَضَعَتْ لَهُ سُلَّمًا ، فَصَعِدَ ، فَأَشْرَفَ ، فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَةِ أَخِيهِ
تُوقِدُ لَهُ نَارًا ، وَتَشْوِي لَهُ دَجَاجَةً ، وَهُوَ يَقُولُ :

وَأَشَعَّتْ غَرَمَ الْإِسْلَامِ مِنِّي ، خَلَوْتُ بِعِزِّهِ لَيْلَ التَّامِّ

أَبِيتُ عَلَى تَرَائِبِهَا، وَيُتَمَسِّي عَلَى جَرْدَاءَ لَاحِقَةِ الْحَزَامِ
كَأَنَّ جَمَاعَ الرِّبَلَاتِ مِنْهَا ، نِيَامٌ يَنْهَضُونَ إِلَى قِيَامِ
فَنَزَلَ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا
أَصْبَحَ قَامَ خَطِيباً فَقَالَ : أُنْشِدُ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ رَجُلًا عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ هَذَا
الْمَقْتُولِ إِلَّا أَنبَأَ بِهِ . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ وَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهِ . فَقَالَ
عُمَرُ : أُبْعِدْهُ اللَّهُ وَأَسْحَقْهُ .

نصر بن حجاج وامرأة السلمي

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الأبنوسي ، حدثنا أبو محمد علي بن عبد الله بن المغيرة ، حدثنا
أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا علي بن أحمد الواسطي ، حدثني إبراهيم بن الربيع ، حدثني
سماك بن عطية قال :

لَمَّا قَدِمَ نَصْرُ بْنُ حُجَّاجٍ الْبَصْرَةَ نَزَلَ عَلَى مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودِ السُّلَمِيِّ ،
فَبَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَتَحَدَّثُ هُوَ وَأَمْرَأَتُهُ كَتَبَ عَلَى رَمْلٍ هَمٌّ عَلَيْهِ قَعُودٌ : أَنَا
أُحِبُّكَ . قَالَ : فَكَتَبَتْ هِيَ : وَأَنَا كَذَلِكَ ، فَدَعَا بِإِجَانَةٍ ، وَوَضَعَهَا
عَلَى الْكِتَابَةِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا غُلَامَهُ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ قَالَ :
أَنَا أُحِبُّكَ ، وَأَنَا كَذَلِكَ ، فَدَعَاها وَدَعَاهَا ، وَقَالَ لَهَا : ضُمَّيْهِ إِلَى صَبْرِكَ يَذْهَبُ
عَنْكَمَا مَا أَتَمُّمَا فِيهِ .

١ الإجابة : وعاء تفعل فيه الثياب .

ضحيتا الهوى

وجدت بخط أبي صر بن حيويه ونقلته منه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المربان ،
أخبرني صالح بن يوسف المحاربي قال : أخبرني أبو عثمان المازني ، أخبرنا العتيبي عن
شبابة بن الوليد العلوي

أن فتى من بني عُدرة ، يُقال له أبو مالك بن النضر ، كان عاشقاً لابنة
عم له عشقاً شديداً ، فلم يزل على ذلك مدة ، ثم إنه فقِدَ بِضْعَ عشرة
سنة ، ولم يُحسَّ له خبر .

قال شبابة بن الوليد : فضلت إبل لي ، فخرجت في طلبها ، فبينا أنا
سير في الرمال إذا بهاتف بهتف بصوت ضعيف ، وهو يقول :

يا ابن الوليد ألا تحمون جاركم ، وتحفظون له حق القرابات
عهدي إذا جار قوم نابه حدث
هذا أبو مالك المسمى ببلقعة ،
مع الضباع وآساد بغابات
طليح شوق ينار الحب محرق
تعتاده زفات إثر لوعات
أما النهار فيضنيه تذكره ،
والليل مرتقب للصبح هل يأتي؟
يهدي بجارية من عُدرة اختلست
فؤاده ، فهو منها في بليات

فقلت : دلني عليه ، رحمك الله ، فقال : نعم ، اقصد الصوت ، فلما
قصدت غير بعيد سمعت أنبأ من خباء فأصغيت إليه ، فإذا قائل يقول :
يا رئيس الهوى أذبت فؤادي ، وحشوت الحشا عذاباً أليماً

فدنوت منه ، فقلت : أبو مالك ؟ قال : نعم ! قلت : ما بلغ بك ما أرى ؟
قال : حيي سعاد ابنة أبي الهيثم العذري ، فشكوت يوماً إلى ابن عم
لنا من الحي ما أجد من حبها ، فاحتملني إلى هذا الوادي ، منذ بضع عشرة

سَنَةً ، وَيَأْتِنِي كُلَّ يَوْمٍ بِخَبْرِهَا ، وَيَقُوتُنِي ، حَفْظُهُ اللَّهُ ، مِنْ عِنْدِهِ . فَقَلِبْتُ
 لَهُ : إِنِّي أَصِيرُ إِلَى أَهْلِهَا ، فَأَخْبِرُهُمْ بِمَا رَأَيْتُ ، قَالَ : أَنْتَ وَذَاكَ .
 فَاَنْصَرَفْتُ ، وَصِرْتُ إِلَى أَهْلِ الْخَارِيَةِ ، فَخَبَرْتُهُمْ بِحَالِ الْقِسِيِّ ، وَمَا
 رَأَيْتُ مِنْهُ ، وَحَدَّثْتُهُمْ حَدِيثَهُ ، فَرَقُّوا لَهُ فِرَاقَهُ بِحَضْرَتِي ، وَرَجَعْتُ
 إِلَيْهِ عَامِداً لِأَفَرِّجَ عَنْهُ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ ، فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، حَبَّدَ النَّظَرَ
 إِلَيَّ ، ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوُّهاً شَدِيداً بَلَغَ مِنْ قَلْبِي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :
 الْآنَ إِذْ حَشَرَجْتُ نَفْسِي وَحَاصَرَهَا فِرَاقُ دُنْيَا ، وَتَكَادَاهَا مُنَادِيهَا
 ثُمَّ زَفَرَ زَفْرَةً ، فَمَاتَ ، فَدَفَنْتُهُ فِي مَوْضِعِهِ ثُمَّ اَنْصَرَفْتُ فَأَعْلَمْتُهُمْ
 الْخَبَرَ ، فَأَقَامَتِ الْخَارِيَةُ ثَلَاثًا لَا تَطْعَمُ طَعَاماً ثُمَّ مَاتَتْ .

غصص الموت

أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
 الْقَاسِمِ الْأَلْبَارِيُّ

أُنْشَدَنِي أَبِي عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ لِأَبِي نَوَاسٍ :

إِنَّ فِي وَصْلِ مَنْ أَحَبَّ دَوَائِي ، وَيَكْفِيهِ ، إِنَّ أَحَبَّ ، شِفَائِي
 إِنَّ أُمْتُ ضَيْعَةٍ ، فَلَمْ أَجْنِ ذَنْبًا ، مِنْ حَبِيبِ أَمَاتَ حُسْنِ عَزَائِي
 كُلَّ يَوْمٍ يُذَيِّقُنِي غُصَصَ الْمَوْتِ تِ بِصَدِّ يُرِيشُهُ بِالْحَقَاءِ

الدماء المطلولة

ولي من أثناء أبيات كتبها إلى بعض الأدباء :

كم دم للعشاق أهریق بالهَج ر إلى رُكن كعْبَةٍ غراء
وذي ماء العشاق مَطْلُولَةٌ لِي سَ لها، فاعلموه، من أولياء
تسل بِمَجْنُونٍ عَامِرٍ وَأَخِي عُدَّ رة، ما كان منه مع غراء
وَجَمِيلٍ وَقَيْسٍ لُبْنَى، وَغَيْلا ن، وَخَلَقٍ يَفُوتُهُمْ إحصائي

ولي أيضاً من أثناء قصيدة مدحت بها بعض الرؤساء بالإسكندرية :

فَلَيْلَهُ مَا أَبْقَى الْهَوَى مِنْ حُشَّاشَةٍ بِهَما للتوى داء يعز دواه
قلوب رماه البين يوم فراقهم يستهم وما أخطاه حين رماه

ولي من أثناء قصيدة :

وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ بِالرَّمْلِ بَيْنَنَا كَأَنَّا إِلْدَةُ فَوقَ الْحَشَايَا
إِذَا ابْتَسَمْتَ، وَسِرُّ اللَّيْلِ مُرْخَى، أَضَاءَ لَنَا الدَّجَى بَرَقُ الشَّنَايَا
نُدِيرُ حَدِيثَ مَنْ قَتَلَتْهُ خَوْدٌ، وَمَنْ فِي الْحُبِّ نَالَتْهُ الرِّزَايَا
كَمَجْنُونٍ وَقَيْسٍ قَيْسٍ لُبْنَى، وَمَنْ أَبْدَى لَهُ الْحُبُّ الْحَبَايَا

ليلي الأخيلية والحجاج

أخبرنا أبو جعفر بن مسلمة في ما أذن لنا في روايته أن أبا القاسم اسماعيل بن سعيد بن سويد أخبرهم إجازة قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، حدثني أبي ، حدثنا أحمد ابن عبيد عن أبي الحسن المدائني عن حدثه عن مولى لعنبة أن سعيد بن العاص قال :

كنتُ أدخلُ مع عَنبَسَةَ بن سعيد إذا دَخَلَ على الحَجَّاج ، فدَخَلَ يوماً ، فدَخَلْتُ إليهما ، وكِيسٌ عند الحَجَّاج غيرُ عَنبَسَةَ ، ففَعَدْتُ فجِيءَ الحَجَّاج بطَبَقٍ فيه رُطَبٌ ، فأخَذَ الخَادِمُ منه شيئاً فجاءني به ، ثمَّ جِيءَ بطَبَقٍ ، حتَّى كَثُرَتِ الأطباقُ ، وجعل لا يُؤْتَوْنَ بشيءٍ إلَّا جاءني منه بشيءٍ ، حتَّى ظَنَنْتُ أنَّ ما بينَ يديَّ أَكْثَرُ ممَّا عندهم ، ثمَّ جاء حاجبٌ فقال : امرأةٌ بالباب ، فقال له الحَجَّاج : أدخلها ! فدَخَلَتْ ، فلمَّا رَأَاهَا الحَجَّاجُ ، طأطأ رأسه حتَّى ظَنَنْتُ أنَّ ذَقْنَه قد أَصَابَ الأرضَ ، فجاءتُ حتَّى قَدَّ بِينَ يديه ، فنظَرْتُ إليها فإذا هي امرأةٌ قد أَسْتَت ، حَسَنَةُ الخَلْقِ ، ومِ جارِيتانِ لها ، وإذا هي ليلي الأَخِيلِيَّةُ ، فسألها الحَجَّاجُ عن نَسَبِها ، فانتَسَبَتْ له ، فقال لها : يا ليلي ما أتى بك ؟ فقالت : إِيخلافُ النِّجومِ ، وَقِلَّةُ الغيومِ ، وَكَلْسُ البرْدِ ، وَشِدَّةُ الجُهدِ ، وَكُنْتُ لنا بَعْدَ اللَّهِ الرُّفْدُ .

فقال لها : صِفي لنا الفِجَاجَ^١ .

فقالت : الفِجَاجُ مُخْبِرَةٌ ، والأَرْضُ مُقْشَعِرَةٌ ، وَالمَنْزِلُ مَعْتَلٌ ، وَذو العِيَالِ مُخْتَلٌ ، وَالهالكُ المَقْتَلُ ، وَالنَّاسُ مُسْتَنُونَ^٢ ، رَحْمَةُ اللَّهِ بِرَجُلٍ . وَأَصَابَتْنَا سَنُونٌ مَجْحُفَةٌ مَبْطَلَةٌ لَمْ تَدْعُ لَنَا هَيْعاً وَلَا رَيْعاً ، وَلَا عَافِيَةً^٣

١ الفِجَاجُ ، الواحدُ فِج : الطريقُ الواسعُ الواضحُ بينَ جبلين .

٢ مُسْتَنُونَ ، من أسَلَتْ : أَصَابَهُ الجُذبُ والقَطْعُ .

٣ المِيعُ ، لَمَلُهُ جَمْعُ المِيعَةِ : سَهْلَانِ النِّفْهِ المِصْبوبِ على وَجْهِ الأرضِ فيكونُ المِرادُ ماءً . الرِّيعُ : الدَّلَّةُ . العَافِيَةُ : النِّمِجَةُ .

وَلَا نَافِطَةٌ ، أَذْهَبَ الْأَمْوَالَ ، وَفَرَّقَتِ الرِّجَالَ ، وَأَهْلَكَتِ الْعِيَالَ . ثُمَّ قَالَتْ :
إِنِّي قَدْ قُلْتُ فِي الْأَمِيرِ قَوْلًا ! قَالَ : هَاتِي ، فَأَنْشَأْتُ تَقُولُ :

أَحْجَاجُ لَا يُفْلِلُ سِلَاحُكَ إِنَّمَا ۖ مَنَابِئًا بِكَفِّ اللَّهِ حَيْثُ تَرَاهَا
أَحْجَاجُ لَا تُعْطِي الْعَصَاةَ مَنَاهُمُ ، وَلَا اللَّهُ يُعْطِي لِلْعَصَاةِ مَنَاهَا
إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَقَّاهَا
شَقَّاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاسَةَ سَقَّاهَا
سَقَّاهَا ، فَتَرَوَاهَا بِشُرْبِ سِجَالِهِ دِمَاءُ رِجَالٍ حَيْثُ قَالَ حَمَاهَا ۚ
إِذَا سَمِعَ الْحَجَّاجُ رِزًّا كَتِيبَةً ، أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النَّزُولِ قِرَاهَا ۛ
أَعَدَّ لَهَا مَسْمُومَةً فَارِسِيَّةً بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا ،
فَمَا وَلَدَ الْأَبْكَارُ وَالْعُونَ مِثْلَهُ ، بِنَجْدٍ وَلَا أَرْضٍ يَجِيفُ تَرَاهَا ۙ

قَالَ : فَلَمَّا قَالَتْ هَذَا ، قَالَ الْحَجَّاجُ : قَاتِلْهَا اللَّهُ ! مَا أَصَابَ صِفَتِي
شَاعِرٌ مَذْذَخَاتُ الْعِرَاقِ غَيْرَهَا ؛ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى عَنَبَةَ بْنِ سَعِيدٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ
إِنِّي لِأُعِيدُ لِلْأَمْرِ عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ أَبَدًا ؛ ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ : حَسْبُكَ .
قَالَتْ : إِنِّي قَدْ قُلْتُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، قَالَ : حَسْبُكَ ، وَيَحْكُ حَسْبُكَ ؛ ثُمَّ
قَالَ : يَا غُلَامُ اذْهَبْ إِلَى فُلَانٍ فَقُلْ لَهُ اقْطَعْ لِسَانَهَا . قَالَ : فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
الْحَجَّامِ ، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ ! أَمَّا سَمِعْتَ مَا قَالَ ؟
إِنَّمَا أَمْرُكَ أَنْ تَقْطَعَ لِسَانِي بِالصَّلَةِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَسْتَبْثِهِ ، فِاسْتَشَاطَ الْحَجَّاجُ

١ النافطة : العنز .

٢ السجال ، الواحد سجل : الدلو المظيمة .

٣ الرز : الصوت الجعيد .

٤ أرادت بالمسمومة الفارسية : الرماح . الصرى : بقية الشيء .

٥ العون ، الواحدة عونان : من كانت في منتصف السن .

غَضَبًا ، وَهَمَّ بِقَطْعِ لِسَانِهِ وَقَالَ : ارْذُدْهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ :
 كَادَ ، وَأَمَانَةُ اللَّهِ ، يَقْطَعُ مِقْوَلِي . ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :
 حَجَّاجُ ! أَنْتَ الَّذِي مِمَّا فَوْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَنْغَفِرُ الصَّمَدُ^١
 حَجَّاجُ ! أَنْتَ شَهَابُ الْحَرْبِ إِذْ لَقِيتَ ، وَأَنْتَ لِلنَّاسِ فِي جَنَحِ الدُّجَى تَقِيدُ
 ثُمَّ أَقْبَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى جُلْسَانِهِ فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : لَا وَاللَّهِ
 أَيْهَا الْأَمِيرُ ! إِنَّا لَمْ نَرَ امْرَأَةً قَطَّ أَفْصَحَ لِسَانًا وَلَا أَحْسَنَ مُحَاوَرَةً وَلَا
 أَمْلَحَ وَجْهًا وَلَا أَرْصَنَ شِعْرًا مِنْهَا . فَقَالَ : هَذِهِ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ الَّتِي مَاتَ
 تَوْبَةُ الْخَفَّاجِيِّ مِنْ حُبِّهَا ، ثُمَّ التَفَقَّتْ إِلَيْهَا فَقَالَ : أَشَدُّنَا يَا لَيْلَى بَعْضَ مَا
 قَالَ فِيكَ تَوْبَةُ . فَقَالَتْ : نَعَمْ أَيْهَا الْأَمِيرُ ، هُوَ الَّذِي يَقُولُ :
 وَهَلْ تَبْكِينَ لَيْلَى إِذَا مَا بَكَتُهَا وَقَامَ عَلَى قَبْرِ النَّسَاءِ النَّوَائِحُ^٢
 كَمَا لَوْ أَصَابَ الْمَوْتُ لَيْلَى بِكِتْهَا ، وَجَادَ لَهَا دَمْعٌ مِنَ الْعَيْنِ سَافِحُ
 وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنْالُهُ ؛ بَلَى ! كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ
 وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلِمَتْ عَلَيَّ ، وَدُونِي تَرْبَسَةٌ وَصَفَائِحُ^٣
 لَسَلِمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا^٤ إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ^٥
 فَقَالَ لَهَا : زَيْدُنَا يَا لَيْلَى مِنْ شَعْرِهِ ، فَقَالَتْ : هُوَ الَّذِي يَقُولُ :
 حَمَامَةٌ بِطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرْتَمِي ، سَقَاكِ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا^٥

١ الصمد : من الأسماء الحسنى ومعناه الدائم .

٢ قوله : إِذَا مَا بِكِتْهَا ، هكذا في الأصل ولعل اللفظة محرفة .

٣ الصفائح : الحجارة المراض ، الواحدة صفيحة .

٤ زقا : صاح . الصدى : طائر زعمت العرب انه يخرج من رأس القليل فلا يزال يصيح عطشان
 اسقوني إلى أن يؤخذ بثأره .

٥ الفر : البيض ، أي السحاب البيض . الغواضي ، واحدها غادية : السحابة التي تمر غدوة .

أبيني لنا ، لا زالَ ريشُك ناعِمًا ؛ ولا زِلتَ في خُضراءِ غُصنٍ نَضِيرُهَا
وأشرفُ بالقَوَزِ البَقاعِ لَعَلَّتِي أَرى نَارَ لَيْلى أَوْ يَرَانِي بَصِيرُهَا^١
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلى تَبَرَّقَعَتْ ، فَقَدْتُ رَأْيِي مِنْهَا الْغَدَاةَ سَفُورُهَا
يَقُولُ رِجَالٌ : لا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا ! بَلَى ! كُلُّ مَا شَفَّ النَّفُوسَ يَضِيرُهَا
بَلَى ! قَدِ يَضِيرُ الْعَيْنَ أَنْ تُكْثَرَ الْبُكَى ، وَيُمْنَعُ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا
وَقَدْتُ زَعَمْتُ لَيْلى بِأَنِّي فَاجِرٌ ، لِنَفْسِي تُقَاهَا ، أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا

فَقَالَ لَهَا الْحِجَاجُ : يَا لَيْلى مَا الَّذِي رَأَيْتَهُ مِنْ سَفُورِكَ ؟ فَقَالَتْ : أَبَيْهَا
الْأَمِيرُ ، كَانَ يَلِيمُ بِي كَثِيرًا ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ يَوْمًا أَنِّي أَتَيْكَ ، وَفُظِنَ الْحَيُّ ،
فَأَرْصَدُوا لَهُ ، فَلَمَّا أَتَانِي سَقَرْتُ ، فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ لَشَرٍّ ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى التَّسْلِيمِ
وَالرَّجُوعِ . فَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ ، فَهَلْ رَأَيْتَ مِنْهُ شَيْئًا تَكْرِهِيهِ ؟ فَقَالَتْ :
لَا وَالَّذِي أَسْأَلُهُ أَنْ يُصْلِحَكَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لِي مَرَّةً قَوْلًا ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ
خَضَعَ لِبَعْضِ الْأَمْرِ ، فَقُلْتُ لَهُ :

وَذِي حَاجَةٍ قُلْنَا لَهُ : لا تَبْجُحْ بَهَا فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَيَّيْتُ سَبِيلُ^٢
لَنَا صَاحِبٌ لا يَسْتَبْغِي أَنْ نَخُونَهُ ، وَأَنْتَ لِأَخْرَى فَارِغٌ وَحَلِيلُ^٣
فَلَا وَالَّذِي أَسْأَلُهُ أَنْ يُصْلِحَكَ مَا رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا . حَتَّى فَرَّقَ الْمَوْتُ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ . قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَتْ : لَمْ يَلْبِثْ أَنْ خَرَجَ فِي غَزَاةٍ لَهُ فَأَوْصَى ابْنَ
عَمِّهِ : إِذَا أَتَيْتُ الْحَاضِرَةَ مِنْ بَنِي عُبَادَةَ ، فَنَادِ بِأَعْلَى صَوْتِكَ :

عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ! هَلْ أَبَيْتُ لَيْلَةً مِنْ الدَّهْرِ لا يَسْرِي إِلَيَّ خَيْالُهَا
فَخَرَجْتُ وَأَنَا أَقُولُ :

وَعَنْهُ عَفَا رَبِّي ، وَأَحْسَنَ حَالَهُ ، فَعَزَّ عَلَيْنَا حَاجَةٌ لا يَسْأَلُهَا

١ القوز : الكتيب من الرمل . البقاع : المشرف . البصير : المجاور للنار ، وأراد به ليل .

٢ الفارغ ، إما من فرغ : قلق ، أو انه متفرغ لها . الحليل : الزوج .

قال : ثمّ ماذا ؟ قالت : لم يلبّث أن مات ، فأتاني نعيه . قال : فأُنشدنا بعضَ مرّائكِ ، فأُنشدت :

لَتَبْكِ عَلَيْهِ مِنْ خَفَاجَةٍ نُسُوءٍ ، بِمَاءِ شُؤْنِ الْعَبْرَةِ الْمُتَحَدِّرِ
قال : فأُنشدنا :

كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخِ قَلَائِصَ يَفْحَصْنَ الْحَصَا بِالْكَرَاكِزِ
فلَمَّا فرَغَتْ من القصيدة قال مُحَصِّنُ الْفَقْعَسِيِّ ، وكان من جلساء
الحجّاج : مَنْ هذا الذي تقول هذه هذا فيه ؟ فوالله إني لأظنّها كاذبة .
فَنظَرْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! إِنَّ هَذَا الْقَائِلَ لَوُ رَأَى تَوْبَةَ لِسِرِّهِ
أَنْ لَا يَكُونَ فِي دَارِهِ عَذْرَاءٌ إِلَّا وَهِيَ حَامِلٌ مِنْهُ . فَقَالَ الْحَجّاجُ : هَذَا وَأَبْيَكُ
الْجَوَابَ ، وَقَدْ كُنْتَ عَنْهُ غَنِيًّا .

ثُمَّ قَالَ لَهَا : سَلِي يَا لَيْلَى تُعْطِي . قَالَتْ : أَعْطِ فَمِثْلُكَ أَعْطَى فَأَجْزَلَ .
قال : لك عشرون . قالت : زِدْ فَمِثْلُكَ زَادَ فَأَجْمَلَ . قال : لك أربعون .
قَالَتْ : زِدْ فَمِثْلُكَ زَادَ فَأَفْضَلَ . قال : لك ستون . قالت : زِدْ فَمِثْلُكَ
زَادَ فَأَكْمَلَ . قال : لك ثمانون . قالت : زِدْ فَمِثْلُكَ زَادَ فَأَتَمَّ .
قال : لك مائة ، وَعَلِمِي يَا لَيْلَى أَنَّهَا غَنَمٌ ، قَالَتْ : مَعَاذَ اللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،
أَنْتَ أَجُودُ جُوداً وَأَجْمَدُ مَجْداً وَأَوْرَى زَنْدًا مِنْ أَنْ تَجْعَلَهَا غَنَمًا . قال :
فَمَا هِيَ وَيَحْكُ يَا لَيْلَى ؟ قَالَتْ : مَائَةٌ نَاقَةٌ يُدْعَى بِهَا . فَأَمَرَ بِهَا ثُمَّ قَالَ : أَلَكِ
حَاجَةٌ بَعْدَهَا ؟ قَالَتْ : تَدْفَعُ إِلَيَّ النَّابِغَةَ الْجَعْدِي فِي قَرْنٍ . قال : قد فعلتُ .
وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النَّابِغَةُ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ هَارِبًا عَائِذًا بِعَبْدِ
الْمَلِكِ ، فَاتَّبَعَتْهُ إِلَى الشَّامِ ، فَهَرَبَ إِلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ بِخَرَّاسَانَ ، فَأَتْبَعَتْهُ ،
عَلَى الْبَرِيدِ ، بَكْتَابِ الْحَجّاجِ إِلَى قُتَيْبَةَ ، فَمَاتَ بِقَوْمَسَ ، وَيُقَالُ بِحُلُوتَانَ .

١ خفاجة : رهط توبة .

٢ يفحصن : يحفرن . الكراكر ، واحدها كركرة : صدر البعير .

علي بن صالح والقينة

ذكر أبو عمر بن حيويه في ما نقلته من خطه قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا الحسين ابن جعفر قال : حدثنا عبد الله بن أحمد العبدي قال : حدثني سليمان بن علي الهاشمي

أنّ عليّ بن صالح بن داود ذكرَ عن جارية من القيان أنّها تميلُ إليه حبةً وكلفاً ، وكانت موصوفةً بالأدبِ شاعرةً ، فكرِهَ مُراسَلَتَها ، فحضرَ يوماً عندَ بعضِ أهلِ البصرة ، وكانت عنده ، فلما رأتُ عليّ بن صالح قالت : طابَ عيشُنَا في يومنا هذا ، فلم يلتفتْ إليها وأطرقتُ هي أيضاً فلم تنظرُ إليه ، ثمّ دعت بدواةٍ فكتبت على منديل ، كان معها ، ثمّ غافلت أهلَ المجلس ، فألقت إليه المنديل ، فأخذه فإذا فيه :

لَعَلَّ الَّذِي يَسْبُلُو بِحُبِّكَ يَا فَتَى ، يَرُدُّكَ لِي يَوْماً إِلَى أَحْسَنِ الْعَهْدِ
قال : فما هوَ إلاّ أن قرأتُ الشعرَ حتّى وجَدْتُ في قلبي من أمرِها مثلَ النَّارِ ، وقمتُ فانصرفتُ خوفاً من الفضيحة ، ثمّ لم أزلُ أعملُ الخيلةَ في ابتياعِها من حيثُ لا تعلمُ ، فعسرَ ذلك عليّ ، فعزّتُها الخيرة ، وما عزمتُ عليه من ابتياعها ، فأعانتني على ذلك حتّى ملكتها ، فلم أوثر عليها أحداً من حرّمي ، ولا أهلي ، ولا كان عندي شيءٌ يعدلُها ، فتوفيتُ ، فأنا لا عيشَ لي بعدها ، ولا سرور . فوالله ما لبثَ بعدَ هذا الكلام إلاّ أيتاماً يسيرةً حتّى ماتَ أسفاً عليها ، وكَمَدّاً ، فدُفِنَ إلى جنبها .

ريقتة مدام

ولي من قصيدة أولها :

قَفِي أَخْبِرْكِ مَا صَنَعَ الْغَرَامُ ، عَشِيَّةَ قَوْضَتِ تِلْكَ الْخِيَامُ
لَقَدْ فَتَكَ الْهَوَى بِي يَوْمَ سَارُوا ، وَلَوْ لَمْ يُؤْثِرُوا قَتْلِي أَقَامُوا

سَرَوْا وَاللَّيْلُ فِي ثَوْبِي حِدَادٍ ، وَقَدْ أَلْقَى مَرَّاسِيَهُ الظَّلَامُ
وَقَدْ هَتَكُوا الْأَكِلَةَ عَنْ بُدُورٍ كَوَامِنَ لَيْسَ يَبْرَحُهَا التَّمَامُ
وَفِي الْأَحْدَاجِ ذُو لَعَسٍ ، لِمَاهُ ، لَنَا كَأْسٌ ، وَرَيْقَتُهُ مُدَامُ
رَمَى ، وَقَلُوبُنَا الْأَغْرَاضُ ، فَانْظُرْ بَعَيْنِكَ هَلْ تَطْيِيشُ لَهُ سِيَهَامُ

عشق ليس فيه فحش

أنبأنا أبو محمد الجوهري ، أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس الخزاز ، حدثنا أبو بكر محمد بن خلف المحولي ، حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال : حدثنا العتبي قال :

كان عند خالد بن عبد الله فقهاء من أهل الكوفة ، فيهم أبو حمزة الثمالي ، فقال خالد : حدثونا بحديث عشقٍ ليس فيه فُحْش ! فقال أبو حمزة الثمالي : أصْلَحَ اللهُ الأميرَ ! زَعَمُوا أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ غَدْرُ النِّسَاءِ وَسُرْعَةُ تَزْوِيجِهِنَّ . فقال هشام : إِنَّهُ لِيُبلغني من ذلك الْعَجَبُ . فقال بعض جلسائه : أَنَا أَحَدُ تِلْكَ عَمَّا بُلِغني من ذلك .

بلغني أَنَّ رَجُلًا من بني يَشْكُرَ يَقَالُ لَهُ غَسَّانُ بْنُ مَهْزَمٍ مِنَ الْعَافِرِ ، كَانَتْ تَحْتَهُ ابْنَةُ عَمٍّ لَهُ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عَقْبَةَ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الْأَبَجَرِ ، وَكَانَ لَهَا حُبًّا ، وَكَانَتْ هِيَ لَهُ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ مُفَارِقٌ الدُّنْيَا ، قَالَ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ . ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا أُمَّ عَقْبَةَ ! اِسمعي مَا أَقُولُ ، وَأَجِيبيني بِحَقِّ ، فَقَدْ تَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَى مَسْأَلَتِكَ عَنْ نَفْسِكَ ، بَعْدَمَا يُؤَارِنِي التَّرَابُ . فَقَالَتْ : قُلْ ، فَوَاللَّهِ لَا أَجِيبُكَ بِكَذِبٍ وَلَا جَعَلَنَّهُ آخِرَ خِطَابٍ مِنِّي . فَقَالَ ، وَهُوَ يَبْكِي بَكَاءً مَنَعَهُ الْكَلَامُ :

١ الاحْداج ، الواحدة حداجة : ما تركب فيه النساء على البعير . اللس : سواد مستحسن في الشفة . اللي : سرة أو سواد في باطن الشفة .

أخبريني بِمَا تُرِيدِينَ بَعْدِي ، وَالَّذِي تُضْمِرِينَ يَا أُمَّ عُقْبَةَ
تَحْفَظْنِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي لِمَا قَدْ
أَمْ تُرِيدِينَ ذَا جَمَالٍ وَمَالٍ ، وَأَنَا فِي التَّرَابِ فِي سُحْقٍ غُرْبَةٍ
فَأَجَابَتْهُ بِبُكَاءٍ وَانْتَحَابٍ :

قَدْ سَمِعْنَا الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ خِفْتَهُ يَا خَلِيلُ مِنْ أُمَّ عُقْبَةَ
أَنَا مِنْ أَحْفَظِ الْأَنْامِ وَأَرْعَا هُمَ لِمَا قَدْ أُولِيَتْ مِنْ حُسْنِ صُجْبَةٍ
سَوْفَ أَبْكِيكَ مَا حَيِّيتُ بِشَجْوٍ وَمَسَرَّاتٍ أَقُولُهَا وَيَنْدُبُهُ
قَالَ : فَلَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ طَابَتْ نَفْسُهُ ، وَفِي النَّفْسِ مَا فِيهَا ، فَقَالَ :

أَنَا وَاللَّهِ وَائِقٌ مِنْكَ لَكِنْ رُبَّمَا خِفْتُ مِنْكَ غَدَرُ النِّسَاءِ
بَعْدَ مَوْتِ الْأَزْوَاجِ يَا خَيْرَ مَنْ عُو شِيرَ فَارْعِي حَقِّي بِحُسْنِ الْوَفَاءِ
إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِي الْعَهْدَ دَا ، فَكُونِي لِي مَتًى عِنْدَ الرَّجَاءِ

قَالَ : ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانَهُ ، فَلَمْ يَنْطِقْ حَتَّى مَاتَ . فَلَمْ تَكَلِّمْهُ بَعْدَهُ
حَتَّى خُطِبَتْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَرَغِبَ فِيهَا الْأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الْحِصَالِ
الْفَاضِلَةِ فِيهَا مِنَ الْعَقْلِ وَالْحِمَالِ وَالْعَفَافِ ، فَقَالَتْ مُجِيبَةً لَهُمْ :

سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ وَأَرْعَاهُ حَتَّى نَلْتَقِيَ يَوْمَ نُحْشَرُ
وَأَلِي لِي شُغْلٌ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكَفُّوا ! فَمَا مِثْلِي بِمَنْ مَاتَ يَغْدُرُ
سَأَبْكِي عَلَيْهِ مَا حَيِّيتُ بِعَبْرَةٍ تَجُولُ عَلَى الْخَلْدَيْنِ مِنِّي وَتَحْدُرُ

فَأَيْسَرَ النَّاسُ مِنْهَا حِينًا ، فَلَمَّا مَرَّتْ بِهَا الْأَيَّامُ نَسِيَتْ عَهْدَهُ وَقَالَتْ :
مَنْ مَاتَ فَقَدْ فَاتَ ، فَأَجَابَتْ بَعْضَ خُطَّابِهَا ، فَتَرَوَّجَهَا ، فَلَمَّا كَانَتْ
اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ الدَّخُولَ بِهَا جَاءَهَا غَسَّانٌ فِي النَّوْمِ ، وَقَدْ أَغْفَتَ ، فَقَالَ :

غَدَرْتُ ، وَلَمْ تَرْعَيْ لِبَعْلِكَ حُرْمَةً ، وَلَمْ تَعْرِ فِي حَقِّكَ ، وَلَمْ تَحْفَظِي عَهْدًا
وَلَمْ تُصْبِرِي حَوْلًا حِفَظًا لَصَاحِبٍ ، حَلَفْتَ لَهُ يَوْمًا وَلَمْ تُنْجِزِي وَعْدًا
غَدَرْتُ بِهِ لَمَّا ثَوَى فِي ضَرْبِيهِ ، كَذَلِكَ يُنْسَى كُلُّ مَنْ سَكَنَ اللَّحْدَا
قال : فلما سمعت هذه الأبيات انتبهت مُرتاعة مُستحية منه كأنه

بات معها في جانب البيت ، وأنكر ذلك منها من حضرها من نسايتها ، فقلن :
ما لك ، وما حالك ، وما دُهاك ؟ فقالت : ما ترك غسانُ لي في الحياة أرباباً ،
ولا بعده في سرورٍ رغبة . أُناني في منامي الساعة ، فأنشدني هذه الأبيات ،
ثم أنشدتها وهي تبكي بدمعٍ غزيرٍ وانتحابٍ شديد ، فلما سمعن ذلك
منها أخذن بها في حديثٍ آخرٍ لتُنسى ما هي فيه ، فغافلتهن وقامت ،
فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها حياءً مما كادت أن تتركب بعده
من الغدر به والنسيان لعهد . فقالت امرأة منهن : قد بلغنا أن امرأةً أتاها
زوجها في المنام فلامها في مثل هذا ، فقتلت نفسها . فما سمعنا به^١ .

قال : وكانت المرأةُ القائلةُ هذا الكلام صاحبة شعرٍ ورَجَزٍ فقالت :

مَاذَا صَنَعْتَ وَمَاذَا لَقِيتَ مِنْ غَسَّانٍ
قَتَلْتَ نَفْسَكَ حُزْنًا يَا خَيْرَةَ النِّسْوَانِ
وَقِيتَ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ هَمَمْتَ بِالْعِصْيَانِ
إِنَّ الْوَفَاءَ مِنْ الْإِلَهِ ، لَمْ يَزَلْ بِمَكَانٍ

قال : فلما بلغَ زَوْجَهَا ، وكان يُقالُ له المِقْدَامُ بنُ حُبَيْشٍ ، وكان
قد أعجبَ بها ، أنها قالت : ما كان لي مُسْتَمْتِعٌ بعدَ غَسَّانٍ ، قال : هكذا
فلتكنِ النساءُ في الوفاء ، وقلَّ من تحفظُ ميتاً ، إنما هي أيامٌ قلائلٌ حتى
يُنْسَى وَعَنهُ يُسْلَى .

١ قولها : فما سمعنا به ، هكذا في الاصل ، وربما سقط شيء من الكلام في النقل أو في الطبع .

فقال هشام: صَدَقَ وَبَرَ، بلحاد^١ ما أدرَكَه عقله وَحَسَنُ عَزَائِهِ حينَ فاتته طَلِبَتُهُ . أَحَسَّنَتِ الْمَرْأَةُ وَوَفَّقَتْ ، وَأَحَسَّنَ الرَّجُلُ فَصَبَرَ .

نظرة بتبسم

أنشدنا أبو محمد الحسن بن محمد بن علي الخلال ، رحمه الله ، قال :
 أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمي لبعضهم :
 وقالوا لها : هذا حَبِيبُكَ مُعْرِضاً ؛ فقالت : ألا إعراضُهُ أيسرُ الخَطْبِ
 فَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ بِتَبَسُّمٍ ، فتَصَطَّكَ رِجْلَاهُ وَيَسْقُطُ لِلْجَنبِ

قميص الكتمان

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي العلاف الواعظ بقراوتي عليه ، أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد
 ابن عثمان الواعظ ، حدثنا جعفر بن محمد الصوفي ، حدثنا أحمد بن محمد الطوسي ، حدثني
 القاسم بن يزيد ، حدثني محمد بن سلام ، حدثني خلاد بن يزيد الأرقط قال :
 كان عُوَيْمَرُ الْعُقَيْلِيُّ مشغولاً بابنة عمِّ له ، وكان يُقال لها رِيَّا ، فزُوِّجَتْ
 بِرَجُلٍ ، فحملها إلى بلاده ، فاشتدَّ وَجْدُهُ ، وأعتلَّ عِلَّةٌ أخذته الهُلَاسُ^٢ بها ،
 فدَعَوْا له طبيباً لينظرَ إليه ، فقالَ له : أخبرني بالذي تجد ، فرفعَ عَقِيرَتَهُ
 فقال :

كَذَبْتُ عَلَى نَفْسِي فَحَدَّثْتُ أَنْتِي سَلَوْتُ لَكِيما يَنْظُرُوا حينَ أَصْدُقُ
 وَمَا عَن قَلِيٍّ مِنِّي وَلَا عَن مَلَالَةٍ ، وَلَكِنِّي أَبْقِي عَلَيْكَ وَأُشْفِقُ

١ بلحاد : أي كان جيداً .

٢ الهلاس : مرض السل .

وَمَا الْمَجْرُ إِلَّا جُنَّةٌ لِي لَبِسْتُهَا ، لَتَدْفَعَ عَنِّي مَا يُخَافُ وَيُفَرِّقُ^١
عَطَفْتُ عَلَى أَسْرَارِكُمْ ، فَكَسَوْتُهَا قَمِيصاً مِنَ الْكِتْمَانِ لَا يَتَخَرَّقُ^٢
وَلِي عِبْرَتَانِ مَا تُفَيِّقَانِ : عِبْرَةٌ تَفِيضُ ، وَأُخْرَى لِلصَّبَابَةِ تَخْتَقُ^٣
وَيَوْمَانِ : يَوْمٌ فِيهِ جِسْمٌ مُعَذَّبٌ عَظِيمٌ ، وَيَوْمٌ لِلتَّفَرُّقِ مُطْرِقٌ^٤
وَأَكْثَرُ حَظِّي مِنْكَ أَنِي إِذَا سَرْتُ لِي الرِّيحُ مِنْ تِلْقَائِكُمْ أَتَشْتَقُ^٥
ثُمَّ ذَهَبَ عَقْلُهُ ، فَقَالَ الْمُتَطَبِّبُ لِأَهْلِهِ وَمَنْ حَضَرَهُ : ارْفُقُوا بِهِ ،
ثُمَّ انصَرَفَ . فَمَا مَكَثَ إِلَّا لِيَالِي يَسِيرَةً حَتَّى قَضَى .

طرف قتول

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري ، أخبرنا ابن رَوْح ، حدثنا الماعاني بن زكريا ،
حدثنا الكوكبي ، حدثني اسحاق بن محمد ، أخبرني أبو عثمان المازني قال :
قال أبو حيان الدارمي في أبي تمام الرُّوبِج من بني هاشم ، وكان يهواه :
سَبَّأَكَ مِنْ هَاشِمٍ سَكِيلٌ لَيْسَ إِلَى عَطْفِهِ سَبِيلٌ^١
مَا اخْتَالَ فِي صَحْنِ قَصْرِ أَوْسٍ إِلَّا تَسَجَّى لَهُ قَتِيلٌ^٢
وَلَا حَظَّتْهُ الْعُيُونُ حَتَّى رَنَتْ لَهُ الْكَاعِبُ الْبَتُولُ^٣
فَإِنْ يَقِفْ ، فَالْعُيُونُ تُصَبُّ ، وَإِنْ تَصَدَّى ، فَهَنْ حَوْلُ^٤
يَمْسَحُهُ عَنْ أَدِيمِ خَدٍّ مُورِدٍ ، صَحْنُهُ أُسِيلٌ^٥
لِلْحَتَفِ فِي عَيْنِهِ قِيسِي^٦ أَيْدِي الْمَنَائِمَا بَهَا تَصُولُ^٧

١ يفرق : يفرز منه .

٢ تفيقان : أراد تريحان ، من أفاق الخالب : أراح بين الحلبتين .

يَنْزِعُ فِيهَا بِغَيْرِ نَبَلٍ ، طَرَفٌ لِعُشَاqِهِ قَتُولُ
 قال أبو عثمان : فحدثني مَنْ أتى بخبره أن المأمون أنشد هذا الشعر ،
 فقال : ما سمعتُ أرقَّ من هذا المعنى :
 فإنَّ يَقِفَ ، فالعيونُ نُصِبُ ؛ وإنَّ تَصَدَّى ، فهنَّ حُولُ

شعر ليحيى بن طالب

أخبرنا محمد بن أبي نصر الحافظ ، حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي ،
 حدثنا القاضي أبو محمد عبد الله بن الربيع ، حدثنا أبو علي القالي قال : قال أبو بكر الانباري :
 غنَّيَ هارون الرشيد بشعرٍ ليحيى بن طالب :

أيا أثلاثِ القاعِ من بطنِ توضحٍ ، حَنِينِي إلى أَطْلَالِكُنَّ طَوِيلُ^١
 وَيَا أَثْلَاتِ القاعِ قَدْ مَلَّ صُحْبَتِي مَسِيرِي ، فَهَلْ فِي ظِلِّكَ كُنَّ مَقِيلُ^٢
 وَيَا أَثْلَاتِ القاعِ قَلْبِي مُسَوِّكَلُ^٣ بكنَّ ، وَجَدَاوِي خَيْرُكُنَّ قَلِيلُ^٤
 أَلَا هَلْ إِلَى شَمِّ الحِزَامِي وَنَظَرَةٍ إِلَى قَرَقَرَى قَبْلَ المَمَاتِ سَبِيلُ^٥
 فَاشْرَبْ مِنْ مَاءِ الحُجَيْلَاءِ شَرْبَةً يُدَاوِي بِهَا قَبْلَ المَمَاتِ عَكِيلُ^٦
 أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ أَنْ لَسْتُ رَاجِعاً إِلَيْكَ ، فَحُزْنِي فِي القُوَادِ دَخِيلُ^٧
 أُرِيدُ هُبُوطاً نَحْوَكُمُ فَيَسْرُدُنِي ، إِذَا رُمْتُهُ ، دَيْنٌ عَلَيَّ نَقِيلُ^٨
 فقال هارون الرشيد : يُقْضَى دَيْنُهُ ، فَطُلِبَ إِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ

بشهر .

- ١ الاثلاث ، الواحدة أثلة : شجر صلب الخشب تصنع منه القصاع . القاع : أرض سهلة مطمئة قد انفرجت عنها الجبال . توضح : موضع .
- ٢ قرقرى : موضع .
- ٣ الحجيلاء : موضع فيه ماء .

غصة الحديث

وبإسناده حدثنا القاضي ، أخبرنا أبو بكر بن دريد

أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لرجل من بني كلاب :

ولما قضينا غصةً من حدِيثنا ، وقد فاضَ من بعد الحديثِ المدامُ
جَرَى بَيْننا مِنّا رَسيسٌ يَزِيدُنا سَقاماً ، إذا ما استَوْعَبَتْهُ المَسامُ
كَأَنّ لم تُجاوِرنا أَمامٌ ، ولمْ يُقَمِّمِ بَعْصِ الحِمى إذْ أَنتَ بِالعِيشِ قانِعُ
فَهَلْ مِثْلُ أَيّامِ تَقْضِيَنَ بِالحِمى عَوائِدُ ، أوْ غَيْثُ السَّتارِينِ واقِعُ
وَإِنَّ تَسِيمَ الرِّيحِ من مَدْرَجِ الصَّبّا ، لأورابِ قَلْبِ شَقِّهِ الحُبُّ نافعُ
قال أبو عليّ القاضي : الرس الشيء من الخير والرئيس مثله .

أفِق من الحب

وبإسناده قال : وأنبأنا القاضي ، أخبرنا ابن دريد

حدثنا أبو حاتم للعوام بن عتبة بن كعب :

أَنَّ سَجَعَتْ في بَطْنِ وادٍ حَمَامَةٌ تُجاوِبُ أُخْرى مَاءُ عَيْنَيْكَ دافِقُ
كَأَنَّكَ لمْ تَسْمَعْ بُكَاءَ حَمَامَةٍ بَليلٍ ، ولمْ يُحْزِنَكَ إلفُ مُفارقِ
ولمْ تَرَ مَفْجُوعاً بِشَيْءٍ يُحِبُّهُ سِوَاكَ ، ولمْ يَعْشَقْ كَعِشْقِكَ عاشِقُ
بلى فافِقُ عَنْ ذِكْرِ لَيْلى ، فَإِنَّمَا أخو الصَّبْرِ مَنْ كَفَّ الهَوَى وَهُوَ تائقُ

١ أمام : اسم امرأة ، العيص : الشجر الكثير الملتف ، موضع منبت هذا الشجر .

٢ الأوراب : الأضواء ، الواحد ورب .

نُصَيْبٌ وَأُمُّ بَكْرٍ

أُتِيْنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَحْمَدَ الْبَرْمَكِيِّ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ حَيَوِيَّةَ، حَدَّثَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الزَّيْبِيُّ بْنُ يَكَّارَ ، وَحَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّمْعَانِيُّ عَنْ جَدِّهِ جَمَالِ بْنِ عَوْنٍ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ جَدِّهِ مُسْلِمِ السَّمْعَانِيِّ قَالَ :
رَأَيْتُ رَجُلًا أَسْوَدَ مَعَهُ امْرَأَةٌ بَيَاضَاءُ ، فَوَقَفْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ شِدَّةِ سَوَادِهِ مَعَ شِدَّةِ بَيَاضِهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا الَّذِي أَقُولُ :
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي تُحَدِّثُنِي لِي غَدًا غُرْبَةً النَّاسِ الْمُفَرَّقِ وَالْبُعْدِ
لَدَيَّ أَمْ بَكَرٍ حِينَ تَنْتَشِبُ النَّوَى بِنَاءً ، ثُمَّ يَخْلُو الْكَاشِحُونَ بِهَا بَعْدِي
أَتَصْرِمُنِي عِنْدَ الْأُتَى فِيهِمْ الْعِدَى ، فَتَشْمَتُهُمْ بِي أَمْ تُقِيمُ عَلَى الْعَهْدِ
فَقَالَتْ : لَا بَلْ نَدُومٌ عَلَى الْعَهْدِ . فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي هَذَا نُصَيْبٌ ،
وَسَأَلْتُ عَنْهَا فَقِيلَ لِي عَشِيقَتُهُ أُمُّ بَكْرٍ .

ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ وَنُصَيْبٌ وَسُعْدَى

أُتِيْنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَنْبَلِيِّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ حَيَوِيَّةَ ، حَدَّثَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ ، حَدَّثَنَا الزَّيْبِيُّ بْنُ يَكَّارَ ، وَحَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِسْدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مَوْجٍ قَالَ :
أَرَادَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ الْحَجَّ ، فَلَقِيَنِي نُصَيْبًا ، فَقَالَ : هَلْ تُوصِي إِلَى سُعْدَى
بَشِيءَ ؟ قَالَ : نَعَمْ بَيِّتَيْنِ . قَالَ : مَا هُمَا ؟ قَالَ :
أَتَصْبِرُ عَنْ سُعْدَى ، وَأَنْتَ صَبُورٌ ؛ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِيرٌ
وَكِدْتُ وَلَمْ أَخْلُقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَأَ سَتَا بَارِقٍ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ
قَالَ : فَخَرَجَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ ، فَوَجَدَ سُعْدَى فِي مَجْلَسِهَا ، فَقَالَ لَهَا :

يا سَعْدَى ! مَعِيَ إِلَيْكَ رِسَالَةٌ . قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ هَاتَهَا يَا ابْنَ الصَّدِّيقِ ،
فَأَنشَدَهَا الْبَيْتَيْنِ ، فَتَنَفَّسَتْ تَنَفَّسًا شَدِيدًا ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : أَوَهُ
أَجَبْتِهِ ، وَاللَّهِ ، بِأَحْسَنِ مِنْ بَيْتِهِ ، وَعَتَقَ مَا مَلَكَ أَنْ لَوْ سَمِعَهَا لَنَعَقَ وَطَارَ .

عاشق يقتله الصدُّ

حدثني محمد بن عبد الله الأندلسي ، وكتبه لي بخطه ، حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد الحافظ
الأندلسي ، حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن الملاحجي الطبيب الأديب قال :

كُنْتُ أَخْتَلِفُ فِي النُّحُوِّ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ خَطَّابِ النَّحْوِيِّ فِي جَمَاعَةٍ ، وَكَانَ
مَعَنَا عِنْدَهُ أَبُو الْحَسَنِ أَسْلَمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَاضِي قِضَاةِ الْأَنْدَلُسِ أَسْلَمُ
ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَاحِبِ الْمَزْنِيِّ وَالرَّبِيعِ ؛ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ : وَكَانَ أَجْمَلَ
مَنْ رَأَيْتُهُ الْعَيُونَ ؛ وَكَانَ مَعَنَا عِنْدَ مُحَمَّدَ بْنِ خَطَّابِ أَحْمَدُ بْنُ كُلَيْبٍ ، وَكَانَ
مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ ، فَاشْتَدَّ كَلْفُهُ بِأَسْلَمَ ، وَفَارَقَ صَبْرَهُ وَصَرَفَ فِيهِ
الْقَوْلَ مُتَسْتَرًّا بِذَلِكَ ، إِلَى أَنْ فَشَّتْ أَشْعَارُهُ فِيهِ ، وَجَرَتْ عَلَى الْأَلْسِنَةِ
وَتَشَوَّشِدَتْ فِي الْمَحَافِلِ .

فَلِيعْهَدِي بَعْرَسٍ فِي بَعْضِ الشُّوَارِعِ بِقُرْطُبَةٍ ، وَالْكَوْرِي الزَّامِرُ قَاعِدٌ
فِي وَسْطِ الْمَحْفِلِ ، وَفِي رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةٌ وَشَيْ ، وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ خَزَرٌ
عُبَيْدِي ، وَفَرَسُهُ بِالْحَلِيَةِ الْمُحَلَّلَةِ يَمْسُكُهُ غِلَامُهُ ، وَكَانَ يَزْمُرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
النَّاصِرِ ، وَهُوَ يَزْمُرُ فِي الْبُوقِ بِقَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ كُلَيْبٍ فِي أَسْلَمَ ، وَهُوَ :

أَسْلَمَتْنِي فِي الْهَوَى أَسْلَمْتُ هَذَا الرَّشَا
غَزَالَ لَهُ مُقَلَّةٌ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَا
وَشَى بَيْنَنَا حَاسِدٌ سَيَسْأَلُ عَمَّا وَشَى
وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَرْتَشَى عَلَى الْوَصْلِ رُوحِي ارْتَشَى

وَمُغْنٍ مُحْسَنٍ يُسَايِرُهُ فِيهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَبْلَغَ انْقَطَعَ أَسْلَمٌ عَنْ
جَمِيعِ مَجَالِسِ الطَّلَبِ ، وَلَزِمَ بَيْتَهُ ، وَالْجُلُوسَ عَلَى بَابِهِ .

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ كُلَيْبٍ لَا شُغْلَ لَهُ إِلَّا الْمُرُورَ عَلَى بَابِ أَسْلَمَ سَائِراً
وَمُقْبِلاً نَهَارَهُ كُلَّهُ ، فَاِمْتَنَعَ أَسْلَمُ عَنِ الْجُلُوسِ عَلَى بَابِ دَارِهِ نَهَاراً ، فَإِذَا
صَلَّى الْمَغْرِبَ ، وَاخْتَلَطَ الظَّلَامُ خَرَجَ مُسْتَرْوِحاً ، وَجَلَسَ عَلَى بَابِ
دَارِهِ ، فَعِيلَ صَبْرُ أَحْمَدَ بْنِ كُلَيْبٍ فَتَحِيلَ فِي بَعْضِ الْأَيْتَانِي وَلَبَسَ
جُبَّةَ صُوفٍ مِنْ جِيبَابِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، وَاعْتَمَ بِمِثْلِ عَمَائِمِهِمْ ، وَأَخَذَ بِإِحْدَى
يَدَيْهِ دَجَاجاً ، وَبِالْأُخْرَى قَفْصاً فِيهِ بَيْضٌ ، وَتَحَيَّنَ جُلُوسَ أَسْلَمَ عِنْدَ
اخْتِلَاطِ الظَّلَامِ عَلَى بَابِهِ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ !
تَأْمُرُ مَنْ يَقْبِضُ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ أَسْلَمُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَجِيرُكَ فِي الضَّيْعَةِ
الْفَلَانِيَةِ ، وَقَدْ كَانَ يَعْرِفُ أَسْمَاءَ ضِيَاعِهِ وَالْعَامِلِينَ فِيهَا ، فَأَمَرَ أَسْلَمُ غِلْمَانَهُ
، ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي قَبُولِ هَدَايَا الْعَامِلِينَ فِي الضَّيَاعِ عِنْدَ وُرُودِهِمْ
بِهَا . ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنِ الضَّيْعَةِ ، فَلَمَّا جَاوَبَهُ أَنْكَرَ الْكَلَامَ ، فَتَأَمَّلَهُ فَعَرَفَهُ ،
فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي ! وَلَيْ هُنَا بَلَغْتَ بِنَفْسِكَ ، وَإِلَى هَاهُنَا تَتَّبِعُنِي ؟ أَمَا كَفَاكَ
انْقِطَاعِي عَنِ مَجَالِسِ الطَّلَبِ ، وَعَنِ الْخُرُوجِ جَمْلَةً وَعَنِ الْقُعُودِ عَلَى بَابِي نَهَاراً ،
حَتَّى قَطَعْتَ عَنِّي جَمِيعَ مَا لِي فِيهِ رَاحَةٌ ، فَقَدْ صَرْتُ مِنْ سَجْنِكَ فِي حَيْرَةٍ ،
وَاللَّهِ ، لَا فَارَقْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ قَعَرَ مَنْزِلِي ، وَلَا جَلَسْتُ بَعْدَهَا عَلَى بَابِي لَا لَيْلاً
وَلَا نَهَاراً . ثُمَّ قَامَ ، فَانْصَرَفَ أَحْمَدُ بْنُ كُلَيْبٍ حَزِيناً كَثِيباً .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ : وَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِنَا ، فَقُلْنَا لِأَحْمَدَ بْنِ كُلَيْبٍ : قَدْ
خَسِرْتَ دَجَاجَكَ وَبَيْضَكَ ، فَقَالَ : هَاتِي كُلَّ لَيْلَةٍ قُبْلَةَ يَدِهِ ، وَأَخْسِرُ
أَضْعَافَ ذَلِكَ .

قَالَ : فَلَمَّا يَشَى مِنْ رُؤْيَيْهِ الْبَيْتَةِ نَهَكَتَهُ الْعَلَّةُ ، وَأَضْجَعَهُ الْمَرَضُ .
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ : فَأَخْبَرَنِي شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَطَّابٍ قَالَ :
فَعَدْتُهِ فَوَجَدْتُهُ بِأَسْوَأِ حَالٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَلِمَ لَا تَتَدَاوَى ؟ فَقَالَ : دَوَائِي

معروفٌ ، وأمّا الأطباء فلا حيلة لهم في البتة . فقلتُ له : وما دواؤك ؟ قال .
نظرةٌ من أسلم ، ولو سَعَيْتَ في أن يزورني لأعظمَ الله أجركَ بذلك ، وكان
هوَ والله أيضاً يُؤجِرُ .

قال : فرَحِمتهُ وتَقَطَّعتُ نفسي له ، فنهضتُ إلى أسلم ، فاستأذنتُ عليه ،
فأذِنَ لي وتَلَقَّاني بما أحبُّ ، فقلتُ له : لي حاجةٌ . قال : وما هي ؟ قلتُ :
قد عَلِمْتَ ما جَسَعَكَ معَ أحمدَ بنِ كليبٍ من ذِمَامِ الطلبِ عندي ، فقال :
نعم ! ولكن تعلمُ أَنَّهُ برَحَ بي وشَهَرَ اسمي وأَذاني . فقلتُ : كلَّ ذلك
يُغْتَفَرُ في مثلِ الحالِ التي هوَ فيها ، فتَفَضَّلَ بعبادته . فقال لي : والله ما أقدرُ على
ذلك فلا تكلِّفني هذا . فقلتُ له : لا بدَّ ، فليس عليك في ذلك شيء ، ولأنما
هيَ عيادةٌ مريض .

قال : ولم أزلُ به حتى أجابَ ، فقلتُ : فقسُ الآن ! فقال لي : لستُ
والله أفعلُ ، ولكن غداً ، فقلتُ له : ولا خُلفَ ؟ قال : نعم .
قال : فانصرفتُ إلى أحمدَ بنِ كليبٍ وأخبرتهُ بوعده بعد تأبئهِ ، و
بذلك وأرتاحتُ نفسهُ .

قال : فلما كان من الغدِ بكرتُ إلى أسلم وقلتُ له : الوعد . فوجِسمَ ،
وقال : والله لقد تحملني على خطئةٍ صعبةٍ عليَّ ، وما أدري كيفَ أُطيقُ
ذلك . قال : فقلتُ له : لا بُدَّ أن تفي بوعدك لي .

قال : فأخذَ رِداءه ونهَضَ معي راجِلاً ، فلما أتينا منزلَ أحمدَ بنِ
كليبٍ ، وكان يسكنُ في آخرِ دَرْبٍ طويلٍ ، وتَوَسَّطَ الزقاقَ وَقَفَ واحمرَّ
وتَحَجَّلَ ، وقال لي : يا سيدي ، الساعةُ والله أموتُ وما أقدرُ أن أنقلَ
قدمي ، ولا أستطيعُ أن أعرضَ هذا على نفسي . فقلتُ له : لا تفعلْ بعدَ أن
بلَغْتَ المنزلَ وتنصرفَ ؟ فقال : لا سبيلَ ، والله ، إلى ذلك البتة .

ورَجَعَ هارباً ، فاتَّبَعتهُ فأخذتُ بِرِداءه ، فتمادى وَخَرَّقَ الرِّداءَ ، وبَقِيتُ
قطعةً منه في يدي لشدَّةِ إمساكي له ، ومَضَى ولم أدركه ، فرَجعتُ ودخلتُ

علي أحمد بن كليب .

وقد كان غلامه دخل عليه ، إذ رأنا من أول الزقاق ، مبشراً ، فلما رأني دونته تغير وجهه وقال : وأين أبو الحسن ؟ فأخبرته بالقصة ، فاستحال من وقته ، واختلط ، وجعل يقول ويتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من الرجوع ، فاستبشعت الحال ، وجعلت أترجع وقمت ، فثاب إليه وجهه ، وقال : أبا عبد الله ! قلت : نعم ! قال : اسمع مني ، واحفظ عني . ثم أنشأ يقول :

أسلمُ يا راحة العليلِ ، رفقاً على المهائم التحيلِ

قال : فقلت : اتق الله ، ما هذه الكبيرة ؟ فقال لي : قد كان . فخرجت عنه ، فوالله ما توسطت الزقاق حتى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا .

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد : وهذه قصة مشهورة عندنا . ومحمد ابن الحسن ثقة ، ومحمد بن خطاب ثقة ، وأسلم هذا من بني خلف وكانت فيهم وزارة وحجابه ، وهو حاجب الديوان المشهور في غناء زرياب ، وكان شاعراً ، وابنه الآن في الحياة يكنى أبا الجعد .

قال أبو محمد : ولقد ذكرت هذه الحكاية لأبي عبد الله محمد بن سعيد الخولاني الكاتب ، فعرفها ، وقال : لقد أخبرني الثقة أنه رأى أسلم هذا في يوم شديد المطر لا يسكاد أحد يمشي في طريق ، وهو قاعد على قبر أحمد ابن كليب المذكور زائراً له قد تحيين غفلة الناس في مثل ذلك النهار .

١ الترجع : هو ان يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

شعر ملحون

قال شيخنا : قال لنا أبو محمد ، وحدثني أبو محمد قاسم بن محمد القرشي قال :
 كتب ابن كليب إلى محمد بن خطاب شعراً يتغزل فيه بأسلم ، فعرضه
 ابن خطاب على أسلم فقال : هذا ملحون ، وكان ابن كليب قد أسقط
 التنوين من لفظة في بيت من الشعر ، فكتب ابن خطاب إلى ابن كليب بذلك ،
 فكتب إليه ابن كليب مسرعاً :

الحق لي التنوين في مطمع ، فإنني أنسيت إلحاقه
 لا سيما إذ كان في وصل من كدر لي في الحب أخلاقه

قبر عاشق

أبانا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال :
 أنشدنا أبو عمر محمد بن العباس عمّن أنشدّه في أثر حكاية ذهبت علي
 وحفظت الشعر :
 مررت بقبر مشرق وسط روضة عليه من النوار ثوب شقائق
 فقلت لمن هذا؟ فجأوبتي الثرى : ترحم عليه إنه قبر عاشق

١ لعل لفظة مطمع هي التي سقط منها التنوين .

وفاة عزيز لا حياة ذليل

أخبرني أبو الخطاب أحمد بن المنيرة الاندلسي بدمشق لأبي العلاء أحمد بن سليمان وذكر لي أنه قرأ عليه ديوان الصبابة وقرأته عليه جميعه بدمشق

ولي من أثناء قصيدة له أولها :

أسألت أتى الدمع فوق أسيل ، ومألت لظيل بالعراق ظليل
ومنها :

أسرنت أحنانا بالحداع ، وإنه يُعدّ ، إذا اشتدّ الوغى ، بقبيل
فإن تطليقيه ترتجي شكر قومه ؛ وإن تقبليه تؤخذني بقبيل
وإن عاش لاقى ذلة ، واختياره وفاة عزيز ، لا حياة ذليل

أجمل الناس وأقبحهم

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين الوكيل ، حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله القطيعي ، حدثنا الحسين بن صفوان ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا الحسين بن عبد الرحمن قال :

خرج رجل من بني أسد في نيشدان إبل له أضلّها ، حتى إذا كان ببعض بلاد قضاة ، أمسى في عشيّة باردة ، وقد رفعت له بيوت ، فتفرّس أيّها أرجى أن يكون أمثل قري ، قال : فرأيت مظلة رواء فأمستها ، فإذا أنا بامرأة من أكمل النساء حسناً ، وآصلهن عقلاً ، فسلمت فردت ورحبت ثم قالت : ادخل من القمّر ، وآدن من الصلّاء ! فدخلت فلم ألبث أن أتيت بعشاء كثير ، فأكلت وهي تُحدثني ، حتى إذا راحت الإبل إذا

١ المظلة : ما يستظل به من الأخية . رواء : واسعة منفرجة .

٢ راحت الإبل : ارتدت عشيّاً إلى مراحتها .

هَمِّيء^١ قد أقبلَ إليها كأنه بَعْرَةٌ دَمَامَةٌ وَضُؤُولَةٌ شَخْصٍ ، وَقَدْ كَانَ فِي حَجْرِهَا
ابنُهَا كَأَطِيبِ الْوِلْدَانِ وَأَحْسَنِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْإِنْسَانَ مُقْبِلًا هَمَّشَ
إِلَيْهِ ، وَعَدَا فِي لِقَائِهِ ، فَأَخَذَ الصَّبِيَّ ، فَاحْتَمَلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ يَكْتُمُ فَاهُ مَرَّةً
وَعَيْنَهُ أُخْرَى ، وَيُقَدِّدُهُ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَظَنَّهُ عَبْدًا لَهُمْ ، حَتَّى جَاءَ فَجَلَسَ
إِلَى جَانِبِهَا ، وَقَالَ : مَنْ ضَعِيفُكُمْ هَذَا ؟ فَأَخْبَرْتَهُ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ زَوْجُهَا وَأَنَّ
الصَّبِيَّ وَلَدُهُ مِنْهَا ، فَطَفَقْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ تَارَةً وَإِلَيْهَا أُخْرَى وَأَتَعَجَّبُ لاختلافهما ،
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حَسَنًا ، وَكَأَنَّهُ قَرْدٌ قُبْحًا ، فَفُطِنَ لِنَظَرِي إِلَيْهَا وَإِلَيْهِ ، فَقَالَ :
يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ ! تَرَى عَجَبًا ؟ قُلْتُ : أَجَلْ ، وَأَيْلِكَ ، إِنِّي لِأَرَى عَجَبًا مُعْجِبًا .
قَالَ : صَدَقْتُ ! تَقُولُ : أَحْسَنُ النَّاسِ وَآدَمُ النَّاسِ^٢ . قُلْتُ : نَعَمْ ، فَلَيْتَ
شَعْرِي كَيْفَ أُوْدِمَ بَيْنَكُمَا^٣ ! قَالَ : أَخْبِرْكَ كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ .

كَنتُ سَابِعَ سَبْعَةِ إِخْوَةٍ كُلُّهُمْ لَوْ رَأَيْتَنِي مَعَهُمْ ظَنَنْتَنِي عَبْدًا لَهُمْ ،
وَكَانَ أَبِي وَإِخْوَتِي يَطْرَحُونِي ، وَكَنتُ لِكُلِّ عَمَلٍ دَنِيءٍ : لِلرَّوَايَةِ مَرَّةً ،
وَلِرِعَايَةِ الْغَنَمِ أُخْرَى ، وَكَانَتْ إِخْوَتِي هُمْ أَصْحَابُ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ . فَبَيْنَا أَنَا
أُرْعَى الْإِبِلَ فِي عَامٍ جَدَّبَ أَشْهَبَ إِذْ ضَلَّ بَعِيرٌ مِنْهَا ، فَقَالُوا لِأَبِي : ابْعَثْ
فَلَانًا يَتَّبِعِهِ ! فِدَعَانِي فَقَالَ : اذْهَبْ فَاطْلُبْ هَذَا الْبَعِيرَ ! فَقُلْتُ : مَا تُنْصِفُنِي
أَنْتَ وَلَا بَنُوكَ . أَمَّا إِذَا الْإِبِلُ دَرَّتْ أَلْبَانُهَا وَطَابَ رُكُوبُهَا ، فَهَمَّ أَصْحَابُهَا ؛
وَأَمَّا إِذَا نَدَّتْ ضَلَالُهَا ، فَأَنَا بَاغِيهَا . فَقَالَ : يَا لُكْعَ اذْهَبْ ! أَمَّا وَاللَّهِ
إِنِّي لِأَظُنُّهُ آخِرَ أَيَّامِكَ مِنْ ضَرْبٍ وَجِيعٍ .

قَالَ : وَظَنَنْتُ أَنِّي مَضْرُوبٌ ، فَعُدْتُ مُضْطَهَدًا مَحْقُورًا خَلَقَ الشَّيَابَ
جَائِعًا مَقْرُورًا ، فَطَفْتُ لَيْلَةً فِي بَسَابِسٍ^٤ لَيْسَ بِهَا غَرِيبٌ ، فَبِتَّ ، ثُمَّ

١ الهَيءُ : المطلي بالطهران . لعله أراد أنه أسود كأنه طلي بالطهران .

٢ الآدم : الأسير .

٣ أودم بينكما : وفق بينكما .

٤ البسابس ، الواحد بسبس : القفر .

أَصْبَحْتُ فغدَوْتُ حافياً ، حتى دَفَعْتُ مساءَ اللَّيْلَةِ إِلَى مِظْلَةٍ ، فإذا عَجُوزٌ وَسِيمةٌ خَلِيقَةُ الْخَيْرِ وَالسُّودْدِ ، فِي عَشِيَّةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ صَرٍّ ، وَمَعَهَا هَذِهِ عَدِيَّةٌ نَفْسُهَا^١ ، وَهِيَ ابْنَتْهَا ، فَأَدْخَلَتْنِي الْعَجُوزُ ، وَأَتَتْنِي بِتَمْرٍ وَعَلِقَتْنِي هَذِهِ سَخْرِيَّةً ، وَهَزَّوْا بِي ، وَقَالَتْ : مَا رَأَيْنَا كَالْعَشِيَّةِ قَطُّ فَتًى أَجْمَلَ مِنْكَ ، وَلَا أَكْمَلَ خَلْقًا. فَقُلْتُ : يَا هَذِهِ جَنَّبِي نَفْسَكَ ، فَإِنِّي عَنِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ فِي شُغْلٍ .

قَالَتْ : وَيَحْكُ ! هَلْ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ هَذَا السُّتْرَ عَلَيَّ ، إِذَا نَامَ الْحَيَّ ، فَتَتَحَدَّثَ وَتَمَثَّلَنَا مِنْ أُمَائِكَ هَذِهِ ؟ فَإِنَّا نَرَاهَا مِلَاحًا . فغَرَّتْنِي إِلَيْسُ ، لَمَّا شَبَعْتُ مِنَ الْقِرَى ، وَدَفِئْتُ مِنَ الصَّلَى ، وَجَاءَ أَبُوهَا وَإِخْوَتُهَا مِثْلَ السَّبَاعِ ، وَاضْطَجَعُوا أَمَامَ الْخِيمةِ ، وَأَنَا فِيهَا ، فَلَمْ يَزَلْ بِي الْقَدَرُ الْمُحْتَمُ حَتَّى نَهَضْتُ لِأَلِجَ عَلَيْهَا السُّتْرَ ، فَإِذَا هِيَ نَائِمَةٌ ، فَهَمَزْتُهَا بِرِجْلِي ، فَانْتَبَهَتْ وَقَالَتْ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : الضَّيْفُ . قَالَتْ : إِيَّاكَ ، فَلَا حَيَّاكَ اللَّهُ .

قَالَ الْأَسَدِيُّ : وَهِيَ وَاللَّهُ تَصْدُفُ حَيَاءً مِنْ حَدِيثِ زَوْجِهَا صُدُوفَ الْمُهْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ سَمِعْتُ صَلَاحِيلَ لِحَامِهَا . ثُمَّ قَالَتْ : لَا حَسَنَ خَبْرِكَ ، أَخْرِجْ لَعَنَكَ اللَّهُ !

قَالَ : فَسَقَطَ فِي يَدَيَّ^٢ ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَسْتُ فِي شَيْءٍ ، فَخَرَجْتُ لِأَهْرَبَ فَرَزِعًا مَدْعُورًا ، فَهَاجَتْنِي كَلِيبُ لَهْمٍ ، مِثْلُ الْفَارِسِ لَا يَطَافُ مُرْتَبِضُهُ ، وَأَرَادَ أَكْلِي ، فَأَرْهَبْتُهُ عَنِّي ، ثُمَّ قَالَتْ : اذْهَبْ لَا صَاحِبِكَ اللَّهُ . فَلَمَّا رَجَعْتُ عَادَ الْكَلْبُ إِلَيَّ فَرَهَقَنِي ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي الْقَهْقَرَى ، وَأَرْهَبُهُ بِعُصِيَّةٍ مَعِي ، وَهُوَ يَرْكَبُنِي بِأَجْرَامِهِ^٣ ، حَتَّى شَدَّ عَلَيَّ شَدَّةً ، فَتَعَلَّقَتْ أَظْفَارُهُ وَأَنْيَابُهُ فِي مُقَدِّمِ مِدرَعَةِ صُوفٍ عَلَيَّ ، وَأَهْوَيْتُ مِنْ قِبَلِ عَقْبِي فِي بَثْرٍ ،

١ عديّة نفسها : لعله أراد عدوة نفسها ، أو التي اعتدت على نفسها ، أو هي تصحيف عدوة .

٢ سقط في يدي : ندمت .

٣ أجرامه : بدنه .

وَهَوَىٰ مَعِيَ ، فَإِذَا أَنَا وَهَوَىٰ فِي قَرَارِهَا ، وَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَكُن فِيهَا مَاءٌ ، فَسَمِعَتِ الْمَرْأَةَ الْوَجْبَةَ ، فَأَقْبَلَتْ وَمَعَهَا جِلٌّ حَتَّىٰ أَشْرَفَتْ عَلَيَّ ، ثُمَّ أَدَلَّتِ الْحَبْلَ فَقَالَتْ : ارْتَقِ ، لَعَنَكَ اللَّهُ ! فَلَوْلَا أَنْ يُقَصَّصَ^١ أَثَرِي مَعَكَ ، غُدْوَةً ، لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَبْرُكَ .

قال : فتعلقتُ بالحبلِ وارْتَفَعْتُ حَتَّىٰ إِذَا كَدْتُ أَنْ أَتَاوَلَ يَدَهَا تَهَوَّرَ بِهَا مَا نَحَتْ قَدَمِيهَا مِنَ الْبَثْرِ ، وَبَثَّرَ أَيَّمَا بَثْرٍ ، لِنَّمَا هِيَ بَثْرٌ حَفَرٌ لَا طِيَّ لَهَا^٢ ، فَإِذَا أَنَا وَهَيَّ وَالْكَلْبُ فِي قَرَارِهَا ، يَنْبُحُ فِي نَاحِيَةٍ ، وَهَيَّ تَبْكِي فِي نَاحِيَةٍ ، وَتَدْعُو بِالْثُبُورِ وَالْفَضِيحَةِ ، وَأَنَا مُتَقَبِّضٌ^٣ فِي نَاحِيَةٍ فَقَرَّ بَرْدٌ جِلْدِي عَلَى الْقَتْلِ^٤ ، حَتَّىٰ إِذَا أَصْبَحَتْ أُمُّهَا تَفْقَدُهَا عِنْدَ الصَّلَاةِ فَأَتَتْ أَبَاهَا ، فَقَالَتْ : أَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَتَكَ لَيْسَتْ هَهُنَا؟ فَقَامَ ، وَكَانَ قَائِفًا^٥ عَالِمًا بِالْأَثَرِ ، فَتَحَدَّىٰ أَثَرِي وَأَثَرَهَا ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ فِي الْبَثْرِ ، فَإِذَا نَحْنُ فِيهَا ، فَرَجَعَ سَرِيعًا ، فَقَالَ لِبْنِيهِ : أَخْتَكُمُ وَكَلْبُكُمْ وَضَيْفُكُمْ فِي الْبَثْرِ .

قال : فتَوَاسَبُوا فَمِنْ أَخِيْدٍ حَجْرًا ، وَمِنْ أَخِيْدٍ سَيْفًا ، وَمِنْ أَخِيْدٍ عَصًا ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا الْبَثْرَ قَبْرِي وَقَبْرَهَا . فَقَالَ أَبُوْهَا : مَهْ ! فَإِنْ ابْنَتِي لَيْسَتْ بِحَيْثُ تَظُنُّونَ . قال : فنَزَلَ أَحَدُهُمْ ، فَأَخْرَجَهَا وَأَخْرَجَ الْكَلْبَ ثُمَّ أَخْرَجُونِي ، فَقَالَ أَبُوْهُمْ : إِنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ هَذَا الرَّجُلَ طَلَبْتُمْ ، وَإِنْ خَلَيْتُمُوهُ افْتَضَحْتُمْ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرْوِجَهُ إِيَّاهَا ، فَلَعَمْرِي ! إِنَّهُ مَا يُطْعَنُ فِي نَسَبِهِ ، وَأَنَّهُ لَكُفُّوْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : هَلْ فِيكَ خَيْرٌ ؟

فَلَمَّا وَجَدْتُ رِيحَ الْحَيَاةِ ، كَأَنَّمَا كَانَ عَلَى قَلْبِي غُطَاءٌ فَانْكَشَفَ ، قُلْتُ :

١ يقصص : يتبع .

٢ لا طي لها : لا بناء لها .

٣ قر برد جلدي على القتل : هكذا في الأصل ، ولعله أراد أن جلده اشمع خوفاً من القتل ، أو لعله سقط شيء من الكلام .

٤ القائف ، من قاف أثره : تبعه .

وَأَيْنَ الْخَيْرِ إِلَّا عِنْدِي ؟ حَكْمُكَ ! قَالَ : خَمْسِينَ بَكْرَةً^١ وَعَبْدًا وَأَمَةً
 قُلْتُ : لَكَ مَا سَأَلْتُ ، وَإِنْ شِئْتَ فَازْدَدْ . قَالَ : قَدْ مَلَكَتْهَا ، فَانصَرَفْتُ
 حَتَّى آتَى أَبِي ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : لَا مَرْحَبًا ، وَلَا أَهْلًا ، فَأَيْنَ الْبَعِيرُ ؟
 قُلْتُ : أَرْبَعٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ تَسْمَعُ الْخَبَرَ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مُحَدَّثٌ : كَانَ
 مِنَ الْأَمْرِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، قَالَ : وَرَيْتَ بِكَ زِنَادُ أَبِيكَ ، إِذَا وَاللَّهِ لَا تُسَلِّمَ
 وَلَا تُخَذِّلَ ، عَلَيَّ بِالْإِبِلِ .
 فَلَمَّا جَاءَتْ قَالَ : اعْتَدْتُ حَاجَتَكَ ، فَاعْتَدْتُ مِنْهُنَّ خَمْسِينَ بَكْرَةً كَأَنَّهُنَّ
 الْعِدَارَى ، وَدَفَعَ إِلَيَّ عَبْدًا وَأَمَةً مَوْلَدَيْنِ ، ثُمَّ سَاقَ مَعِيَ الْإِبِلَ حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ ،
 فَدَفَعْنَا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ ، وَاحْتَمَلْنَا صَاحِبَتَنَا ، وَهِيَ هَذِهِ ، جُهِدُهَا أَنْ تَقُولَ
 كَذِبَتَ ، فَاعْجَبْتُ لَدَٰكُ فَعَلَ دَهْرِي ، أَيُّ أَكْثَرِ الْعَجَبِ .

لا يقبل الرشوة

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْإِرْدِسْتَانِي فِي مَا أَدْنَى لَنَا فِي رَوَايَتِهِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 السُّلَمِيُّ ، سَمِعْتُ مَنْصُورَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ :
 دَخَلَ قَوْمٌ عَلَى الشُّبَلِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالُوا : كَيْفَ تَجِدُكَ
 يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِنَّ سُلْطَانَ حُبِّهِ . قَالَ : لَا أَقْبَلُ الرُّشَا
 فَسَلُّوهُ ، فَدَيْتُهُ ، لِمَ يَفْتَلِي تَحَرَّشَا

١ قوله : خمسين بكرة ، أي أريد خمسين بكرة .

كيف يقتل الفاسق

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي بن السواق ، رحمه الله ، حدثنا محمد بن أحمد بن فارس ،
حدثنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم ، حدثنا أبو بكر محمد بن خلف ، حدثنا أبو بكر
العامري ، حدثنا عبد الله بن عمر ، حدثنا أبو عباد شيخ قديم قال :

أدركتُ الخادم الذي كان يقومُ على رأسِ الحجاج ، فقلتُ له : أخبرني
بأعجبِ شيءٍ رأيتُ من الحجاج ؟ قال : كان ابنُ أخيه أميراً على واسط ،
وكانت بواسط امرأةً يقال : إنه لم يَكُ بها في ذلك الوقت امرأةٌ أجملُ
منها ، فأرسلَ ابنُ أخيه إليها يريدُها على نفسها معَ خادمٍ له ، فأبت ،
وقالت : إن أردتني فاخطبني إلى إخوتي ، وكان لها إخوةٌ أربعةٌ ، فأبى
وقال : لا ! إلا كذا ، وعاودَها ، فأبتُ إلا أن يخطبها إلى إخوتها ، فأما
حرّامٌ فلا ، فأبى هوَ إلا الحرّام ، فأرسلَ إليها بهديّةً ، فأخذتها فعزلتها ،
ثمّ أرسلَ إليها عشيّةَ جمعةٍ أني أتيك الليلة ، فقالت لأمتها : إن الأميرَ
قد بعثَ إليّ بكذا وكذا ، فأنكرتُ أمّها ذلك ، وقالت لإخوتها : إن أخذتكم
قد زعمتُ كذا وكذا ، فأنكروا ذلك وكذبوها ، فقالت : إنه قد وعدّني
أن يأتيني الليلة ، فسترونه .

فقعد إخوتها في بيتٍ حيالَ البيتِ الذي هوَ فيه ، وفيه سراجٌ ، وهم
يرونَ من يدخلُ إليها ، وجوبيةٌ لها على بابِ الدارِ ، قاعدة . حتى جاء
الأميرُ فنزلَ عن دابّته ، وقال لغلّامه : إذا أذنَ المؤذنُ في الغلس ، فأني
بدابّتي ، ودخلَ ، فمشتَ الجاريةُ بينَ يديه ، فقالت له : ادخلْ ، فدخلَ
وسيّدتها على سريرٍ مُستلقية ، فاستلقى إلى جانبها ثمّ وَضَعَ يَدَهُ عليها ،
وقال : إلى كم هذا المطلُّ ؟ فقالت له : كفّ يدك يا فاسق ، فدخلَ إخوتها
عليها ، ومعهم سيوفٌ ، فقطعوه ، ثمّ لَفَوْهُ في نِطْعٍ ، وجاؤوا به إلى سِكةٍ
من سِلكِ واسط ، فألقوه فيها .

وَجاء الغلامُ بالدابة فجعل يدُقّ البابَ دَقّاً رَفِيْقاً وليسَ يكَلِّمُه أحدَ ،
فلَمّا خشيَ الصُّبْحَ ، وأن تُعرَف الدابةُ ، انصَرَفَ وأصْبَحُوا ، فإذا هم به ،
فأتوا به الحجاجُ ، فأخذ أهلَ تلكَ السكّةِ ، فقال : أخبروني ما هذا ، وما
قصّته ؟ قالوا : لا نعلم ما حاله وما قصّته . غيرَ أنّا وجدناه مُلقى . ففطن
الحجاجُ ، فقال : عليّ بمن كان يخدمه . فأُتي بذلك الخصيّ الذي كان الرسولُ .
فقالوا : هذا كان صاحبَ سرّه . فقال له الحجاجُ : اصدقني ! ما كان حاله
وما قصّته ؟ فأبى ، فقال له : إن صدقتني لم أضربُ عنقك ، وإن لم تصدقني
فعلتُ بك ، وفعلت . فأخبره الأمرَ على جيّهته ، فأمرَ بالمرأةَ وأُمّها وإخوتها
فجاء بهم ، فعزّلتِ المرأةُ عنهم ، فسألها ، فأخبرته بمثلِ ما أخبرَ به الخصيّ ،
ثمّ سألَ الإخوةَ على انفرادٍ ، فأخبروه بمثلِ ذلك ، وقالوا : نحنُ صنّعنا
به الذي تَرى . فصرّفهم وأمرَ برقيقه ودوابّه وماله وكلّ قليلٍ وكثيرٍ له
أن يُعطى للمرأةَ .

فقالَت المرأةُ : عندي هديّته التي وجّه بها إليّ . فقال : يارك الله لكِ
فيها ، وأكثرَ في النساءِ مثلكِ ، هيّ لك ، وكلُّ ما تركَ من شيء فهو لك ،
فأعطاهما جميعَ ما تركَ وخلّى عنها وعن إختيها ، وقال : إنّ مثلَ هذا
لا يُدفنُ فألقوه للكلابِ . ودعا بالخصيّ فقال : أمّا أنت فقد قلتُ لك إني
لا أضربُ عنقك ، وأمرَ بضربِ وسطه .

ميّتا الحبّ

أخبرنا الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قراءة عليه في داره بالحريم الطاهري سنة
ثمان وثلاثين وأربعمائة ، حدثنا أبو العباس أحمد بن منصور اليشكري ، حدثنا أبو القاسم
بإسناد له عن ابن الأشدق قال :

كنتُ أطوفُ بالبيت ، فرأيتُ شاباً تحتَ الميزاب قد أدخلَ رأسه في
كسائه ، وهو يئنّ كالحموم ، فسلمتُ ، فردّ السلام ، ثمّ قال : من أين ؟

قلت : من البصرة . قال : أترُجِعُ إليها ؟ قلت : نعم ! قال : فإذا دخلت
النَّجَاحَ ، فاخرجُ إلى الحيِّ ، ثمَّ نادِ : يا هِلَالُ يا هِلَالُ ، نخرجُ إليك جاريةً
فتنشدها هذا البيت :

لقد كنتُ أهوى أنْ تَكُونَنَّ مَنِيَّيَ بعَيْنَيْكَ حَتَّى تَنْظُرِي مَيَّتَ الحُبِّ
وماتَ مكانه ، فلمَّا دخلتُ النَّجَاحَ أثبتُ الحيِّ ، فناديتُ : يا هِلَالُ
يا هِلَالُ ، فخرجتُ إليَّ جاريةً لم أرَ أحسنَ منها ، وقالت : ما ورأاك ؟
قلتُ : شابٌّ بمكة أنشدني هذا البيت . قالت : وما صنعَ ؟ قلت : مات ،
فخرجتُ مكانها ميتة .

إساءة الدنيا وإحسانها

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المعصن التنوخي بقراءتي عليه ، أخبرنا أبو الحسن علي بن ميمى
الرماني النحوي ، حدثنا أبو بكر بن دريد :

أنشدنا عبد الرحمن عن عمه :

رُويْدَكَ يا قُمرِي ! لستَ بمُضْمِرٍ من الشَّوقِ إلادونَ ما أنا مُضْمِرٌ
ليكفِكَ أن القلبَ مُدٌّ أن تَنكَرْتَ أَسِماءُ عن مَعروفِهِ مُتَنَكِّرٌ
سَقَى اللهُ أَيْاماً خَلَّتْ وَلِيَالِيَا ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَهْدُهُما المُتَدَكِّرُ
لَئِنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَجَدَّتْ إِسَاءَةً ، لَمَّا أَحْسَنْتُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ أَكْثَرُ

١ النجاح : قرية في البادية .

عيون وخدود

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن أيضاً ، أخبرنا علي بن عيسى الرمانى قال : أخبرنا ابن دريد

أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لأبي المطراب العنبري :

أيا بارقي مغنى بُشِينَةَ أَسْعِدَا فتى مُقْصِداً بالشَّوقِ فهوَ عَمِيدُ^١
 لِيَا لِيَا مِينَا زَائِرُ مُتَهَالِكٍ ، وَآخِرُ مَشْهُورٍ كَوَاهُ صُدُودُ^٢
 عَلَى أَنَّهُ مُهْدِي السَّلَامِ وَزَائِرُ إِذَا لَمْ يَسْكُنْ مِمَّنْ يَخَافُ شُهُودُ^٣
 وَقَدْ كَانَ فِي مَغْنَى بُشِينَةٍ لَوْ رَتَّتْ عُيُونٌ مَهَا تَبْدُو لَنَا وَخُدُودُ^٤

جسم ناحل وعظام

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن التوزي ، أخبرنا اسماعيل بن سعيد بن سويد ، حدثنا أبو بكر ابن الأنباري ، أخبرنا أبي

أنشدنا أحمد بن عبيد :

أَلَا مُسْعِفٌ مِنْ بَعْدِ نَاءٍ وَشُقَّةٍ بِرَامٍ ، وَأَعْلَامٍ بِسَفْحِ بَرَامٍ^١
 أَقَامَ بِهِ قَلْبِي وَرَاحَتُ مَطْيِي بِأَشْلَاءِ جِسْمٍ نَاحِلٍ وَعِظَامٍ^٢
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ : الْأَشْلَاءُ جَمْعُ شِلْوٍ ، وَهُوَ الْعُضْوُ .

١ العميد : الحزين ، الذي هذه العشق .

٢ الشقة : البعد ، والموضع يقصده المسافر . الرام ، الواحدة رامة : موضع في البادية ، ومستنقع يجتمع فيه الماء . برام ، بالفتح : موضع .

موت جميل بثينة

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق ، أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس ، حدثنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن خلف ، حدثنا أبو بكر العامري ، أخبرني أبو الحسن ابن محمد بن أبي سيف ، أخبرني أبو عبد الرحمن العجلاني عن سهل بن سعد الساعدي قال :

بينما أنا بالشام إذ لقيني رجلاً من أصحابي فقال : هل لك في جميلٍ تَعُودُهُ ، فإنه ثَقِيلٌ بالمرَض ؟ قلت : نعم ! فدَخَلْنَا عليه ، وهو يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، وَمَا يُخَيِّلُ لِي إِلَّا أَنَّ الْمَوْتَ عَلِقَ بِهِ ، فنَظَرْتُ لِي وقال : يا ابنَ سعد ! ما تقول في رجلٍ لم يَزِنْ قَطُّ ، وَلَمْ يَشْرَبْ خَمْرًا قَطُّ ، وَلَمْ يَسْفِكْ دَمًا حَرَامًا قَطُّ ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، منذَ خَمْسِينَ سَنَةً ؟ قال : قلت : من هذا الرَّجُل ؟ فإني أَظُنُّهُ ، والله ، قد نَجَا ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنْ تَجَسَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَرْنَا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنَدْخَلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا .

قال : أنا . قال : فقلتُ : والله ما رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَعْجَبَ مِنْ هَذَا ، وَأَنْتَ تَشَبَّهُ بِبُثَيْنَةَ مِنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً .

قال : أنا في آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَلَا نَالَتَنِي شِفَاعَةُ مُحَمَّدٍ إِنْ كُنْتُ وَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهَا لِرَبِيبَةٍ قَطُّ ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهَا أَنِّي كُنْتُ آخِذُ يَدَهَا أَضَعُّهَا عَلَى قَلْبِي ، فَأَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا .

قال : ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ :

صَدَعَ النِّعَى وَمَا كُنْتُ بِجَمِيلٍ ، وَتَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قَمُولٍ
وَلَقَدْ أَجْرُ الدَّلِيلِ فِي وَادِي الْقُرَى ، نَشْوَانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَتَخِيلٍ
قُومِي بِبُثَيْنَةَ ، فَنَادَيْتُ بِعَوِيلٍ ، وَأَبْكِي خَلِيلَكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ .
ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَيْهِ فَمَاتَ .

غشية تجيء وأخرى تذهب

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن يوسف العلاف يقرأني عليه، أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد ابن عثمان بن شاهين، حدثنا جعفر بن محمد، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي، حدثنا علي القمي، حدثني أبو المصعب المديني قال :

دخلتُ على الربيع بن عبيد، وكان قد أخذته زَمَعَةُ الحبِّ، وتَئِيمَ عقله، فكان يُصِيبُهُ كالغفلة حتى يذهبَ عقله، فسمعتُه وهو يخاطبُ نفسه، ويقول :

الْحَبُّ لَوْ قَطَعَنِي مَا قُلْتُ لِلْحَبِّ ظَلَمَ
قَدْ كُنْتُ حَلِوًا، زَمَنًا، فاليَوْمَ يَبْدُو مَا كُنْتُ

قال : قلت كيف أنت يرحمك الله ؟ فقال : من أنت ؟ فقلت : أنا أخوك أبو المصعب . قال : غشية تجيء ، وأخرى تذهب ، وأنا أتوقع الموتَ ما بينَ ذلك . قلت : اللهُ بينك وبينَ من ظلمك . قال : مه ، والله ما أحبُّ أن يتأله مكرؤه في الدنيا ولا في الآخرة ! ثم تنفَسَ حتى رَحِمَتْهُ ، وهَمَّتْ دُمُوعُهُ ، وذهبَ عقله ، فقامتُ عنه .

الهمّ الملازم

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري في ما أذن لنا أن نرويه عنه ، أخبرنا أبو القاسم طلحة ابن محمد الشاهد ، أخبرنا أبو عبد الله الحرمي بن أبي العلاء وهو أحمد بن محمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن أبي الخمسة النطفاني المكي ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثني محمد بن حسن :
 أنشدني مُحَرِّزُ بن جعفر لِعُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي :
 غُرَابٌ وَظَبْيٌ أَعَصَبُ الْقَرْنِ بَادِيًا ، بَصْرَمٌ ، وَصِرْدَانُ الْعَشِيِّ تَصْبِيحُ^١
 لَعَمْرِي لَنْ شَطَّتْ بَعْتَمَةَ دَارُهَا ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَشَكِ الْفَرَاقِ أَلِيحُ^٢
 أَرْوَحُ بِهِمْ ، ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ ، وَيُحَسِّبُ أُنِي فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ

الفتى المشدود بالحبل

ذكر أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز ونقلته من خطه ان أبا بكر محمد بن خلف المحولي حدثهم قال : حدثنا يحيى بن جعفر الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد ابن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن عتبة بن المغيرة الاخنس عن الزهري عن عبد الله بن أبي حنيفة عن أبيه قال :

كنتُ في خيل خالد بن الوليد فقال لي فتى منهم ، وهو في سِنِّي ، قد جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنْقِهِ بِرُمَّةٍ ، وَنِسْوَةٌ مَجْتَمَعَاتٌ غَيْرُ بَعِيدَاتٍ عَنْهُ : يَا فَتَى ! قلت : ما تشاء ؟ قال : هَلْ أَنْتَ آخِذٌ بِهَذِهِ الرُّمَّةِ وَمُدْنِيٍّ مِنْ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ ، فَأَقْضِي إِلَيْهِنَّ حَاجَةً ، ثُمَّ تَرُدَّنِي ، ففعل ما بدا لك ؟
 قال : قلت والله ليسيرٌ ما طلبت . فأخذتُ بِرُمَّتِهِ حَتَّى وَقَفْتُهُ ، فقال :
 إِسْلَمْ حُبَيْشَ عَلَى بَعْدِ الْعَيْشِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

١ الأعمص : الملوي ، كانوا يطهرون من الغراب والظبي الملوي القرن . الصرم : القطيعة .
 الصردان ، الواحد صرد : طائر ضخم الرأس أبيض البطن أخضر الظهر يصطاد صفار الطير .
 ٢ أليح : أخاف ، أحاذر .

حكاية : إسلام حبيش على بعد العيش

ذكر أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز ، وفقلته من خطه ، أن أبا بكر محمد خلف ابن المرزيان حدثهم قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الكوفي ، حدثنا الهيثم بن عدي ، حدثني سعيد بن شيبان عن أبي مسعود الأسلمي عن أبيه قال :

نشأ فينا غلامٌ يقال له عبد الله بن علقمة ، وكان جميلاً ، فهَوِيَ جاريةً من غيرِ فَعْذِهِ ، يقال لها حُبَيْشَة ، فكان يأتيها ، وَيَتَحَدَّثُ إليها . قال : فخرج ذات يومٍ من عندها ، ومعهُ أُمُّهُ ، فرأى في طريقه ظبيةً على رابية ، فأنشأ يقول :

يا أُمَّنا خَبَرِنا ، غيرَ كاذِبَةٍ ، ولا تشوي سؤولَ الخيرِ بالكذبِ
حُبَيْشُ أَحْسَنُ أُمِّ ظَبْيٍ بَرَّاءَةٍ ، لا بل حُبَيْشَةُ من دُرٍّ ومِن ذَهَبِ
انصرفَ من عندها مرَّةً أُخْرَى ، فأصابته السماءُ ، فأنشأ يقول :

وما أدري ، إذا أَبْصَرْتُ يَوْمًا ، أَصَوْبُ الْقَطْرِ أَحْسَنُ أُمِّ حُبَيْشُ
حُبَيْشُ ، وَالَّذِي خَلَقَ الْبَرَّاءَةَ عَلَى أَنْ لَيْسَ عِنْدَ حُبَيْشَ عَيْشُ
فلما كثرَ ذلك منه وشهِرَ بها ، قال قومُه لأُمِّهِ : إنَّ هذا الغلامَ يَتِيْمٌ ،
وإنَّ أَهْلَ هذه المرأةِ يَرْغَبُونَ بأنفسهم عنكم ، فانظري جاريةً من قومك
ممن لا تَمْتَنِعُ عليك ، فزَيِّئِها وأَعْرِضِيها عليه لعلَّه يَتَعَلَّقُها وَيَسْلَى ؛ ففعلت ،
وحضرتها نساؤها ، فجعلوا يَعْرضُونَ عليه نساءَ الحَيِّ ، ثُمَّ يقولون له :
يا عبد الله ! كَيْفَ تَرَى ؟ فيقول : لِيهاً ، وَاللهُ حَسَناءُ ، إلى أن قال قائل :
أهي أَحْسَنُ أُمِّ حُبَيْشَة ؟ فقال : مَرَعَى ولا كالسعدانِ .

فلما يثسوا من أن ينصرفَ عنها ، قال بعضهم لبعض : عليكم بِحُبَيْشَة ،

١ مرعى ولا كالسعدان : مثل من أمثال العرب أراد به هنا أن كل النسوة جميل ولكنهن لسن كحبيشة . والسعدان نبت له شوك وهو من افضل ما ترعاه الإبل .

وَطَمِعُوا أَنْ يَأْتُوا الْأَمْرَ مِنْ قِبَلِهَا ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَنْ أَتَاكَ ، لَا تَزْرِينْ
 بِهِ ، وَتَسْجِهْهُمِنْهُ ، وَتَقُولِينَ لَهُ : أَنْتَ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَلَا تَقْرَبْنِي ،
 وَتَحْنُ بِمِرْأَى مِنْكَ وَمَسْمَعٍ ، لِيَفْعَلَنَّ بِكَ مَا يَسُوءُكَ ، فَأَتَاهَا ، فَلَمْ تَكَلِّمْهُ
 بِشَيْءٍ مِمَّا قَالُوا ، وَلَمْ تَزِدْ عَلَى أَنْ نَظَرَتْ إِلَيْهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَتْ
 عَيْنَيْهَا بِالْبِكْمَى ، فَانصَرَفَ عَنْهَا ، وَهُوَ يَقُولُ :

وَمَا كَانَ حُبِّي عَنْ نَوَالٍ بَدَلَتْهُ وَلَيْسَ بِمُسْلِيٍّ التَّجَهُّمُ وَالْهَجَرُ
 سِوَى أَنْ دَائِي مِنْكَ دَاءٌ مُوَدَّةٍ ، قَدِيمًا ، وَلَمْ يُمَزَّجْ كَمَا تُمَزَّجُ الْخَمْرُ
 وَمَا أَنْسَ مِلَّ أَشْيَاءٍ لَا أَنْسَ دَمْعَهَا وَنَظَرَتَهَا حَتَّى يُغَيِّبَنِي الْقَبْرِ
 فَبَيْنَمَا هُمَا عَلَى أَشَدِّ مَا كَانَا عَلَيْهِ مِنَ الْهَوَى وَالصَّبَوَةِ ، إِذْ هَجَمَ عَلَيْهِمْ
 جَيْشُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ يَوْمَ الْغُمَيْصَاءِ ، فَأَخَذَ الْغَلَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ خَالِدٍ ،
 فَأَرَادَ قَتْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَلَسَ بِي أَهْلُ تِلْكَ الْبُيُوتِ أَقْضَى إِلَيْهِنَّ حَاجَةٌ ، أَفَعَلَّ
 مَا بَدَأَ لَكَ .

قَالَ : فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى خَيْمَةِ مِنْهَا ، فَقَالَ : إِسْلِمْ حُبَيْشَ بَعْدَ
 انْقِطَاعِ الْعِيشِ ، فَأُجَابَتْهُ فَقَالَتْ : سَلِمْتَ وَحَيَّاكَ اللَّهُ عَشْرًا ، وَتَسْعًا وَتِرَاءً ،
 وَكِلَانًا تَتَرَى ، فَلَمْ أَرَ مِثْلَكَ يُفْتَلُّ صَبْرًا . وَخَرَجَتْ تَشْتَدُّ ، وَعَلَيْهَا خِمَارٌ
 أَسْوَدٌ ، وَقَدْ لَانَتْهُ عَلَى رَأْسِهَا ، وَكَانَ وَجْهُهَا مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، فَقَالَ
 حِينَ نَظَرَ إِلَيْهَا :

أَرَيْتُكَ إِنْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِبِرَّةٍ ، أَوْ إِنْ لَمْ تَفُتْنِي الْخَرَائِقُ^١
 أَمَا كَانَ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السَّرَى وَهُوَ رَاهِقٌ^٢
 فَلَيْنَا لَا سِرًّا لَدَيَّ أَضَعُّهُ ، وَلَا رَاقٍ عَيْنِي بَعْدَ وَجْهِكَ رَاقٍ

١ الخرائق ، الواحد خرق : الفتي من الأرائب . ولا فدي ما المراد منه هنا . برزة : لعلها موضع .

٢ ادلاج السرى : السير في الليل كله . الراهق : الممجل .

على أن ما بات العشيّة شاغلٌ ، فلا ذكرَ إلاّ أن تكونَ تَوَامِقُ^١
 فها أنا مأسورٌ لَدَيْكَ مُكَبَّلٌ ، وما أنا بعدَ اليومَ بالعتبِ ناطِقُ
 فأجابته :

أرى لك أسباباً أظنّكَ مُخْرِجاً بهَا النفسَ من جنبيّ وَالرَّوحُ زَاهِقُ
 فأجابها فقال :

فإنْ يَقْتُلُونِي ، يا حُبَيْش ، فلم يَدَعْ
 وَأَنْتِ الَّتِي قَفَلْتَ جِلْدِي عَلَى دَمِي وَعَظَمِي وَأَسْبَلْتَ الدَّمْعَ عَلَى النَّهْرِ^٢
 فأجابته فقالت :

وَنَحْنُ بِكَيْنَا مِنْ فِرَاقِكَ مَرَّةً ، وَأُخْرَى ، وَقَابَسْنَا لَكَ الْعُسْرَ بِالْيُسْرِ
 فَأَنْتِ فَلَا تَتَبَعِدُ ، فَنِعَمَ أَخُو النَّدَى ، جَمِيلُ الْمُحْيَا فِي الْمُرُوءَةِ وَالْبِشْرِ
 قال الذي أَخْبَرَ به : فلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُمَا أَدْرَكْتَنِي الْغَيْرَةُ ، فَضَرَبْتَهُ
 ضَرْبَةً ، فَقَطَعْتُ مِنْهَا يَدَهُ وَعُنُقَهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قَدْ سَقَطَ قَالَتْ لِي : ائْذَنْ
 لِي أَنْ أَجْمَعَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ ، فَأَذِنْتُ لَهَا ، فَجَمَعْتَهُ وَجَعَلْتُ تَمْسَحُ التَّرَابَ
 عَنْ وَجْهِهِ بِخِمَارِهَا وَتَبْكِي ، ثُمَّ شَهَقْتُ شَهَقَةً خَرَجَتْ مَعَهَا نَفْسُهَا .

موت عروة بن حزام

قال أبو بكر بن المَرْزُبَانِ وأخبرنا أحمد بن زهير ، أخبرنا الزبير بن بكار ، أخبرني أبي
 قال : قال عروة بن الزبير :

مَرَرْتُ بِوَادِي الْقُرَى فَقِيلَ لِي : هل لك في عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ ؟ فقلت :
 الَّذِي يَلْقَى مِنَ الْحَبِّ مَا يَلْقَى ؟ قَالُوا : نعم ! فخرَجْتُ حَتَّى جِئْتُهُ ، فَلِذَا هُوَ

١ توامق : تحب .

٢ قفلت : أبيت . قوله : عل النهر ، هكذا في الأصل .

فِي بَيْتٍ مُسْفَرٍ عَنِ الْبُيُوتِ ، وَإِذَا ، وَاللَّهِ ، حَوَّلَهُ أَخَوَاتُ لَهُ أَمْثَالُ التَّمَائِيلِ ،
وَأُمِّهِ وَخَالَتِهِ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ عُرْوَةُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قُلْتُ : صَاحِبُ
عَفْرَاءٍ ؟ قَالَ : صَاحِبُ عَفْرَاءٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى قَاعِدًا فَقَالَ : وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :
وَعَيْنَانِ مَا أَوْفَيْتُ نَشْرًا فَتَنْظَرَا بِيَا فِيهِمَا إِلَّا هُمَا تَكْفِيَانِ^١
أَلَا فَاحْمِلَانِي ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ، إِلَى حَاضِرِ الْبَلَقَاءِ^٢ ثُمَّ ذَرَانِي^٣
ثُمَّ التَفْتُ إِلَى أَخَوَاتِهِ فَقَالَ :

مَنْ كَانَ مِنْ أُمَّهَاتِي بِنَاكِيًا أَبَدًا ، فَالْيَوْمَ لَنِي أَرَاكَ الْيَوْمَ مَقْبُوضًا^٤
مَنْ كَانَ يَلْحَقُونِي غَيْرُ سَامِعِيهِ ، إِذَا عَلَوْتُ رِقَابَ الْقَوْمِ مَعْرُوضًا
قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ : فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ بَرَزَنَ وَاللَّهُ يَضْرِبُ حُرَّ
الْوُجُوهِ ، وَيَشْقُقُنَ جُيُوبَهُنَّ . قَالَ عُرْوَةُ : فَقُمْتُ ، فَمَا وَصَلْتُ إِلَى مَنْزِلِي
حَتَّى لَحَقَنِي رَجُلٌ فَقَالَ : قَدْ مَاتَ .

قصة عروة وعفراء *

نقلت من خط ابن حيويه : حدثنا أبو بكر بن المرزبان ، حدثني أبو العباس فضل بن محمد
اليزيدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، أخبرني لقيط بن بكر المحاربي
أن عروة بن حزام وعفراء ابنة مالك العُدريين ، وهما بطن من عُدرة ،
يقال لهم بنو هند بن حزام بن ضبة بن عبد بكير بن عُدرة ، نشأ جميعاً
فَعَلَقَهَا عِلَاقَةَ الصَّبِيِّ ، وَكَانَ عُرْوَةُ يَتِيمًا فِي حِجْرِ عَمِّهِ ، حَتَّى بَلَغَ ، فَكَانَ
يَسْأَلُ عَمَّهُ أَنْ يَزَوِّجَهُ عَفْرَاءَ فَيَسُوْقُهُ ، إِلَى أَنْ خَرَجَتْ عِيْرٌ لِأَهْلِهِ إِلَى الشَّامِ ،

١ النشز : المكان المرتفع . تكفان : ترسلان الدمع .

٢ البلقاء : موضع . ذراني : اتركاني .

٣ أراك : أظنك . مقبوضاً ، من قبض : مات .

وَحَرَجَ عُرْوَةَ إِلَيْهَا، وَوَقَدَ عَلَى عَمِّهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْبَلَاءِ يُرِيدُ الْحَجَّ ، فَخَطَبَهَا ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ .

وَأَقْبَلَ عُرْوَةَ فِي عَيْرِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِتَبُوكَ نَظَرَ إِلَى رِفْقَةٍ مُقْبِلَةٍ مِنْ نَحْوِ الْمَدِينَةِ فِيهَا امْرَأَةٌ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرٍ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ ، إِنَّهَا شَمَائِلُ عَمْرَاءَ ، فَقَالُوا : وَيَحْكَ ! مَا تَرُكُ ذِكْرَ عَمْرَاءَ لشيءٍ ؟ قَالَ : وَجَاءَ الْقَوْمُ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَتَبَيَّنَ الْأَمْرَ يَبَسَ وَبَقِيَ قَائِمًا لَا يَتَحَرَّكُ ، وَلَا يُحِيرُ كَلَامًا ، وَلَا يُرْجِعُ جَوَابًا ، حَتَّى بَعُدَ الْقَوْمُ ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلِي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ رِعْدَةٌ ، لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَبِيبٌ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأُبْهَتَ حَتَّى مِمَّا أَكَادُ أُجِيبُ
فَقُلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ : دَاوْنِي ، فَإِنَّكَ إِنْ أَبْرَأْتَنِي لَطَبِيبٌ
فَمَا بِي مِنْ حَمَى وَلَا مَسَّ جِنَّةٍ ، وَلَكِنْ عَمِيَ الْحِمِيرِيُّ كَدُوبٌ

قال أبو بكر : وَعَرَّافُ الْيَمَامَةِ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ عُرْوَةَ وَغَيْرُهُ مِنَ الشُعْرَاءِ ، هُوَ رِيَّاحُ بْنُ رَاشِدٍ وَيُكْنَى أَبَا كُحَيْلَةَ ، وَهُوَ عَبْدُ لَبْنِي يَشْكُرُ ، تَزَوَّجَ مَوْلَاهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي الْأَعْرَجِ ، فَسَاقَهُ فِي مَهْرِهَا ثُمَّ ادَّعَى بَعْدُ نِسْبًا فِي بَنِي الْأَعْرَجِ .

ثُمَّ إِنْ عُرْوَةَ انصرفت إلى أهلها وأخذته البكاء والهلاس حتى نحل ، فلم يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ : هُوَ مَسْحُورٌ ، وَقَالَ قَوْمٌ : بَلْ بِهِ جِنَّةٌ ! وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ هُوَ مُوسُوسٌ ، وَإِنْ بِالْحَاضِرِ مِنَ الْيَمَامَةِ لَطِيبًا يَدَاوِي مِنَ الْجُنِّ ، وَهُوَ أَطَبُّ النَّاسِ ، فَلَوْ أُتِمِّمُوهُ ، فَلَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِ بَنِي عُدْرَةَ حَتَّى دَاوَاهُ ، فَجَعَلَ يَسْقِيهِ السَّلْوَانَ^١ ، وَهُوَ يَزْدَادُ سَقَمًا ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : يَا هِنَاهُ ! هَلْ عِنْدَكَ لِلْحَبِّ دَوَاءٌ أَوْ رُقِيَّةٌ ؟ فَقَالَ :

١ السلوان : خرزة كان العرب يضعونها في الماء ويسقون المجنون أو المريض فيشفى في زعمهم .

لا والله . فانصرفوا حتى مروا بطبيبٍ بحجيرٍ ، فعالجه وصنع به مثل ذلك ، فقال له عروّة : والله ما دائي ودوائي إلا شخصٌ بالبقاء مقيمٌ ، فهو دائي ، وعنده دوائي .

وفي غير هذه الرواية : شخصٌ بالبقاء مقيمٌ هو ورّائي ، أي أمرضني ، وهزلّني ، والورّى داءٌ يكون في الجوف مثل القرحة والسل .

قال سحيم عبد بني الحسحاس :

ورّاهنّ ربّي مثل ما قد ورّينّي ، وأحمّي على أكبادهنّ المسكويّة

رجع الحديث قال : فانصرفوا به ، فأنشأ يقول عند انصرافهم به :

جعلتُ لعرفِ اليمامةِ حكمه وعرفِ حجيرٍ إن هُما شقيّاني

فقالا : نعم انشفي من الداء كله ، وقامّا مع العوادِ يستدِرّان

فمّا تركّا من رقيّة يعلمانيها ، ولا سلوةٍ إلا وقد سقيّاني

فقالا : شفاك الله ، والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوعُ يَدانِ

قال : فلمّا قدم على أهله ، وكان له أخوات أربعٌ ووالدةٌ وخالةٌ ،

فمريضٌ دهرًا ، فقال هنّ يوماً : اعلمنّ أنّي لو نظرتُ إلى عفراءَ نظرةً ذهبَ

وجعي ، فذهبنّ به حتى نزلوا البلقاء مُستخفين ، فكأنّ لا يزالُ يُلِيمُ بعفراءَ ،

ويَنظُرُ إليها ، وكانت عند رجلٍ كريمٍ سيّدٍ كثيرِ المالِ والغاشية .

فبينما عروّةُ يوماً بسوقِ البلقاء ، إذ لقيه رجلٌ من بني عُدرةٍ فسأله عن

حالهِ ومقدمهِ ، فأخبره . قال : والله لقد سمعتُ أنّك مريضٌ ، وأراك قد

صححتَ . فلمّا أمسى الرجلُ دخلَ على زوجِ عفراءَ فقال : متى قدِمَ

عليكم هذا الكلبُ الذي قد فضحككم؟ فقال زوجُ عفراءَ : أي كلبٍ هو؟ قال :

عروّة ! قال : أو قد قدِمَ؟ قال : نعم ! قال : أنت والله أولى بها منه أن تكون

١ وفي رواية أخرى : وعرف نجد .

كلباً ، ما علمتُ بقُدُومه ، ولو علمتُ لضممتَه إليّ .

فلما أصبح غدا يستدلّ عليه حتى جاءه ، فقال : قدمتَ هذا البلد ، ولم تنزل بنا ، ولم ترَ أن تعلّمنا بمكانك فيكونَ منزلكم عندنا وعليّ ، إن كان لكم منزلٌ إلا عندي . قال : نعم ! نتحولُ إليك الليلة ، أو في غد . فلما ولّى قال عروّة لأهله : قد كان ما تروون ، وإن أنتم لم تخرجوا معي لأركبنَ رأسي ولألحقنَ بقومكم ، فليسَ عليّ بأسٌ . فارتحلوا وركبوا طريقهم ، ونكسَ عروّة ولم ينزلْ مُدنفاً ، حتى نزلوا وادي القرى .

وروى العمري عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي مسكين أن عفرَاء لما بلغها وفاة عروّة قالت لزوجها : يا هناء ! قد كان من أمرِ هذا الرجل ما بلغك ، والله ما كان ذلك إلا على الحسن الجميل ، وإنه قد بلغني أنه مات في أرض غربيّة ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لي فأخرجَ في نسوة من قومي فيندبنّه ويبكينَ عليه . فقال : إذا شئتِ ، فأذنْ لها ، فخرجت ، وقالت ترثيه :

ألا أيّها الركبُ المخيّون ويحكّم ! بحقّ نعيم عروّة بن حزام
فلا هنيء الفتيان بعدك غارة ، ولا رجعوا من غيبةٍ بسلام
فقلّ للحبالي لا ترجين غائباً ، ولا فرحاتٍ بعسدهُ بغلام

قال : ولم تنزلْ تُردّدُ هذه الأبيات وتبكي حتى ماتت ، فدُفِنَتْ إلى جانبه ، فبلغ الخبر معاوية ، فقال : لو علمتُ بهذين الشريفين لجمعتُ بينهما . وقد روي مثل هذا الكلام عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

وحدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا ، حدثنا العيشي عن أبيه قال : لما زوجت عفرَاء جعل عروّة يضعُ صدره في أعطانِ إبلها ، وحيثُ

١ الاعطان ، الواحد عطن : مبرك الإبل .

كانت تجلس ، فقيل له : اتق الله ، فإن هذا غيرُ نافعك ، فأنشأ يقول :
 بِي اليأسُ ، أو داءُ الهَيَامِ سَقِيَّتُهُ ، فليأتك عني لا يَكُنْ بكَ ما يَمَّا

الهجران لأم

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، حدثنا أبو القاسم طلحة ، حدثنا الجرمي بن أبي
 العلاء ، حدثني الزبير ، حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن حبيد بن أبي سلمة :

أنشدني جَدِّي يوسفُ بن الماحشون لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

كَشَمْتَ الهَوَى حَتَّى أَضَرَّ بِكَ الْكَمُ ،	وَلَا مَكَ أَقْوَامُ ، وَلَوْ مُهْمُ ظُلْمُ
وَتَمَّ عَلَيْكَ الْكَاشِحُونَ ، وَقَبْلَهُم	عَلَيْكَ الهَوَى قَدْ نَمَّ لَوْ نَفَعَ النَّمُ
وَزَادَكَ إِغْرَاءً بِهَا طُولُ هَجْرِهَا ،	قَدِيمًا ، وَأَبْلَى لَحْمَ أَعْظَمِكَ الهَمُّ
فَأَصْبَحْتَ كَالْهِنْدِيِّ ، إِذْ مَاتَ حَسْرَةً	عَلَى لِأَثْرِ هِنْدٍ ، أَوْ كَمَنْ سَقَى السَّمُّ
أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَسْقُضِي	عَنَاهَا ، وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ
تَجَنَّبْتَ لِثَبَانَ الْحَبِيبِ تَأْتِمًا ،	أَلَا إِنَّ هَجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ الْإِثْمُ
فَذُقْ هَجْرَهَا ، قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ	رَشَادٌ ، أَلَا يَا رَبِّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

مصطبران على البلوى

أخبأنا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري الحافظ ، أخبرنا أبو الحسين بن روح النهرواني ،
حدثنا المعافى بن زكريا

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي عن أحمد بن يحيى أنه أنشد :

هَوَى نَأَقَتِي خَلْفِي ، وَقُدَّامِي الْهَوَى ، وَلَإِنِّي وَإِيَّاهَا لِمُخْتَلِفَانِ
هَوَايَ عَرَّاقِي وَتَشَنِّي زِمَامَهَا ، كَبَّرَقِي سَرَى بَعْدَ الْهُدُوءِ يَمَانِي
تَحِينٌ وَأَبْكِي ، إِنَّهَا لَسَلِيَّةٌ ، وَإِنَّا عَلَى الْبَلَوَى لِمُصْطَبِرَانِ

فضل الشاعرة

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي إجازة ، أخبرنا القاضي أبو عمر أحمد بن محمد بن
الغلاف ، أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدثني عمرز الكاتب ، أخبرني يحيى بن
المصيب قال :

كنتُ عند فضل الشاعرة إذ استأذنَ عليها إنسانٌ فأذنت له ، وقالت :
ما حاجتُك ؟ قال : تجيِّزينَ مصراعَ بيتٍ من شعري . قالت : ما هو ؟ قال :
مَنْ لِمُحِبِّ أَحَبِّ فِي صِغَرِهِ

فصارتَ أحدُوثَةً على كِبَرِهِ فقالت :

مِنْ نَظَرٍ شَفَهُ وَأَرْقَهُ ، فَكَانَ مَبْدَأَ هَوَاهُ مِنْ نَظَرِهِ
لَوْلَا الْأَمَانِي لِمَاتَ مِنْ كَمَدٍ ، مَرُّ اللَّيَالِي يَزِيدُ فِي ذِكْرِهِ
مَا لَنْ لَهُ مُسْعِدٌ فَيُسْعِدُهُ بِاللَّيْلِ فِي طَوْلِهِ وَفِي قِصَرِهِ

١ الهدوء : المزيج من الليل .

شهقة الموت

قال محمد بن المَرْزبان ، ونقلته من خط ابن حيويه عنه ، قال : أخبرني بعض أصحاب المدايني ، أخبرنا المدايني ، أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال :

كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَكَانَ شَاعِرًا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ ابْنَةٌ عَمٌّ لَهُ ، وَكَانَ لَهَا عَاشِقًا ، وَبِهَا مُسْتَهْتَرًا ، فَضَاقَ ضَيْقَةً شَدِيدَةً ، وَأَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى هِشَامٍ إِلَى الرَّصَافَةِ ، فَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ يَجِدُ بِهَا ، وَكَرِهَ فِرَاقَهَا ، فَقَالَتْ لَهُ يَوْمًا ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْهَا الضَّيْقُ : يَا ابْنَ عَمِّي ! أَلَا تَأْتِي الْخَلِيفَةَ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَقْسِمَ لَكَ مِنْهُ رِزْقًا ، فَتَكْشِفَ بِهِ بَعْضَ مَا نَحْنُ فِيهِ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهَا نَشَطَ لِلخُرُوجِ ، فَتَجَهَّزَ ، وَمَضَى ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الرَّصَافَةِ عَلَى أُمِّيَالٍ خَطَرَ ذِكْرُهَا بِقَلْبِهِ ، وَتَمَثَّلَتْ لَهُ ، فَلَبِثَ سَاعَةً شَبِيهَاً بِالْمَغْمَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ لِلْجَمَّالِ : أَحْبِسْ ، فَحَبَسَ إِيْلَهُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَيْنَمَا نَحْنُ فِي بِلَاكْتَ فَالْقَسَا عِ سِرَاعًا ، وَالْعَيْسُ تَهْوِي هُوِيًا
خَطَرَتْ خُطْرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِكَ رَاكِ ، وَهَنًا ، فَمَا أَطَقْتُ مُضِيًا
قُلْتُ : لَبَيْكَ ، إِذْ دَعَانِي لِكَ الشَّوْقِ قُ ، وَلِلْحَادِيَيْنِ رُدًّا الْمَطِيَا
فَكَرَرْنَا صُدُورَ عَيْسٍ عِتَاقٍ ، مُضْمَرَاتٍ ، طُوْنٍ بِالسَّيْرِ طَيَّا
ذَلِكَ مِمَّا لَقَيْنَ مِنْ دَلَجِ السَّيْرِ رِ ، وَقَوْلِ الْحُدَاةِ ، بِاللَّيْلِ هَيَّا
ثُمَّ قَالَ لِلْجَمَّالِ : ارْجِعْ بِنَا ! فَقَالَ لَهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، قَدْ بَلَغْتَ طَيْبَتِكَ
هَذِهِ آيَاتُ الرَّصَافَةِ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَخْطُو خُطْوَةً إِلَّا رَاجِعَةً ، فَارْجِعْ ،
حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى قَدَرِ مِيلٍ لَقِيَهُ بَعْضُ بَنِي عَمِّهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ
امْرَأَتَهُ قَدْ تُوَفِّيَتْ ، فَشَهَقَ شَهَقَةً ، وَسَقَطَ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ مَيِّتًا .

١ بلاكت والقاع : موضعان .

جنون وعشق

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني في المسجد الحرام بقراءتي عليه بباب الندوة ، أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المذكر ، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الصوفي القزويني ، حدثنا شاذل ، حدثنا يحيى بن سليمان المادرائي ، حدثنا اسحاق بن ابراهيم الأبي قال :

رَأَيْتُ غَوْرَكَ يَوْمًا خَارِجًا مِنَ الْحَمَامِ ، وَالصَّبَّانُ يُؤْذِنُهُ ، فَقُلْتُ :
ما خبرك أبا محمد ؟ قال : قد آذاني هؤلاء الصَّبَّانُ ، أَمَا يَكْفِينِي مَا أَنَا فِيهِ مِنَ
الْعِشْقِ وَالْجَنُونِ ؟ قُلْتُ : مَا أَظْنُكَ مَجْنُونًا . قال : بلى ، وَاللَّهِ ، وَبِئْسَ عِشْقٌ
شَدِيدٌ . قُلْتُ : هَلْ قُلْتَ فِي عِشْقِكَ وَجَنُونِكَ شَيْئًا ؟ قال : نعم ، وَأُنْشِدُ :
جُنُونٌ وَعِشْقٌ ذَا يَرُوحُ وَذَا يَغْدُو ، فَهَذَا لَهُ حَدٌّ ، وَهَذَا لَهُ حَدٌّ
هُمَا اسْتَوْطَنَا جَسْمِي وَقَلْبِي كِلَاهُمَا ، فَلَمْ يَبْقَ لِي قَلْبٌ صَحِيحٌ ، وَلَا جِلْدٌ
وَقَدْ سَكَنَّا تَحْتَ الْحَشَا ، وَتَحَالَفَا عَلَى مُهْجَتِي أَلَا يُفَارِقُهُمَا الْجَهْدُ
فَأَيُّ طَبِيبٍ يَسْتَطِيعُ بِحِيلَةٍ ، يُعَالِجُ مِنْ دَاءٍ مِمَّا مِنْهُمَا بُدُّ

الفتى والشيخ العاشق

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي إن لم يكن سماعاً فإجازة ، أخبرنا عبد الغفار بن عبد الواحد بن نصر الارموي ، حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد القاضي ، حدثني أبو بكر أحمد بن محمد الميموني ، حدثني محمد بن عمر ، حدثني أبو عبد الله الروذباري قال :

دَخَلْتُ دَرْبَ الزَّعْفَرَانِي ، فَرَأَيْتُ فَتًى قَدْ صَرَعَ شَيْخًا ، وَهُوَ يَكَلِّمُهُ
وَيَعُضُّ حَلْقَمَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا فَتَى أَتَفْعَلُ هَذَا بِأَبِيكَ ؟ وَظَنَنْتُهُ أَبَاهُ ، فَقَالَ :
دَعْنِي حَتَّى أَفْرَغَ مِنْهُ ثُمَّ أَحَدِّثْكَ بِقِصَّتِي ، فَلَمَّا فَرَغَ قُلْتُ : يَا فَتَى مَا
ذَنْبُهُ ؟ قَالَ : إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَهُوَانِي ، وَكَهْ ثَلَاثُ مَا رَأَيْتُ .

زينة الله

أبنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد المعدل ، حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي ، أخبرنا عسل ، أخبرنا التوزي قال :
نظرَ رجلٌ من قریش إلى رجلٍ ينظر إلى غلامٍ وضيء الوجه ، فزجره ،
فراه مُحيريز الزاهدُ فقال له : هل رأيتَ غيرَ النظر ؟ قال : لا ! قال :
أتریدُ أن تبطلَ زینةُ اللهِ في بلاده ، وحليته في عبادِهِ ؟

ينشد في ظل خيمة

أخبرنا أبو عبد الله الأندلسي الحافظ من لفظه ، حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ، حدثنا القاضي أبو بكر عبد الله بن الربيع ، حدثنا القاضي أبو علي ، حدثنا أبو بكر بن دريد ، حدثنا عبد الرحمن بن عمه قال :
بينما أنا سائرٌ بناحية بلاد بني عامر ، إذا برجلٍ يُنشدُ في ظلِّ خيمةٍ له ،
وهو يقول :
أحقاً، عبادَ اللهِ ، أن لستُ ناظراً إلى قرقرى يوماً وأعلامها الغبر؟
كانَ فؤادي ، كلما مرَّ رَاكِبٌ ،
إذا ارتحلتُ نحوَ اليمامةِ رِفْقَةً ،
فينا رَاكِبَ الوجناءِ ! أبتَ مُسَلِّماً ،
إذا ما أقيتَ العُرضَ ، فاهتِفْ بِجَوْه :
سقيت على شحطِ النوى سبيلَ القطرِ

١ قرقرى : موضع .

٢ الوجناء : الناقة الشديدة .

٣ العرض : بلد في الشام .

فإنَّكَ مِنُ وَادٍ إِلَيَّ مُسْرَحَبٍ ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تُزْدَارُ إِلَّا عَلَى عَقْرِ
 قال : فَأَذِنْتُ ، وَكَانَ نَدَى الصَّوْتِ ، فَلَمَّا رَأَى أَوْماً إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ ، فَقَالَ :
 أَعْجَبَكَ مَا سَمِعْتَ ؟ فَقُلْتُ : إِي وَاللَّهِ ! فَقَالَ : أَمِنْ أَهْلِ الْحَضَارَةِ أَنْتَ ؟
 قُلْتُ : نَعَمْ ! قَالَ : فَمِمَّنْ تَكُونُ ؟ قُلْتُ : لَا حَاجَةَ لَكَ فِي السُّؤَالِ عَنْ ذَلِكَ .
 قَالَ : أَوْماً حَلَّ الْإِسْلَامُ الضُّغَائِنَ ، وَأَطْفَأَ الْأَحْقَادَ ؟ قُلْتُ : بَلَى ! قَالَ :
 فَمَا يَمْنَعُكَ إِذَا قُلْتَ : أَنَا امْرُؤٌ مِنْ قَيْسٍ ؟ قُلْتُ : الْحَبِيبُ الْقَرِيبُ . قَالَ :
 فَمِنْ أَيِّهِمْ ؟ قُلْتُ : أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ قَيْسٍ ، ثُمَّ أَحَدُ أَعْصَرِ بْنِ سَعْدٍ . قَالَ :
 زَادَكَ اللَّهُ قُرْبًا .

ثُمَّ وَتَبَ فَأَنْزَلَنِي عَنْ حِمَارِي ، وَأَلْقَى عَنْهُ لِكَافِهِ ، وَقَيَّدَهُ بِقِرَابِ
 خَيْمَتِهِ ، وَقَامَ إِلَى زَنْدٍ فَاقْتَدَحَ وَأَوْقَدَ نَارًا ، وَجَاءَ بِصِيدَانَةٍ^٢ ، فَأَلْقَى
 فِيهَا تَمْرًا ، وَأَفْرَغَ عَلَيْهِ سَمْنًا ، ثُمَّ لَتَهُ حَتَّى التَبَكَ ، ثُمَّ ذَرَّ عَلَيْهِ دَقِيقًا ، وَقَرَّبَهُ
 إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : إِنِّي إِلَى غَيْرِ هَذَا أَحْوَجُ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قُلْتُ : تَنْشُدُنِي .
 قَالَ : أَصَبْتَ فَإِنِّي فَاعِلٌ ، فَلَقِيتُ لُقَيْمَاتٍ وَقُلْتُ : الْوَعْدَ ! قَالَ : نَعْمَى
 عَيْنٍ ، وَأَنْشُدْنِي :

لَقَدْ طَرَقَتْ أُمُّ الْخُشَيْفِ ، وَإِنَّهَا إِذَا صَرَخَ الْقَوْمَ الْكَرَى لَطَرُوقُ^٣
 فَيَا كَبِيداً يُحْمَى عَلَيْهَا ، وَإِنَّهَا غَافَةً هَيْضَاتِ النَّوَى ، لَخَفُوقُ^٤
 أَقَامَ فَرِيقٌ مِنْ أَنْاسٍ يَوَدُّهُمْ ، بِذَاتِ الْغَضَا ، قَلْبِي ، وَبَانَ فَرِيقٌ
 بِحَاجَةٍ مَحْزُونٍ يَظَلُّ وَقَلْبُهُ رَهِينٌ بِبَيْضَاتِ الْحِجَالِ صَدِيقُ^٤

١ تزدار : تُزار . العفر : ظاهر التراب . ولا نعلم ماذا اراد به الشاعر هنا .

٢ الصيدانة : القدر من النحاس .

٣ الخشيف ، تصغير الخشف : ولد الغزال . طروق : تأتي ليلا .

٤ ببيضات الحجال : النساء .

تَحَمَّلْنِ أَنْ هَبَّتْ لَهْنٍ عَشِيَّةٌ جَنُوبٌ، وَأَنْ لَاحَتْ لَهْنٌ بُرُوقُ
كَأَنَّ فُضُولَ الرَّقْمِ حِينَ جَعَلْنَهَا ضَحِيًّا عَلَى أَدَمِ الْجِمَالِ عُدُوقُ^١
وَفِيهِنَّ مِنْ تَحْتِ السَّتَارِ تَحِلَّةٌ، تَكَادُ عَلَى غُرِّ السَّحَابِ تَرُوقُ
هَجِينٌ، فَأَمَّا الدَّعْصُ عَنْ أَخْرِيَاتِهَا فَوَعْتُ، وَأَمَّا خَصَرُهَا فَتَدْقِبِقُ^٢
فَفَارَقْتُهُ، وَأَنَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ ظَمًا إِلَى مَعَاوِدَةِ إِنْشَادِهِ .

التفريق بين مؤتلفين

أنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سلامة القضاعي عن أبي الحسن علي بن نصر بن
السياح ، حدثنا أبو عمر عبيد الله بن أحمد السمسار
أن أبا بكر بن داود الأصبهاني كان يدخل الجامع من باب الوراقين .
فلما كان بعد مدة عدل عنه وجعل دخوله من غيره ، وكنتُ مجترياً عليه ،
فسألته عن ذلك ، فقال : يا بني ! السببُ فيه أني في الجمعة الماضية أردتُ الدخولَ
منه فصادتُ عند البابِ حِدَكَيْنِ يَتَحَدَّثَانِ ، وكلَّ واحدٍ منهما مسروراً
بصاحبه ، فلما رأيايَ قالا : أبو بكر قد جاء ، فتنفرا ، فجعلتُ على نفسي أن
لا أدخلَ من باب فرقتُ فيه بين مؤتلفين .

* * *

- ١ الرقم : ضرب مخطوط من الوشي أو البرود . الفصحيا ، مصغر الفصحى : حين تشرق الشمس .
أدم الجمال : سمرها . العذوق ، الواحد عذق : وهو من الثغل كالمنقود من العنب .
٢ الهجين : من كان أبوه عربياً وأمه أمة . الدهص : الكثيب من الرمل شبه به مؤخرتها .
الوعث : السهل .

مصارع العشاق

الجزء الأول

الشيخ أبو محمد القاري	٥
المأمون يسأل ما هو المشق	١١
المشق داء أهل الظرف	١٢
المشق أوله لعب وآخره عطب	١٢
ذنوب اضطرار	١٢
المجننون الشاعر	١٣
الجنة لمن عشق وعف	١٣
الماشق الشهيد	١٤
سقراط والمشق	١٥
الماشق التقي	١٥
رواية ثالثة عن الماشق التقي	١٨
عاقبوه في سلك دمه !	١٨
مجنون دير هرقل	١٩
هند المحرمة	٢١
المجننون الشاعر	٢١
فراقية ابن زريق	٢٣
مجنون على الدرب	٢٥
لحم على وضع	٢٥
عقربا الصلطين	٢٦
قبر التديم	٢٦
مريض مطروح	٢٨
حي على الهم	٢٩
موت مروة بن سزام	٣٠
ذو الرمة ورسيس الهوى	٣١
موت الصوفي عاشق الغلام	٣١
عاشق يخاف مصيبة الله	٣٢
ليل العامرية ومجنونها	٣٣
ردوا على المشتاق قلبه الجريح	٣٤
الرشيد وجارية زلزل	٣٤
اطلبوا نفسي	٣٦
وجهك أغرف	٣٦
الميون الدعج	٣٧
صريع الذوائف	٣٧
غليل ودموع	٣٨
عبد الله بن جعفر وجاريته	٣٩
صريعا الحب	٤٠
أجساد بغير قلوب	٤١
السل داء الحب	٤٢
مجنون وعليمة	٤٢
الحب للمحب الأول	٤٣
دين القدر	٤٣
سواجع وهواتف	٤٤
من الحب اليائس الى التمدد	٤٥
خارب بيته	٤٨
آه من البين !	٤٨

٨٢	هل يأتيكم نفسي ؟	٤٩	وفاء زوجة
٨٢	المرأة الفاجرة والحية	٥١	جميل والبنات العذريات
٨٤	أبو نواس والغلام عند الحجر الأسود	٥٢	حبذا ذاك الظلوم
٨٥	الزاغ الشاعر العاشق	٥٣	الظريفة العاشقة
٨٦	الزاغ في رواية أخرى	٥٤	عليان المجنون
٨٧	الببليل الناطق	٥٥	عاشق يموت كتماناً
٨٨	حزة وكثير	٦٠	جفني كأس ودمعي الراح
٨٩	يرى الدم حلالاً	٦٠	رأي سقراط في العشق
٩٠	هيني لا أبوح	٦١	لا أنت تدري بي ولا أدري
٩٠	ما كان قلبي حاضراً	٦١	شكوى المحبين
٩١	لم يبق إلا نفس خافت	٦٢	مجنون الميربند
٩١	ثمر يقرع ثوراً	٦٢	ابراهيم بن المهدي والشعر
٩٢	ابنة أبي ربيعة وأبو مسهر	٦٣	راكب القصبة
٩٨	مائي الموسوس وعائلاته	٦٣	الأمين . حبه للشعر
٩٩	من أشعار مائي	٦٥	م . بلاء
٩٩	لحي الله يوم الدين	٦٦	أرض لوط
١٠٠	لروحات الحب نيران	٦٧	فاسق لم يغفر له
١٠٠	ذو الرمة ومي	٦٧	امرأة صاحب المسحاة والمملك
١٠١	أقرم السلام	٦٨	يقتل جاريته بريئة
١٠١	أيهما أصدق عشقاً	٦٩	قتيل لا يودى
١٠٢	يزيد بن عبد الملك وحبابه	٦٩	يقتلها ويبكي عليها
١٠٢	أبو السائب وشعر جرير	٧١	ظبيات لمن أسرى وقتل
١٠٣	عمر الوادي والراعي	٧١	إهدار دم الفاسق
١٠٣	من عشق فنفذ دخل الجنة	٧٢	عمر وابنة الشيخ الانفصاري
١٠٤	قتل العاشقين	٧٤	سوسن العابدة ومراوداها
١٠٥	ستان الصوفي والغلام	٧٥	يخون الغاوي فيقتل
١٠٥	قتيل القيان	٧٦	ما أذنبت إلا ذنب صحر
١٠٦	لا سبيل إلى وصله	٧٧	الحسناء المهجورة
١٠٦	الوائق وشعر الدارمي	٧٨	إنما يرحم الصحيح السقيم
١٠٧	الغلام وجارية المهدي	٧٨	يخفي المغني
		٨١	تقتل حفاظاً على عرضها

سيد العشاق ١٠٨	قبور العشاق ١٣٠
قتيل المهجران ١٠٩	ما ضرهم ١٣٠
ولما شكوت الحب ١٠٩	تملأ ساعة ١٣١
دماه أهل الهوى هدر ١١٠	فتاة مراة وخطيبها البكري ١٣١
مواقع الأنفس ١١٠	التبسم النمام ١٣٢
يجتمعان في القبر ١١٠	مي الغادرة ١٣٣
رد فؤادي ١١٢	اللس والمرأة التي أحبها ١٣٤
حديث عاشقين ١١٢	أبر دهيل والمرأة الشامية ١٣٥
أموت بدائي ١١٣	الصوفي وعلامه ١٣٧
مصارع العشاق ١١٣	يكبره الخلو بالعلام ١٣٧
غريقا الهوى ١١٣	على طريقة ابن مدرك الشيباني ١٣٨
التظير من البكاء ١١٤	عناية الله بخائفه ١٣٩
ما لقتيل الحب قود ١١٤	المجنون الأديب ١٤٠
الحب حلو ومر ١١٥	أربع نسوة وأربعة غربان ١٤١
لم يفتها جواره ميتاً ١١٥	أبو السائب والغراب ١٤١
تفارق قومها باكياً ١١٨	لبنى صاحبة قيس بن ذريح والغربان ١٤٦
يزيد يموت حزناً على حباية ١١٩	قليبي بك ١٤٧
الصوفي المتعفف ١٢٠	قاتل الله الرقيب ١٤٨
هويت شادناً ١٢١	معبد المني وعلامه ١٤٨
دهر يُشت ويجمع ١٢١	الفضل بن الربيع يهوى غلاماً ١٤٩
لو بدلت مساكنها ١٢٢	دمعة هطلت في ساعة البين ١٤٩
الفرزدق والبلوية الحسنة ١٢٢	حنّ شوقاً وأنّ ١٥٠
العشق شغل قلب فارغ ١٢٤	إيماش وابنة عمه صفوة ١٥٠
يتهدد بالمهجر ١٢٤	إبليس يغني ١٥٣
لا جسم ولا قلب ١٢٥	محنة العاشق ١٥٤
الحب أعظم من الجنون ١٢٥	المأمون والعباس بن الأحنف ١٥٤
كثير على قبر عزة ١٢٦	مهجور لا مسحور ١٥٥
الموت أيسر مملاً ١٢٧	صيرت لحظها سلاحاً ١٥٥
المينان القاتلتان ١٢٨	جمال يلهمي الناس ١٥٦
مات على قبر حبيبته ١٢٨	مجنون مصلد بالحديد ١٥٧

١٨٢	الجارية المجنونة والزروع	١٥٨	إمّا موت أو حياة
١٨٣	دعاء ربحان المجنون	١٥٨	عاشقان يصليان
١٨٤	لا تمرض ولا تهرم ولا تموت	١٥٩	الحياة المانع
١٨٤	الغلام الشهيد	١٥٩	العشاق الأعفاء
١٨٥	ابن جوهرية والغلام الجميل	١٦٠	سيوف البين
١٨٦	يحن بالحنان	١٦٠	لقاء في الجنة
١٨٦	المظلة القاتلة	١٦١	صخر بن الشريد وزوجته
١٨٧	خليلان في الجنة	١٦٢	نوم الفهد
١٩٣	الحارب إلى ربه والآبق من ذنبه	١٦٣	لم يفوا ولم يرحموا
١٩٧	الدب المنقطع إلى الله	١٦٤	ضجيج الكواكب
١٩٨	تصفيق القناديل	١٦٤	الهُوى حلو ومر
١٩٨	المشتاق إلى الجنة	١٦٥	زليخا ويوسف
١٩٩	أشعر من قال في منى	١٦٧	انتظري الدهر
١٩٩	أعين الإفس لا أعين الجن	١٦٧	هبوا ساعة
٢٠٠	قميص سعدون	١٦٨	الله يحذر التوايين
٢٠١	ذو النون الصوفي والمشتاقون	١٦٩	رجل لا يملك دمه
٢٠١	يا من يعز علي !	١٧٠	حنين المغنية الحسنة إلى بغداد
٢٠٢	كل كريم طروب	١٧٢	الأسود المتيّم بالله
٢٠٣	عروة بن حزام	١٧٢	الشبل وشعر المجنون
٢٠٣	جفون وجفون	١٧٣	سأل الله أن يبتليه
٢٠٤	القائلات الضعائف	١٧٤	ريحانة ناطقة
٢٠٥	الزوجة الفارك	١٧٤	عيسى بن مريم والأسد
٢٠٥	لابسة السواد	١٧٥	كمون الحب في الحشا
٢٠٦	ما ليالي وما لي	١٧٦	كل يحب حليل
٢٠٦	يا جارة الحي	١٧٦	المكفوف المجلوم
٢٠٧	رايعة العلوية الصوفية ومنامها	١٧٧	زوجتان من الحور العين
٢٠٨	معاذة وغايتها من صلاتها	١٧٩	الشهداء في قباب ورياض
٢٠٩	معاذة تبكي وتضحك عند احتضارها	١٧٩	عيناء الجنة
٢٠٩	ذو الرمة ومي	١٨١	جارية تزور في المنام
٢١٢	تألّفا في الحياة وفي الممات	١٨٢	خود في قصر زبرجد

٢٣٩	الأطباء والمحبون	٢١٢	الهدى إله معبود
٢٤٠	السوداء وحبيبتها عمرو	٢١٣	عمر بن عون وحبيبتها بيا
٢٤٢	مدرك الشيباني وعمرو النصراني	٢١٥	التقي مزي
٢٤٤	موسى في وقت الكلام	٢١٥	لا تنفع الرقى
٢٤٤	الحب يذهب بالحب	٢١٦	ماتت على القبر
٢٤٥	صوفي سيء الحال	٢١٦	إسحاق وزهر الأعرابية
٢٤٦	الطرف الغرار	٢١٧	الضيف الضائع
٢٤٧	الحاتف بالليل	٢١٨	التفاح بدل الجمار
٢٤٧	لي سكرتان	٢١٩	قمرية الوادي
٢٤٨	سكينة وعروة بن أذينة	٢١٩	الصوفي وعلامه
٢٤٨	الحالك من عشق	٢٢٠	الصوفي المتكشف
٢٤٩	كوى ما كوى	٢٢٣	أبو اسماعيل وفتح الموصل
٢٥٠	قتله خبر زواجها	٢٢٤	النفس حيث يجعلها الفتى
٢٥١	خشفت شبه الحبيب	٢٢٥	المظلة الناجمة
٢٥٢	العجوز المتصاية	٢٢٦	الحب الصارع
٢٥٣	أماتها ومات أسفاً عليها	٢٢٦	أم سبعة أنبياء
٢٥٤	عذبة الأنثى	٢٢٧	المرفق الشاعر وأسماء
٢٥٥	يكيت من الفراق	٢٣١	المحب المحاحد
٢٥٦	آه من الحب	٢٣٢	القبلة القاتلة
٢٥٦	قاتل الله الحمى	٢٣٢	ضل عنه فؤاده
٢٥٧	حديث كالقطر	٢٣٣	هل من آس لداء القلب ؟
٢٥٨	حديثها السحر الحلال	٢٣٣	بنت الوالي والسجين
٢٥٨	حديث كقطع الرياض	٢٣٤	دواء الحب غال
٢٥٨	مالي وللميد	٢٣٤	مرضى الحب
٢٥٩	مختصر يصف نفسه في ساعة الموت	٢٣٥	القطيعة أذهب للعقل
٢٦٣	نومة عبود	٢٣٥	أنا أشعر من قيس
٢٦٤	عمر وعفراء وعروة	٢٣٧	صيف الفراق
٢٦٤	شجرتان ملتفتان على قبرين	٢٣٧	مصدة القلوب
٢٦٥	القلب الخافق	٢٣٨	لمست له صبرة
٢٦٥	هاتف الجبل	٢٣٨	المأمون وجارية أبيه

٢٩٤	شعر ليحيى بن طالب	٢٦٦	المجنون الهائج
٢٩٥	غصة الحديث	٢٦٧	الناسك العاشق
٢٩٥	أفقى من الحب	٢٦٧	لا راحة ولا نوم
٢٩٦	نصيب وأم بكر	٢٦٨	آه من البين
٢٩٦	ابن أبي عتيق ونصير وسعدى	٢٦٩	يوم طش بعد رش
٢٩٧	عاشق يقتله الصد	٢٦٩	ابن أبي البغل والمغنية
٣٠١	شعر ملحون	٢٧٠	لا قضاة للعاشقين
٣٠١	قبر عاشق	٢٧٠	حديث الجنيد
٣٠٢	وفاة عزيز لا حياة ذليل	٢٧١	أصناف الناس
٣٠٢	أجمل الناس وأقبحهم	٢٧١	ذو النون والمريض
٣٠٦	لا يقبل الرسول	٢٧٢	فوح دأود
٣٠٧	كيف يقتل الفاسق	٢٧٣	أيوب في بلائه
٣٠٨	ميتا الحب	٢٧٤	الجارية الصوفية
٣٠٩	إساءة الدنيا وإحسانها	٢٧٥	ما بهي جنون
٣١٠	عيون وخذود	٢٧٥	رابعة العلوية ورياح القيبي
٣١٠	جسم فاحل وعظام	٢٧٦	دواء المحبين
٣١١	موت جميل بثينة	٢٧٦	يستحيي من الله
٣١٢	غشية تجيء وأخرى تذهب	٢٧٧	محبو الله أحياء وإن قبروا
٣١٣	الهم الملازم	٢٧٧	العباد على ثلاث منازل
٣١٣	الفقير المشدود بالحبل	٢٧٨	ثاء في حب الله
٣١٤	حكاية : إسلام حبش على بعد الميش	٢٧٨	عمر والزاني القاتل
٣١٦	موت عروة بن حزام	٢٧٩	نصر بن حجاج وامرأة السلمي
٣١٧	قصة عروة وعفراء	٢٨٠	ضحيتا الهوى
٣٢١	الهجران إثم	٢٨١	غصص الموت
٣٢٢	مصطبران على البلوى	٢٨٢	الدماء المطلولة
٣٢٢	فضل الشاعرة	٢٨٣	ليل الأغيلية والحجاج
٣٢٣	شهقة الموت	٢٨٨	علي بن صالح والقينة
٣٢٤	جنون وعشق	٢٨٨	ريقته مدام
٣٢٤	الفقير والشيخ العاشق	٢٨٩	هشق ليس فيه فحش
٣٢٥	زينة الله	٢٩٢	نظرة بتيسم
٢٢٥	ينشد في ظل خيمة	٢٩٢	قميص الكتان
٢٢٧	التفريق بين مؤلفين	٢٩٣	طرف قتول

